



جمهورية العراق
وزارة التعليم العالي والبحث
العلمي جامعة المثنى/كلية التربية
للعلوم الإنسانية/قسم التاريخ

آل الحرفوش في بعلبك

(١٤٩٧ - ١٨٦٥ م)

دراسة تاريخية

رسالة تقدمت بها الطالبة

زهرة محمد حلو الشيباني

إلى مجلس كلية التربية للعلوم الإنسانية في جامعة المثنى وهي جزء من
متطلبات نيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر

بإشراف

الأستاذ الدكتور

متعب خلف جابر الريشاي

٢٠١٨ م

١٤٤٠ هـ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

{ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ
بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهْدَمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا
وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ }

الحج (٤٠)

الاهداء

إلى ...

كل شهيد عشق الشهادة وأمعن في البعاد حينما لاحقته دنياه طلبا لجنان الخلد
(الشهيد الدكتور محمود بشير حمود)

إلى ...

كل روح شهيد كسرت قيود الطواغيت وكل قطرة دم سقت نخيل الوطن
فارتفع شامخاً

وكل يتيم غسل بدموعه جسد أبيه الموسم بالدماء
وكل أم ما زالت على الباب تنتظر اللقاء
(الشهيد السعيد جودت عبد الستار)

إلى ...

أغلى من وهبتهم حياتي وأستنشق منهم أجمل رحيق عطري
وأرى النور عندما ينظرون في عيني وأسعد أيامي عندما أرى ابتسامتهم
أبنتي نور وزينب ...

أهدي ثمرة جهدي

الباحثة

شكر وامتنان

قال تعالى {قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ} صدق الله العلي العظيم [الأحقاف : ١٥].

الحمد لله وحده حمداً يليق بجلال وجهه وعظيم سلطانه على ما أنعم علي وأفاض وتكرم، والحمد لله الذي جعل الشكر وسيلة لإتمام النعم ودفع النقم، يدعوني واجب الوفاء والتقدير وأنا أضع اللمسات الأخيرة على سطور هذه الرسالة، أن اتقدم بخالص الشكر ووافر الاحترام إلى المشرف الأستاذ الدكتور- متعب خلف الريشاوي، الذي لم يأل جهداً في النصح والتوجيه العلمي المتواصل، وإرشاداته القيمة والمستمرة التي رافقتني طوال مدة الكتابة بالرغم من التزاماته ومسؤولياته الكثيرة، أذ غمرني بعباءه وسعة صدره، ما اسهم في انجاز الرسالة على هذا النحو، ولو أنني أوتيت كل بلاغة، وافنيت بحر النطق في النظم والنثر لما كنت بعد القول الا مقصرة، ومعترفة بالعجز عن واجب الشكر هذا، فجزاه الله عني خير الجزاء .

من حسن الثناء والاعتراف بالجميل، تنتصب نافلة الإكبار والتقدير لكل أساتذتي في السنة التحضيرية، أصحاب الأيدي البيضاء في بنائي المعرفي والعلمي، أبتداءً بالأستاذ الدكتور حسين كامل جابر الشاهر، والأستاذ الدكتور عبد الإله الأسدي، والأستاذ الدكتور غانم نجيب عباس والأستاذ المساعد الدكتور سفير جاسم محمد ، والأستاذ المساعد الدكتور حيدر مجيد، والأستاذ المساعد الدكتور أسعد حميد، والدكتور قاسم مهدي الموسوي، والأستاذ المساعد ابتسامة علوان شفيق، لما أفاضوه من وافر علمهم فأدامهم الله شجرة وافرة بضلالها يستظل بها دوما طلبة العلم والمعرفة، وكان الجميع مثلاً للنصح والعطاء المتواصل .

ويحتم علي الوفاء بأصدق المشاعر وباحر الكلمات الطيبة النابعة من قلب وفي، فاض بالاحترام والتقدير، إلى أساتذتي الأفاضل وفي مقدمتهم الأستاذ الدكتور محمد فليح الجبوري -عميد كلية التربية للعلوم الإنسانية، والأستاذ الدكتور حسن هادي الزيايدي -عميد كلية التربية الرياضية، والأستاذ الدكتور المساعد العلمي لرئيس الجامعة السابق -جواد الجنابي، والأستاذ المساعد الدكتور -كريم عبيس أبو حليل، ولابد أن أتقدم بوافر الشكر إلى جميع العاملين في مكتبة كلية التربية للعلوم الإنسانية -جامعة المثنى، وجميع العاملين في المكتبة الوطنية ودار الكتب، والمكتبة العامة في النجف الاشرف وكربلاء .

بيد العرفان أخط أحرفي، وبجبر الوفاء أكتب كلماتي، أسجل أسطر شكر ووفاء وامتنان إلى أساتذتي الذين اكرموني سواء بملاحظاتهم أم بوقتهم، فكان لإسهامهم أثره في تخفيف عبئ هذه الرسالة، وأخص منهم: الأستاذ الدكتور عدنان كاظم، والدكتور علي منفي شراد، والدكتور سلام جبار منشد ، وإلى من قدم لنا مساعدة سخية وبصدر رحب في توفير بعض المصادر الأجنبية وترجمة ما

احتاجه منها، فلهم مني كل الشكر، أخص بالذكر منهم احمد محمد حلو، وإلى زملائي جميعا، واعتذر
عمن لم تسعفني الذاكرة بذكرهم، جزى الله الجميع خيرا الجزاء .
والشكر موصول لآسرتي الصغيرة، التي تحملت معي الصعاب ولم تبخل بعطائها وصبرها معي، إلى
فلذات كبدي أبنتي الصغيرتين (نور وينب)، اللتين طالما قصرْتُ بحقهما لانشغالي بإتمام الرسالة .
وشكري وتقديري للسادة رئيس لجنة المناقشة وأعضائها الكرام، لما بذلوه من جهد في قراءة فصول
الرسلة وتجشّمهم عناء السفر الشاق لمناقشتها، ووضع ملاحظاتهم ولمساتهم العلمية القيمة عليها،
للارتقاء بمستوى هذه الرسالة، ولهم من الله التوفيق والسداد أن شاء الله .

الباحثة

توصية المشرف

أشهد أن إعداد هذه الرسالة الموسومة بـ ((آل الحرفوش في بعلبك))

١٤٩٧ - ١٨٦٥ م

"دراسة تاريخية"

التي قدمتها الطالبة ((زهراء محمد حلو الشيباني)) جرى تحت اشرافي في قسم التاريخ كلية التربية للعلوم الإنسانية / جامعة المثنى ،وهي جزء من متطلبات نيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر.

توقيع المشرف

أ. د. متعب خلف جابر

التاريخ / / ٢٠١٨

بناءً على التوصيات المتوافرة ارشح هذه الرسالة للمناقشة

توقيع رئيس القسم

أ. د. متعب خلف جابر

التاريخ / / ٢٠١٨

إقرار المقوم اللغوي

أشهد أنني قد قومت رسالة الطالبة (زهراء محمد حلو) الموسومة بـ ((آل الحرفوش في
بعلبك ١٤٩٧-١٨٦٥م دراسة تاريخية)) وهي سليمة لغوياً.

الإمضاء:

اسم المقوم اللغوي :

التاريخ : / / ٢٠١٨

اقرار لجنة المناقشة

نشهد نحن أعضاء لجنة المناقشة إننا اطلعنا على الرسالة الموسومة بـ (آل الحرفوش في بعلبك ١٤٩٧-١٨٦٥م دراسة تاريخية) المقدمة من الطالبة (زهراء محمد حلو الشيباني)، وقد ناقشنا الطالبة في محتوياتها ما له علاقة بها، ووجدناها جديرة بالقبول لنيل شهادة الماجستير آداب في التاريخ الحديث والمعاصر بتقدير () .

الاسم:

عضواً

الاسم:

رئيساً

الاسم:

عضواً

الاسم:

عضواً ومشرفاً

مصادقة مجلس الكلية

صادق مجلس كلية التربية للعلوم الإنسانية في جامعة المثنى على قرار لجنة المناقشة

العميد:

الاسم: أ. د. محمد فليح الجبوري

التاريخ:

المحتويات

ت	الموضوع	الصفحة
	المقدمة : نطاق البحث وعرض المصادر.	٨-١
	التمهيد: نبذة عن جغرافية وتاريخ بعلبك	٣١-٩
	الفصل الاول: إمارة آل الحرفوش النشأ والتكوين	٧٩-٣٢
	المبحث الاول: التسمية والنشأة	٤١-٣٢
	المبحث الثاني: قيام إمارة آل الحرفوش	٦٣-٤١
	المبحث الثالث: الحياة الاجتماعية والسياسية في بعلبك ابان حكم إمارة ال حرفوش	٧٩-٦٣
	الفصل الثاني: إمارة ال الحرفوش تحت الحكم العثماني	١٢٥-٨٠
	المبحث الاول: ولاية دمشق في العهد العثماني	٩٠-٨٠
	المبحث الثاني: العوامل التي ساعدت ال حرفوش الانخراط بالسلطة العثمانية	١٠٧-٩١
	المبحث الثالث: الحملات العسكرية العثمانية على امانة بعلبك	١٢١-١٠٧
	المبحث الرابع. امانة الحرفوش في العهد العثماني	١٢٥-١٢١
	الفصل الثالث: علاقات ال الحرفوش مع القوى المحلية	١٨٢-١٢٦
	المبحث الاول : .	١٣٧-١٢٧

١٥١-١٣٨	المبحث الثاني:	
١٨٢-١٥٢	المبحث الثالث :	
	.	
٢٤٣-١٨٣	الفصل الرابع: إمارة ال الحرفوش تحت الحكم المصري	
١٩٧-١٨٤	المبحث الاول :	
٢١٠-١٩٨	المبحث الثاني:.	
٢٢٢-٢١١	المبحث الثالث:	
٢٤٣-٢٢٣	المبحث الرابع :	
٢٤٧-٢٤٤	الخاتمة .:	
٢٦٧-٢٤٨	الملاحق:.	
٢٨٨ -٢٦٨	قائمة المصادر والمراجع العربية .	
a-b	.Abstract	

المقدمة

المقدمة

نطاق البحث وتحليل المصادر :

أولاً: نطاق البحث

يعد ظهور الأسر الإقطاعية من السمات الرئيسية التي برزت في المنطقة العربية إبان الحقبة العثمانية، وفيما بعد أفرزت العديد منها إمارات إقطاعية، توزعت جغرافياً في بلاد الشام ، بحسب التقسيمات الإدارية العثمانية آنذاك، إذ أنها أقرت أصحاب الإقطاعيات على إملاكهم ،وهكذا أصبحت الفرصة مؤاتية لنشوء وقيام إمارات محلية ، ولاسيما ولاية دمشق التي كانت إحدى الولايات العثمانية التي شهدت قيام الكثير من الأسر ،ومنها أسرة آل الحرفوش التي استطاعت القيام بتأسيس إمارة عام ١٤٩٧م ،واستمرت حتى عام ١٨٦٥م. وبالرغم من وجود الكثير من الدراسات التي تناولت التاريخ السياسي والإقطاعي لولاية دمشق في العهدين المملوكي والعثماني، فإن هذه الأسرة لم تتال النصيب الكافي من تلك الدراسات ، سواء أكان هؤلاء الباحثين لبنانيين ، أم غير لبنانيين، إذ عدّ تلك الولاية خارج الإطار التاريخي لحدود دولة لبنان المتعارف عليه في أيامهم، الذي لم يتجاوز جغرافياً جبل الشوف وجبل لبنان وساحلهما، حتى أصبحت دولة لبنان الكبير عام ١٩٢٠م، ومن ناحية أخرى كان للعامل المذهبي أثر كبير بتصنيف أسرة آل الحرفوش بانها خارج المذهب الذي ينتمي إليه البعض من الباحثين، ويعد هذا التصرف منطقياً لأن الأسرة كانت في عصر من يخالفهم من العقيدة والمذهب من السكان والحكام ، ولما أغفل الباحثين بيان أهمية تلك الأسرة، فأصبح من الواجب التطرق إليها في محاولة متواضعة لكشف اللثام عما تركه البعض من هؤلاء الباحثين، بغض النظر عن الانتماء المذهبي أو السياسي، بالرغم ما ناله هؤلاء من الظلم والفسوة من جانب ولاية الدولة العثمانية، من هذا المنطلق جاء اختيار موضوع البحث (آل الحرفوش في بعلبك " ١٤٩٧-١٨٦٥م" دراسة تاريخية)، ذلك لأسباب عدة ،أهمها:

أولاً: تتحدث هذه الدراسة عن حقبة مهمة من تاريخ دمشق العثمانية، إذ قام أمراء آل الحرفوش بتأسيس إمارة تتمتع بحكم شبه استقلالي، على حساب الدولة العثمانية .

ثانياً: بيان الظروف التي ساهمت وساعدت في تأسيس الإمارة، والواقع الحقيقي للاحتلال العثماني للبلاد، وانعكاسه على الإمارة وتطورها .

ثالثاً: الأهمية الجغرافية -الاستراتيجية لمدينة بعلبك، وتأثير تلك الأهمية على الجانب السياسي

للإمارة وأثرها على السياسة العامة للبلاد، فأصبح من الضروري التطرق إلى دراستها ومعرف

تلك الآثار

رابعاً: تعد إمارة آل الحرفوش من الإمارات الإقطاعية المهمة، ولها دور في غاية الأهمية في الحياة السياسية

العهد العثماني، وتدرجهم في أنهاض هويتهم عبر نضالهم الطويل، بالرغم من أنهم لم يكونوا أصحاب القرار مع الس

العثمانية ،إذ كان لهم حيز سياسي وثقافي أدخلهم التاريخ وهكذا، أسسوا إرثاً معارضاً يعود إلى ما قبل المدة الممتدة

عام (١٤٩٧م) حتى عام (١٨٦٥م)

فُسِّمَت الرسالة إلى تمهيد وأربع فصول، سُبِّقَت بمقدمة تناولت فكرة الموضوع ومسوغات اختياره، ومُقفاه بخُ
أوجزت فيها خلاصة الرسالة، وملاحق حاولت الباحثة من خلالها أَنْ تكون الفصول الأربعة مترابطة المضمون ،
ينسجم مع عنوان الرسالة ، فضلاً عن قائمة المصادر والمراجع التي اعتمدتها هذه الرسالة ،وأخيراً ختمت الباحثة الدر
بخلاصة باللغة الانكليز

تناول التمهيد ((جغرافية وتاريخ بعلبك))وعرض أصل تسمية مدينة بعلبك، والموقع الجغرافي لها وما يتعلق
وتضمن ملخصاً لتأريخ المدينة عبر الازمنة القديمة، وعرض أهم المعالم الأثرية الموجودة فيها، وبحث تاريخ المدينة
عام (١٤٩٧م)، أي قبل مجيء أسرة آل الحرفوش في البلاد واستقرارهم
أما الفصل الأول : (آل الحرفوش " النشأ والتكوين ") وقد جاء على ثلاثة مباحث ،المبحث الأول آل الحرفوش "
" تحدث فيه على تأسيس الإمارة وما رافقها من تطورات، بدءاً من معنى الاسم، وأصل الأسرة ، ووقفت الباحثة
الأسباب التي دفعت آل الحرفوش للهجرة، وكيف بدأت الإمارة بالنمو، في حين تطرق المبحث الثاني إلى طور تك
الإمارة ،تضمن عرض كل ما يتعلق بمتطلبات قيام الإمارة، وسلط الضوء على أبرز الأمراء الذين قاموا ببناء الأم
وتابع المبحث الثالث إلى الاضطرابات الداخلية التي حدثت بين أفراد الأسرة ،والأسباب التي شجعت لظهور
الصراعات ،التي أثرت سلباً على بنية الإمارة وعلى الاستقرار السياسي

وتحدث الفصل الثاني: عن (آل الحرفوش تحت الحكم العثماني)، تضمن الاحتلال العثماني لبلاد الشام ،على
انتصاره بمعركة مرد دابق عام (١٥١٦م) على الدولة المملوكية، واقتضت ضرورة البحث توزيعه على مبحثين
الأول على الأحداث والتطورات التي شهدتها بعلبك إبان الحكم العثماني، وركز أيضاً على المتغيرات التي طرأت
النظام الإداري العثماني التي شملت تقسيم البلاد إلى ولايات عدة ، أما المبحث الثاني بحث في طبيعة علا
أمراء آل الحرفوش مع السلطة العثمانية آنذاك، وما آلت اليه تلك العلاقة من حروب متواصلة استمرت لمدة طويلة،
سببها هو توتر العلاقات العثمانية -الحرفوشية، نتيجة أسباب عدة ، اهمها التعاون مع شيوخ جبل عامل و
المطاردين والفارين من تلك المناطق عام (١٧٨٢م)أدت إلى ارتكاب مجزرة بالأسرة الحاكمة في بعلبك وشنق ال
مصطفى مع أخوته الثلاثة، هذه الأحداث أدت إلى ظهور الأمير جهجاه، لأخذ بثأر أبيه وأعمامه، وإعادة أمجاد
وأجداده عام (١٧٨٦م)

بالنسبة للفصل الثالث (علاقات آل الحرفوش بالقوى المحلية المجاورة) مقسم على مبحثين ، تطرق المبحث
الأحداث المهمة التي طرأت على الساحة المحلية بين آل الحرفوش والأمارات المجاورة ، الذي شمل التقارب والتحا
وأحياناً أخرى الصراع والنزاعات، وأثرها على العلاقات العثمانية -الحرفوشية، والعلاقات الحرفوشية مع باقي ال
الأخرى، ولاسيما تحالف أمراء آل الحرفوش مع آل معن، الذي سعى اليه حكام بعلبك، نتيجة الامتيازات التي من
الدولة العثمانية للأمير فخر الدين المعني الأول عام (١٥١٦م)، مقابل الاعتراف بالدولة الجديدة وعدّ التحالف الذي
بين الأسرتين سبباً رئيسياً لاضطراب العلاقات وحدوث خلافات، التي أدت في بعض الاحيان إلى نزاع عسكري
شيوخ المقاطعات الأخرى، في حين جاء المبحث الثاني عن علاقات هذه الأسرة مع الأسر الأخرى ، ومنها ال
الشهابية التي أصبحت في مكان آل معن عام (١٦٩٧م)، وكانت في حالة مد وجزر، بحسب الحالة التي تقتضي

صب مصلحة أحد الطرفين، كما وضحت العداء المستمر بين آل الحرفوش مع آل سيفاء، في حين خصص الفصل هذا للتعاون المستمر بين الحماديين وأمرآء آل الحرفوش طيلة سنيين حكم

وأخيراً الفصل الرابع (علاقات آل الحرفوش مع الدول الإقليمية ونهاية الإمارة عام ١٨٦٥م)، وجاء على أن

مباحث ، المبحث الأول أحتوى الاطار التاريخي لحملة إبراهيم باشا المصري، والأسباب التي دفعت محمد علي باشا مصر احتلال بلاد الشام والانعزال عن الدولة العثمانية عام (١٨٣١م)، ورفض الأمير أمين بن الحرفوش بتقديم الطل والخضوع واعلان العصيان للسلطة الجديدة في بعلبك، كذلك بحثت المتغيرات التي حصلت في مسار التنظيم الإداري للإمارات المحلية من الحكومة المصرية، وما رافق تلك التغييرات من تمردات كثيرة في الولايات، ولاسيما في بعلبك، التي قام بها أمرآء آل الحرفوش أثناء الاحتلال المصري، أما المبحث الثاني تطرق إلى طبيعة علاقات الأسرة مع الطائفة المسيحية التي بدأت بعلاقات طيبة في بداية حكمهم ،ولاسيما في عهد الأمير موسى بن علي تحولت إلى عداء بفعل مستجدات حصلت في الساحة البعلبكية، إذ قام الأمير مصطفى بتهجير بعض أهالي القاطنين في بعلبك نحو القرى الأخرى، في حين تحدث المبحث الثالث على الأسباب الرئيسة التي أدت إلى زوال الإمارة ونفي أمرائها، منها دور الرأي العام الدولي والمتضمن بكلا الدولتين (الانكليز - فرنسا)، التي تعد من أهم النافذة في تلك الحقبة ، ومن ثم أختتم الفصل الأخير بالمبحث الرابع ، الذي أختص بالنتاج الحضاري والفكري لأمرآء الحرفوش ، وعرض أهم العلماء والشعراء في مدينة بعلبك

ألحقت بالرسالة جملة من الملاحق التوضيحية من خرائط مدينة بعلبك، والتوسع في حدودها في أثناء حكم الحرفوش وجدولاً توضيحياً بالأمرآء ، فضلاً عن بعض الوثائق التي تخص مصادرة أملاك العائلة ورواتبهم، في النهاية كانت خاتمة البحث، لخص فيها أهم النتائج التي توصل اليها ،من المعلومات التي جمعت ورتبت بشكل متناسق بحسب التسلسل الزمني الذي تطلبه موضوع الدراسة، في ضمن خاتمة الرسالة

اعتمدت الدراسة على منهجين الأول : المنهج التحليلي والثاني الاستنتاج ،إذ ركز الأول على الملاحظة والتلم للمادة التاريخية للوصول إلى الاستنتاج ، بالرغم من صعوبتها ، أما الثاني فيتطلب رؤية واضحة لدى الباحثة يستل من خلالها أن يضع الاستنتاج ، فضلاً عن ذلك فأن المنهج الأخير يجيب عن التساؤل ، لماذا حدث ؟ بينما المنهج التحليلي يجيب عن التسأل كيف حدث؟ لهذا تم اختيار هذا المنهج للوصول إلى الحقائق التاريخية عن أسرة آل الحرفوش بشكل سلس مباشر ومبسط دون الأخلال بالوقائع التاريخية الأخرى، التي وقعت خارج بعلبك ،ولها ردود أفعال سلبية تأثرت بها الساحة السياسية لمدينة بعلبك آنذاك

ثانيا- عرض المصادر والمراجع

اعتمدت الدراسة على مجموعة من المصادر المتنوعة في مادتها العلمية، التي أغنت الرسالة بين الكتب العربية والمعرّبة والأجنبية ، فضلاً عن الرسائل الجامعية والدوريات والوثائق ،ونستطيع القول أن المعلومات المتوافرة في المصادر، وردت فيها في بعض الأحيان أخبار قليلة عن أسرة آل الحرفوش ،ولاسيما في الفصل الأول، من الناحية الاجتماعية لأفراد هذه الأسرة من حيث الولادة، النشأة، ولكن امكن من توظيف هذه المادة في تغطية الفصل الاول

الدراسة قدر المستطاع ، ولأجل تسليط الضوء على عرض هذه المصادر سلط الضوء على نماذج منها ، وفقاً لأهم

بتغطية فصول الرس

١-الكتب العربية: تعد الكتب العربية من المصادر التي اعتمدت عليها الدراسة بشكل كبير، أهمها، كتاب سعدون حمادة (تاريخ الشيعة في لبنان) في جزأين، الذي يعد مصدراً رئيساً من مصادر الدراسة، حيث أوضح المؤلف المذكور عرض المواقف التاريخية لأهم المفاصل التي تتحدث عن الوجود الشيعي في مناطق تلك البلاد منها بعلبك وكسروان وجبيل وغيرها، في أطار موضوعي يتوخى عرض الوقائع والأحداث بالاعتماد على الوثائق العثمانية وتقارير القناصل، ولم يحاول اسقاط أي رؤية ايديولوجية أو تبرير مواقف دينية،فضلاً عن كتاب ستيفن ونتر (شيعة لبنان في ظل الحكم العثماني)، الذي أحتوى على معلومات أغنت هذه الدراسة، وتناول المؤلف في هذا الكتاب الحقبة الزمنية من القرن السادس عشر إلى أواخر القرن الثامن عشر عن تاريخ الإمارات المحلية، ودورها الرئيس في تاريخ لبنان، لكنه أختصر تاريخ لبنان بالأمارتين الشهابية والمعنية، فقد نالهم النصيب الأوفر من اهتماماته بكتابه هذا، عارضاً علاقات تلك المقاطعات مع السلطة العثمانية، ومع بعضهم ، ولاسيما كانت أغلبها علاقات صراع، ولم يذكر في هذا الكتاب أي وجود للطائفية، ولم يكن هنالك فرق بالتعبير في صفحات المصدر بين السنة والشيعة ولا يوجد أي تمييز بينهما.

ورفدت كتب المؤرخ عيسى اسكندر المعلوف، جوانب من الدراسة، اعتمدت عليها ،لتضيف معلومات مهمة، وكان أهمها كتاب (دواني القطوف في تاريخ المعلوف)، ويمتاز بسرده للأسر التي سكنت سوريا ولبنان وفلسطين والأردن، ويشمل تاريخ هجرة بعضها من مراتبهم الأصلية، ويهتم بشكل اساسي بأسرة آل المعلوف التي جاءت من اليمن، وأعتمد المؤلف في عرض تاريخ الأسر بطرح الروايات على أصولها، ويستقرئ جميع دقائقها وأطرافها، بل كان يقيس الحوادث بأشباهاها، لذلك جاءت المرويات مؤيدة بالبراهين، وتطرق إلى تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين، ووقائعها وأصول سكانها وعاداتهم، مسترسلاً إلى تواريخ أهم الأسر وفروعها.

وكانت للكتب الاجنبية المترجمة أهمية كبيره في هذه الدراسة، وعنى المؤرخ فيليب حتي بتاريخ بلاد الشام، فأفرد لبنان في كتاباته منها (لبنان في التاريخ)، وهو ينطلق في كتابة الكيان اللبناني الذي قام عام (١٩٥٨م)، وتعود أهمية هذا الكتاب إلى إنه أول محاولة يقوم بها مؤرخ بجمع تاريخ لبنان منذ خمسة آلاف سنة في دراسة متسلسلة وعميقة ومركزة، وقد ترجمه إلى اللغة العربية أنيس فريحة عام ١٩٥٩م، وفي مضمون البلاد نفسها، أسهم فيليب أيضاً مؤلفات عدة ، من أهمها (تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين)، وترجمه للعربية جورج حداد وعبد الكريم رافق، وتتبع أهمية ذلك الكتاب، إذ جمع المؤلف فيه الأخبار ووصف الأحداث التي حدثت عبر العصور التاريخية في البقعة التي نعرفها الان بسوريا ولبنان وفلسطين، وذكر الخدمات الجليلة التي قدمتها الشعوب إلى الحضارة الانسانية، ولاسيما أنّ لهذه المنطقة إلى حد بعيد شخصية خاصة بها فرضتها طبيعتها وقربها من البحر وخصائص ساكنيها، وكان المؤرخ لا يكتفي بنقل والتاريخ، بل يقتصر الأحداث التي يحسبها على غاية من الأهمية لتعليل مشاكل المنطقة، لكي تفهم الأحداث الجارية على الشكل المطلوب.

أما الكتب الأتية :كتاب ميخائيل موسى ألوف (تاريخ بعلبك)، وكتاب عباس حسن نصر الله (تاريخ بعلبك)، وكان جزأين، فضلاً عن كتاب فؤاد خليل (آل الحرفوش إمارة المساومة)، التي تضمنت موضوعات نفسها مع الاختلاف بالمعلومات والأحداث و التواريخ، وهي تاريخ مدينة بعلبك، تلك المدينة القديمة الشهيرة بقلعتها العظيمة وأثارها الشامخة، تطرق إلى الموقع الجغرافي للمدينة ومن بناها والأقوال الشائعة عن أسمها وعباداتها، وتحليل للوقائع والأحداث التاريخية في بعلبك وأهمية موقعها الجغرافي ، وعرضت تلك الوقائع بالتسلسل الزمني، وتطرق أيضاً إلى تاريخ وجود آل الحرفوش فيها، على الرغم من أن عرض المعلومات التاريخية لآل الحرفوش لم تكن شاملة، إذ تضمنت جوانب معينة من تاريخهم منها علاقاتهم المحلية والاقليمية، وعلاقاتهم فيما بينهم، في حين لم يستعرضوا الحياة الاجتماعية للأمرءاء، كيف بدأوا، وكيف نشأوا، وبمن تأثروا، وتاريخ ميلادهم . ولما كان للبحوث المنشورة من أهمية لما تحتويه من معلومات قيمة، فقد تضمنت الدراسة مجموعة من تلك البحوث منها بحث المنشور لأسراء احمد الكعود المعنون (الأمير فخر الدين الثاني وسياسته الخارجية). وكان للصحافة والدوريات دور في إغناء البحث وتبسيط الأضواء على الجوانب الغامضة لما احتوت عليه من معلومات مهمة، غطت بعض الجوانب، وتأتي في مقدمتها، مجلة العرفان، والاطلالة الجبلية . وقد واجهت الدراسة مجموعة من الصعوبات ، منها ما كان يتعلق بندرة المادة العلمية المتوفرة في بطون الكتب التي تتحدث عن أسرة آل الحرفوش، كما أسلفنا القول - وأن وجدت فأنها ما بين أسطر هذه الكتب، وبصورة متفاوتة، ولا تعطي صورة واضحة عنهم اذ نجد أغلبها تتكلم عن الامرءاء من الأسرة، والاشارة إلى معلومات تاريخية سبقت تولي بعضهم السلطة دون تسلسل تاريخي ، ويعزو بعض الباحثين السبب أيضاً لسياسة الضغط التي أتبعها العثمانيون وولاتهم تجاه العلماء والكتبة والمؤلفين من ابناء المذهب الشيعي، لاختلاف المذهب الديني، فاضطر بعضهم لإخفاء كتبه واوراقه في زوايا البيوت وبين الواح الصناديق، وربما اضطروا إلى تمزيقها إم حرقها ، عندما تدهم بلادهم الحروب والفتن، نظراً لذلك أصبحت الكتابة في تاريخ هذه الأسرة صعب نوعاً ما، نظراً لقلة المراجع التاريخية التي يمكن للباحث الاعتماد عليها، لذا فإن المهمة تزداد صعوبة عندما يلتمس الباحث معلوماته من الشذرات القليلة الموجودة في المراجع الاساسية التي تناولت تاريخ لبنان الحديث بوجه عام.

وختاماً، وبحمد البارئ ونعمة منه وفضل ورحمه، بعد رحلة عبر أربعة فصول ، بين تفكر وتعقل في (آل الحرفوش في بعلبك "١٤٩٧-١٨٦٥م دراسة تاريخية)، وقد كانت رحلة مجهدة قدمت بها الباحثة اليسير من تاريخ هذه الاسرة، ومازال الميدان واسعاً لكل من يريد البحث عنهم، ولا ادعي اني غطيت كل الجوانب التي تخص موضوع البحث من دون نقص يذكر، غير أنني بذلت فيه قصارى جهدي، فان أصبت فذاك مرادي، وأن أخطئت فلي شرف المحاولة والتعلم، ولا أريد أن أزيد على ما قاله عماد الاصفهاني: (رأيتُ إنه لا يكتب انساناً في يومه الا قال في غده لو غير هذا لكان أحسن ولو زيد كذا لكان يستحسن ولو قدم هذا لكان أفضل ولو ترك هذا لكان أجمل)، وهذا من أجمل العبر وهو دليل على استيلاء النقص على جملة البشر، وانطلاقاً من هذا المبدأ، يمثل هذا البحث جهداً انسانياً يحتمل الخطأ مثلما يحتمل الصواب، فالذي يعمل يخطئ، والكمال

محصور بصاحب الكمال جلّ في علاه، وأرجو أنّ يكون جهدي الذي أضعه بين أيدي أساتذتي رئيس لجنة المناقشة وأعضاءها الأفاضل، أنّ وجدوا ما يؤخذ عليه في البحث، فحسبي أنني عند أول خطوة، وأنّ وجدوا فيه ما يفيد، وأرتقى لقبول رضاهم فالفضل لله عز وجل، وآخر دعوانا أنّ الحمد لله رب العالمين.

الباحثة



التمهيد
جغرافية وتاريخ بعلبك

أولاً/ التسمية والموقع الجغرافي:

١. التسمية:

لفظة بعلبك مركبة من (بعل^(١) + بك)، الجزء الأول "بعل" يفسر على أنه صنماً كانوا بنو إسرائيل يعبدونه، أما الجزء الثاني من الاسم أي "بك" أطلق على ذلك الموضع، فتعني بيت أم "أي (بقاع، سهل، وادي)، وبهذا أصبح المجموع اسماً للمدينة^(٢)، "beqa" بمعبد، أم أنها من كلمة وأوضح في القرآن الكريم أنّ أهل المدينة عبدوا "بعل" قبل المسيح بأكثر من ألف عام، يوم أتاهم نبي الله إلياس (عليه السلام)،^(٣) أنبئهم على فعلتهم: ((وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ، إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ إِلَّا تَتَّقُونَ أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ))^(٤)، والبعض الآخر يفسر "بك" على أنه من بكّا أي احتشد، بذلك يكون المعنى الكامل (مكان احتشاد البعل)^(٥)، أما اليونان فأطلقوا عليها أسم (هليوبوليس) عام ٣٣٢ ق.م، أي مدينة الشمس، نسبة إلى إله الشمس (رع)، وهو معظم لدى اليونانيين، وتابعهم الرومان في التسمية نفسها عام ٦٤ ق.م، لشيوع عبادة الشمس فيها^(٦)، ثم عادت إلى اسمها القديم في عهد الفتوحات الإسلامية، فأطلق عليها المسلمون أسم بعلبك عام ١٥هـ / ٦٣٦م^(٧).

(١) بعل: هو صنم تقمص معبودات وثنية مختلفة في مراحل زمنية متعاقبة، وهو أقوى واشهر آلهة الفينيقيين، يقابله زفس عند اليونان وجوبيتر عن الرومان، وكانت عبادته منتشرة في بلاد كنعان. للمزيد ينظر: محمد الدنيا، الفينيقيون وأساطيرهم، الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق، ٢٠١١، ص ٢٢-٢٣.

(٢) زكريا بن محمد بن محمود القزويني (ت: ٦٨٢هـ/ ١٢٨٣م)، أثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر، بيروت، ١٩٩٨، ص ١٥٦؛ شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت الحموي الرومي البغدادي (ت: ٦٢٦هـ/ ١٢٢٥م)، معجم البلدان، مج ١، دار صادر، بيروت، ١٩٧٧، ص ٤٥٥.

(٣) أجمع المفسرون والمؤرخون العرب، بأن النبي إلياس (عليه السلام)، أرسل الله في القرن ١١ ق.م، إلى سكان بعلبك، إذ عرف عنهم عبادة البعل، وضريحه ما زال قائماً على مشارف حجر الحبلى، على طريق عين بورصاي. للمزيد ينظر: قطب الدين أبو الفتح موسى بن محمد اليونيني (ت: ٧٢٦هـ/ ١٣٢٦م)، ذيل مرآة الزمان، ج ٢، ط ٢، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، ١٩٩٢، ص ٣٩٠.

(٤) سورة الصافات: آية ١٢٥.

(٥) أنيس فريحة، معجم أسماء وقرى ومدن لبنان وتفسير معانيها (دراسة لغوية)، مج ١، ط ٤، مكتبة لبنان للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٩٦، ص ٢٧.

(٦) حسن عباس نصر الله، الحياة الاجتماعية في بعلبك (تراث مدينة، وثقافة شعب)، دار القارئ للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ٢٠٠٩، ص ٣٦.

(٧) يحيى الشامي، موسوعة المدن العربية والإسلامية، دار الفكر العربي للطباعة والنشر، بيروت ١٩٩٣، ص ٧٥؛ حسن نعمة، الموسوعة اللبنانية (المدن، البلدات، القرى والأماكن)، ج ٢، دار الرافدين للطباعة والنشر، بيروت، ٢٠١٦، ص ١٣٣.

يستدل مما سبق، أنَّ مدينة بعلبك حملت أسمى عبر تاريخها الماضي، سميت أولاً باسم بعلبك، وبعد ذلك دعاها اليونان والرومان باسم هليوبوليس، والتي تعني مدينة الشمس، وهذا يدل على أنَّ المدينة عبر التاريخ كانت مكرسة لعبادة إله الشمس، وتدل المعبودات نفسها التي أنشئت الهياكل لأجلها على صحة هذا الرأي .

٢. الموقع الجغرافي:

تحتل المدينة موقعاً جغرافياً مميزاً^(٨)، إذ توجد في وسط عدة مدن عرفت بشموخها التاريخي كدمشق وحلب وتدمر^(٩)، وتحيط بها من الجهتين الشرقية والغربية سلاسل جبال لبنان الشرقية والغربية، وتحديداً تقع المدينة على السفح الغربي من جبال لبنان الشرقية، في أعلى مرتفعات سهل البقاع أو حفرة الانهدام^(١٠)، لذلك تطلق أسم بلاد بعلبك على جميع القرى الواقعة بين سلسلتي جبال لبنان، وتبعد عن العاصمة بيروت ٨٣ كم ٢ من ناحية الشمال الشرقي، وعن رحلة ٣٥ كم، وبينها وبين دمشق مسافة قدرها ٦٥ كم ٢ على خط مستقيم إلى الشمال الغربي، وعن طرابلس ٦٤ كم، وإلى حمص ١٠٥ كم ٢^(١١)، قال بطليموس مدينة بعلبك تقع ضمن الإقليم الرابع، طولها ثمان وستون درجة، وعشرون دقيقة، وعرضها سبع وثلاثون درجة وثلاث^(١٢)، وتقع المدينة فلكياً على دائرة عرض ٣٤، ١٠ درجة شمال خط الاستواء، وعلى خط طول ١٢، ٣٦

(٨) ينظر: ملحق رقم (١).

(٩) قاسم الشماعي الرفاعي، بعلبك في التاريخ (دراسة شاملة لتاريخها ومساجدها ومدارسها وعلمائها)، المكتب الإسلامي للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٨٤، ص ٩؛ فيليب حتي، تاريخ لبنان منذ أقدم العصور التاريخية إلى عصرنا الحاضر، تر: أنيس فريحة، ج ١، دار الثقافة للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٥٨، ص ١٥٨.

(١٠) البقاع: جمع بقعة أو بقیع، أي متجمع المياه الراكدة، يقع بين جبل لبنان الغربي والشرقي، وهو سهل ضيق يبتدئ شمالاً من المنعطف الشمالي لنهر العاصي، حيث يكون عريضاً عند سهل حمص، ويستمر السهل إلى حماة، ويرتفع إلى نحو ١٠١٥ قدماً فوق البحر، يقع بين جبل لبنان الغربي والشرقي، يبلغ طوله ١٢٠ كم، وعرضه ١٥ كم. للمزيد ينظر: طه باقر، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة في حضارة وادي النيل وبعض الحضارات القديمة (فارس، الإغريق، الرومان)، ج ٢، بيت الورق للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ٢٠١١، ص ٢٤٣-٢٤٤.

(١١) أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله بن خرداذبة (ت: ٣٠٠هـ / ٩١٢م)، المسالك والممالك، تح: دي غوبة، دار صادر أفست ليدن، بيروت، ١٨٨٩، ص ٩٨-١١٧؛ عماد الدين أسماعيل بن محمد بن عمر المعروف بابي الفداء (ت: ٧٣٢هـ / ١٣٣١م)، تقويم البلدان، تح: المستشرق رينود وماك كوكين ديسلان، دار صادر، بيروت، ١٨٥٠، ص ٢٥٥.

(١٢) أبو الحسن علي بن الحسين المسعودي (ت: ٣٤٦هـ / ٩٥٧م)، مروج الذهب ومعادن الجوهر، ج ٢، المكتبة العصرية، بيروت، ٢٠٠٥، ص ٤٧٥؛ ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج ١، ص ٤٥٣.

درجة شرق خط جرينتش، تعلو بعلبك عن سطح البحر ١١٦٣ م^٢، وتبلغ مساحتها الكلية ٢٣٥٢ كم^٢(13).

تتأثر المدينة بمناخ البحر المتوسط، إذ تعد الأقرب إلى الساحل فيكون صيفها حار جداً يصاحبه جفاف، لكن كثافة الأشجار المثمرة المتواجدة في تلك المدينة، تؤدي إلى تخفيف جفاف مناخ بعلبك، ويكون المعدل السنوي للشمس حوالي (٣٢١٥) ساعة، أما شتاؤها فيكون بارداً نسبياً، إذ تتحرك الرياح على امتداد السهل، فتكون الرياح الشمالية محملة بالصقيع، بينما الرياح الغربية تكون باردة وممطرة، فيبلغ معدل الأمطار في المدينة ما يقارب (١٥٤ ملم) سنوياً⁽¹⁴⁾.

بينما مجاري المياه التي تغذي أراضي بعلبك، فإن الجانب الشرقي من المدينة اغزر ماءً من الغربي، بسبب وجود جداول كثيرة تسقي أراضيها ومنها نبع الليطاني، ومصدره قرب حوش بردة حيث ينبع بهدوء ويعد من أنهر سوريا الكبرى ومصبه في البحر المتوسط، قرب صور بعد مسير ١٨٩ كم، ونهر يحفونا الذي يخرج من قرية معربون في الجبل الشرقي، وتجتمع إليه مياه سرغايا ونبع غيضة، فيسقي كثير من القرى المار بها في الجبل الشرقي، وسفحه يصب في نهر الليطاني، ومن شمال المدينة يسيل نهر العاصي المسمى بالأرنط قديماً، ويكون نبعة العلاق قرب مزرعة وردين غربي بعلبك، يجري أيام الشتاء حتى قرية اللبوة، ويمر مع مياهها حتى الزرقاء آخر حدود بعلبك، حيث النبع الغزير، ومن هناك يتابع سفح الجبل، ويمر متلاطماً إلى أرض حمص، فيهدأ لاستسهاله الأرض، ثم تتكون منه بحيرة قدس، ومنها يعود إلى مسيره الأول، حتى يصب في بحر الروم قرب السويدية، بعد مسيرة ٢٦٧ كم^٢(15)، ويقع إلى شرق المدينة ينبوع ماء غزير يدعى اللجوج⁽¹⁶⁾ على بعد ٤ كلم شرق المدينة، ونبع رأس العين في الجنوب

(١٣) ميخائيل موسى الوف، تاريخ بعلبك، ط٢، المطبعة الأدبية، بيروت، ١٩٠٤، ص ٦؛ أيريك فرداي وآخرون، أطلس لبنان (الأرض والمجتمع)، تر: محمد الديبات، تح: محمد كزور، مر: حسن الشريف، مكتبة النهضة للنشر والتوزيع، دمشق، ١٩١٢، ص ٦٧.

(١٤) جودة حسنين جودة، جغرافية لبنان الإقليمية، ج ١، مكتبة المدينة، بيروت، ٢٠١٤، ص ٢٥؛ نصر الله، المصدر السابق، ص ٣٦-٣٧.

(١٥) احمد بن يحيى ابن فضل الله العمري (ت: ٧٤٩هـ/١٣٤٩م)، مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، تح: دو روتيا كرا فولسكي، ج ٣، المركز الإسلامي للبحوث، بيروت، ١٩٨٥، ص ٣٦٤-٣٦٥؛ ميخائيل الوف، المصدر السابق، ص ١٢.

(١٦) اللجوج: ينبع من خراج قرية نحلة، هو نبع تتدفق مياهه بغزارة، فسمي اللجوج، لأنه يلج في جريانه. للمزيد ينظر: كارلهانيز برنهروت، لبنان القديم، تر: ميشيل كيلو، مر: زياد مني، قدمس للطباعة والتوزيع، دمشق، ١٩٩٩، ص ٢٥.

الشرقي للمدينة، فضلاً عن جملة من الينابيع الأخرى، ومنها (نبع دردة، نبع عين الجوزة، نبع كوكب)، ومئات الآبار التي تنتزع في المدينة^(١٧).

وهبتها الطبيعة مزايا كثيرة المتمثلة بالمناظر الطبيعية الخلابة وجمال بساطتها، وبهدوء مناخها، وتضاريسها^(١٨) المميزة من حيث الجغرافية الجبلية والمتكونة من القمم العالية والمرتفعات الشديدة الانحدار، ولا سيما أنّ تلك المدينة عرفت منذ القدم بأنها ممر للأنبياء ومقر للأولياء^(١٩)، فقد كانت يقصدونها الحجاج والمتعبدون من أصحاب الحاجات من مناطق بعيدة، التي اكسبها مكانة مرموقة عبر التاريخ^(٢٠)، ومنحها موقعها الاستراتيجي الجغرافي فوائد اقتصادية وعسكرية، إذ اشتهرت بأهميتها الزراعية، ذلك لتمتعها بمقومات طبيعية، ويعود لغنى التربة هناك ووجود نهر الليطاني الغزير الذي يروي أراضيها، فضلاً عن المساحة الكبيرة التي يمتد عليها هذا السهل، مع وفرة مصادر المياه الأخرى، فاعتمدت القوافل الآتية من البلدان هذا الموقع كمركز استراحة، لوجوده على منتصف الطريق بعد عبور سلسلة جبال لبنان الغربية للوصول إلى مناطق الداخلية والنائية^(٢١)، التي كانت مقصد التجار لبيع السلع التجارية، وموقعها هذا قد جعل البلدة محصنة طبيعياً^(٢٢)، إذ كان حلقة وصل ومركز بين حضارات العصور القديمة، بين دجلة والفرات من الشرق، وبلاد النيل إلى الجنوب، وهكذا وجدت المدينة على ممر رئيسي للقوافل التجارية على مفترق الطرق بين بلاد بين النهرين ومصر وشواطئ البحر المتوسط، ومنها يمكن التحكم على

(١٧) ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج ١، ص ٥٥٦؛ إلياس جرجس وآخرون، ولاية بيروت، ج ٢، مؤسسة حمادة اريد للطباعة والنشر، بيروت، ١٩١٦، ص ٥١٩.

(١٨) التضاريس: وهي الجبال، وأهمها (جبل سنير ٢٨٠٠م، جبل الزمرواني ٢٦٣٠م، جبل سبعة (اليسع)، جبل الشعيبة، جبل الملاح)، والوديان، أهمها (وادي سباط، وادي، السيل) للمزيد ينظر: إسماعيل أبو الفداء بن علي بن محمود بن عمر بن أيوب (ت: ٧٣٢هـ/١٣٣١م)، المختصر في أخبار البشر، ج ٤، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٧، ص ٨١-٨٢.

(١٩) مما يعزز هذا المنحى، وجود عدد من أضرحة وقيور ومقامات الأنبياء الأوائل في بلدات وقرى ضواحي بعلبك، منها مقام النبي حام (عليه السلام) يوجد في بلدة حام، ومقام النبي سام (عليه السلام) الذي يرقد في بلدة شمسطار غربي المدينة، ومقام النبي يوسف (عليه السلام) في بلدة كفردان غربي بعلبك، وغيرهم. للمزيد ينظر: فيليب خوري حتي، خمسة الاف سنة من تاريخ الشرق الأدنى، تر: إنيس فريجة، ج ١، الدار المتحدة للنشر، بيروت، ١٩٨٢، ص ١١٣-١١٤.

(٢٠) ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج ١، ص ٥٣٧؛ قاسم الرفاعي، المصدر السابق، ص ٢٨.

(٢١) تعد بعلبك معبراً أساسياً بين الداخل السوري ومركزه دمشق، وبين الساحل الشمالي ومركزه بيروت، إذ كانت تصل الساحل المتوسطي بالبر الشامى، وشمال فلسطين بشمال سوريا. للمزيد ينظر: لمياء أحمد محسن، لبنان دراسة في الجغرافية السياسية والجيوبوليتكس، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة بغداد، كلية التربية للبنان، ٢٠٠٤، ص ٧٦.

(٢٢) فضل الله العمري، المصدر السابق، ج ٣، ص ٣٦٤-٣٦٥؛ جواد بولس، لبنان والبلدان المجاورة، ط ٢، مؤسسة بدران للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٧٣، ص ٢٢١.

جميع مناطق سوريا الداخلية، وبذلك استقادت المدينة من وجود تلك المزايا عبر تاريخها الطويل، فأصبحت محطاً تجارياً مهماً⁽²³⁾.

ثانياً/ أدوار التاريخ الرئيسية في مدينة بعلبك :

تعرضت المدينة في موقعها الجغرافي والتاريخي عبر أزمنة التاريخ إلى التأثيرات المختلفة من قبل بعض القوى والامبراطوريات القديمة التي استعمرتها على حقبة متفاوتة، على مرور السنين، وتقسيم مراحلها التاريخية، كالآتي :

١. بعلبك في العصور القديمة

يعود تاريخ بعلبك إلى القرن الثلاثين قبل الميلاد، كما دلت على ذلك الحفريات الألمانية⁽²⁴⁾، التي جرت بالقرب من المذبح الكبير قبالة معبد جوبيتر، إذ ظهرت بقايا من العصر البرونزي الأوسط (٢٩٠٠-٢٣٠٠ ق.م)⁽²⁵⁾، وكانت تلك المدينة عبر الأزمنة البعيدة موقع عناية وأعجاب الأمم القديمة على اختلاف نزعاتهم وتباين مناهج تفكيرهم، ذلك لأهمية موقعها الاستراتيجي الذي اشتهرت به عبر العصور التاريخية، وأهميتها الزراعية ، فضلاً عن كثرة مواردها الاقتصادية، التي جعلتها مطمعاً للشعوب والامبراطوريات القديمة، ما دفع بعض القوى إلى استعمارها، ومنهم الفينيقيون، حيث سيطروا عليها في أواخر الألف الثالث قبل الميلاد، فبنوا فيها أول هيكل لعبادة إله الشمس (بعل)⁽²⁶⁾، وأصبحت مدينتهم المقدسة وقبلة حجاجهم، وجعلوا هيكلها محجاً تتوافد إليه الحجاج لعبادة الإله المقدس⁽²⁷⁾، وخضعت المدينة قديماً أيضاً للسومريين والآكاديين والحيثيين في عام ٢٣٠٠ ق. م، وسيطر عليها البابليون (١٧٢٨-

(٢٣) طه باقر، المصدر السابق، ج٢، ص ٢٤٨؛ يوسف الدبس مطران الماروني، مختصر تاريخ سوريا الديني والدنيوي، مج٦، ج٤، المطبعة العمومية الكاثوليكية، بيروت ١٩٠٢، ص ٦٤٤.

(٢٤) زار الإمبراطور غليوم الثاني قيصر المانيا وقرينته الإمبراطورة أغسطا فيكتوريا مدينة بعلبك في (١٠- تشرين الثاني ١٨٩٨م)، وقد فوجئ بما رآه من سوء مظاهر الهياكل وتلال التراب والحجارة المحطمة المتناثرة وفقدان هياكل المعالم عظمته، فأرسل بعثة ألمانية تختص بالأثار والحفريات لتكشف الأجزاء الرئيسية للمعابد الثلاثة فأكملت عملها بين عامي (١٩٠٠م-١٩٠٤م)، وتلتها بعثة فرنسية عام ١٩٢٢م، وبعد ذلك اكملت المديرية اللبنانية العامة للأثار العمل على معالم المدينة. للمزيد ينظر: كارلهاينز برنهدت، المصدر السابق، ص ٧.

(٢٥) قاسم الرفاعي، المصدر السابق، ص ١٧؛ زيدان عبد الكافي كفافي، بلاد الشام في العصور القديمة (من عصور ما قبل التاريخ حتى الاسكندر المقدوني)، دار الشروق، بيروت، ٢٠١١، ص ١٩٨-٢٠١.

(٢٦) فيليب خوري حتي، لبنان في التاريخ، تر: أنيس فريحة، مؤسسة فرانكلين، بيروت، ١٩٥٩، ص ١٨٧؛ جواد بولس، تاريخ لبنان، دار النهار، بيروت، ١٩٧٢، ص ١٣٤.

(٢٧) حسن عباس نصر الله، تاريخ بعلبك، ج١، مؤسسة الوفاء، بيروت، ١٩٨٤، ص ٢٨-٣٩؛ حسن نعمة، المصدر السابق، ج١، ص ١٦-١٧.

١٦٨٥ ق.م)، ذلك في عهد المشرع القانوني الأول في التاريخ الملك البابلي الشهير حمورابي، كذلك خضعت للفراعنة في عهد الأسرة الثامنة عشرة بقيادة تحتمس الثالث (١٤٩٠-١٤٣٦ ق.م)⁽²⁸⁾، وسيطر الآشوريون عليها (٧٢٢-٦١٢ ق.م) في عهد تجلات بلاسر (٧٤٦-٧٢٨ ق.م)، ومن ثم سيطر الكلدانيون بقيادة نبوخذ نصر الثاني (٥٩٧-٥٨٦ ق.م)، واستمرت هذه المملكة حتى الغزو الفارسي لها (٥٣٩-٣٣٠ ق.م)⁽²⁹⁾.

بعلبك في العصر اليوناني (٢٢٣-٦٤ ق.م)-الروماني (٦٤ ق.م-٦٣٦ م):

دخلت بعلبك تحت حكم اليونان بعد أن دحر الاسكندر المقدوني الكبير (٣٣٢-٣٢٣ ق.م) الجيش الفارسي بقيادة دارا الثالث (٣٣٦-٣٣٠ ق.م)⁽³⁰⁾، في موقعة أبيسوس الشهيرة عام ٣٣٣ ق.م⁽³¹⁾ قرب خليج الإسكندرونة، وتأثرت المدينة تأثراً ملحوظاً بالثقافة اليونانية، فقد تأثر أغنيائهم والطبقات الوسطى منهم بالتيارات الجديدة، حيث أخذوا اللغة اليونانية والعادات والأزياء الغربية، وأتبع اليونانيون سياسية تشجيع التجارة الداخلية والخارجية، وتحولت عبادة الآلهة إلى ديانة شمسية، الآلهة بعل أصبح رع (الشمس) المصري، المعروف تحت أسم هليوبوليس عند اليونان، الذي أعطى أسمه إلى المدينة⁽³²⁾.

بدء العهد الروماني في بعلبك بفتح بومبي (٦٧-٦٤ ق.م)⁽³³⁾ للبلاد عام ٦٤ ق.م، وكانت من أعظم وأهم الدويلات الرومانية بحيث وضعت تحت الحكم المباشر، وخول سلطات واسعة من

(٢٨) عهد أمنحوتب الثاني (١٤٣٨-١٤١٢ ق.م)، وعهد أمنحوتب الرابع (١٣٦٦-١٣٤٩ ق.م)، كما أسسوا الحوريون والميتانون المملكة الحورية الميتانية التي سيطرت على البلاد (١٥٠٠-١٣٣٠ ق.م). للمزيد ينظر : طه باقر، المصدر السابق، ج ٢، ص ٢٦٣-٢٧٠.

(٢٩) أحمد اسماعيل علي، تاريخ بلاد الشام منذ ما قبل لميلاد حتى نهاية العصر الاموي، ط ٣. دار دمشق، دمشق، ١٩٩٤، ص ١٩١-٢٠١؛ نصر الله، الحياة الاجتماعية في بعلبك، ص ٩١-٩٢.

(٣٠) دارا الثالث: (٣٨٠-٣٣٠ ق.م)، هو داريوس الثالث (Darios) الثالث، آخر ملوك الأسرة الأخمينية، وقد أنتصر عليه الاسكندر المقدوني، حتى سحق جيشه، وكانت نهاية أسرته. للمزيد ينظر: زكي نجيب محمود، قصة الحضارة، ج ٢، ص ٤٠٥-٤٠٦.

(٣١) موقعة أبيسوس: قامت هذه المعركة بين اليونان بقيادة الاسكندر المقدوني وبلاد فارس، واستطاع القائد اليوناني من إلحاق هزيمة بالجيش الفارسي، ووقعت المعركة بالقرب من قرية أبسوس في فريجيا في الأناضول. للمزيد ينظر: سهير القلماوي وآخرون، الموسوعة العربية الميسرة، مر: شفيق غريال، دار الشعب، مصر، ١٩٨٧، ص ٣٢١.

(٣٢) حسن البديري الحلاق، التاريخ الروماني (الاجتماعي والاقتصادي والاداري والديني والسياسي والعسكري)، دار النهضة العربية، بيروت، ٢٠١١، ص ٢٨٧.

(٣٣) بومبي: هو القائد الكبير اغنايوي بومبيوس (١٠٤-٦٤ ق.م)، ابن القائد جالونيوس بومينيوس، ولد في روما، ينحدر من أسرة رومانية، وقد منح لقب (Magnus)، أي العظيم، على أثر انتصاره في صقلية

(٥٧-٤١ ق.م)، Gabinius تجنيد الجيوش وشن الحروب، وكان أول حاكم فيها "جابينيوس" (فوجد موقع المدينة المتقدم على مشارف الصحراء، وفي واحتها الخضراء مركزاً يتخذون منه حصناً على الحدود الشرقية للإمبراطورية الرومانية يدفعون به عنها الشعوب الغازية، فأقاموا به الجند وبنوا الدور والقصور، وأقام فيها حامية عسكرية⁽³⁴⁾، ثم أنتبه الامبراطور أوغسطس قيصر (٢٧-٤١ ق.م)⁽³⁵⁾ إلى أهمية موقع المدينة على الصعيدين الاقتصادي والديني فأسس لمشروع عظيم، يجعل من بعلبك واجهة متألقة تبرز صورة روما وعظمتها وقدرتها وتعكس ثروة الإمبراطورية وقوتها، فينقل التجار والحجاج الذين يقصدون المدينة تلك الصورة إلى أوطانهم، فأمر عام ١٥ ق.م، بان يبني في المدينة أكبر الهياكل الرومانية، ذلك العمل كان جزءاً من سياسة الدولة آنذاك في ترسيخ السيطرة الرومانية على المنطقة، ونظراً لتلك السياسة ارتفعت معابد بعلبك العملاقة التي يمكن اعتبارها من عجائب العالم القديم،⁽³⁶⁾ ولا سيما وأن ذلك العمل تعاقب على تمويله وتحقيقه عدد من كبار اباطرة الرومان⁽³⁷⁾ واستمر زهاء نيف وثلاثة قرون⁽³⁸⁾، ويعد عهد بعلبك في العصر الروماني من أزهى العصور في تاريخها، وأكثرها غنى وثقافة، ونعمت بعلبك في تلك الأجواء، فأصبحت مدينة كبيرة وحاضرة دين وحكم وإدارة، وأصبحت اللغة اللاتينية محل اللغة الإغريقية⁽³⁹⁾، وهكذا استمرت حتى عام ٣٢٣م، على أثر انهيار

وافريقيا عام (٧٩ ق.م)، وتوفي في الاسكندرية للمزيد ينظر: محمود أبراهيم السعدني، تاريخ وحضارة الرومان (منذ نشأة روما وحتى نهاية القرن الأول الميلادي)، الدار الدولية للاستثمارات الثقافية، القاهرة، ٢٠٠٧، ص ١٥٣.

(٣٤) برنهدت كارلهاينز، المصدر السابق، ص ١٨٩-١٨٥؛ فيليب خوري حتي، تاريخ سورية ولبنان وفلسطين، تر: جورج حداد وعبد الكريم رافق، مر: جبرائيل جبور، ج ١، دار الثقافة للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٥١، ص ٣١٨.

(٣٥) أوغسطس قيصر: الاسم الأصلي كايوس أوكتافوس (٦٣ ق.م-١٤م)، ابن أخت يوليوس قيصر، وقد تبناه الامبراطور قيصر، وجعله وريث للعرش، وهو أول من أنشأ النظام الامبراطوري، وأهتم في فترة حكمه بالإصلاحات الداخلية. للمزيد ينظر:

Ella. Augustus as a Letter –Writer, Bournw American philological Association, Transactions and Proceedings, Of The 1918, p53.

(٣٦) نصر الله، الحياة الاجتماعية في بعلبك، ص ١٣٨؛ حسن نعمه، المصدر السابق، ج ٢، ص ١٣٧.

(٣٧) الأباطرة هم: ((الامبراطور اغسطس قيصر (٢٧ ق.م-١٤م)، ثم الامبراطور تيبيريوس (١٤-٣٧م)، ثم الامبراطور كاليغولا (٣٧-٤١م)، وكلوديوس (٤١-٥٤م)، نيرون (٥٤-٦٨م)). للمزيد ينظر: محمود سعيد عمران، معالم تاريخ اوربا في العصور الوسطى، ط ٢، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٨٩، ص ٢٤٣.

(٣٨) فيليب حتي، لبنان في التاريخ، ص ٢٨١؛ يوسف مزهر، تاريخ لبنان العام، ج ١، دار الامن للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٥٨، ص ١٤٩.

(٣٩) اليونيني، المصدر السابق ج ٢، ص ٦٥؛ حسن نعمة، المصدر السابق، ص ١٣٧.

الإمبراطورية الرومانية عام (٣٩٥-٦٣٥م)، ودخلت المدينة تحت الحكم البيزنطي، حينها اعتنق الامبراطور قسطنطين الكبير (٣٠٦-٣٣٧م) الدين المسيحي، واتخذ من قسطنطين مقراً له^(٤٠)، واستمر حكمهم فيها حتى دخول المسلمون لبلاد الشام كفاتحين أثناء الفتوحات الإسلامية (١٥هـ/٦٣٦م)^(٤١).

يتضح مما سبق، أن موقع بعلبك الجغرافي، الذي يتوسط حضارات وادي النيل والرافدين والأناضول، وغناها بالثروات الطبيعية، جعلها هدفاً للاحتلال من قبل هذه القوى، وممراً للحملات العسكرية، وللقوافل التجارية، وكانت المدينة منذ في القديم، مكرسة لعبادة إله الشمس، إذ تأثرت عبادات المدينة بالآلهة الشمسية الذي كانت عبادته منتشرة في بلاد كنعان، فحملت آلهتها صفات شمسية، ولهذا لم يطلق على بعلبك اسم هليوبوليس عبثاً، ولم يطلق اسم الشمس على معبود وهمي، ذلك للمكانة الدينية العالية للمدينة ومعابدها الضخمة، أرغمت كلاً من اليونان والرومان، فيما بعد على احترام حرمتها وقديسيتها.

(٤٠) حسن الحلاق، المصدر السابق، ص ٢٨٧-٢٨٨؛ شبكة المعلومات الدولية الانترنيت، [www.https://Marefa.org](https://Marefa.org).

(٤١) شاكر مصطفى، المدن في الاسلام حتى العصر العثماني، ج٢، دار طلاس، بيروت، ١٩٨٨، ص ١٦٣؛ نصر الله، الحياة الاجتماعية في بعلبك، ص ٩٠.

بعلبك في العصر الإسلامي (١٥هـ / ٦٣٦م):

غيرت معركة اليرموك⁽⁴²⁾ التي وقعت في (١٥هـ / ٦٣٦م) مجرى التاريخ، وجعلت أرض الشام تنتقل من السلطة البيزنطية إلى السلطة الإسلامية⁽⁴³⁾، إذ احتل المسلمون بعلبك خلال زحفهم من دمشق إلى حمص في عهد الخليفة عمر بن الخطاب (١٣هـ / ٦٣٤م - ٢٣هـ / ٦٤٤م) بقيادة القائد العربي أبي عبيدة بن عامر الجراح، فإن هذه المدينة تعد أهم قاعدة في وادي البقاع⁽⁴⁴⁾، إذ حولوا الأماكن المرتفعة في تلك المدينة إلى قلاع وحصون بغية الدفاع عنها، فتخلت هليوبوليس بذلك عن اسمها الروماني، من هنا يأتي الاسم الحالي للمدينة (بعلبك)⁽⁴⁵⁾، وبهذا خيم الظلام على المعابد، وزالت عنها الوثنية نهائياً، واكسبها الفتح الإسلامي منحناً حضارياً، إذ وجدت خلاله هويتها، وأصبحت مركزاً عسكرياً مهماً، ينطلق منها المسلمون في حروبهم مع الغزاة، وظلت تحت حكمهم حتى عام (٩٩٢هـ / ١٥١٦م)⁽⁴⁶⁾، حينها دخلت تحت الحكم العثماني، وأصبحت قائممقامية لولاية دمشق عام ١٨٥٠م، وبقيت حتى اعلان قيام دولة لبنان الكبرى وضم متصرفية جبل لبنان⁽⁴⁷⁾، عام ١٩٢٠م⁽⁴⁸⁾.

(٤٢) معركة اليرموك : وقعت بين المسلمين بقيادة خالد بن الوليد، عددهم ما يقارب ٣٦ ألف مقاتل، و بين الروم (الامبراطورية البيزنطية)، وعددهم حوالي ٢٤٠ ألف مقاتل، وكانت النتيجة لصالح المسلمين، وسميت بهذا الاسم نسبة إلى الوادي الذي وقعت فيه المعركة. للمزيد ينظر: عبد الرحمن بن علي بن محمد بن علي بن الجوزي أبو الفرج (ت: ٥٩٧هـ / ١٢٠١م)، المنتظم في تاريخ الملوك والمنتظم، ج ٤، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٧٩، ص ١١٨-١٢٣.

(٤٣) محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب أبو جعفر الطبري (ت: ٣١٠هـ / ٩٢٣م)، تاريخ الأمم والرسائل والملوك، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، ج ٢، دار المعارف، بيروت، ١٩٦٧، ص ٣٣٦؛ عز الدين أبي الحسن الجزري الموصلي بن الأثير (ت: ٦٣٠هـ / ١٢٣٣م)، الكامل في التاريخ، ج ٢، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٦٦، ص ٢٦٠.

(٤٤) أحمد بن يحيى بن جابر بن داود البلاذري (ت: ٢٧٩هـ / ٨٩٢م)، فتوح البلدان، ج ١، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ١٩٨٨، ص ١٥٢؛ حنان قرقوتي شعبان، بيروت ودورها الجهادي، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٣، ص ٦٣-٦٥.

(٤٥) أحمد بن أبي يعقوب أسحاق بن جعفر بن وهب بن واضح اليعقوبي (ت: ٢٩٢هـ / ٨٩٧م)، البلدان، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٢، ص ٢٥٤-٢٥٥؛ حمد بن عبد الله الأزدي البصري (ت: ٧٣٠هـ / ١٣٢٩م)، تاريخ فتوح الشام، تح: عصام مصطفى عقلة، دار اليازوري العلمية، القاهرة، ٢٠١١، ص ٢٤٦.

(٤٦) قاسم الرفاعي، المصدر السابق، ص ١٦١؛ حسن نعمة، المصدر السابق، ج ٢، ص ١٣٤.

(٤٧) متصرفية جبل لبنان: هو نظام أقرته الدولة العثمانية في عهد السلطان عبد المجيد الأول الروماني، عام ١٨٦١م، وأهم امتيازات هذا النظام، هو فصل لبنان من الناحية الادارية عن باقي بلاد الشام، ووضع المنطقة تحت حكم متصرف، بشرط ان يكون مسيحي عثماني، وتم استحداثه نتيجة الفتنة الطائفية التي

الوضع الاقتصادي لمدينة بعلبك :

تركزت العوامل الجغرافية، التي تميزت بها المدينة من حيث المناخ المعتدل، ووفرة المياه، ولاسيما أنّ أكثر أراضي هذه المدينة خصبة جيدة التربة، إلا ما كان في سفح الجبل، فأدى إلى ازدهار الحياة الاقتصادية، والمتمثلة بالزراعة والتجارة والصناعة⁽⁴⁹⁾.

أولاً: الزراعة

بعلبك أرض الخيرات، واسعة الرزق، ثمارها شهية، حبوبها زكية، مياهها روية، نسماتها عذبة، تبلغ المساحة الزراعية في المدينة حوالي (٦٥ %) من مساحة المدينة الكلية، تتوزع الاراضي الزراعية في المدينة إلى ثلاثة أقسام :

١- البساتين للأشجار المثمرة والخضار.

٢- السهل لزراعة الحبوب .

٣- الغابات التي كانت تغطي الجبل الشرقي بأكمله، من نبع رأس العين إلى حدود دمشق، والمحيطه بناحيتي سهول البقاع الشرقية والغربية، وهي متسعة غضة فيها زراعات القطن في وادي العاص والتوت والحبوب^(٥٠). وتشمل المحاصيل الزراعية في البلاد:

أ- الحبوب: القمح، الشعير، العدس، الحمص، الذرة الفاصولياء.

ب- الأشجار المثمرة : المشمش، الخوخ، الرمان، الكرز(حب الملوك)، البندق، الجوز، اللوز، العنب، الدراق، الإجاص، التين، التفاح، والسفرجل^(٥١).

قال أبو الفداء في تقويم البلدان : " بعلبك كثيرة الخيرات"⁽⁵²⁾، وعندما زار ابن بطوطة المدينة عام ٧٢٥هـ، قام بوصفها، وقال: "مدينة بعلبك ... حسنة قديمة من أطيب مدن الشام، تحديق بها البساتين الشريفة، والجنات المنيفة، وتخرق أرضها الأنهار الجارية، وتضاهي دمشق

حدثت في جبل عامل ١٨٦٠م. للمزيد ينظر: منير البعلبكي وآخرون، المصور في التاريخ، ج٧، دار = العلم للملايين، بيروت، ١٩٩٩، ص٢٠٦؛ إلياس بولاد، حوادث ١٨٦٠ في لبنان ودمشق (فتة دينية أم مؤامرة سياسية غربية)، جريدة النور، دمشق، ٢٠٠٦، ص ٢-٣.

(٤٨) قاسم الرفاعي، المصدر السابق، ص ٥١؛ منير البعلبكي وآخرون، المصدر السابق، ج ١٠، ص ١٨.

(٤٩) أحمد بن علي القلقشندي (ت: ٨٢١هـ/١٤١٨م)، صبح الاعشى في صناعة الانشاء، ج ٤، دار الكتب العلمية، القاهرة، ١٩٣٤، ص ١١٠؛ محمد كرد علي، خطط الشام، ج ٤، دار الترقى للطباعة والنشر، دمشق، ١٩٢٦، ص ١٤٨.

(٥٠) نصر الله، الحياة الاجتماعية في بعلبك، ص ٣٦٥؛ ميخائيل الوف، المصدر السابق، ص ١٥٩ .

(٥١) كرد علي، المصدر السابق، ج ٤، ص ١٥٥.

(٥٢) أبو الفداء، المصدر السابق، ج ٤، ص ٢٥٤.

في خيراتها المتناهية، وبها حب الملوك، ما ليس في سواها" (53)، بينما ورد القلقشندي عنها: "بعلبك واسعة الرزق، رخيصة السعر... وتحف سورها وقلعتها غوطة عظيمة أنيقة، ذات بساتين مشتبكة الأشجار، بها الثمار الفائقة، والفواكه المختلفة..." (54).

ثانياً: التجارة

تتطلب التجارة عناصر إذا توافرت، ازدهرت، منها (الأيدي العاملة، السلع، المال، وطرق المواصلات)، هذه العوامل وجدت في المدينة، ولاسيما كانت بعلبك من إحدى مدن المخازن (55)، في عهد النبي سليمان عليه السلام، أي في بدايات الألف الأول قبل الميلاد، إذ كانت مركزاً وسطاً بين أورشليم وتدمر، واشتهرت في هذه الحقبة بتجارة الحبوب والشم، وهذا الدور التجاري الموهل في القدم استفادت منه المدينة، وحافظت عليه عبر أزمنة التاريخ، نظراً للموقع الجغرافي لها، وطرقها، هي:

١. إلى البحر :

- بعلبك - كركنوح - ظهر البيدر - بيروت - صور.
- بعلبك - تل كلخ - طرابلس.
- بعلبك - كرك نوح - مشفرة - جبل الريحان - صيدا.

٢. إلى الداخل :

- بعلبك - عنجر (خالكيس) - دمشق.
- بعلبك - الزيداني - دمشق.
- بعلبك - اللبوة - حمص - حماه - حلب - الأناضول. (56)

بينما الطريق التجاري الدولي (طريق الهند، اليمن (سبأ)، إلى البتراء، ثم السلع، البحر الميت، فدمشق، خاليكيس، إلى بعلبك، فطرابلس ثم تذهب عبر البحر المتوسط إلى أوروبا، وإما إلى حمص، حماه، حلب، الأناضول) (57).

(٥٣) محمد بن عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن بطوطة (ت: ٧٧٠هـ/١٣٧٨م)، تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار (رحلة ابن بطوطة)، مج ١، دار التراث، بيروت، ١٩٦٥، ص ٧٨.

(٥٤) القلقشندي، المصدر السابق، ج ٤، ص ١١٠.

(٥٥) تقع بعلبك على طرق التجارة بين العواصم (بيروت، دمشق، طرابلس، الأناضول، تدمر). للمزيد ينظر: ابي القاسم محمد بن حوقل النصيبي (ت: ٣٦٧هـ/٩٧٧م)، صورة الأرض، دار مكتبة الحياة للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٩٢، ص ٢٧-٢٧.

(٥٦) نصر الله، الحياة الاجتماعية في بعلبك، ص ٣٩٤؛ كرد علي، المصدر السابق، ج ٤، ص ٢٢٦.

(٥٧) فيليب حتي، تاريخ سورية ولبنان وفلسطين، ص ١٨٧.

ثالثاً: الصناعة

بعلبك مدينة عريقة بالصناعة، وقد ولدت فيها صناعات كثيرة، ومنها انتقلت إلى العالم، منذُ العصر الحجري صنع سكان المدينة أدواته من حجر الصوان المتوافر بكثرة حول المدينة، وازدهرت الصناعة في العصر الروماني، منها قطع الحجارة ونحتها، إذ وجدت أضخم حجارة منحوتة في العالم داخل المدينة، وصناعات الدبس، والثياب، وإواني الخشب، والفخار، والسيوف، والسروج، و صناعة النواويس، والحلي، وصناعة الطباشير، وصناعة النسيج، وصناعة الذهب، وصناعة الملبس، صناعة الألبان والأجبان، ويربى فيها عدد وافر من المعز والغنم ويستخرج منها كل سنة مبلغ وافر من الفحم والقطران ما يسد حاجة سكانها⁽⁵⁸⁾.

الأديان والمذاهب في بعلبك :

أول ما دون عن بعلبك عبادة البعل، في العصور القديمة، وظلت عبادة البعل متوارثة في المدينة عبر السنين، وحاول الأنبياء الكُثر المرسلون، أن يعيدوا أهل بعلبك إلى التوحيد والتخلي عن أصنامهم، لكنهم تمسكوا بعبادة البعل، وفرضوها على مئات السنين، وقتلوا الأنبياء ومنهم النبي إلياس⁽⁵⁹⁾، كانت المدينة في العهد الفينيقي قد تحولت إلى مملكة دينية مستقلة العبادة فيها، تفرض وقارها، واحترامها على الجيوش والقادة، لذلك تجنبت هجمات الغزاة، فازدهرت، وأصبحت محجة للوثنيين، يفدون من أقاصي الأرض إلى معابدها، ويستطلعون الغيب، والمستقبل من عرافيها،⁽⁶⁰⁾ ولما استعمرها الرومان زودوها بآلهتهم (جوبيتر، باخوس، فينوس "الزهرة"، ميركيري "عطارد")، ثم أدخلوا عبادة الشمس هليوبوليس، وإما النصرانية فقد تسربت إلى المدينة منذ القرن الأول الميلادي، إذ قامت على أرضها كنائس وأديرة⁽⁶¹⁾، وقد عرفت المدينة اليهودية مع وفود السمرة⁽⁶²⁾ إلى بعلبك، فضلاً عن وجود الحنابلة، منذ أن وفد إليها الشيخ عبد الله اليونيني

(٥٨) جمال الدين أبي المحاسن يوسف بن تغري بردي الاتاكي (ت: ٨٧٤هـ/ ١٤٧٠م)، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ج ٦، دار الكتب المصرية، مصر، ١٩٦٣، ص ١٧١؛ القلقشندي، المصدر السابق، ج ٤، ص ١٠٩.

(٥٩) شمس الدين أبو المظفر يوسف بن قزاوغي بن عبد الله سبط بن الجوزي (ت: ٦٥٤هـ/ ١٢٠٢م)، مرآة الزمان في تاريخ الأعيان، تح: محمد بركات، ج ١، دار الرسالة العالمية، دمشق، ٢٠١٣، ص ٤٦٦.

(٦٠) نصر الله، الحياة الاجتماعية في بعلبك، ص ٨٤.

(٦١) (كنيسة القديس يوحنا، الكنيسة البيزنطية، كنيسة القديسة بربارة،...). للمزيد ينظر: نصر الله، تاريخ بعلبك، ج ٢، ٥٥٨-٥٦٤.

(٦٢) السمرة: وهي قبيلة السامرة من قبائل بني إسرائيل، كانوا في حاشية فرخ شله بن نجم الدين أيوب (٥٧٨هـ)، الذي حكم بعلبك، للمزيد ينظر: نصر الله، الحياة الاجتماعية في بعلبك، ص ٩٠.

(٥٣٤-٦١٧هـ)⁽⁶³⁾، الصوفي الحنبلي، وتواجد الشافعيون بكثرة في المدينة في العهد الزنكي (٥٢١-٦٣٠هـ) الذي اعتمد الشافعية مذهباً رسمياً عام ٥٥٢هـ⁽⁶⁴⁾، وأيضاً يوجد المذهب الحنفي منذ القرن السابع الهجري، وعندما فتح المسلمون بعلبك عام ١٥هـ، وجدت فيها جماعات مؤيدة للأمام علي (عليه السلام)، فظلت هذه الجماعات تشكل تياراً مناصر آل البيت⁽⁶⁵⁾، وظهر بذلك المذهب الشيعي، مقابل المذهب السني في المدينة، واتّسمت بعلبك باللون العروبي، وهي سمة غلبت على المدينة منذ القديم، إذ سكنتها جالية عربية قبل الفتح الإسلامي، جاء في الأمان الذي كتبه أبو عبيدة بن الجراح لأهلها عام (١٥هـ/٦٣٦م): ((بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ : هذا كتاب أمام لفلان بن فلان، أهل بعلبك : فرسها، ورومها، وعربها، على أنفسهم أموالهم، وكنائسهم ودورهم (...))⁽⁶⁶⁾.

أهم المعالم التاريخية في بعلبك :

مدينة بعلبك من المدن الأثرية ، إذ تحتوي على الكثير من المعالم التاريخية القديمة، فنجد في تلك المدينة يجتمع فيها كل ما يمثل التاريخ ويشهد عليه، فكونت لها من عمق العهود السابقة، أهمية حضارية، وثروة تاريخية، ومكانة دينية⁽⁶⁷⁾، أهمها :

أولاً- الأماكن الدينية

يوجد في المدينة عدد كبير من الأماكن والمراكز الدينية، من أبرزها العتبات المقدسة التي يزورها الناس ويتقربون إلى الله ويصلون فيها، وأبرزها:

(٦٣) عبد الله اليونيني: عبد الله بن عثمان بن جعفر اليونيني، من أعلام التصوف، سمي باليونيني نسبة إلى يونين (أحد قرى بعلبك)، كان من كبار الصالحين المشهورين بالعبادة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر . للمزيد ينظر : إسماعيل بن عمر بن الكثير (ت: ٧٧٤هـ/١٣٧٣م)، البداية والنهاية، ج١٧، مكتبة المعارف، بيروت، ١٩٩٠، ص ١٠٢-١٠٥؛ شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (ت: ٧٤٨هـ/١٣٤٨م)، سير أعلام النبلاء، تح: شعيب الأرناؤوط وآخرون، ج١٦، ط٣، مؤسسة الرسالة، القاهرة، ١٩٨٥، ص ١١٢-١١٣.

(٦٤) ابن كثير، المصدر السابق ، ج١٢، ص ١٤٧؛ محمد سهيل طقوس، تاريخ الزنكيين في الموصل وبلاد الشام، ص ٢٦٥.

(٦٥) نصر الله ، الحياة الاجتماعية في بعلبك، ص ٩١.

(٦٦) البلاذري، المصدر السابق ، ج١، ص ١٣٦.

(٦٧) نصر الله، تاريخ بعلبك، ج١، ص ٤١؛ قاسم الرفاعي، المصدر السابق، ص ١٦.

١- مقام النبي يوشع بن نون (عليه السلام): يقع شرقي بلدة الحدث، على طريق الهرمل - بعلبك .

٢- مقام النبي شيت (عليه السلام): يوجد هذا المقام في قرية سرعين (أحدى قرى بعلبك)، وهو أحد أولاد النبي آدم عليه السلام.

٣- مقام النبي سليمان (عليه السلام): يوجد في الجنوب الغربي لقرية يونين، التابعة لمدينة بعلبك فضلاً عن مقام النبي أيلان (عليه السلام)، مقام النبي نوح (عليه السلام)⁽⁶⁸⁾ .

ثانياً_ الآثار الرومانية

بعد مدة وجيزة من إنشاء المستعمرة العسكرية الرومانية في بعلبك، أي حوالي عام ١٥ ق.م على عهد الامبراطور الروماني أوغسطس، قرر الرومان تحويل المدينة من العبادة المحلية إلى مركز ذات إطار سياسي عظيم، ذلك لإبراز وترسيخ مجد روما وسيطرتها على المنطقة المحتلة مؤخراً، فخططوا لبناء معابد، عددها ثلاثة (جوبتير، فينوي، باخوس)، وبنيت المعابد الرومانية فوق معابد أكثر قدماً منها، تعود إلى العصر البرونزي، شكلت مجتمعة ما يعرف بالقلعة⁽⁶⁹⁾، وهي أكثر أجزاء المدينة شهرة، وأحاطوها بسور مبني من الحجارة العملاق⁽⁷⁰⁾، وتعد من روائع العالم القديم، لا توجد في غيرها من البلدان⁽⁷¹⁾، وأما المعابد الرومانية، فهي :

١. معبد جوبتير

تم تشييده على أنقاض معبد قديم، هو معبد الشمس من العصر الفينيقي، أو كما يعرف بالمعبد الكبير، بدأ العمل به في عهد الامبراطور الروماني أوغسطس عام ١٥ ق.م، وأكتمل مع عهد الامبراطور أنطونيوس بيوس (١٣٨-١٦١ م) يبلغ طوله ٨٨م، وعرضه ٤٨م، يقوم على دكة يبلغ ارتفاعها ٢٠م فوق سطح المدينة، ويصعد إلى الهيكل بدرج ذي ثلاث مصاطب، ذات عقود ترتفع ثمانية امتار عن أرضية البهو، و محاطا بأربعة وخمسين عموداً، وينقسم إلى أربعة

(٦٨) فيليب حتي، خمسة آلاف سنة من تاريخ الشرق، ص ١١٤.

(٦٩) ينظر: ملحق رقم (٢).

(٧٠) ويسمى بحجر الحبلى، ويعد أكبر حجر منحوت في العالم، إذ يبلغ طوله ٢٠م، وعرضه ٤م، أما سماكته فهي ٤م، ووزنه ٦١٥ طن، ويقع هذا الحجر عند المدخل الشرقي للمدينة، كان الرومان يقتلعون الحجارة الضخمة ويعملون على نحتها من أجل تشييد قلعة بعلبك. للمزيد ينظر: حسن نعمه، المصدر السابق، ج ٢، ص ١٣٠.

(٧١) ناديا الياس، مدينة بعلبك تنام على امجاد تاريخها، القدس العربي (مجلة)، بيروت، ١٦-١-٢٠١٦.

اقسام، هي (الرواق، البهو المسدس، البهو الكبير، الهيكل)، تميز بضخامته وكثرة اعمدته، فضلاً عن جمال نقوشه التي تمثل أرقى مراحل الفن العمراني⁽⁷²⁾.

٢. معبد باخوس

ويعرف بالهيكل الصغير، تم بناؤه في عهد الامبراطور الروماني تراجان (٩٨-١١٧م)، بدأ العمل فيه عام ١٢٠م، وأنتهى إعماراه عام ١٢٥م، يقع المعبد جنوب الهيكل الكبير، يمتاز بكونه من افضل الهياكل الرومانية حفظاً، ومن ابدعها نقشاً وزخرفة، يحيط به رواق يرتفع على أعمدة عددها ١٥ عموداً على كل جانب طولي، ويرتفع الهيكل على دكة يبلغ ارتفاعها ٥ م، ويصعد اليه بدرج يتألف من ثلاثين درجة، طوله ٧٥م وعرضه ٤٠م أما الأعمدة فمؤلفة من ثلاث قطع ربطت إلى بعضها بواسطة كلاليب من حديد، ويبعد العمود عن الآخر ٨.٥ أقدام، يتميز ببوابته العملاقة التي يبلغ ارتفاعها ١٣م، وعرضها ٦م⁽⁷³⁾.

٣. معبد فينوس

يعرف بهيكل الزهرة أو الهيكل المستدير، وهو آخر المعابد التي بناها الرومان، تم تشييده خلال حكم الامبراطور سيبتيموس سيفيروس (١٩٣-٢١١م)⁽⁷⁴⁾ عام ٢٠٥م، موقعه الشرق من الهيكلين السابقين، وهو صغير ومزخرف بإتقان ودقة، وله شكل دائري يطوقه من الخارج بثمانية أعمدة، يبرز من جدرانه سطح يتصل منفرداً بكل عمود من الأعمدة الثمانية⁽⁷⁵⁾، وبانتهاء هذا العمل، أختتم المشروع الروماني الكبير الذي استمر أكثر من مئتي عام، وعلى مقربة من الهيكل الدائري، يوجد هيكل آخر يرجع تاريخه إلى بدايات القرن الأول الميلادي، وكان مكرساً لعبادة الميوسات (ربات الفنون ولآداب)، إلى جانب هيكل القلعة هذا، ويوجد الكثير من الآثار الرومانية الأخرى في المدينة⁽⁷⁶⁾.

(٧٢) كمال الصليبي، منطلق تاريخ لبنان، دار الحكمة، بيروت، ١٩٧٩، ص ١٩٩.

(٧٣) حسن نعمة، المصدر السابق، ج ٢، ص ١٣٧. نصر الله، تاريخ بعلبك، ج ١، ص ٤٢.

(٧٤) سيبتيموس سيفيروس: الامبراطور الروماني الحادي والعشرين (١٤٥-٢١١م)، وفي عهد انقسمت سوريا إلى سوريا العليا وسوريا الفينيقية. للمزيد ينظر: سيد أحمد علي الناصري، تاريخ الامبراطورية الرومانية (السياسي والحضاري)، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٩١، ص ٣٣-٣٤.

(٧٥) علي عكاشة وآخرون، اليونان والرومان، دار الأمل للنشر والتوزيع، الاردن، ١٩٩١، ص ٢١٣.

(٧٦) الميوسات: وهن أغريقيات، من رباب الفنون، عددهن سبعة بنان لزيوس من نيموسيني، يشرفن على الايداع والنشاط العقلي، هن (كليوبي، كليو، لأراتو، يوثري، ملبوميني، بوليهمينا، اورانيا). للمزيد ينظر: حسن نعمة، ميتولوجيا وأساطير الشعوب القديمة، دار الشروق، بيروت، ٢٠٠١، ص ١٢٣-١٢٤.

ثالثاً: المعالم الإسلامية في مدينة بعلبك

تكونت هذه المعالم في العصر الحديث، على أثر توالي الحضارات العربية الإسلامية منها، العصر الأموي (٤١هـ-١٣٢م)، العباسي (١٣٢هـ-٧٥٠م)، الفاطمي (٣٥٩هـ-٩٧٢م)، والعهد المملوكي (١٢٥٠هـ-٩٧٢م)^(٧٧)، يذكر منها:

١. مقام السيدة خولة

يقع مقام السيدة خولة بنت الأمام الحسين (عليه السلام)، عند المدخل الجنوبي لمدينة بعلبك، على قطعة أرض تبلغ مساحتها ١٥٠٠م، والمقام بناءه حجري مربع الشكل، طول ضلعة ٦م، يحتوي الضريح الذي يوجد في الزاوية الشمالية الغربية على يمين الداخل، وأقيم فوقه صندوق خشبي مزخرف بآيات قرآنية وأشكال هندسية، وللمقام جدران سميكة تحمل أربعة عقود حجرية مقوسة تعلوها قبة حجرية صغيرة، يحيط به أشجار صنوبرية وحريرية، يرجع بناءه إلى بدايات العهد الأموي عام ٥٢٦هـ، وفي عام ٧٦٨هـ شيد قبة صغيرة على روضتها، وجدد بنائه وبقايا جامع أم عياد الذي بنى في السنة نفسها، على أنقاض كنيسة مار يوحنا التي بناها البيزنطيون عندما كانوا متواجدين في المنطقة^(٧٨).

٢. الجامع الكبير

جامع بني أمية، ويعرف اختصاراً بالجامع الأموي، تم بناؤه في العهد الأموي، بأمر من الوليد بن عبد الملك (٥٠هـ/٦٦٨م-٩٦هـ/٧١٥)، استمر البناء من عام ٧٠٥م، حتى عام ٧١٥م، ويعد رابع أشهر المساجد الإسلامية، بعد حرمي مكة والمدينة والمسجد الأقصى، ويتميز بكونه أول مسجد ظهر فيه المحراب والحنية، وموقعه إلى الشرق من مدخل المعبد الكبير، يتكون من بهو مربع يحيط به رواق وفي وسطه حوض ماء، طوله ١٥٧م، وعرضه ٩٧م، ارتفاع القبة ٤٥م، أقيم هذا الجامع على أنقاض كنيسة القديس يوحنا البيزنطية، له ثلاثة مآذن، تتألف قاعة صلاته من ثلاثة صفوف من الأعمدة نقلت مع تيجانها وبعض قواعدها من المعابد والبنى الرومانية المجاورة، طول قاعة المصلاة ٦٠م وعرضها ٥٠م، وشكل هذا الجامع مركزاً للمذهب

(٧٧) نصر الله، تاريخ بعلبك، ج ١، ص ٣٣.

(٧٨) محمد صادق محمد الكرياسي، تاريخ المراقدة (الحسين وأهل بيته)، ج ٥، المركز الحسيني للدراسات، لندن،

١٩٨٧، ص ٢٨٨؛ حسين علوان، الجغرافية التاريخية لبلاد الشام في العصر الأموي، بيروت، ١٩٨٧، ص

الشافعي اثناء العهد المملوكي، وقد انحصرت به وظائف الإمامة والوعظ والخطابة والتدريس، وفق مبادئ وأصول هذا المذهب⁽⁷⁹⁾.

٣. قبة السعدين

هو مسجد الجركس، يقع بجانب سور القلعة الشمالي، له باب مزخرف، ومحراب، يتكون من ضريحين لرجلين من مماليك الملك الناصر فرج (٨٠١-٨١٥هـ)⁽⁸⁰⁾، ويكون الضريح مقبب يتألف من حجرتين، وقد أمر ببنائه الملك الناصر عام ٨١٢هـ، ليكون مدفناً لنواب السلطنة في بعلبك⁽⁸¹⁾.

٤. قبة الأمجد

مسجد صغير، مربع الشكل، طول ضلعه الداخلي ٦م، يقع إلى جنوب مدينة بعلبك، وهي على تلة الشيخ عبد الله، وتتألف القبة من زاوية ومسجد صغير يحتوي على قبر الشيخ عبد الله اليونيني الذي تعرف التلة باسمه، أمر ببنائه الملك الأمجد بهرام شاه (٥٧٨-٦٢٧هـ)⁽⁸²⁾، في عام ٥٩٦هـ⁽⁸³⁾.

٥. مسجد قبة دورس

يرجح تاريخ هذا المسجد إلى العصر الأيوبي (٧٥٠-٦٥٨هـ)، وكانت له قبة فوق ثمانية أعمدة من الكرانيت الأحمر، ويقع على يسار مدخل المدينة الجنوبي، قام على انقاض كنيسة بيزنطية⁽⁸⁴⁾.

(٧٩) يوسف الدبس مطران الماروني، تاريخ سوريا الديني والديني، في ايام الخلفاء إلى نهاية القرن الحادي عشر، ج ٥، بيروت، ١٩٩٤، ص ٢٢؛ فيليب حتي، تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين، ص ١٣١، بن بطوطة، المصدر السابق، مج ١، ص ٦٦.

(٨٠) الناصر فرج بن برقوق: (٧٨٨-٨١٥هـ)، هو الملك الناصر زين الدين أبو السعادات، سلطان مملوكي تولى عرش مصر بعد وفاة والده وعمره ١٣ عاماً، تولى الحكم مرتين، الأولى في (٨٠١-٨٠٨هـ)، أما الثانية في عام (٨٠٨-٨١٥هـ)، للمزيد ينظر: محمد بن أحمد بن إياس الحنفي (ت: ٩٢٨هـ/١٥٢٢م)، بدائع الزهور في وقائع الدهور، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، ١٩٨٢، ص ١٦٧.

(٨١) حسن نعمة، الموسوعة اللبنانية، ج ٢، ص ٢٣٤.

(٨٢) الملك الامجد: (٥٣٤-٦٢٧هـ) مجد الدين أبو المظفر بهرام شاه ابن ابن نائب دمشق فروخشاه ابن الملك شاهنشاه بن أيوب حاكم بعلبك بعد والده، ملكه إياها عم أبيه السلطان صلاح الدين. للمزيد ينظر:

الذهبي، المصدر السابق، ج ٢٢، ص ٣٣٠.

(٨٣) فؤاد خليل، المصدر السابق، ص ١٠٧.

(٨٤) يوسف الدبس، المصدر السابق، ج ٥، ص ١٢٢.

٦. جامع رأس العين

يعرف باسم مسجد الحسين، تم بنائه عام ٦١١هـ/٦٨١م، فوق أنقاض معبد فينيقي قديم، بجوار نبع رأس العين، وأستخدم في بنائه حجارة المعبد، ثم قام السلطان المملوكي الظاهر بيبرس (٦٥٨-٦٧٦هـ)⁽⁸⁵⁾، بتجديده وتوسيعه عام (٦٧٦هـ/١٢٧٧م)، يبلغ طوله ٥٠م، وعرض ٣٨م، بداخله ٢٢ عموداً، موزعه بحيث جعلت المسجد ينقسم إلى ثلاثة أقسام، وبه محراب ضخم ومنبر من الصخر، له ستة أبواب، زينت حجارتها بنقوش وخطوط هندسية، تخترق المسجد من الناحية الأمامية ساقية من نبع رأس العين⁽⁸⁶⁾.

نبذه مختصرة عن تاريخ بعلبك والبقاع قبل عام ١٤٩٧م:

أنقسم البقاع في العهد المملوكي الى قسمين :

✳ البقاع البعلبكي أو الشمالي وقاعدته مدينة بعلبك.

✳ البقاع الجنوبي أو العزيزي^(٨٧)، ومركزه كرك نوح .

شهد العصر المملوكي في بلاد الشام، بروز الكثير من الأسر العربية، التي أخذت تتصدى للكثير من القضايا الادارية والعسكرية، فكان من بين تلك الأسر، أسرة آل الحنش⁽⁸⁸⁾، التي ظهرت عام ١٣٨٢م في البقاع، إذ كانوا في بادئ الأمر، أصحاب زعامة شعبية، وفرت لأحد

(٨٥) الملك الظاهر بيبرس: (٦٢٠-٦٧٦هـ)، هو الملك الظاهر ركن الدين بيبرس العلائي البنداقاري الصالحي النجمي، لقب بأبي الفتوح، سلطان مصر والشام، ورابع سلاطين الدولة المملوكية ومؤسسها الحقيقي، حقق خلال حياته العديد من الانتصارات ضد الصليبيين وخانات المغول، ابتداءً من معركة المنصورة وانتهاءً بمعركة الأبلستين. للمزيد ينظر: ابن كثير، المصدر السابق، ج ٢، ص ١٦٧؛ ابن الجوزي، المصدر السابق، ج ٢، ص ١٥٣.

(٨٦) متير البعلبكي وآخرون، المصدر السابق، ج ١، ص ١١٧؛ حسن نعمة، الموسوعة اللبنانية، ج ٢، ص ١٤٠.

(٨٧) بحسب المصادر التاريخية أن البقاع الجنوبي سمي بالعزيزي، أما نسبه إلى العزيز بن صلاح الدين، أو نتيجة لما يذخر به البقاع من خيرات، وأرزاق، تجعله في حالة عز دائمة. للمزيد ينظر: فؤاد خليل، المصدر السابق، ص ٣٥.

(٨٨) أسرة آل الحنش: (١٣٨٣-١٥٦٨)، هي أسرة بدوية، تدين بالولاء إلى القبائل القيسية، شافعية المذهب، أدت دوراً مهماً في إدارة شؤون مناطق واسعة من نيابة دمشق في عهد المماليك البرجية، وتولت مهاماً عسكرية وإدارية ومالية، ونفوذهم كان يتسع أحياناً، فيشمل البقاع وبعلبك وحماه وصيدا وبيروت، وأحياناً أخرى ينحسر، فيقتصر على البقاع الجنوبي، ومقره كرك نوح. للمزيد ينظر: شمس الدين محمد بن علي بن أحمد بن طولون (ت: ٩٥٣هـ/١٥٦٤م)، مفاكهة الخلان في حوادث الزمان، تح: محمد مصطفى، ج ٢، دار أحياء الكتب العربية، القاهرة، ١٩٦٢، ص ٢١٤.

رجالهم، هو علاء الدين بن الحنش الأول لقب شيخ، وتمكن من الوصول إلى منصب مقدم⁽⁸⁹⁾ البقاع عام ١٣٨٣م، وعندما أستعاد السلطان سيف الدين برقوق⁽⁹⁰⁾ (١٣٨٢-١٣٩٨م)، سلطته عام ١٣٨٩م⁽⁹¹⁾، أناط مهمة القضاء على تمرد العشائر التركمانية القائمة في نفس العام إلى علاء الدين بن الحنش، الذي تمكن من أداء المهمة الملقاة على عاتقه بكل جدارة، إذ أستطاع من غزو التركمان، ونهب عدد كبير من قرى كسروان، وتمكن من أسر وقتل البعض من زعماء التركمان، الأمر الذي أدى إلى أن أوكل السلطان المملوكي أمر نيابة بعلبك، بعد ما طرد نائبها كمشبغا (١٣٨٨-١٣٨٩م)، وولاية البقاعين إلى بن الحنش في نفس العام، وعندما عاد برقوق إلى القاهرة عام ١٣٩٠م، بادر علاء الدين بن الحنش حينئذ إلى العصيان في بعلبك، وقام بحرق المدينة ونهبها خيراتها، ولما سمع السلطان ذلك، صدر أمر بالقبض عليه، وتمكن رجال الدولة من الإمساك به وتسليمه للسلطان، الذي بدوره أمر بإعدام علاء بن الحنش، ونفذ الحكم في نفس العام⁽⁹²⁾، لم يؤدِ اعدام علاء الدين في دمشق إلى الغاء دور عائلته في البقاء على ولائها للسلطان المملوكي برقوق، فانبهرى منهم علي بن الحنش علاء الدين الثاني عام ١٣٩٠م، وقدم خدماته للسلطان برقوق، حارب تمرد منطاش⁽⁹³⁾ القائم آنذاك إلى جانب الحكومة المملوكية،

(٨٩) المقدم: هو مصطلح عسكري، أطلقه العرب على الأمر الذي يتقدم الطليعة من الجيش، والمقدم يقود الف مقاتل، كانت معروفة في العصر العباسي باسم مقدم المعسكر، وفي عصر المماليك بمقدم ألف. للمزيد ينظر: القلقشندي، المصدر السابق، ج ٢، ص ١٥٣.

(٩٠) السلطان سيف الدين برقوق: الملك الظاهر سيف الدين برقوق بن أنس بن عبد الله الشركسي، ولد في القفقاس عام (١٣٤٠-١٣٩٨م)، وهو أول سلطان من المماليك البرجية، والخامس والعشرون من سلاطين المماليك، ومؤسس دولة المماليك البرجية. للمزيد ينظر: إيمان عمر شكري، السلطان برقوق مؤسس دولة المماليك الجراكسة ٧٨٤-٨٠١هـ/١٢٨٢-١٣٩٨م، مكتبة مدبولي، القاهرة، ٢٠٠٢، ص ٦١٢.

(٩١) حسن عباس نصر الله، تاريخ كرك نوح، مؤسسة الوفاء للطباعة والتوزيع، بيروت، ١٩٨٩، ص ٢٢-٢٤؛ بن طولون، المصدر السابق، ج ٢، ص ٢٦.

(٩٢) كمال الصليبي، المصدر السابق، ص ١٥٢؛ علي مكي، لبنان من الفتح العربي إلى الفتح العثماني، دار النهار، بيروت، ١٩٦٦، ص ٢٧٤.

(٩٣) أستغل منطاش عودة السلطان الظاهر برقوق إلى مصر عام ١٣٩٠م، وأعلن العصيان في دمشق على السلطان، إذ قام منطاش بقبض على العديد من المماليك، وأخذ بعلبك، بعد أن حاصرها محمد بن بيدمر أربعة أشهر، دون جدوى إلى أن عاد السلطان إلى دمشق لفتح بع منطاش لبك، لما علم بقدم الجيش هرب من دمشق. للمزيد ينظر: ابن إياس، المصدر السابق، ج ٢، ص ٣٤٨.

فأكرمته الدولة بأمرية طبلخانة⁽⁹⁴⁾، وأعاد اليه بعلبك، وأستمر علاء الدين في محاربة منطاش، وزاد في ولائه للسلطان، وفي عام ١٣٩١م نشبت معركة قوية بين الأمير بن الحنش واتباعه وبين منطاش ورجاله، التي انتهت بهزيمة بن الحنش هزيمة ساحقة، وقتل من رجاله نحو ألف ومئتين وستون مقاتل، ومن ضمنهم بن الحنش نفسه، ثم خلفه أحد أحفاده باسم ناصر الدين بن الحنش⁽⁹⁵⁾، وقد أخذت منزلة آل الحنش تزداد منزلة في زمانه وزمان أخلافه على حساب العائلة البحرية⁽⁹⁶⁾ في تلك المرحلة، إذ أستطاع الأمير عساف بن الحنش أن يستحوذ على نيابتي بيروت وصيدا عام ١٤٩٠م، علماً أن هذه المناطق كانت توكل لأمرآء آل بحتر، وهذا التوسع في نفوذ آل الحنش، دفع بنائب دمشق ناصر يلغا (١٣٩١-١٣٩٦م)، إلى العمل على تقليصه وأعادته إلى منصب المقدم ضمن اطار البقاع فقط، وهذا الأمر اغضب الأمير عساف وخرج عن طاعة الدولة المملوكية، إذ على أثره قتل الأمير عساف عام ١٤٩٦م، وأستلم منصب نائب بعلبك حينذاك، هو يونس المخصي، فبرز من بعده الأمير شهاب الدين أحمد بن الحنش، الذي دخل في صراع سلطوي عنيف

مع السلطة المملوكية، لذلك أوكلت نيابة بعلبك إلى يونس المخصي، ومن بعده منحت إلى أسرة أخرى برزت اجتماعياً على صعيد البقاع آنذاك، هي آل الحرفوش عام ١٤٩٧م⁽⁹⁷⁾.

(٩٤) إمريّة طبلخانة: هي إمريّة من يكون تحت خدمته من ٤٠ إلى ٧٠ فارساً، وتثق الطبول على ابوابه. للمزيد ينظر: القلقشندي، المصدر السابق، ج ٤، ص ٢٧.

(٩٥) كمال الصليبي، المصدر السابق، ص ١٥٣، بن طولون، المصدر السابق، ج ٢، ص ١٦٧-١٦٨.

(٩٦) الأسرة البحرية: (١٢٥٠-١٥١٧م)، وهم أمرآء الغرب حكموا سواحل غربي جبال لبنان والسهول المجاورة لها، وتمتد جنوباً حتى اعالي الدامور، في العهد المملوكي تولى الزعامة الأمرآء التتوحيين من الأسرة البحرية، واستمرت إمارة الغرب بعد الفتح العثماني، لكن نفوذها تقلص أمام الأسرة المعنية. للمزيد ينظر: سامي نسيب مكارم، لبنان في عهد الأمرآء التتوحيين، ط ٢، دار صادر، بيروت، ٢٠١٠، ص ٣١٧.

(٩٧) محمد البخيت، المصدر السابق، ص ٢٥؛ فؤاد خليل، المصدر السابق، ص ٣٧.

الفصل الأول

آل الحرفوش "النشأة والتكوين"

المبحث الأول: آل الحرفوش "النشأة"

المبحث الثاني: طور تكوين إمارة آل الحرفوش في بعلبك

المبحث الثالث: الصراعات الداخلية بين أمراء آل الحرفوش

المبحث الأول: آل الحرفوش "النشأة"

أولاً : النشأة

١- معنى كلمة آل الحرفوش

وردت كلمة آل الحرفوش في المعاجم اللغوية بمعاني عدة، فقد ذكرها الجوهري، بمفاده: وأشار آخرون إلى صفات حامل ذلك الاسم تتمتع بشخصية مستقلة، ذات حركة نشيطة، وعادة ما يكون له ميول وأهداف، فضلاً عن أنه يتصف بمزاج صعب، ولديه ميول العناد⁽⁹⁸⁾، أما ابن منظور فقد ذكرها بقوله: **إنَّها تعني الجذر (حَرْفَشَ)، ووضَّح أنَّ معنى الاسم بمفاده: "الرجل إذا تهيأ للقتال، والغضب والشر، ورُبَّما جاء بالخاء المعجمة، واحرنفشت الرجال، إذا صرع بعضهم بعضاً، والمحرنفش: المنقبض الغضبان"**^(٢)، وفسره الزبيدي، أنَّ الحَرْفَشَ من الحَرَفِشِ، أي من الأفاعي^(٣).

أما المراجع الحديثة فكان لها رأي في تسمية الحرفوش، منهم من يقول إنه: "مشتق من المنتفخ، الغضبان، المتهيء للشر"^(٤)، ورأى آخر أنه: "من الرجل الخشن الكفوف، أي شديد القلب"^(٥)، و"الحَرْفَشَ هو الهمجي الطريق أو الوحشي"^(٦)، وأرد آخر إنه: "ربما يكون منسوب إلى أسم الجد الأكبر"^(٧).

ويبدو أنَّ ما جاءت به المعاجم العربية، والمراجع الحديثة فيما يتعلق بمعنى آل الحرفوش، تكاد تكون متقاربة في معانيها اللغوية، ودلالاتها التاريخية، إذ يرتبط بالجد والتأهب، والرأي

(١) إسماعيل بن حماد الجوهري (ت ٣٩٣هـ/١٠٠٢م)، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تح: أحمد عبد الغفور عطار، مج ٧، ط ٤، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٩٠، ص ٤٥١؛ عبد الملك بن قريب بن عبد الملك الاصمعي (ت: ٢١٦هـ/٨٣١م)، الأُصمعيات، تح: أحمد محمد شاكر، مج ١، ط ٥، دار المعارف، مصر، ٢٠١٢، ص ١٢٨.

(٢) جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور (ت ٧١١هـ/١٣١١م)، لسان العرب، ج ٧، ط ٣، دار صادر للنشر والتوزيع، بيروت، ١٨٩٥، ص ٣٥٤.

(٣) محمد مرتضى الزبيدي (ت ١٢٠٥هـ/١٨٨٧م)، تاج العروس من جواهر القاموس، تح: عبد الكريم القرباوي، ج ٢، دار افكر، بيروت، ١٩٨٣، ص ٥٠٤.

(٤) حسن الأمين، جبل عامل السيف والقلم، مكتبة الطليعة، بيروت، ١٩٩١، ص ٣٣٢.

(٥) جعفر المهاجر، التأسيس لتاريخ الشيعة، دار الملاك، بيروت، ١٩٩٢، ص ١١٣.

(٦) ستيفن ونتر، الشيعة في لبنان تحت الحكم العثماني (١٥١٦-١٧٨٨م)، تر: محمد حسين المهاجر، فريق

مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي، بيروت، ٢٠١٦، ص ٩٩؛ W.M.Brinner and The Harafisha, their Sultan Journal of the Economic and Social History of the Orient (1963), p 190.

(٧) نصر الله، تاريخ بعلبك، ج ١، ص ٣١.

الأكثر صحة، هو أما أن يكونَ اسماً للجد الأكبر، أو قد يكونُ لقباً أُطلقَ على الأسرة لشجاعتها وتميزها، فأصبحَ متوارثاً من جيلٍ لآخر، فيكون الجد والأب والأبن في أسرة تتكون من المجاهدين، ولا سيما أن الاسم شامي عربي الهوية .

٢- أصل أسرة آل الحرفوش :

يرجعُ أصل آل الحرفوش إلى الخزاعة⁽⁹⁹⁾ في العراق⁽¹⁰⁰⁾، بأجماع المؤرخين⁽¹⁰¹⁾، لكنهم في الوقت نفسه اختلفوا حول طريقة أسناد انتمائهم الخزاعي ، ولهذا انقسموا على فريقين: الفريق الأول: أيد النسب على طريقة التقليد المتواتر، والأقوال المروية من الأهالي، منهم من قال، أن: "الشائع بين الأهالي، أصل هذه العائلة يعود إلى الأمير حرفوش الخزاعي، جد هذه العائلة، عُقدتْ له الراية بقيادة فرقة في حملة الصحابي أبي عبيدة بن الجراح على بعلبك، واستوطنَ بعدئذ المدينة، كثر نسله وكانوا في معظم الأحيان فيها إلى أن تيسّر لهم الاستقلال في اواخر حكم المماليك فسادوا، وحكموا في آنٍ واحد"⁽¹⁰²⁾.

وقد أوضح العزاوي أن: "عشيرة الخزاعل التي يقطن معظمها في لواء الديوانية، هي حجازية الأصل خزاعة، أما الآن فتعرف بـ (الخزاعل)، ولهم جماعة لا يستهانُ بهم في إيران وكذلك لهم جماعة في لبنان، يقال لهم آل حرفوش"⁽¹⁰³⁾، وذهب آخرون إلى القول، أن حرفوش الخزاعي، قدم مع سرايا الفتوح، واستقر في غوطة دمشق⁽¹⁰⁴⁾، وعندما توجه القائد

(١) الخزاعة: الخزاعل تحالف عشائري أنضوى تحت لواء إحدى قبائل خزاعة القحطانية ، نزحت إلى العراق مع الفتوحات الإسلامية، واستوطنت منطقة الفرات الأوسط، وسميت بهذا الاسم لأنخزاعهم عن الأزد. للمزيد ينظر: عمر رضا كحالة، معجم القبائل العربية القديمة والحديثة، ج ١، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٦٨، ص ٥٥-٥٦؛ متعب خلف جابر الريشاي، إمارة الخزاعل في العراق (نشأتها وتطورها وعلاقاتها المحلية والاقليمية)، دار الضياء للطباعة والتصميم، النجف الاشرف، ٢٠٠٩، ص ٣٣-٣٦.

(٢) ينظر: ملحق رقم (٣) .

(٣) مهدي القزويني الحسيني، أنساب القبائل العربية، مؤسسة الأعلام للطباعة و النشر، ١٩٥٧، ص ٥٢ - ٥٣؛ محمد عزة دروزه، العرب والعروبة، دار اليقظة العربية، دمشق، ١٩٥٩، ص ٣٣٢؛ الفتى الكولونيل فردريك بيل، تاريخ شرق الأردن ومعرفة قبائلها، تعريب بهاء الدين طوقان، ج ١، دار الأهلية للنشر والتوزيع، ١٩٩٨، ص ٩٧.

(٤) ميخائيل الوف ، المصدر السابق ، ص ٣٢.

(٥) عباس محسن العزاوي، تاريخ نظام المسؤولية عند العشائر العراقية، مطبعة بغداد، بغداد، ١٩٣٧، ص ٤١٠.

(٦) غوطة دمشق: تحيط بمدينة دمشق من الشرق والغرب والجنوب، وهي عبارة من سهل ممتد، مكونة من بساتين فسيحة، ذات أشجار مخضرة ومزدهرة، و تعد من أحصن مناطق المدينة، ويتمثل الربيع فيها=

أبو عبيدة بن الجراح إلى بعلبك عقد له راية بقيادة فرقة، ثم استوطنها ومنه تسلفت أعقابُه، وكثر نسله^(١)، يفسر هذا الرأي من بعض الباحثين الذين أيدوه، على ضوء ما جاءت به المصادر التاريخية، التي تحدثت عن تاريخ الفتوحات الإسلامية، أنَّ التاريخ لم يهتم إلا بالمهم، أو الأهم من الأخبار والحوادث، لذلك لم نجد ذكراً، أو خبراً سواء عن وجود الحرفوش، أم تأمره على فرقة في حملة الصحابي أبي عبيدة عامر بن الجراح، فضلاً عن أنَّ العرب من أكثر الأمم اهتماماً بالنسب، حيث عُرفَ عن بعضهم عنايتهم بتاريخهم، وضبط أنسابهم، وربط وقائعهم، حتى عُرفَ عنهم في جاهليتهم بأيام عُرفت بـ (أيام العرب)، وتسلسل أحداثها الحديث بالقديم^(٢)، فضلاً عن ما أكده المهاجري في رأيه، وأشار إلى: "أنهم انحدروا من أصولٍ همدانية"^(٣)، التي صبغت الشام بالتشيع، إذ هاجروا إلى المناطق الجبلية، التي تمثلت في الهجرة الكبرى^(٤)، أيضاً ما جاء به نصر الله، إذ قال: "تواجد الشيعة في بعلبك ومنطقتها منذُ الفتح الإسلامي، وقطنتها جماعات من القبائل التي حضنت التشيع، وتركت أثراً، ففي بعلبك بوابة همدان التي ذكرها بن عساكر في تاريخ دمشق، وأما الخزاعة فهي أهل آل الحرفوش، الذين حكموا بعلبك وحولها إلى إمارة، دامت ثلاث قرون"^(٥).

مَّا يدلُّ على أنَّ العربَ حفظوا، أو حافظوا على امتداد الزمن عبر الأجيال، وعلى السن العوام، والأخبار المنقولة، والأحاديث التي تبادلوها وورثوها من جيل لآخر، سواءً كانت أخبار وحوادث، أم أسماء رجالاتهم، وفرسانهم وأخبارهم، وأشرفهم، إذ نجد في تاريخ أكثر الأسر العربية العريقة أسماء رجالات لم يدونها التاريخ، وإنما عُرِفَتْ أثناء تناقل الأخبار ومعرفتها شفويا، نظراً لهذه الأمور لم ينف أيُّ من المؤرخين هذا الانتماء، بل تمَّ تأكيده من بعض المؤرخين.

=كل معانيه. للمزيد ينظر: محمد علي كرد، غوطة الشام، مج ١، ط ٣، دار الفكر المعاصر، دمشق، ١٩٨٤، ص ٥٠.

(١) عيسى إسكندر المعلوف، تاريخ الأسر الشرقية و قبائلها، ج ٧، دار صادر، بيروت، د. ت، ص ٥٢٥؛ حسين أحمد سليم، قراءات تاريخية في العائلات اللبنانية (الأمراء آل الحرفوش حكام بلاد بعلبك)، كواليس (مجلة)، العدد ١٠، تشرين الثاني - ١٩٧٧، ص ٥٦.

(٢) فؤاد خليل، المصدر السابق، ص ١٣.

(٣) همدان: قبيلة يمانية، ديارها الأصلية شرق اليمن، أي حضرموت، دخلت الإسلام صلحاً عام (١٧هـ/ ٦٣٨م)، على يد الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)، هاجر عدد كبير من القبيلة من مزابها الأصلية، وتفرقت في الرقعة الإسلامية، وكانت الكوفة مركز التجمع الرئيس لهذه القبيلة خارج اليمن، للمزيد ينظر: الطبري، المصدر السابق، ج ٢، ص ٣٦١؛ حمد بن إبراهيم الحقي، كنز الأنساب ومجمع الآداب، ط ١٢، مطبعة الجاسر، الرياض، ١٩٩٣، ص ٢٧١-١٧٢.

(٤) جعفر المهاجر، المصدر السابق، ص ١١٣.

(٥) نصر الله، تاريخ بعلبك، ج ١، ص ٣٩.

أما الفريق الآخر: فقد رفضَ هذا القول بانتمايهم إلى خزاعة العراق، على طريقة التقليد المتواتر السابق الذكر، لعدم وجود نص تاريخي يؤكد ذلك⁽¹⁰⁵⁾، وإن كان يرى صحة نسبهم إلى تلك القبيلة، وتأكيد هذه الأسرة، ذلك من خلال ارتباط أبناء أسرة آل الحرفوش بعلاقة ما مع الخزاعل العراق⁽²⁾، واستمرار تلك العلاقات بينهما، على امتداد قرون عدة، كان آخرها، ما حصل من نزاع⁽³⁾ بينهما وبين الحماديين⁽⁴⁾ في عام ١٨٦٠م، إذ كان له انعكاساً واضحاً على عشائر الجنوب في لواء الديوانية، وهي مضارب الخزاعل، حتى الوقت الحاضر، فضلاً عن ذكر هذا النسب وتكراره في الأدبيات الشفوية من الشعراء التي نظمت لمديحهم⁽⁵⁾. ونظراً لهذه الأمور لم ينف أي من الباحثين أو المؤرخين هذا الانتماء، بل تم تأكيد بالاجماع.

الجزور التاريخية لأسرة آل الحرفوش:

سار أسلاف آل الحرفوش مع الحركة السكانية التي تدفقت من الجبال الشرقية، شبه الجرداء، بسبب القحط في المأكّل الزرع، وبدأت في أواخر القرن الرابع عشر الميلادي، ثمّ سلكت هذه الهجرة شيئاً فشيئاً سفوح تلك الجبال المطلة على سهل البقاع، ليستقروا في قريتي الجبة وعسال الورد⁽¹⁰⁶⁾ عام ١٣٥٠م، حيث المناطق الأكثر خصوبة، فتعزز وجود الأسرة في

(١) محسن الأمين، أعيان الشيعة، تح: حسن الأمين، مج ٢، دار التعارف للمطبوعات، بيروت، ١٩٨٣، ص ٢١٦.

(٢) من أهم الأدلة التي تؤكد العلاقة ما بين أسرة آل الحرفوش والخزاعل العراق، هو ما قدمه أبناء الخزاعل من مساعدة إلى الأمير جهجاه، عندما هرب إليهم من مجزرة أحمد باشا الجزار عام ١٧٨٤م. ينظر: الفصل الأول، ص ٥٧.

(٣) عندما هاجروا الحماديين من جبل عامل عام ١٧٨٢م إلى بلاد بعلبك، عمل موظفو الباب العالي عام ١٥٦٠م، على اصدار أمر إلى أمير سلمان بالإغارة على الحماديين، رغبة للإيقاع بين الأسرتين، أو بالتخلص منهما، أو من الأمير سلمان بن الحرفوش. للمزيد ينظر: الفصل الثالث، ص ٢١٩.

(٤) الحماديون: ينسبون إلى حمادة العجمي من نجار العجم، الذي خرج على شاه العجم، فسير اليه الشاه جيشاً فقتل من تعصب له، ففر بأخيه أحمد وعشيرته وأهل بيته إلى جبل لبنان، ونزل الحصين، ثم ذهب إلى قهمز، ومن هناك تفرقت عشيرته في جبة المنيطرة ووادي علمات، وسار أولاد أخيه أحمد إلى بلاد بعلبك، ونزلوا قرية الهرمل. للمزيد ينظر: يوسف الدبس، المصدر السابق، ج ٧، ص ١١١-١١٢.

(٥) عبد الحكيم بن مشوح السلوم، دور البيان في تاريخ الجولان، دار النمير للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ٢٠٠٢، ص ٢١٥.

(١) الجبة وعسال الورد: هما بلدين من بلدان سهل البقاع، تقعان في جبال شرق بعلبك، وغدت تلك القرى من ضمن الأراضي السورية حالياً. للمزيد ينظر: جعفر المهاجر، شيعة لبنان والمنطلق الحقيقي لتاريخه، دار بهاء الدين العاملي، بعلبك، ٢٠٠٣، ص ٨١.

تلك القرى⁽¹⁰⁷⁾، وبرزت اجتماعياً، وكانت على شيء من التنظيم في العهد المملوكي، فتمكن أحد أبنائها يُقال له (حسين الحرفوش) من الوصول إلى رتبة إقطاعية عام ١٣٧١م، ساهمت في المناسبات الرسمية، وكان يتقدمهم تجاه السلطة يسمى باسم (سلطان الحرافيش)، ويُطلق عليه شيخ القرية⁽¹⁰⁸⁾، ولا سيما أنه كان مسؤول عن كل المجريات العامة التي حدثت في القريتين في تلك المدة⁽¹⁰⁹⁾، ولا توجد أية معلومات حول وضع الأسرة الاجتماعي بالتحديد، من المعلوم أنَّ العصر تميَّز بوجود طبقات محددة على نحو كبير، لا يمكنُ تجاوزه، في مقدمتها (الطبقة العسكرية) ذات النفوذ الشامل، ثم تأتي طبقة الفقهاء، ومن بعدها تأتي طبقة أصحاب الحرف والكسبة، فتحتل بحسب ذلك التقسيم، طبقة رابعة^(٥).

مما تقدم، يبدو أنَّ أسرة آل الحرفوش عندما استقرت في قريتي الجبة وعسال الورد، أصبحت من ذوي أصحاب الحرف المحلية، و إنها تحتلُّ هامشاً ضيقاً من الجانب الاجتماعي من سكان مدينة بعلبك في القرن الرابع عشر الميلادي، أي ليس لها دور اقتصادي بارز ومعروف، ذو مستوى عالٍ، وبالرغم من ذلك استطاعت أن تعمل في السلطة، ما أكد على طموحها على خوض الجانب السياسي منذ البداية.

وأصبحوا مقدمي قرية الجبة عام ١٤٨٠م⁽¹¹⁰⁾، وتعد هذه أول إشارة ذكرت فيها الأسرة، إذ كانوا على خلاف دائم مع أسرة تدعى آل العوطة^(٦) تسكن معها في القرية نفسها^(٣)، إذ كانتا

(٢) عيسى إسكندر المعلوف، دواني القطوف في تاريخ بني المعلوف، دار حوران، دمشق، ١٩٠٨، ص ٣٧ - ٣٨؛ جعفر المهاجر، التأسيس لتاريخ الشيعة، ص ١٦.

(٣) شيخ القرية: أدنى الرتب الإقطاعية في العهد المملوكي. للمزيد ينظر: إبراهيم علي طرخان، النظم الإقطاعية في الشرق الأوسط في العصور الوسطى، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٦٨، ص ١٨٧.

(٤) بن طولون، المصدر السابق، ج ١، ص ٥١؛ نجم الدين محمد بن محمد الغزي (ت: ١٠٦١هـ/١٦٥١م)، الكواكب السائرة بأعيان المائة العاشرة، تح: خليل منصور، ج ٣، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٧، ص ٢٠٠.

(٥) شمس الدين محمد بن علي بن أحمد بن طولون (ت: ٩٥٣هـ/١٥٦٤م)، حوادث دمشق اليومية غداة الغزو العثماني، تر: أحمد إيبش، دار الاوائل، دمشق، ٢٠٠٢، ص ١٦٠ - ١٦١؛ غسان فوزي طه، شيعة لبنان: العشيرة، الحزب، الدولة (بعلبك-الهرمل نموذجاً)، معهد المعارف الحكمية، بيروت، ٢٠٠٦، ص ١٧٦-١٧٧.

(١) ستيفن ونتر، المصدر السابق، ص ١٠٠؛ نقلاً عن: أحمد بن محمد بن طوق (ت: ٩١٥هـ/١٥٠٩م)، التعليق، يوميات شهاب الدين أحمد طوق (يوميات كتبت بدمشق في أواخر العهد المملوكي ٨٨٥-١٣٨٩/٩٠٥-١٥٠٢)، مج ١، ج ١، مطبعة دمشق، دمشق، د. ت، ص ٣٦٣.

(٢) آل العوطة: هي أسرة من المذهب الشيعي، تسكن في نفس القرية مع آل الحرفوش، وتتميز بأنها ذات عصبية كبيرة من القوة والعدد والنفوذ، فكانت تتنافس على منصب المقدم، وتسعى للاستحواذ عليه من آل

الأسرتين تتنازعان الزعامة المحلية بصفة مقدم، واثبت أن آخر مواجهة بينهما، هي معركة النفوذ (١٤٨٦م)^(٤)، التي انتهت بانتصار آل الحرفوش، وعلى أثره بدأت الأسرتان بالهبوط نحو السهل، فاستقر آل العوطة في الهضاب الشرقية المشرفة على بعلبك، ما يزالون فيها حتى اليوم، في حين آل الحرفوش سلكوا الدروب الملتوية والأعالي الجنوبية، ليستقروا في بلدة سرعين^(٥) عام ١٤٨٧م، إذ لم تتوافر أية معلومات في المصادر التاريخية عن أسماء رجالات الأسرة الذين تمكنوا من الوصول إلى منصب المقدم في تلك القرية، اضطرت الأسرة بعد ذلك للهبوط من تلك القرية إلى مركز بعلبك في عام ١٤٨٩م، ذلك نظراً للظروف التي تعرضت لها أسرة آل الحرفوش في قرية سرعين، إذ رويّت حادثة وقعت بين أحد أبناء قرية البقّداني^(٦)، يدعى (مرعي البقّداني)، من أسرة آل حيدر^(٧) على المذهب الشيعي، مع أسرة آل حمود^(٨) التي تتبع المذهب السني، ولم تتوافر أية إشارة عن هذه العائلات وكيف حصلت الحادثة، غير أنّ مرعي البقّداني قام بقتل أحد أبناء تلك القرية، حينئذ حدثت خلافات تحولت إلى قتال عنيف بينهما، أدى إلى هروب هذا الشخص مع أهله، وفرّت أسر أخرى معهم، منهم آل حرفوش، فكانت تحالفهم، خوفاً من أن يطالها الثأر، والانتقام، ولاسيما أن هناك تحريض مذهبي من سلاطين المماليك^(١١١)، في تلك المدة الزمنية، واضطرت الأسرة للهبوط من تلك القرية إلى مركز بعلبك عام ١٤٨٩م، وعلى

الحرفوش، لذلك كانت على خلاف دائم معها. للمزيد ينظر: حسن نعمة، الموسوعة اللبنانية، ج ١، ص ١٩٨.

(٣) علي الزين، للبحث عن تاريخنا في لبنان، بيروت، ١٩٧٣، ص ٤٨؛ جعفر المهاجر، شيعة لبنان، ص ٨٣.

(٤) معركة النفوذ: وقعت بين أسرة آل الحرفوش وآل العوطة، وأطلق عليها هذا الاسم نتيجة حدوثها في بلدة النفوذ. للمزيد ينظر: جعفر المهاجر، شيعة لبنان، ص ٨٤.

(٥) بلدة سرعين: بلدة تقع جنوب بعلبك. للمزيد ينظر: حمادة، المصدر السابق، ج ١، ص ٢٦٨.

(٦) قرية البقّداني: تقع في جرود بريّال، واندثرت في مطلع القرن العشرين، وتوزع سكانها بين بريّال وبعلبك. للمزيد ينظر: نصر الله، الحياة الاجتماعية في بعلبك، ص ٨٧.

(٧) آل حيدر: يعود نسبهم إلى قبيلة بني أسد، ارتحلوا من نجد خلال فتح العراق، وسكنوا مدينة الكوفة، ثم قدموا إلى دمشق مع الفتوحات الإسلامية. للمزيد ينظر: حسن نعمة، الموسوعة اللبنانية، ج ١، ص ٢٢٣.

(٨) آل حمود: أسرة من أصول كردية، تعود بجذورها من إحدى القبائل التي ساهمت في الفتوحات الإسلامية. للمزيد ينظر: حسن نعمة، الموسوعة اللبنانية، ج ١، ص ٢١٤.

(١١١) جعفر المهاجر، شيعة لبنان، ص ٨٣؛ الغزي، المصدر السابق، ج ٣، ص ٢٣٣.

الرغم من أن تلك المدينة كانت أحد مراكز الحنبلية، لكنهم استقروا فيها، واتخذوها بعد ذلك قاعدة لإمارتهم، التي حكمت المنطقة، وورثوها لسلالتهم عبر الأجيال⁽¹¹²⁾.

أما الأسباب التي دفعت تلك الأسرة للهجرة إلى مدينة بعلبك، منها ما هو اقتصادي يدور حول التوازن بين القدرة الإنتاجية للأرض وعدد السكان، وجغرافي يتمحور حول الموقع الاستراتيجي للمدينة، ويعدُّ الثأر من الأسباب المهمة في التاريخ، هو من أسباب الهجرة الرئيسة لتلك الأسرة⁽¹¹³⁾.

يمكن القول، إنَّ الخصائص الجغرافية، لها تأثير كبير في رسم الملامح التاريخية لأي دولة، فضلاً عن أهمية تأثير العوامل الطبيعية من تربة، مُناخ ومياه. شجع استقرار تلك الأسرة في بعلبك بعض الأسر⁽¹¹⁴⁾ من المذهب الشيعي، ومن المذاهب الأخرى للهجرة إلى بعلبك، وفدت من مناطق مختلفة، من الشرق من قرى ومزارع ووديان كانت منتشرة في جبل الشيخ، إذ كانت هجرة طوعية، دفع اليهما عاملان أساسيان، أحدهما سياسي⁽¹¹⁵⁾، والآخر اقتصادي، فبدأت حينها بنية المدينة، ذات الهوية الأكثرية (الحنبلية) تتغير باتجاه هوية جديدة مزدوجة (حنبلية - شيعية)، ووجودهم هذا، أدى إلى تشجيع الكثير من الأسر الأخرى للوفود إليها والاستقرار فيها، وأدى بالمقابل إلى ازدياد الضغط الشيعي، فبدلت هويتها، بعد أن كانت حنبلية، فحصلت آنذاك متغيرات عدت بعد مدة ثوابت، حيث بدأت حنابلة المدينة بالهجرة شيئاً فشيئاً باتجاه حي الصالحية⁽¹¹⁶⁾، أما الشافعية فإنهم آثروا الهجرة إلى

(¹¹²) بطرس البستاني، دائرة المعارف الإسلامية، ج ١١، دار المعرفة والنشر، القاهرة، ١٩٨٨، ص ٤٠ - ٤١؛

علي الزين، فصول من تاريخ الشيعة في لبنان، دار الكلمة، بيروت، ١٩٧٩، ص ١٧٢.

(¹¹³) جعفر المهاجر، التأسيس لتاريخ الشيعة، ص ١١٣؛ مركز نون للتأليف والترجمة، منار الهدى، جمعية المعارف الإسلامية، بيروت، ٢٠١٢، ص ٤٢.

(¹¹⁴) ومنهم (أسرة مرتضى، أسرة علوان، أسرة حمية وأسرة حنجل...). للمزيد ينظر: نصر الله، تاريخ بعلبك، ج ١، ص ٢١٢.

(¹¹⁵) أكثر الأسر والعشائر الشيعية في بعلبك، هاجر إليها من مناطق كسروان وجبيل، بسبب الحروب التي دارت في تلك المناطق، نتيجة عدم خضوع أهالي تلك المدن إلى الحكم المملوكي. للمزيد ينظر: محمد أبو سعود، الطبقات الكبرى، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٥٧، ص ٩٨؛ محمد جابر آل صفا، تاريخ جبل عامل، ط ٢، دار النهار للنشر والتوزيع، بيروت، ١٩٥٤، ص ٤٤.

(١) حي الصالحية: يكون خارج السور التاريخي لمدينة دمشق، وعلى أطراف نهر يزيد، يقع بين منطقتي المهاجرين وركن الدين، وكان قديماً يعرف، باسم دمشق الجديدة، ولا يزال مركز ثقل الحنابلة. للمزيد ينظر: نصر الله، الحياة الاجتماعية في بعلبك، ص ٣٥٤.

(٢) بلدة الزبداني: تقع البلدة على يمين الطريق الدولي الذي يربط دمشق ببيروت، في وسط المسافة بين دمشق وبعلبك، تبعد عن بعلبك ٤٥ كم، تمتد البلدة على سفوح جبال لبنان، قرب سهل الزبداني. للمزيد ينظر: فيليب حتي، تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين، ص ٢٣١.

بلدة الزبداني^(٢)، في حين المسيحيون الكاثوليك الموجودين في مركز بعلبك وقرية رأس بعلبك، بدأوا الهجرة إلى قرية تدعى زحلة^(٣) بجوار كرك نوح فولدت مدينة زحلة (حالياً) ، في حين ظل التدفق السكاني باتجاه المدينة عاملاً قوياً في تشكيل الهوية الجديدة للمنطقة، قادماً من القرى الكثيرة المنتشرة على السفوح الشمالية لسلسلة الجبال الجنوبية في رأسها طفيل وبريتال وسرعين وغيرهما^(٤)، انتهى ذلك التغير إلى أن تبدلت الأكثرية السكانية فيها من حنبلية إلى (شيوعية)^(٥). وبناءً على ذلك يمكن القول، أنّ الحركة السكانية، وما ترتب عليها أدت إلى أنّ الأكثرية السكانية فيها تبدلت من حنبلية إلى شيوعية، وقد سبقت تلك الحركة إمارة آل الحرفوش، ذلك تفسر إشكالية وصول الأسرة الشيعية في منطقة محكومة مركزياً من المماليك التي كانت تعارض، بل وتقمع أبناء هذا المذهب، ولا سيما أنّ أبناء هذا المذهب كانوا غير متصلين بالسلطة، هذا يدل على أن اسرة آل الحرفوش، من ذو أصحاب النفوذ، لهم تأثير فعال على المنطقة، وعلى سكانها، قبل خوضها الجانب السياسي .

كانت بعلبك في العهد المملوكي مركز نيابة تابعة لولاية دمشق بحسب التقسيمات الإدارية، وكان يونس المخصي^(٦)، آخر نائب على بعلبك قبل تسلم آل الحرفوش هذا المنصب ، إذ اختلف الباحثون في العام التي استلمت لأول مرة هذه الأسرة منصب نائب بعلبك، فقد أشار البعض منهم، بأن تلك الأسرة تسلمت المنصب عام ١٤٨٩م^(١١٧)، بينما أشار يحيى والصالحى استلمت الأسرة في عام ١٤٩٧م، وهنا يمكن القول بأن الرأي الاخير هو الأرجح والأكثر

(٣) زحلة: تتمتع بموقع استراتيجي في وسط الطريق الدولية بين بيروت ودمشق، يحده من الشمال بعلبك ومن الجنوب البقاع الغربي ومن الغرب جبل لبنان، وسميت زحلة نسبة إلى كوكب زحلة، الذي يعبدوه الرومان خلال عهدهم. للمزيد ينظر: حنانيا المنير، الدرر الموصوف في تاريخ الشوف، تح: إغناطيوس سركيس وجروس برس، دار رائد، بيروت، ص ٧٦ عيسى اسكندر المعلوف، تاريخ زحلة، زحلة الفتاة، بيروت، ١٩٨٤، ص ١٧.

(٤) عبد الغني النابلسي، حلة الذهب الابريز في رحلة بعلبك والبقاع، العزيز، مطبعة مصر، مصر، ١٩١٧، ص ٩٢؛ مركز نون للتأليف والترجمة، المصدر السابق، ص ٤٤.

(٥) منار الهدى، المصدر السابق، ص ٦٠.

(٦) يونس المخصي، استلم منصب نائب بعلبك عام ١٤٩٦-١٤٩٧م، للمزيد ينظر: عدنان البخيت، المصدر السابق، ص ٤٠.

(١) محمد أمين فضل الله المحبي(ت: ١١١١هـ/١٦٩٩م)، خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر، ج ٢، دار صادر، بيروت، د.ت، ص ٢٧٦ ؛ فيصل الآتات ، الشعاع في علماء بعلبك والبقاع ، مؤسسة النعمان ، بيروت ، ١٩٩٣ ، ص ١٨٧ .

صحة⁽¹¹⁸⁾، ذلك لوجود نصين تاريخيين، أستند عليهم هؤلاء الباحثون، إذ تحدثوا أنه جاء في حوادث عام ١٤٩٧م: "أنَّ من ضمن المشاركين جانب الدوادار أقبردي"⁽¹¹⁹⁾، وشيخ بلاد نابلس، حسن بن إسماعيل، ونائب بعلبك، ومقدم الزيداني، ومقدم التيامنة بن بشارة⁽¹²⁰⁾»⁽¹²¹⁾، كما وردَ في الحادثة نفسها أن "ركبَ أقبردي على أهل الصالحية، وقد جمعَ إليها نائب بعلبك ابن الحرفوش والمقدمين محمد بن بيد مر"⁽¹²²⁾، وابن محسن وابن شهاب، ومقدم حمارة⁽¹²³⁾، وابن بشارة، وخالد الغزلاني⁽¹²⁴⁾»⁽¹²⁵⁾.

أمام تلك المعطيات، يمكن القول بأن عام (١٤٩٧م)، تعد بمثابة نقطة انطلاق آل الحرفوش نحو تثبيت أقدامهم بالجانب السياسي داخل السلطة الحاكمة (الدولة المملوكية)، بعدما كانوا من أصحاب الحرف المحلية، وأستدلُّ أيضاً كما هو واضح - أعلاه، أنَّ ذلك العام تعد أقدم ذكر لها يمكن رصده في المراجع التي تناولت تاريخ هذه الأسرة، وقد استمرت منذُ ذلك التاريخ تحكم المنطقة، وبالرغم من أنها لم تذكر اسم النائب الأول، ولا سيما أن الباحثين بإجماعهم أكدوا السندين تعود لشخص بن حرفوش، ذلك يدل على عدم وجود مدونات تاريخية تتناول بدقة تفاصيل تاريخ تلك الأسرة .

(صالح بن يحيى، تاريخ بيروت واخبار الامراء البحتريين من بني العرب ، تح: القيسي لويس شيخو 118) النصراني ، ط٢، مطبعة الكاثوليك ، بيروت، ١٩٢٩، ص ٣٩ ؛ سليمان ظاهر، صفحة من التاريخ الشامي لم يدون اكثره، المجمع العلمي العربي(مجلة)، العدد ١٧، دمشق، ١٩٤٢، ص ٣.

(الدودار : هو المسؤول عن مراسلات السلطان وبريده . للمزيد ينظر: القلقشندي ، صبح الاعشى ، 119) ج٢، ص١٢٧.

(بني بشارة: برزت هذه الأسرة في تاريخ لبنان في القرن الرابع عشر الميلادي ،لعبت دوراً سياسياً مهما 120) ،نال بعضُ رجالاتها مناصب رفيعة في الجيش والإدارة والحكم في عهد المماليك، وكانوا يتولون إدارة جبل عامل، وإدارة وادي التيم، ولعبوا دوراً عسكرياً مهما في الدفاع عن السواحل اللبنانية بوجه غارات الأفرنج والصليبيين، وسُميتُ ببلاد البشارة، نسبة إلى أول أمير حسام الدين بن بشارة. للمزيد ينظر: بطرس بشارة كرم، قلائد المرجان في تاريخ شمالي لبنان، دار الفكر العربي ، بيروت، ١٩٣٩، ص ٢٧٧.

(أحمد بن محمد ابن الحمصي، حوادث الزمان ووفيات الشيوخ والأقران، تح: عمر تدمري، ج٢، المكتبة 121) العصرية، صيدا، ١٩٩٩، ص ١٦١.

(بيد مر: كان نائب بعلبك عام ١٤٩٣م. للمزيد ينظر : فؤاد خليل، المصدر السابق، ص ١٤٣. 122)

(حمارة: هي قرية تقع في البقاع الغربي. للمزيد ينظر :حسن نعمة ، الموسوعة اللبنانية ،ج٢، ص ٢١٣. 123)

(خالد الغزلاني : هو مقدم قرية المرج في البقاع الغربي. للمزيد ينظر : فؤاد خليل ،المصدر السابق، ص 124) ١٤.

(فؤاد خليل ، نفسه ، ص ١٥. 125)

عندما انهارت دولة المماليك أمام الجيش العثماني الزاحف في معركة مرج دابق⁽¹²⁶⁾، عام ١٥١٦م، فقد احتفظ آل الحرفوش بإمارة بعلبك، بحيث اعترفت بهم الحكومة، وأقرهم السلطان سليم الأول (١٥١٢-١٥٢٠م)⁽¹²⁷⁾، على حكم اقطاعهم، وكان نائب بعلبك حينها أحمد الحرفوش^(٣)، ويوجد هنالك شك ما يخص ذلك النائب من آل الحرفوش، هل هذا هو الأول فعلاً من تلك الأسرة؟ أم يوجد من سبقه، من نفس الأسرة في تولية ذلك المنصب، ممن ضاعت أسماؤهم من صفحات التاريخ، ولاسيما أن الباحثين لم يحددوا تاريخاً دقيقاً لمقتل النائب أحمد الحرفوش، وهناك رأى مفاده أنه قتل أثناء مقاومة الزحف العثماني للبلاد عام ١٥١٦م^(٤)، وأورد آخر بانه قتل على يد جان بردي الغزالي^(٥) والي دمشق عام ١٥١٨م^(٦). يمكن أن يُستدلّ من هذه التواريخ، على أن مقتل نائب بعلبك أحمد بن الحرفوش هو في عام ١٥١٦م، نظراً لتدوينه في أغلب المصادر التاريخية .

المبحث الثاني / طور تكوين إمارة آل الحرفوش في بعلبك

دانت بعلبك وقراها على أثر انهيار إمارة البقاع الكبرى، لحكم آل الحرفوش، عند بداية الاحتلال العثماني للبلاد ١٥١٦م ، فوطدوا ركائز إمارتهم بدءً من عهد الأمير موسى بن أحمد

(١) معركة مرج دابق: وقعت في (٨/ب/ ١٥١٦م)، بين العثمانيين والمماليك قرب حلب، قاد العثمانيين السلطان سليم الأول، بينما قاد المماليك القائد قانصوه الغوري، انتهت بانتصار الدولة العثمانية. للمزيد ينظر: فاضل بيات، دراسات في تاريخ العرب في العهد العثماني، دار المدار الاسلامي، طرابلس، ٢٠٠٣، ص ١٦٤؛ وديع بشور، سوريا صنع دولة، دار اليازجي، دمشق، ١٩٩٤، ص ١٩٢.

(٢) سليم الأول: سليم بن بايزيد الثاني (١٤٧٠-١٥٢٠م)، أول من حمل لقب أمير المؤمنين من آل عثمان، وتوسع سلاطين الدولة العثمانية، وخليفة المسلمين الرابع والسبعون، في عهده تحولت الفتوحات من الغرب الأوربي إلى الشرق العربي، حيث اتسعت رقعة الدولة اتساعاً كبيراً لشمها بلاد الشام والعراق ومصر والحجاز وتهامة. للمزيد ينظر: محمد فريد بك، تاريخ الدولة العلية العثمانية، تحقيق: أحسان حقي، ط١، دار النفائس، مصر، ٢٠٠٦، ص ١٨٦.

(٣) عبد الكريم رافق، بلاد الشام ومصر من الفتح العثماني إلى حملة نابليون (١٥١٦-١٧٩٨م)، دار الفكر العربي ، دمشق ، ١٩٦٧، ص ١٦١.

(٤) حمادة، المصدر السابق ، ج١، ص ٢٦٢؛ ان طولون ، مفاكهة الخلان ، ج١، ص ١٢٩.

(٥) جان بردي الغزالي: نائب مملوكي سابق، وأول والي على ولاية دمشق في عهد الدولة العثمانية ، إذ حول ولائه للسلطة العثمانية الجديدة، حتى إعلان تمرده على السلطة الجديدة، وقتل على أثره عام ١٥٢١م. للمزيد ينظر: نجم الدين الغزي، لطف السمر وقطف الثمر، وزارة الثقافة، دمشق، ١٩٨٢، ص ١١٧؛ عبد الله الاصفهاني، رياض العلماء وحياض الفضلاء، مطبعة الخيام، قم، ١٩٨٠، ص ٤٢٣.

(٦) حسن نعمة ، الموسوعة اللبنانية ، ج٢، ص ٢١٥.

الحرفوش، إذ حكم البلاد (١٥١٦ - ١٥٣٧م)، فأطلقَ عليه لقب (بيغ)⁽¹²⁸⁾ بمعنى أمير القبيلة أو العشيرة⁽¹²⁹⁾. ويعد بذلك أن الأمير يونس بن الحرفوش، أول من حمل هذا اللقب، بعد الألقاب المملوكية السابقة من مقدم أو نائب، إذ لا توجد أحداث تذكر لهذا الأمير، لسكوت المراجع لمدة وجيزة من دون أحداث تذكر لتلك الأسرة، تعاقب على حكم الإمارة من بعد الأمير يونس بن الحرفوش أثنان وثلاثون أميراً⁽¹³⁰⁾، أولهم الأمير موسى بن علي، وآخرهم الأمير سلمان الذي نُفي إلى ادرنة مع باقي أفراد الأسرة عام ١٨٦٥م⁽¹³¹⁾.

أبرز أمراء آل حرفوش :

يعدُّ تاريخ أسرة آل حرفوش وأخبارها حافلة بالأحداث، النزاعات، الثورات، والحروب التي لازمت مسيرتها طيلة القرون العديدة، كان لها الدور المحوري والأساس في مناطق نفوذها الممتدة من حماة حتى صفد. وتمارس تأثيراً مباشراً في ولايات حلب ودمشق وطرابلس، عُرف تاريخ تلك الأسرة، محطات أساسية ومهمة في مسيرتها الطويلة، وبرز من رجالاتها حكام وقادة لا بدَّ من تسليط الضوء على مسيرتهم المثقلة بالمبادرات والمواقف المهمة في ولاية دمشق بدءاً من الأمير موسى بن علي الحرفوش، الذي لم تذكر المصادر التاريخية عنه شيئاً سوى اسمه فقط، وانتهاءً بالأمير سلمان⁽¹³²⁾، نذكر منهم:

أولاً / الأمير علي بن موسى الحرفوش (١٥٣٧ - ١٥٩٠ م) :

(بيغ: هي تسمية عثمانية، يقصد به شيخ القرية، ويكون شخص يختار تقليدياً من بين العائلات الأكثر 128) احتراماً، ليقود في أوقات الحرب وليحكم في أوقات السلم، ويمكن أن يكون ضابطاً عسكرياً أو أمراً تعينه سلطة أعلى ليقود فصائل في الحرب، أو ليمسك الأرض لصالحها، استعملها العثمانيون للحفاظ على سيادتهم على مساحات، يمكن دون ذلك أن تقلت من سيطرتهم. للمزيد ينظر: محمد علي الزين، العادات والتقاليد في العهود الإقطاعية، ط ٣، دار الفكر الحديث للطباعة والنشر، بيروت، ٢٠٠٧، ص ٦٨-٦٩.

(حسين عبد الحسين عباس الزهيري، الشيعة ودورهم السياسي في لبنان (١٩٢٠-١٩٥٨)، أطروحة 129) دكتوراه غير منشورة، كلية التربية، جامعة واسط، واسط، ٢٠١٦، ص ٢٠؛ عبد الحكيم السلوم، المصدر السابق، ص ٣١٣.

(ينظر : ملحق رقم (٤). 130)

(محمد الحسن الحر العاملي، أمل الأمل في علماء جبل عامل، مؤسسة الوفاء، بيروت، ١٩٨٣، ص 131) ٢٧٠؛ علي سليم، أهمية الدور الذي قام به آل الحرفوش، اللقاء (مجلة)، العدد ١٦، بيروت، ٢٠١٥/١٢/١٨.

الأمير علي بن موسى بن أحمد الحرفوش⁽¹³³⁾، من أمراء آل حرفوش الذين حكموا البقاع اللبناني منذ أوائل الحكم العثماني⁽¹³⁴⁾، في عهد السلطان سليمان الأول (١٥٢٠-١٥٦٦م)، أرسى دعائم أسرته في سدة الإمارة، إليه يعود الفضل في إرساء إمارة آل الحرفوش في بعلبك على قواعد ثابتة، وهو أيضاً الذي سعى ونجح في انتزاع الإمارة من الحكام التركمان، هم (بن الأقرع والقنبر)⁽¹³⁵⁾، وآل الفريخ⁽¹³⁶⁾ حكام البقاع الجنوبي⁽¹³⁷⁾.

شهده عهده كثير من المشاكل مع ولاية دمشق، ومع الإمارات المجاورة، على أثر ذلك تيقن إلى ضرورة وجود تحالف قوي بجانبه، ذو هيبة وكلمة مسموعة، سواء كان على الصعيد المحلي، أم لدى الحكومة المركزية، لأجل تقوية علاقته بالسلطة، ولإسناده، وحماية إمارته، ولاتقاء شر أطماع زعماء المقاطعات، فأضطر للتحالف مع أسرة آل معن عام ١٥٥٣م، لما تمتلك هذه الأسرة من مكانة عالية، على الصعيد المحلي آنذاك⁽¹³⁸⁾.

قام الأمير علي بن الحرفوش، ببعض الغارات على البلدات والقرى القريبة المحيطة بالبلاد، إذ أغار على قرية الزبداني في الحادي عشر من تموز عام ١٥٧٦ م، مع ثمانين فارساً من رجاله، فخربوها ونهبوا أملاكها وغلالها، حينئذ قدم أهالي القرية شكوى على ما فعل بقريتهم إلى العاصمة عن طريق والي دمشق مراد باشا (١٥٧٥-١٥٧٧م)، تتضمن طلباً عاجلاً للمساعدة في الدفاع عن حماية البلدة من غارات بن الحرفوش وردعه ومعاقبته⁽¹³⁹⁾، واستطاع أيضاً بالتخلص من الأمير منصور بن الفريخ⁽¹⁴⁰⁾، بمعركة جون عكار عام ١٥٨٤م، حينذاك نقل إبراهيم باشا والي دمشق (١٥٨٤-١٥٨٥م)، إدارة شؤون البلاد كلها إلى أمير بعلبك عام

(١٣٣) ينظر: ملحق رقم (٥).

(١٣٤) الغزي، المصدر السابق، ج ٣، ص ١٩٣؛ المحبي، المصدر السابق، ج ٤، ص ٤٣١.

(١٣٥) بن الأقرع والقنبر: هم حكام تركمانيين كانوا يتغلبون على سهل البقاع، والقسم الأكبر من جبل لبنان في⁽¹³⁵⁾ أوائل الحكم العثماني. للمزيد ينظر: فضل رعد، المصدر السابق، ص ٢٨.

(١٣٦) آل الفريخ: حكام تركمان، حكموا البقاع الجنوبي في (١٥١٦-١٥٩٤م). للمزيد ينظر: عدنان بخيت، المصدر السابق، ص ١٢-١٣.

(١٣٧) محمد كرد علي، خطط الشام، ج ٢، مكتبة النوري، دمشق، ١٩٨٣، ٢٣٠.

(١٣٨) عبد الرحيم ابو حسين، لبنان والامارة الدرزية في العهد العثماني، دار النهار، بيروت، ٢٠٠٦، ص ١٠٨؛ فؤاد خليل، المصدر السابق، ص ٤٤.

(١٣٩) عيسى اسكندر المعلوف، دواني القطوف، ص ٦١؛ الغزي، المصدر السابق، ج ٣، ص ١٩٤.

(١٤٠) منصور بن الفريخ: أمير أسرة آل الفريخ، أوكنته الدولة العثمانية حكم البقاع عام ١٥١٦م، ثم جمعت له فضلاً عن ذلك صفد وعجلون، بعد أن ظهرت شجاعته وقوة بأسه في غزواته على قرى شمال فلسطين، وقبض عليه وتم اعدامه عام ١٥٩٣م من الحكومة العثمانية. للمزيد ينظر: الغزي، المصدر السابق، ج ٣، ص ٢٨٧.

١٥٨٥م، فقد أنضوت تحت رايته، فضلاً عن منطقة حكمة بعلبك، لواء حمص، ولواء تدمر بأكملها إليه، وتوجه في نفس العام إلى استنبول، بسبب الخلاف الناشب بينه وبين الأمير سيف الدين والي بيروت، على بعض الأملاك في بيروت، دخل مع الحكومة في مفاوضات إلى تحقيق رغبة بإنشاء وحدة إدارية واسعة في البلاد، متمتعة بقدر نسبي من الاستقلال الذاتي في ظل سيادة الدولة العثمانية، رمت تلك المفاوضات، فضلاً إلى ما بيده من البلاد القبول بتلزييمها لمدة أربع سنوات، هي (مقاطعات بن معن في صيدا، والمناطق التابعة لها، ومقاطعات محمد بن شرف الدين، بما في ذلك القرى وحصن الأكراد)، مقابل دفع مبلغ التزامها (مئة ألف فلوري) المعتاد عليه، بزيادة خمسة وعشرون ألفاً، وأشترط الأمير لقبول ذلك (١٤١) ما يلي :

- ١- تحويل الولاية إلى بيكلريك (١٤٢).
- ٢- تخصيص علي بك (وهو اسمه في المراسلات الرسمية، فضلاً عن لقب الإمارة)، بمبلغ ثمان مائة ألف أقة (١٤٣) من عوائد الضرائب.
- ٣- الحاق اقطاع بن معن وبن شرف الدين بإدارته.
- ٤- تخصيص معاشات لمن يقوم هو بتعيينهم .
- ٥- أن تتحول اقطاعاته الواسعة إلى ما يشبه إدارة مستقلة تلحق بإسطنبول .
- ٦- أن يعفى سكان أقطاعاته من الخدمة العسكرية الالزامية .
- ٧- ينتهي الأمر السلطاني الذي فصل كل هذه الأمور بالقول (إذا لم تقبل كافة الشروط فأن علي بك لا يوافق على زيادة مبلغ الالتزام) (١٤٤) .

وبالرغم من المناصب التي تقلدها، وزياراته المتكررة إلى استنبول، إلا أن السلطة المركزية كانت حتى قبل ذلك التاريخ نظرت اليه بريبة وشك منتظرة الفرصة المناسبة للقضاء عليه، تلك الأمور عجلت على نهايته في عهد السلطان العثماني مراد الثالث (١٥٧٤-١٥٩٥م)، إذ قبض عليه من والي دمشق سنان باشا (١٥٨٥-١٥٨٧م) في عام ١٥٨٥م، وساقه إلى الدولة

(١٤١) حمادة، المصدر السابق، ج١، ص ٢٦٦.

(١٤٢) بيكلريك: لقب تركي بمعنى بك البكوات أو الحاكم العام وملك الملوك أو امير الامراء، اخذه العثمانيون عن السلاجقة ثم ضعف شأنه مع الايام ويكون حامله عادة يحمل رتبة وزير . للمزيد ينظر : فؤاد خليل ، المصدر السابق ، ص ٤٥ .

(٣) أقة: وهي العملة السائدة في الدولة العثمانية، ضربت لأول مرة عام (٧٢٩هـ/١٣٢٧م) في عهد السلطان اورخان، وهي تساوي ثلث البارة، وايضا كانت ٥٩ أقة تساوي دينار ذهبي واحد. للمزيد ينظر: عامر محمود، المصطلحات المتداولة في الدولة العثمانية، دراسات تاريخية (مجلة)، دمشق، ١١- كانون الثاني - ٢٠١٢، ص ١١٧ .

(٤) حمادة ، المصدر السابق ، ج١، ص ٢٦٦.

العثمانية، لكن السلطان العثماني أطلق سراحه⁽¹⁴⁵⁾، وفي عام ١٥٨٦م تم مطاردة الأمير علي من والي دمشق (سنان باشا)، فتمكن من التخلص منه، وعندما أصبح سنان نفسه صدرًا أعظم (١٥٨٧-١٥٩٢م)، استطاع عن طريق والي دمشق محمد باشا (١٥٩٠-١٥٩١م)، من استدراج الأمير علي إلى دمشق حيث كانت نهايته، تم ذلك بعد أن أرسل الباب العالي الحكم الحاسم إلى مركز الولاية في دمشق المؤرخ في العاشر من تشرين الاول عام ١٥٩٠م، ذكر فيه:

حكم إلى والي دمشق :

"لقد ارسلت مكتوبا يفيد بانك القيت القبض على بن الحرفوش وعساف الكذاب، وحبستهما في إحدى قلاع دمشق، وقد عرضت ان يعطي لكل منهما لواء امر بقطع رأسيهما وإرسالهما الى سدة سعادتني، ويجب أن لا تتوانى دقيقة او ساعة واحدة عن تنفيذ الأمر عند وصول الجاوش رضوان احد جاوشية عتبتني المعلاة حاملا امري الشريف، أقطع رأسي المذكورين بموجب الفرمان الشريف..."⁽¹⁴⁶⁾.

فَضُرِبَتْ عُقْبُهُ داخل قلعة دمشق عام ١٥٩٠م، وأُرسلَ رأسُهُ إلى السلطان العثماني مراد، وَدُفِنَ جَسَدُهُ في مقبرة الفراديس بدمشق، وأصبح أول أمير من ولاية دمشق قطع رأسه، وأُرسل إلى السلطان⁽¹⁴⁷⁾.

يبدو مما ذكر، أن حكم الأمير علي بن الحرفوش، أمتد لما يزيد على النصف قرن، إذ عاصر ثلاثة سلاطين خلال مدة حكمه الطويلة، هما (السلطان سليمان، السلطان سليم الأول، والسلطان مراد الثالث)، قضى أكثر سنوات حكمه، بين مكافحاً في وجه ولاية دمشق العثمانيين وبين دسائس وفتنة أمراء جبل لبنان التركمانيين، تميزت سياسته في تسيير أمور إدارة بعلبك بالحكمة والدهاء والحنكة، واستطاع أن يوسع حدود الإمارة، وأصبح فضلاً عن أمير بعلبك، أمير لواء تدمر، وأمير لواء حمص، وجعلها جميعها ولاية مستقلة عن باقي ولايات دمشق، وفرض على الدولة أن تكون وحده إدارية تحت حكمه، لا يحق للسلطة المركزية اقتطاع أي جزء، بذلك أراد تكوين كيان سياسي وإداري، يتمتع بنوع من الاستقلال الداخلي، خلافاً لكل الولايات المتتابعة للدولة، ولاسيما بأن الدولة لم تتمكن من القضاء عليه، إلا غدرًا، بعد أن نزل ضيفاً على واليها محمد بن سنان باشا فُقِضَ عليه وأُمِرَ بقتله .

ثانياً / الأمير موسى بن علي الحرفوش (١٥٩٠ - ١٦٠٧ م) :

(حمادة، المصدر السابق، ج١، ص ٢٦٧-١٤٥)

(٢) أبو حسين، المصدر السابق، ص ١٨٠.

(الغزي، المصدر السابق، ج٣، ص١٩٤؛ حسين حمية، عائلات لبنانية (ال الحرفوش من ابطال عين ١٤٧)

درة وأن غيبهم التاريخ)، الافكار (مجلة)، لبنان، ٢٩ نيسان ٢٠١٤، ص٥٢.

خلف الأمير موسى بن علي بن موسى بن أحمد الحرفوش⁽¹⁴⁸⁾، والده في جميع مناصبه، بما فيها بعلبك وإمارة لواء حمص، جددت كل أربع سنوات، ليس التزاماً سنوياً عما هو معمول به في سائر المقاطعات والألوية، عاصر أواخر عهد السلطان مراد الثالث⁽¹⁴⁹⁾، أتصفت سنوات حكمه باستمرار النزاع مع أمراء التركمان، حيث تمكن من القضاء عليهم عام ١٥٩٤م، إذ كانت نهاية آل الفريخ على يده عام ١٥٩٤م، وهكذا أصبحت البقاع بقسميها (الجنوبي والشمالي) تحت حكم آل الحرفوش⁽¹⁵⁰⁾، كما حارب يوسف سيفاً باشا (١٥٧٩-١٦٢٤م)⁽¹⁵¹⁾ حاكم طرابلس، بعدما عقد تحالفاً مع الأمير فخر الدين المعني الثاني (١٥٩٢-١٦٣٥م)⁽¹⁵²⁾، أهم ما يميز حكمه بروز الأمير سريعاً، بوصفه أفضل وسيط محلي، حيث كان يتمتع بالحكمة التي استخدمها في سعيه إلى إحلال الصلح والوئام، ولاسيما في الصراع العسكري الذي وقع بين حكومة ولاية دمشق وبين المتحالفين لمهاجمتها أثناء التمرد^(٥) الذي حدث عام ١٦٠٧م⁽¹⁵³⁾، الذي قام به والي حلب جانبولاد⁽¹⁵⁴⁾ باشا ضد الدولة العثمانية الذي دفع

(ينظر: ملحق رقم (٦).¹⁴⁸)

^(١٤٩) كان بنو الفريخ يحكمون البقاع الجنوبي في حين آل الحرفوش يحكمون البقاع الشمالي، بذلك فقد كانا يقاسمان حكم البقاع. للمزيد ينظر: الفصل الثالث، ص ١١٨.

^(١٥٠) يوسف باشا : هم كرد الاصل، استقرت لهم الإمارة عام ١٥٢٨م، وقد جرت بين يوسف باشا وبين فخر الدين المعني الثاني العديد من المعارك والتحالفات عبر سنوات طويلة. للمزيد ينظر: جوزيف عليان، بنو سيفاً ولاية طرابلس (١٥٧٩-١٦٤٠)، لحد خاطر، بيروت، ١٩٨٧، ص ٣٧-٣٨؛ نهدي صبحي الحمصي، تاريخ طرابلس من خلال وثائق المحكمة الشرعية في النصف الثاني من القرن السابع عشر الميلادي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٦، ص ٩٨.

^(١٥١) فخر الدين الثاني: بن قرقماس بن فخر الدين الأول (١٥٧٢-١٦٣٥م)، يعد من أعظم وأشهر أمراء المعنيين. للمزيد ينظر: كمال الصليبي، المصدر السابق، ص ٢٩٤؛ محسن الامين، المصدر السابق، ج ٣، ص ٢١٥.

^(١٥٢) قاد بن سيفاً بقيادة قوات دمشق لمحاربة المتمردين ، وعلى رأسهم علي جانبولاد ، وعند وصول الأخير إلى تخوك إمارة بن الحرفوش ، فطلب الأمير موسى مداراة عن أرضه بالذهاب إلى استنبول ومحاولة تحقيق شروط جانبولاد. للمزيد ينظر : الفصل الثالث، ص ١٢٠-١٢١.

(أسطفان الدويهي، تاريخ الازمنة (١٠٩٥-١٦٩٩)، تح : الاباتي بطرس فهد ، منشورات دار لحد¹⁵³)، بيروت، د.ت، ص ٤٥٥؛ عيسى اسكندر المعلوف، تاريخ الامير فخر الدين الثاني، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، ١٩٦٦، ص ٧٥ .

^(١٥٤) جانبولاد: أصوله كرديه، واسمهم الحقيقي (جان بولاد أوغلو علي باشا)، تعني بالكردية ذو الروح الفولاذية، قام بالتمرد ضد السلطة العثمانية من أجل إقامة دوله لأسرة الجانبولادية. للمزيد ينظر: فيليب حتي، تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين، ص ٣٢٥.

ولايته لإمارة بعلبك ثمناً بها وبعد ذلك حكم البلاد بن عمه الأمير يونس⁽¹⁵⁵⁾، أما الأمير موسى على اثر ذلك، ذهب إلى قرية القيروانية⁽¹⁵⁶⁾، وتقع الى جنوب بلاد بعلبك قرب نبع العاصي لجمع الرجال، لقتال ابن عمه واستعادة إمارته، إلا أنَّ المرض قد داهمه حينها فصرف الفرسان، ورجع إلى دمشق مريضاً، لغرض العلاج، وبقي على حالته الصحية المتردية إلى أن وافاه الأجل عام ١٦٠٨م، ودُفِنَ في مقبرة الفراديس بالقبة المعروفة لأسرة آل الحرفوش إلى جانب والده⁽¹⁵⁷⁾.

ثالثاً/ الأمير يونس بن حسين الحرفوش (١٦٠٨ - ١٦٢٣ م) :

الأمير يونس بن حسين بن موسى بن أحمد الحرفوش، أولاده (أحمد، حسين، علي)، حكم في عهد السلطان أحمد الأول (١٦٠٣-١٦١٧م)، يُعدُّ من أكثر الأمراء حنكة ودهاء، وأبعدهم أثراً، وكانت علاقته متدهورة مع حكومة دمشق، فاتبع سياسة عمادها الارتباط الوثيق بأمراء الجبل، في سبيل تحقيق عاملين مهمين، هما:

١. ابتغاء التخفيف من تدخل الباشوات العثمانيين في شؤون المنطقة، حيثُ كان على خلاف دائم مع السلطة العثمانية.

٢. لتحقيق طموحه في توسيع حدود (استقلال) الإمارة عن الولاية العثمانية في دمشق^(١٥٨).

وقد عصا على الدولة المركزية أكثر من مرة، ما اغضب حكومة الباب العالي فقرروا التخلص منه، ولتحقيق هذا الامر تمَّ تعيين نصوح باشا في منصب الصدارة العظمى (١٦١١-١٦١٤م)، فكتب الأخير إلى الأمير فخر الدين المعني الثاني للتعاون فيما بينهما من أجل القضاء على الأمير يونس، وكان الوالي غاضباً من الأمير فخر الدين الثاني، لمساعدته بن الحرفوش سابقاً في قتاله مع والي دمشق أحمد الحافظ باشا (١٦٠٩-١٦١٥م) في عامي (١٦١٠م) و(١٦١١م) على التوالي، وبالرغم من ذلك لم ينفذ الأمير فخر الدين قرار الصدر الأعظم، فنقمت عليه الدولة وعلى أمير بعلبك آنذاك⁽¹⁵⁹⁾.

^(١٥٥) أحمد بن محمد الخالدي الصفدي، لبنان في عهد الأمير فخر الدين المعني الثاني، الجامعة اللبنانية، بيروت ١٩٦٩، ص ١٣٤.

^(١٥٦) القيروانية: هي سهل منبسط، تقع فوق الهضبة الجنوبية من الهرمل. للمزيد ينظر: فضل رعد، المصدر السابق، ص ١٧.

^(١٥٧) حمادة، المصدر السابق، ج ١، ص ٢٧٢؛ نصر الله، تاريخ بعلبك، ج ١، ص ٢٣٤.

^(١٥٨) الصفدي، المصدر السابق، ص ١٣٤؛ يوسف الدبس، خطط الشام، ج ٢، ص ١٥٤.

(فضل رعد، المصدر السابق، ص ٣٣؛ اديب الصفدي، صحيفة الناقد، الدمشقية، العدد ١٥٥، 159)

بأمر الأمير يونس في عام ١٦١٣م، برد الجميل للأمير للمعني، فوجه إلى منطقة الأربد فرقة من جنوده لنجدة الأمير فخر الدين في حربه ضد جيش والي دمشق أحمد الحافظ باشا (١٦٠٩-١٦١٥م)، وسارت الأمور بين الحليفين على هذا النحو، إلى أن انتهت بفرار الأمير إلى إيطاليا عندما قام بمحاولته التوسعية في ذلك العام، حيث بادر الأمير يونس في أول الأمر إلى نجدة حليفه المعني، لكنه سرعان ما انقلب عليه، واستسلم لأحمد باشا قائد الحملة العثمانية⁽¹⁶⁰⁾.

ظلت علاقة الأمير يونس بحكومة دمشق متوترة، على هيئة سلسلة من الأزمات المتلاحقة ما أن تنتهي أحدهما برشوة الوالي حتى تبدأ أخرى، وهكذا عملت السلطة العثمانية على إيقاع الفتنة بين أمراء آل الحرفوش في بعلبك، بإغراء بعضهم على بعض، إذ قام والي دمشق سلحدار محمد باشا (١٦١٥-١٥١٧م) بإعطاء الولاية للأمير شلهوب الحرفوش عام ١٦١٥م، وعزل الأمير يونس، لكن الأخير نجح بذكائه ودهائه في استعادة إمارته⁽¹⁶¹⁾، قد نال حاكم بعلبك سنجقية حمص عام ١٦١٦م، ثم تولى سنجقية صفد في ١٦٢٠م، بزيادة ألف درهم ذهباً فأصبح بحكم منصبه سنجق صفد وأمير لواء حمص، وبعلبك والبقاع الجنوبي، ولذا توسعت دائرة نفوذه، ما أثار غضب الأمير فخر الدين المعني الثاني والسلطة العثمانية معاً⁽¹⁶²⁾، وبهذا يعد عهد أمير بعلبك عهد ازدهار وتوسع في حدود إمارة آل الحرفوش⁽¹⁶³⁾، وغاية الأمير كانت السعي إلى بناء إمارة قوية مبنية على التحالفات، تمتد من مدينة حمص بما حولها من كثافة سكانية إلى بعلبك ف (الكرك نوح)، و (المشفرة) وصولاً إلى جبل عامل، و لكن هذا المشروع اعترضته دسائس الدولة العثمانية، إذ أغرث الأمير فخر الدين بالانقلاب على حليفه السابق، فاجتاح بعلبك بجيشه عام ١٦٢٣م، ودارت معركة قوية بين الطرفين، وانتهت الواقعة بانتصار الأمير فخر الدين الثاني⁽¹⁶⁴⁾، حيث بادر الأخير بعد النصر الذي حققه مع والي دمشق مصطفى باشا (١٦٢٣-١٦٢٤م)، والأمير شلهوب الحرفوش إلى احتلال بعلبك، فقاموا بنهبها والعبث فيها، وعين الأمير

(فؤاد خليل، المصدر السابق، ص ٤٩؛ يوسف الدبس، المصدر السابق، ج ٢، ص ١٥٥. 160.)

(ميخائيل الوف، المصدر السابق، ص ٦٧. 161.)

(نصر الله، تاريخ بعلبك، ج ١، ص ٢٦٦. 162.)

(٥) ينظر: ملحق رقم (٧).

(طنوس الشدياق، أخبار العيان في جبل لبنان، ج ١، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، ١٩٧٠، ص ٢٣٩؛ 164) الصفدي، المصدر السابق، ص ١٣٥؛ شبكة المعلومات الدولية الانترنت،

: . <https://ar.m.wikipedia.org/>

شلهوب حاكماً عليها من جديد، وفي عام ١٦٢٥م تمّ القاء القبض على الأمير يونس وقتله خنفاً في السجن بأمر من الصدر الأعظم محمد باشا الشركسي (١٦٢٤-١٦٢٥م)⁽¹⁶⁵⁾.

يستدل مما سبق، أن النصر الذي حققه بن المعن مع حلفائه، وضع النهاية لمشروع الأمير يونس التوسعي، أن هذه المبادرة من المعني بالاتفاق مع السلطة العثمانية، فتحت الباب واسعاً بين الطامحين الكثيرين من أبناء أسرة آل الحرفوش لنيل حكم المدينة، ولم تغلق بعد ذلك.

رابعاً/ الأمير شلهوب (١٦١٥ - ١٦٢٣ م) :

الأمير شلهوب بن علي بن موسى بن أحمد الحرفوش، له من الأولاد ثلاثة، هم (يونس، شديد، عمر)، حكم الإمارة مرتين، ذلك بانتزاعها في كل مرة، من يد بن عمه يونس، فكانت المرة الأولى عام ١٦١٥م، بزيادة قيمة التزام المدينة، في عهد السلطان أحمد الأول⁽¹⁶⁶⁾، وعندما تم تعيين سلحدار محمد باشا والياً على دمشق (١٦١٥-١٦١٧م)، ذهب إليه الأمير يونس لتقديم التهنة محملاً بالهدايا الثمينة طالباً رضاه، بغية حصوله على التزام البقاع وبعليك وخلع أميرها، فأعطاه والي دمشق الولاية، لقاء اثني عشر قرشاً ذهباً، وأمدّه بجيش قوامه خمسمائة فارس، ودخلا بعلبك⁽¹⁶⁷⁾، حينئذ توجه الأمير يونس إلى حلب في العام نفسه، حيث كان الصدر الأعظم محمد باشا (١٦١٤-١٦١٦م) موجوداً هناك فأعطاه أربعين ألف قرش ذهباً في سبيل استرجاع حكم المدينة، فلبى طلبه وأمر بتسليمه حكم البقاع وبعليك، وعاد ومعه أحكام الباب العالي إلى سلحدار محمد باشا، أمره بخلع الأمير الجديد من منصبه، وإعادة الأمير يونس إلى حكم المدينة⁽¹⁶⁸⁾.

نال الأمير شلهوب ولايته الثانية عام ١٦٢٣م، خلال حكم السلطان (مصطفى الأول ١٦٢٢-١٦٢٣م)، وذلك حينما توجه الأخير إلى الأمير فخر الدين المعني الثاني، وأظهر له الطاعة والخدمة طالباً منه استرجاع حكم الإمارة إليه، وبالفعل جهز له قوات من أبناء قومه وبعثها معه وتوجها نحو بعلبك ودخلوا المدينة، ولم يكن الأمير يونس مستعداً للمواجهة، وقتذاك فرّ من البلاد، فاستلم الأمير شلهوب مكانه في دار الإمارة، وتوجه عندئذ الأمير الهارب إلى

(الدويهي، المصدر السابق، ص ٤٧١؛ الصفدي، المصدر السابق، ص ١٦٥.٣٥)

(محمد جابر آل صفا، تاريخ جبل عامل، ط ٢، دار النهار ببيروت، ١٩٨١م، ص ١٩٢.١٦٦)

(قسطنطين بازيلى، تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين تحت الحكم التركي، تر : طارق معصراني، دار ١٦٧. التقديم، موسكو، ١٩٨٩، ص ٣٥ .

(نصر الله، تاريخ بعلبك، ج١، ص ٢٦٦. ١٦٨.)

والي دمشق مراد باشا (١٦٢٣-١٦٢٤م) فقدم له هدية مبلغ من المال وقدره ثلاثين ألف قرش ذهباً، مقابل القضاء على بن عمه الأمير شلهوب، وتمّ له ذلك، فقتل عام ١٦٢٣م^(١٦٩).

خامساً/ الأميران حسين و محمد أبناء الأمير يونس (١٦٢٥ - ١٦٦٦ م) :

بعد وفاة الأمير يونس عام ١٦٢٥م، توليا أبنائه من بعده حكم البقاع، أستقر الأمير حسين في البقاع البعلبكي (الشمال)، وتسلم الأمير محمد البقاع الجنوبي (العزيزي)، واستمروا في حكم البلاد من دون أحداثٍ تذكرها المصادر التاريخية، التي تحدثت عن تاريخ تلك الإمارة والأمراء، في تلك المدة الزمنية، يعود السبب للاستقرار السياسي داخل بلاد بعلبك آنذاك، لعدم وجود تدخلات محلية في شؤون الإمارة التي أدت إلى إثارة مشاكل والخلافات داخل الأسرة، تزامن بداية حكمهم مع عهد السلطان مراد الرابع (١٦٢٣-١٦٤٠م)^(١٧٠)، توفي الأمير محمد عام ١٦٥٦م، واستلم أخوه الأمير حسين البقاع بأكمله، إلى أن وافاه الأجل عام ١٦٦٦م، فاستقرّ حكم الإمارة من بعده على يد الأمير عمر بن حسين^(١٧١).

سادساً / الأمير عمر بن حسين (١٦٦٦ - ١٦٨٣ م) :

الأمير عمر بن حسين بن موسى بن علي بن موسى بن أحمد الحرفوش، تولى دار الإمارة بعد وفاة أبيه الأمير حسين عام ١٦٦٦م، في عهد السلطان العثماني محمد الرابع (١٦٤٨-١٦٨٧م)، وأتسم حكمه بكثير من النزاعات الداخلية مع أقاربه ما أصابت الإمارة بالضعف والوهن، فأصبحت عرضة لأطماع المناطق المجاورة، وأدت سياسته تلك إلى انتزاع بعلبك من سلطة آل الحرفوش، وتسليمها للشهابيين، وتعيين فارس الشهابي حاكماً عليها، في محاولة مأساوية، لأول مرة، بمساعدة والي دمشق حسن باشا (١٦٧٩-١٦٨٣م) عام ١٦٨٠م^(١٧٢).

شعر أمير بعلبك حينئذٍ بخطورة الوضع فأسرع إلى المعنيين وطلب من أميرهم أحمد المعني من التدخل لأيجاد حلاً للوضع الحرج الذي وقع فيه، وبالفعل نجح المعني في إجراء مصالحة بينهما في السابع والعشرين من آب عام ١٦٨٠م، فاستقر الأمر في بعلبك للأمير عمر، لكنّ الخلافات مع أقاربه استمرت إلى أن تأزمت، فأجبرته تلك الظروف على العودة إلى

(سليمان ظاهر، تاريخ الشيعة (السياسي-الثقافي-الديني)، تح: عبد الله سليمان ظاهر مج ٣، مؤسسة ١٦٩)
الأعلمي للمطبوعات ، بيروت ، ٢٠٠٢، ص ٢٦؛ بازيلي ، تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين ، ص ٣٦.
(جعفر المهاجر، التأسيس لتاريخ الشيعة، المصدر السابق، ص ١٢٣ - ١٢٤؛ ميخائيل الوف ، ١٧٠)
المصدر السابق، ص ٧٢.

(فضل رعد ،المصدر السابق، ص ١٧١، ٣٨)

(يوسف الدبس، مختصر تاريخ سوريا ، ج ٢، ص ٢١٠؛ الشدياق ، المصدر السابق، ج ٢، ص ١١٣، ١٧٢)

الحماديين لإيجاد حل وتهدة الوضع داخل الإمارة، لكن مرض بصورة مفاجئة، وتوفي على أثر ذلك في جبل لبنان عند حلفائه عام ١٦٨٣ م، ودفن في خورزيا، وخلفه في تسلم الإمارة ابن شقيقه الأمير (شديد)⁽¹⁷³⁾.

سابعا / الأمير شديد (١٦٨٣ – ١٦٩٢ م) :

الأمير شديد بن شلهوب بن علي بن موسى بن أحمد الحرفوش⁽¹⁷⁴⁾، أخواه (عمر، حسين)، وله ولد واحد يدعى (إسماعيل) تزامن حكمه مع السلطان محمد الرابع، والسلطان سليمان الثاني (١٦٨٧-١٦٩١م)، تولى إمارة بعلبك عام ١٦٨٣م، فضلاً عن بعلبك، كان حاكماً للبقاعين والهمل، اتصف عهده باستمرار التناصر والتعاون العسكري بينه وبين الحماديين، تميزه بالقوة والشجاعة كما كان في عهد أبيه وجده⁽¹⁷⁵⁾، ففي عام ١٦٨٤م اشترك أمير بعلبك مع الحماديين بالهجوم الذي شنوه على قلعة طرابلس، إذ امدهم بالرجال، والمال، والسلاح، وبالمقابل ساند الحماديين، الأمير يونس، عندما أغار مع رجاله على قرية رأس بعلبك، فخرّبوها ونهبوها وأحرقوا قلعتها عام ١٦٨٦م⁽¹⁷⁶⁾.

قضى هذا الأمير معظم ولايته في مواجهات متواصلة مع الشهابيين، وأحياناً كثر أضرار إلى اللجوء إلى البادية أو الجبال العالية. وكان بطل معركة عين الباطنية عام ١٦٩١م، التي دارت بينه وبين الدولة العثمانية بقيادة والي طرابلس محمد باشا الملقب بشائب العين (١٦٨٨-١٧٠٨م)، التي حرق أربعين قرية من قرى الحماديين، قتل الأمير شديد في معركة وقعت بين منطقتي العاقورة وبعلبك التي تعرف ب (مجزرة الثلوج) أثناء مواجهته الحكومة المركزية عام ١٦٩٢ م وخلفه في الحكم أخوه حسين عام ١٦٩٢م⁽¹⁷⁷⁾.

ثامنا/ الأمير حسين (١٦٩٢ – ١٧١٢ م)

الأمير حسين بن إسماعيل بن موسى بن علي بن موسى الحرفوش بن أحمد الحرفوش، أخواه (عمر وشديد)، تميّز بكونه حاكماً قوياً جداً، ذا نفوذ، وقوة، وذكاء خارق، وحنكة سياسية، تولى الإمارة بعد وفاة أخيه الأمير شديد عام ١٦٩٢م، بدأ حكمه في حكم السلطان أحمد الثاني (١٦٩١-١٦٩٥م)، فتحالف مع الشهابيين في عام ١٧٠٨م، عندما طلب منه حيدر الشهابي العون والمساعدة، فلبى دعوته⁽¹⁷⁸⁾، تميز عهده بالاستقرار والهدوء النسبي، فكان محباً للسلام،

(يوسف مزهر، المصدر السابق ، ٤٠٨؛ الدويهي، المصدر السابق ، ص ١٧٣.٥٧١)

(ينظر: ملحق رقم (٨). ١٧٤)

(الشدياق ، المصدر السابق ، ج ٢، ص ١٩٥؛ حمادة، المصدر السابق، ج ١، ص ٣١١. ١٧٥)

(المملوف، دواني القطوف ، ص ٢٦٣. ١٧٦)

(محمد بن عيسى بن محمود بن كنان، يوميات شامية، دار النهار، بيروت، ١٩٩٧، ص ٤٠. ١٧٧)

(فؤاد خليل ، المصدر السابق ، ص ٥٧. ١٧٨)

كارهاً للدماء، بقي في الحكم حتى عام ١٧١٢ م، إذ قتل في غمرة أحداث غامضة لم تصل موثقة من أي مصدر يمكن الركن إليه، وخلفه في الحكم الأمير إسماعيل ابن الأمير شديد⁽¹⁷⁹⁾.

تاسعاً / الأمير إسماعيل بن شديد (١٧١٢ - ١٧٣٣ م)

الأمير إسماعيل بن شديد بن شلهوب بن موسى بن علي بن موسى بن أحمد الحرفوش، أولاده (محمود، حسين، حيدر، مصطفى)، خلف إسماعيل عمه حسين على الحكم عام ١٧١٢م، خلال عهد السلطان أحمد الثالث (١٧٠٣-١٧٣٠م)⁽¹⁸⁰⁾، بدأ عهده بتحسين علاقاته مع الحكومة المركزية، ذلك من خلال قيادة لأمر عدة تجاه الدولة العثمانية، منها:

- ١- تسديد قيمة الالتزام بمواعيده، وعدم الإغارة على المناطق التابعة للدولة .
- ٢- قام بدعم الحملة المتوجهة إلى الحج، عام ١٧١٩م، ذلك بإعطائهم مائتي جملٍ وعدد من الحراس، بلغ عددهم خمسمائة حارس، مزودين بالبنادق، لحراستهم من قطاع الطرق^(١٨١).

لكنَّ علاقته الحسنة مع السلطات العثمانية، لم تدم طويلاً نظراً لأمر استجدت في عهد حكمه، غيرت من المسار السياسي لحاكم بعلبك، هي:

- ١- حدثت فتنة بين حليفه إسماعيل بن حمادة أمير جبل لبنان، وبين حكومة دمشق، وعلى أثرها وجهت الدولة قواتها باتجاه جبل لبنان، إذ أسرع الأمير بن الحرفوش مع رجاله لأنجاد حليفه المذكور عام ١٧٢٢م في جبل لبنان، وانتصر فيها الحماديين .

- ٢- تحالف الأمير إسماعيل بن الحرفوش مع آل زغيب عام ١٧٢٢م^(١٨٢).

٣- سطا أحد أبناء الإمارة ودعي (علي) عام ١٧٢٩م، على قافلة محملة بالبضائع قادمة من دمشق مكونة من عشرين جملاً، وعشرين بغلاً، في ممر جبلي عند منطقة الزبداني، فأسرَ تجارها، وحراسها وسجنهم في قرية مضايا في مقاطعة الزبداني⁽¹⁸³⁾.

أغضبت تلك الأعمال التي قام بها أمير بعلبك الباب العالي، وبشأن ذلك اصدر أمراً إلى والي صيدا اسعد باشا العظم (١٧٠١-١٧٥٧م)، بمتابعة الحادث والتحقق منه وملاحقة المذنب⁽¹⁸⁴⁾، فألقى هذا الوالي اللوم على أمير بعلبك واتهمه بالتقصير في حفظ الأمن في

(نصر الله ، تاريخ بعلبك ، ج١، ص ٢٨٢؛ فضل رعد ، المصدر السابق ، ص ١79.٤٠)

(بن كنان ، المصدر السابق ، ص 180.١٤٩)

(ستيفن ونتر، المصدر السابق، ص 181.٢٦٦)

(آل زغيب: وهو عشيرة شيعية، هاجرت من العراق عام ١٦١٧م، للمساعدة في حماية فلاحي شمال 182 البقاع من هجمات البدو المتزايدة في تلك المدة الزمنية. للمزيد ينظر: محسن الأمين، أعيان الشيعة، ج٦، ص ١٥١-١٥٢ .

(ستيفن ونتر، المصدر السابق ، ص ٢٦٦ . 183)

(فضل رعد، المصدر السابق ، ص 184.٤٢)

مقاطعته، ويعد هذا الأمر مقدمة لتوتر العلاقات مجدداً بينه وبين الحكومة المركزية، فأرسلت له في الثالث عشر من كانون الأول من العام نفسه إنذاراً، أتهمته بالأخلال بالأمن في ولاية دمشق وضواحيها، وتقديم سبل المساعدة والحماية والمأوى إلى الخارجين عن القانون في سائر المدينة⁽¹⁸⁵⁾.

جعلت تلك القضية الأمير إسماعيل في مسار تصادمي مع السلطات العثمانية ما دفعت به في النهاية نحو الشهابيين، إذ استأجروا منه قرية اللبوة في البقاع الشمالي في الخامس والعشرين من شباط عام ١٧٣١م، لثلاث سنوات لجباية الضريبة، ولكن بعد عامين هرب الأمير إسماعيل برفقة أسرته كلها، ومعه ثلاثين كيساً من النقود إلى الهرمل، ولم يكن القبض على الأمير إسماعيل مسألة سهلة على الدولة، بل لجأت إلى الخديعة والمكر وأمنته، فلما وثق بعهدتها، قتلتها عام ١٧٣٣م، بتهمة الأخلال بالأمن وإيواء الخارجين عن القانون⁽¹⁸⁶⁾.

عاشرا / الأميران حسين و حيدر ابنا إسماعيل (١٧٣٣ – ١٧٧٤ م) :

هما ولدا إسماعيل بن شديد بن شلهوب بن موسى بن علي بن موسى بن أحمد الحرفوش، توفي والدهما إسماعيل عام ١٧٣٣م، وخلفاه على حكم الإمارة، فكانت علاقتهما في بادئ الأمر مع بعض، مبنية على وفاق ومحبة، ألا أن أصحاب النوايا غير الطيبة قد تدخلت بينهما، أدى إلى بذر الفرقة بين الأخوين فتنازعا، واستمر النزاع مدة من الزمن، وتبادلا الإمارة أكثر من مرة، وكانا يتناوبان في الحكم حسب موازين القوى منتظر أحدهما في بعلبك، وألتجأ الآخر إلى القرى الجبلية ليتحصن بها، وعد العدة حتى يتمكن من استعادة حكمه⁽¹⁸⁷⁾.

بدأ عهد الحكم بالأمير حسين عام ١٧٣٣م، خلال عهد السلطان محمود الأول (١٧٣٠-١٧٥٤م)، الذي بدأ بالخروج عن طاعة السلطات، وعصيان أوامرها فانهاالت عليه الشكاوى إلى الباب العالي تتهمه بالسطو على ممتلكات الدولة فأدّت إلى نقص في الجباية، وعلى أثرها صدر أمر من الباب العالي بخلع هذا الأمير وعزله، وإعطاء الإمارة إلى أخيه حيدر⁽¹⁸⁸⁾، فدب الشقاق بين أمراء الاسرة المتنازعين على الحكم من جديد، ما افسح المجال في ارتهان الإمارة لتدخلات باشا دمشق تارة، وأمير الجبل ملحم الشهابي تارة أخرى، وأمام هذه المشاحنات الداخلية، التي عدتها الدولة المركزية سبباً كافياً لتسليم حكم بعلبك إلى أسرة أخرى، فأناط والي دمشق أسعد

(كرد علي، خطط الشام، ج٢، ص ٢٤٣؛ نصر الله، تاريخ بعلبك، ج١، ص ١٨٣. ١٨٥)

(٥) بن كنان، المصدر السابق، ص ٤٦١؛ سليمان ظاهر، المصدر السابق، مج ٣، ص ٩٥.

(فؤاد خليل، المصدر السابق، ص ٥٨؛ أسد رستم، لبنان في عهد الأمراء الشهابيين، ط٢، منشورات ١٨٧ (المكتبة البوليسية، بيروت، ١٩٨٤، ص ٢١٢.

(أحمد البديري الحلاق، حوادث دمشق اليومية، تر: أحمد عبد الكريم، تح: جمال القاسمي، مج ١، ط ٢، ١٨٨ (دار سعد الدين للطباعة والنشر، بيروت، ٢٠٠٨، ص ٧١.

العظم باشا (١٧٤٣-١٧٥٧م) بأمر من الباب العالي حكم البلاد إلى الأمير ملحم الشهابي أمير جبل لبنان في عام ١٧٤٨م، ليأمن من نتائج تلك المشاحنات ويصون خراج البلاد، فاستدعى أمير الشهابيين حليفه الأمير حيدر الحرفوش واقره على بعلبك⁽¹⁸⁹⁾ في العام نفسه، لكن أسعد العظم باشا سرعان ما نقم على الشهابي لتأخره عن دفع المرتبات الأميرية، ولذلك حصلت مواجهة عسكرية بين الوالي وبين الشهابيين وانتهت الواقعة لصالح الشهابيين، وإعادة الأمير حسين لتولي نيابة بعلبك في ١٧٤٩م، بعد أن فر منها شقيقه الأمير حيدر إلى بلاد القلمون شرقي بعلبك⁽¹⁹⁰⁾.

وبقي حسين مدبراً لشؤون المدينة حتى تاريخ مقتله عام ١٧٥١م، حيث تم قتله بمكيدة من أخيه حيدر، وبالاتفاق مع السلطات إذ أطلق عليه الرصاص من مجهولين، عددهم ثلاثة أشخاص، ولم يتم التعرف عليهم في وقتها⁽¹⁹¹⁾.

أكمل حكم الإمارة من بعده أخوه الأمير حيدر، وعُرف عنه بأنه كان سخيّاً، كريم النفس، محمود السيرة، صاحب نخوة وحمية، ومن اهتماماته الأولى، توثيق علاقاته مع سكان جبل لبنان وعامل، وتقديم المساعدة لهم، والتشاور معهم⁽¹⁹²⁾، بدأ حكمه عام ١٧٥١م، وفي أواخر عهد السلطان محمود الأول وعهد السلطان عثمان الثالث (١٧٥٤-١٧٥٧م)، وفي السنين الأولى من حكمه، إذ اشتكته مؤسسة الأوقاف الإسلامية في البقاع إلى الباب العالي بأنه لم يقوم بدفع مبلغ التزام بعلبك منذ ثلاث سنوات، وتدخل كثيراً في أمورها كلها، فوجّه له إنذار في الثاني عشر من تشرين الثاني عام ١٧٥٥م، دفع الأمير لوالي دمشق خمسين الف قرش قيمة الالتزام، وتوفي وهو حاكم بعلبك عام ١٧٧٤م، وقد هرم في العمر، وتسلم من بعده إدارة بعلبك أخوه الأمير مصطفى⁽¹⁹³⁾.

الحادي عشر / الأمير مصطفى إسماعيل (١٧٧٤ - ١٧٨٤ م) :

الأمير مصطفى بن إسماعيل بن شديد بن شلهوب بن موسى بن علي بن موسى بن أحمد الحرفوش، أولاده: (جهجاه، سلطان، أمين)، وزامن عهد السلطان عبد الحميد الأول (١٧٧٤-

(أسد رستم، لبنان في عهد الأمراء الشهابيين، ج ١، ص ٣٨؛ حيدر أحمد الشهابي، لبنان في عهد الأمراء 189 الشهابيين، تح: فؤاد افرايم البستاني، ج ٢، منشورات الجامعة اللبنانية، بيروت، ١٩٦٩، ص ٣٥-٣٨.

(يوسف الدبس، خطط الشام، ج ٢، ص ٢١٢؛ بن كنان، المصدر السابق، ص ١٩٥. 190

(روفائيل بن يوسف كرامة، حوادث لبنان وسوريا (١٧٤٥ - ١٨٠٠م)، تح: باسيلوس قطن مكتبة 191 جروس برس للطباعة والنشر، بيروت، د.ت، ص ٧٦؛ أحمد الحلاق، المصدر السابق، ص ١٥٧.

(المعلوف، دواني القطوف، ص ٢٥٢؛ أحمد الحلاق، المصدر السابق، ص ٧٢. 192

(أسد رستم، مباحث علمية واجتماعية، ج ١، ص ١٠٦؛ حيدر رضا الركين، جبل عامل في قرن، 193 بيروت، ١٩٩٨، ص ٨٢.

١٧٨٩م⁽¹⁹⁴⁾، تولى الأمير مصطفى إمارة بعلبك خلفاً لأخيه حيدر عام ١٧٧٤م، من دون ولده الأمير درويش، تزامن حكمه بحدوث النزاعات الداخلية بين أفراد أسرة آل الحرفوش، إذ اكتفى ابن أخيه الأمير درويش بعد فشل مساعيه بحكم بعض القرى من البلاد، ولكن الأخ الثالث محمد بقي المنافس الأبرز الذي حاول التمسك بالحكم، حيث استطاع الوصول للحكم، ذلك بمساعدة والي دمشق عثمان باشا المصري (١٧٧٣-١٧٨٣م) عام ١٧٧٦م، مقابل رشوة كبيرة، وقيمتها خمسة وعشرين ألف قرش⁽¹⁹⁵⁾.

فقد اتصف عهد الأمير مصطفى وما تلاه تكراراً قاسياً لما سبق من النزاعات الداخلية، التي عادت إلى ما كانت عليه وأكثر، وفي سياق ذلك الصراع بين الأمراء، تناوب حكم بعلبك تارة هو وتارة أخيه الأمير محمد حتى عام ١٧٨٢م⁽¹⁹⁶⁾، حينذاك عمل الأمير مصطفى على تحسين علاقته مع الشهابيين فتبادلا المفاوضات وتم الصلح، واستقر الحكم وقتئذ للأمير مصطفى^(٥).

شهد حكم الأمير بن الحرفوش، نكبة أحمد باشا الجزار^(٦) لسكان جبل عامل، وقد استقبل أمير بعلبك الفارين والهاربين والنازحين من هذا الجبل، ما أدى ذلك العمل إلى غضب الجزار من سياسة بن الحرفوش، فاتفق مع والي دمشق محمود درويش باشا (١٧٨٣-١٧٨٤م) لانهاء حكم هؤلاء في بعلبك، فداهموا المدينة عام ١٧٨٤م، وقبضوا على مصطفى وأخوته الخمسة وساقهم إلى دمشق وشنقوه مع ثلاثة من اخوته في العام نفسه، ثم صادر أملاكهم وأحرق منازلهم وسبوا الحريم، وملكوا المدينة ونصبوا فيها حاكماً من الانكشارية، دعى رمضان آغا في عام ١٧٨٤م، ولكن الجزار بدأ بنقل حكم بعلبك إلى سلطته في العام نفسه، وأرسل سليم آغا حاكماً من قبله، وهنا أصبحت بعلبك تتبع الحكم المركزي للولاية⁽¹⁹⁷⁾.

الثاني عشر – الأمير جهجاه بن مصطفى (١٧٨٤ – ١٨١٧ م) :

(المنير، المصدر السابق، ص 194.٢٦)

(٣) حمادة، المصدر السابق، ج١، ص ٣٢١؛ ستيفن ونتر، المصدر السابق، ص ٣٠٢.

(٤) كرامة، المصدر السابق، ص ٥٥.

(٥) حيدر الشهابي، المصدر السابق، ج١، ص ١٣٤؛ فؤاد خليل، المصدر السابق، ص ٦٢.

(٦) نكبة الجزار: هي الحملة التي قادها أحمد باشا الجزار ضد سكان جبل عامل، بقيادة الشيخ ناصيف النصار، والتقى الجيشان عند قرية يارون في (٢٣-أيلول-١٧٨١م)، التي انتهت بانتصار قوات الجزار، وقتل الشيخ ناصيف في المعركة. للمزيد ينظر: داني الامين، الجزار في جبل عامل (ولادة مقاومة)، الاخبار (مجلة)، بيروت، ٢ نيسان ٢٠١٣.

(نصر الله، تاريخ بعلبك، ج١، ص ٢٨٨؛ كرامة، المصدر السابق، ص 197.٦١)

الأمير جهجاه بن مصطفى بن إسماعيل بن شديد بن شلهوب بن علي بن موسى بن أحمد الحرفوش⁽¹⁹⁸⁾، ومعنى اسم جهجاه، (من يصيح بالأسد ليزجره ويمنعه)، وأصل الأسم عربي، وأخوته هما: (الأمير سلطان، الأمير أمين)، وولده يدعى (الأمير نصوح)، استلم حكم المدينة أواخر عهد السلطان العثماني عبد الحميد الأول (١٧٧٤-١٧٨٩م)⁽¹⁹⁹⁾.

أفلت الأمير جهجاه بعد النهاية المأساوية للأمير مصطفى وأهل بيته وأقاربه التي كانت على يد والي دمشق، بالاتفاق مع الجزائر والي صيدا، وانتقال الحكم إلى آغوات الباشا ومماليكه، والوريث الشاب قد استطاع الاختفاء في البراري حيث لم يعلم أحد بمكانه⁽²⁰⁰⁾، فتوجه إلى جنوب العراق قرب البصرة بحيث كان يسمع من أهله وأقاربه أن لهم فيها من تجمعهم معها رابطة قريى ودم وتاريخ، هم (عرب الخزاعة أبناء عم بني الحرفوش)، وأستعان بهم باسترجاع حقه الذي تكفله الأعراف والتقاليد في مدة بالدعم والمساعدة، لكن بعد المسافة حالت دون تحقيق ذلك، فقد اكتفوا بمال وفير وسيف بغدادى وفرس أصيلة^(٥) فترك مضارب الخزاعل جنوب العراق، وعاد إلى بلاده في أواخر عام ١٧٨٦م، لتسقط أخبارها، وجمع الرجال من أنصار أبيه وأسرتهم، وحثهم على القتال واسترجاع حكم بعلبك، وتم له ما أراد، وتمكن من استعادة إمارة ابائه وأجداده، وتميز مدة حكمه بالمواجهات العسكرية المباشرة مع السلطة العثمانية، إذ تمتع الأمير بموهبة عسكرية خارقة في التخطيط والقتال أمنت له النصر في أكثر من عشر معارك على الأقل خاضها ضد الولاة العثمانيين، بمن فيهم أحمد باشا الجزائر، ورد بنجاح على حملات متتابعة كانت تهدف إلى القضاء عليه وتعيين موظف عثماني مكانه⁽²⁰¹⁾.

بعد أن تفرغ الأمير إلى توطيد الأمن في إمارته، حتى ذرت قرون النزاع الداخلي من جديد، وكان آخرها مع أخيه الأمير سلطان عام ١٨٠٧م، لكن الأمير جهجاه أخيراً من استعادة المدينة عام ١٨١٣م⁽²⁰²⁾، بعد أن زاد قيمة الخراج لوالي دمشق سلمان باشا سلحدار (١٨١٠-١٨١٧م)، وظل حاكماً عليها حتى تاريخ وفاته في السابع عشر من آذار عام ١٨١٧م، ومن بعده أنتقل حكم الإمارة إلى أخيه الأصغر أمين⁽²⁰³⁾.

الثالث عشر / الأمير أمين بن الحرفوش (١٨١٧ - ١٨٣١ م) :

(ينظر: ملحق رقم (٩). 198)

(حمادة ، المصدر السابق ، ج ١، ص ٣٢٤؛ المعلوف، دواني القطوف، ص ١٠٩. 199)

(٤) فؤاد خليل، المصدر السابق، ص ٦٥.

(٥) محسن الأمين، المصدر السابق، ج ٦، ص ٣٥٠.

(٦) حمادة ، المصدر السابق، ج ١، ص ٣٢٤.

(٢٠٢) أحمد حيدر الشهابي، تاريخ الأمير حيدر الشهابي، ج ٣، مطبعة السلام، بيروت، ١٩٠٠، ص ٦٣٣.

(٢٠٣) نصر الله، تاريخ بعلبك، ج ١، ص ٢٩٥؛ فؤاد خليل، المصدر السابق، ص ٦٩.

الأمير أمين بن مصطفى بن إسماعيل بن شديد بن شلهوب بن علي بن موسى بن أحمد الحرفوش، أشقائه: (الأمير جهجاه، ولسطان)، وولده دعى (قبلان)، عاصر الأمير أمين عهد السلطان محمود الثاني (١٨٠٨-١٨٣٩م)⁽²⁰⁴⁾، عندما توفي الأمير جهجاه كان ولده نصوح في الثانية عشر من عمره، فسار به عمه الأمير أمين إلى دمشق والتمس من الوالي صالح باشا الثاني (١٨١٧-١٨١٩م)، حكم بعلبك، فأعطاهم الخلع وهرب الأمير سلطان إلى الهرمل والتجأ إلى بيت حمادة مشايخ المقاطعة، واستقل بحكمها عام ١٨١٧م⁽²⁰⁵⁾.

عمل في بداية حكمه على توطيد علاقته مع ولاية دمشق بتنفيذ أوامره، وفي عام ١٨١٩م طلب منه والي دمشق سليمان باشا (١٨١٩-١٨٢١م)، طرد من المشايخ النكدية النازحين إلى مدينة بعلبك، ونفذ ما ورد اليه من والي دمشق، فاعد لذلك الجيش وهاجم أولئك المشايخ، وفروا من قرية معذر شرقي بعلبك إلى قريتي قارا والنبك، أثارت سياسية الأمير أمين وطموحاته، الشكوك في نفس الأمير بشير الشهابي، لذلك اوعز إلى الوالي إلى عزل أمين ويولي بعلبك الأمير نصوح، فنفذ الباشا طلبه عام ١٨٢٠م، ورحل الأمير أمين إلى الهرمل، لكنه تمكن من استعادة البلاد في عام ١٨٢٥م، بعد أن قام باسترضاء والي دمشق مصطفى باشا (١٨٢٢-١٨٢٦م)، فجهزا الأمراء امين ولسطان قواتهما ودخلا بعلبك، وهرب الأمير نصوح من المدينة، وتوجه إلى دير القمر، وفي عام ١٨٢٥م، ندم الأخير على فعلته، وجاء إلى الإمارة طالباً العفو من اعمامه، ففعلوا عنه لكنهما كانا قد اضمرا الشر له في داخلهما، وبعد أن استقر الأمير نصوح في بعلبك واطمئن إلى اعمامه، وقتذاك اوعزا الأخيران لرجالهم الخاصين، بقتله في اثناء النوم خنقاً، وبذلك ضمن الحكم للأمير أمين حتى عام ١٨٣١م، تاريخ دخول الجيوش المصرية بقيادة إبراهيم باشا إلى بلاد الشام⁽²⁰⁶⁾.

الرابع عشر/ جواد بن الحرفوش (١٨٣١ - ١٨٣٢ م) :

الأمير جواد بن سليمان بن حسين بن إسماعيل الحرفوش بن شديد، بن شقيقة الأمير سلمان بن ملحمة المتوفى عام ١٨٦٦م، والأمير خنجر بن ملحمة، الذي توفي عام ١٨٦٨م، حكم أثناء عهد السلطان محمود الثاني (١٨٠٨-١٨٣٩م)⁽²⁰⁷⁾.

عندما أصبحت بعلبك تحت حكم إبراهيم باشا، أول عمل قام به القائد المصري، عزل الأمير أمين وتعيين أمير جديد هو الأمير جواد بن الحرفوش حاكماً عليها عام ١٨٣١م، لكن الاوضاع لم تستقم في المدينة، إذ ثار أمير بعلبك على إبراهيم باشا، بعد أن تركزت قوات من الجيش

(إسماعيل حقي بيك، المصدر السابق، ص ٦٣٣. 204)

(كرد علي، خطط الشام، ج ٣، ص ١١-١٢؛ فضل رعد، المصدر السابق، ص ٤٥. 205)

(الشدياق، المصدر السابق، ج ٢، ص ٣٩٩. 206)

(فضل رعد، المصدر السابق، ص ٤٨؛ عيسى اسكندر المعلوف، تاريخ الاسر الشرقية، ج ٧، ص ٥٢٥. 207)

المصري داخل الأمانة وتحويلها إلى مركز عسكري قيادي في حربها ضد الدولة العثمانية، ومركزاً لحملات القمع التي شنها على المتمردين، حينذاك خرج بن الحرفوش مع رجاله إلى البر ليعسكر فيها، ويقوم بشن غارات على القوات المصرية، ودعوة الناس إلى الثورة عليها وزرع الحماس فيهم، ويعد بذلك أول أمير من آل الحرفوش من أعلن رفضه الخضوع لإبراهيم باشا والطاعة له، فكان شجاعاً أبياً كسائر أبناء أسرته، وقد واجه الحملات المصرية التي كانت تطارده في أمكنة كثيرة بشجاعة نادرة، وبقي الأمير جواد متمرداً حتى قتل بيد محمد شريف بك (١٨٣٢-١٨٤٠م)⁽²⁰⁸⁾ في دمشق عام ١٨٣٢م⁽²⁰⁹⁾.

علم (راية) آل الحرفوش :

عبارة عن قطعة قماش منقوش عليها رمز أو أكثر، للدلالة على قبيلة أو عشيرة أو دولة ، وتختلف الرايات بألوانها وأشكالها من دولة إلى أخرى ، ولكل دولة راية تميزها من غيرها من الدول الأخرى، فالعلم قديماً وحديثاً له قدسيته ورمزه، ومن ألوانه استمدت المعاني والقيم التي يقاتل من أجل إعلائها الفرسان، فالعلم الذي رفعه أمراء آل الحرفوش وفرسانهم في أعالي إمارة بعلبك، وقاتلوا تحت لوائه في سوح المعارك، هو (العلم الأخضر)⁽²¹⁰⁾، فهذا العلم قد الهب حماسهم وجعلهم يأتون ضروباً من الفروسية والشجاعة المتناهية والإقدام المنقطع النظير⁽²¹¹⁾. ولا سيما أن اللون الأخضر ذو دلالة خاصة في الإسلام، وقد تجلى في نواح عديدة كرايات وأعلام الدول والجيوش الإسلامية وفي فن العمارة الإسلامي وخاصة القباب، ومن أهم أسباب تلك الرمزية، هو ما جاء في القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة بخصوص هذا اللون، بحيث ورد بأكثر من آية، وله دلالات عدة منها، التي تصف حال أهل الجنة أو ما يحيط بهم من النعيم، يقول عز وجل⁽²¹²⁾: {مُتَّكِئِينَ عَلَى رَفْرَفٍ خُضِرٍ وَعَبَقَرٍ حِسَانٍ}⁽²¹³⁾.

صفات أسرة آل الحرفوش :

(هو أحد أقارب محمد علي، عينته الحكومة المصرية في (١٦/ تشرين الثاني / ١٨٣٢م)، حاكماً عاماً على 208 بلاد الشام بأكملها، واطلق عليه لقب حاكمدار عريستان، لأنه ظل في معظم سنوات الحكم المصري يتولى إدارة الولايات السورية جميعها . للمزيد ينظر: خالد محمد صافي، الحكم المصري في فلسطين (١٨٣١-١٨٤٠م)، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، بيروت، ٢٠١٠، ص ٩٨-٩٠.

(محسن الأمين، المصدر السابق ، ج٦، ص ٣٨٠؛ ميخائيل الوف ، المصدر السابق ، ص ٢٠٩. 209.

(ينظر : ملحق رقم (١٠). 210.

(نصر الله ، تاريخ بعلبك ، ج١، ص ٢١١. 211.

(الطبري ابو جعفر محمد بن جرير، جامع البيان في تأويل القرآن، ج١٠، دار الكتب العلمية، بيروت، 212 ١٩٩٢، ص ٦٢٦؛ حسنين محمد مخلوف، تفسير وبيان كلمات القرآن الكريم، دار المنار للطبع والنشر والتوزيع، القاهرة، د.ت، ص ٤٣٧.

(سورة الرحمن : آية ٧٦ . 213

اتصفوا بالكرم والمروءة وشرف الاصل والقيادة وخبرة الحرب، كان منهم الشعراء والعلماء والفرسان والأمراء الحكام، وقد تميزوا في بسطه في الجسم وصباحه في الوجه، حيث كانوا محاربين أشداء ومتمرسين، ولا يعني ذلك أنهم برعوا في قيادة الجيوش وفنون الحرب فحسب، بل لأن الكثيرين منهم اتصفوا بالشجاعة الفائقة، وجراً ملفتة، حتى أصبحت سمعتهم القتالية ورهبتهم تقام مقام الكثير⁽²¹⁴⁾.

وبناءً على ذلك، أن المقدرة القتالية الفائقة لإل الحفوش، ساهمت في استمرارهم طوال مدة وجودهم على رأس إمارة، معظم سكانها من العشائر والعربان، التي يلعب السيف في علاقاتها واجتماعياتها مكاناً بارزاً، وتعد هذه الخصلة الكريمة من معطيات الطبيعة الصحراوية، وما فرضته من خشونة العيش على هذا الانسان، وهي أيضاً صفة تميز بها العرب عامة والمسلمون خاصة .

وهناك من رماهم بالظلم والقسوة، إذ قالوا إنهم قوم كانوا من البأس والسطوة على جانب عظيم، ولما تكاثروا في بلاد بعلبك، واصبحوا السائدين هناك، والمتسلطين على أهلها، زادهم ذلك عتوا وبغياً فاكثروا من التعدي والسلب، إذ كانوا يغيرون على القرى، وعلى القوافل فأصابوا منها، ثم رجعوا إلى بلادهم⁽²¹⁵⁾.

يمكن القول، أن أسرة آل الحفوش تواجدت في عصر من يخالفهم في العقيدة من المسلمين، وجوار إمارتهم من غير المسلمين وحكامهم، فالذم والقدح فيهم لا يخلو من العصبية، والمعروف عن العرب القدامى، أن ظروفهم المعيشية كانت صعبة للغاية، فكانت حياتهم الاقتصادية تقوم على الغزو أو السلب، أو ما شابه ذلك، ما كان متسالم عليه لديهم آنذاك، ولا يرون فيه أي إخلال بالشرف أو المكانة الاجتماعية، بل على العكس من ذلك، فقد كان العمل يكسب القائم به رفعة وسؤدداً في قبيلته وبني قومه، فكان المغيرون على العشائر والمناطق والقرى يتفاخرون بذلك، وينشدون فيه الاشعار، وكانت تلك الاعمال من المفاخر والتعالي في ذلك الوقت، وهم يرون في هذا الأمر رداءً لهم من الغارات، التي يمكن أن تنتشها عليهم القبائل الأخرى، كما يرون في ذلك إظهاراً، لشجاعتهم وقوتهم، لكي لا يفكر الآخرون بغزوهم.

ولا يعرف عن آل الحفوش غلو في الدين ولا الطائفية، ولعل هذا ما ميزهم في زمان كانت الطائفية أساسها ومبدأً تواجدتها، فنلاحظ ذلك من خلال دعم الاسرة في بناء دور العبادة

(كافة المراجع بلا استثناء أجمعت على وصفهم بالشجاعة والأقدام والفروسية منقطعة النظير أمثال: 214)

ميخائيل الوف. المصدر السابق، ص ٣٩؛ الشدياق، المصدر السابق، ج ٢، ص ٢٠١؛ حمادة، المصدر

السابق، ج ١، ص ٢٥٥؛ محسن الامين، المصدر السابق، ج ١١، ص ٢٦٤ .

(الغزي، المصدر السابق، ج ٤، ص ٤٣٢؛ أحمد الحلاق، المصدر السابق، ص ١٦. 215)

المسيحية لتأمين حرية ممارسة الشعائر الدينية⁽²¹⁶⁾، سكنت بعلبك أيضاً جالية يهودية على رأسها أسرة حاخام، ولهم أماكن عبادة مارسوا فيها شعائرهم بحرية، فضلاً عن وجود عائلات من المذهب السني، ولهم مساجد سنية للعبادة خاصة بهم، والتجأ إليهم أيضاً إبان محنة أحمد باشا الجزار (١٧٦٧-١٨٠٤م)⁽²¹⁷⁾ عدد من العلماء والمشايخ والأهالي من جبل عامل، فأكرمهم وآوهم وحموهم من بطش الجزار، فأصبحت مدينة بعلبك، مأوى وملجأ للفارين والهاربين، من بطش السلطات المركزية آنذاك⁽²¹⁸⁾.

مذهب آل الحرفوش :

مناقشة مذهب آل الحرفوش هو بحد ذاته عبث لا طائل منه، فالأسرة شيعية قبل قدومهم إلى بلاد الشام من العراق، واستمروا على تشيعهم رغم ما عانوا لأجل ذلك من عنت وعناء في العهد العثماني، دون أن يشذ واحد منهم عن هذا المبدأ، ذلك ما أكدته المصادر التاريخية التي تناولت تاريخ آل الحرفوش، وبالرغم من ذلك فقد تعرض صحة مبدأ تشيع هذه الأسرة للكثير من التشويه والأوهام من قبل البعض من المؤرخين، فقال أحدهم: "تظاهر أمراء آل الحرفوش بالانتماء إلى الشيعة ليسا يروا سكان المنطقة التي تولوا أمر إقطاعها"⁽²¹⁹⁾.

وأوضح آخر كيف أصبحوا دروزاً: "أن بلاد بعلبك التي تحكمها آل الحرفوش، كانت تخضع لسلطة آل تنوخ، ولا يستبعد أن يكون أمراء تلك العائلة، قد اعتنقوا الدعوة التوحيدية إرضاء لساداتهم"⁽²²⁰⁾، بينما دحض آخر الآراء المذكورة أعلاه وكان له رأي مغاير: "عمرت البلاد

(بولس نعمان وآخرون، المارونية في أمسها وغدها، منشورات دير سيدة القصر، بيروت، ١٩٩٧، ص 216)
٢٨-٢٩؛ متي موسى، الموارنة في التاريخ، دار قدس للنشر والتوزيع، دمشق، ٢٠٠٤، ص ٢١-٢٢.

(أحمد باشا الجزار: أحمد البوشناق (١٧٣٤-١٨٠٤م)، أصوله من البوسنة والهرسك، يعود لأسرة 217)
مسيحية، لقب بالجزار، لأنه يذبح خصوم وأعداء أسياده. للمزيد ينظر: أحمد حيدر الشهابي، قصة أحمد باشا الجزار بين مصر والشام وحوادثه مع نابليون بونابرت، تح: عبد العزيز جمال، مكتبة مدبولي، القاهرة، ٢٠٠٨، ص ٧٧-٧٨.

(محسن الأمين، المصدر السابق، ج ٢، ص 218.

أسد رستم، آراء ومباحث علمية، منشورات الجامعة اللبنانية، بيروت، ١٩٦٧، ص ١٠٤. 219

(رياض حسين غنام، مقاطعات جبل لبنان في القرن التاسع عشر، مج ١، بيسان للنشر والتوزيع، بيروت 220)
٢٠٠٠، ص ١٧٩.

وأنيعت الأراضي، وجر تيار المسيحية حكامه أنفسهم، من آل شهاب المسلمين وحرفوش الشيعي، فتنصروا، وأصبح لبنان معقل الكاثوليكية في الشرق" (221).

وفسر آخر أن من ذرية تلك العائلة من تولى عن تشيعه واستبدله بمذهب آخر، وهذا القول لا صحة له، حيث وجد في تلك البلاد من حمل الاسم نفسه دون أن تجمعهم معه أية رابطة قرابة، وإنما كان مجرد تشابه في الاسماء فقط(222).

قلاع أمارة آل الحرفوش :

- * بعلبك .
- * اللبوة .
- * العين .
- * رأس بعلبك .
- * حدث بعلبك .
- * سرعين .
- * كرك نوح .
- * قب اليأس .
- * مشفرة (٢٢٣) .

الحياة الاجتماعية في إمارة بعلبك ابان حكم آل الحرفوش :

انقسم المجتمع في إمارة بعلبك وبلاد البقاع، طيلة مدة حكم الأسرة إلى ثلاث طبقات، هي:
اولاً: طبقة الحكام:

تتكون هذه الطبقة على نحو اجمالي من أمراء آل الحرفوش الذين عاشوا في مركز حكمهم وحكم ابائهم وأجدادهم في إمارة بعلبك، وفي القرى والبلدات التابعة لها، أما من غير الأسرة، فمنهم من يكون (كبير التجار - قائد عسكري-شيخ الطوائف الحرفية -قاضي المدينة)(224).

ثانياً: طبقة الاعيان:

(الخوري بولس قرالي، فخر الدين المعني الثاني - حاكم لبنان، دار لحد خاطر، بيروت، ١٩٩٢، 221 ص ٤٤.

(ومنهم : آل الحرفوش في بكاسين، أصلهم من قرية بشعلي، آل الحرفوش المسيحيين يعود أصلهم إلى 222)
العاقورة من أسرة أبي الغيث، ويوجد ايضاً في بعبدا، فرع من آل الحلو، وغيرهم . للمزيد ينظر : المعلوف،
دواني القطوف، ص ٦٦٩.

(نصر الله، تاريخ كرك نوح، ص 223.٢٣٣)

تشكلت هيئة الأعيان في الإمارة من غير أبناء العائلة الحاكمة، وتشمل (نقيب الاشراف- العلماء- مشايخ التجار والحرف- مشايخ البلدات والقرى) وتتكون عموماً من اشخاص يمثلون الطبقة الاجتماعية، التي في قمة النظام الاجتماعي لمدينة بعلبك، بعد طبقة الحكام في السلك الاجتماعي⁽²²⁵⁾.

ثالثاً: الطبقة العامة:

وتتكون العامة في بلاد بعلبك من:

١- **العامة المدنية:** تشمل العامة المدنية في الامارة من (الحرفيين والصناع- صغار التجار واصحاب الحوانيت والخانات والحمامات- ومشايخ الاحياء والحارات)، وكان عملهم منظماً، ذا دخل محدود، ويشكلون نسبة لا بأس بها من المجتمع في بعلبك.

٢- **العامة الريفية:** تتألف العامة الريفية في البلاد من الفلاحين والمزارعين والكادحين في الأرض، يعملون فيها لتحسين أحوالهم والعيش من خيراتها. وهم الذين يقع على عاتقهم دفع الضرائب للأسرة الحاكمة، ويشكلون غالبية سكان المدينة⁽²²⁶⁾.

أمام تلك المعطيات، فإن إمارة آل الحرفوش مثلها، مثل باقي الدول، تتكون من مجموعة من الأفراد يمارسون نشاطهم على اقليم جغرافي محدد، ويخضعون لنظام سياسي معين متفق عليه فيما بينهم، يتولى شؤون الإمارة، وتشرف على أنشطة سياسية واقتصادية واجتماعية، الذي يهدف إلى تقدمها وازدهارها، وينقسم إلى طبقات، وعلى راسها طبقة آل الحرفوش، ونشأت تلك الإمارة، على ضوء نظرية القوة، وبحسب هذه النظرية، أن الإمارة نشأة من خلال سيطرة الأقوياء على الضعفاء، إذ اعتمدت على القوة، والنفوذ، وكثرة العدد، في الوصول إلى الحكم.

الصراعات الداخلية بين أمراء آل الحرفوش: المبحث الثالث

تعد الصراعات الداخلية من أعظم الأسباب، التي أدخلت الوهن والضعف على أمراء آل الحرفوش، ونحتت من قوتهم، وأظفرت أعدائهم بهم في كثير من الوقائع، تتازعهم الذميمة على حكم الإمارة، كما كان ذلك بشأن سواهم من الأمراء المجاورين وحكام الإقطاعات المتاخمة لهم، وهكذا أصبحت تلك الإمارة في نزاع طويل الأمد، ثقل العبء، منهمكة القوى⁽²²⁷⁾.

يمكن القول، بأن الصراعات الداخلية والأهلية، تمثل طبيعة معقدة أو مركبة مبنية، على أسس سياسية واجتماعية واقتصادية، بأبعاد داخلية، وخارجية، وذات امتدادات تاريخية، ومن هنا

(٣) فؤاد خليل، المصدر السابق، ص ١١٨-١٢٠؛ نصر الله، تاريخ بعلبك، ج ١، ص ٥١٥.

(٤) نصر الله، الحياة الاجتماعية في بعلبك، ص ٥٧،

(٢٢٧) سليمان ظاهر، المصدر السابق، مج ٣، ص ١٤.

فأن أسباب ومحركات تلك الصراعات تتداخل مع هذه الطبيعة المركبة، بكل جوانبها وابعادها المشار إليها.

نمت الصراعات الداخلية بين أمراء أسرة آل الحرفوش ، طيلة سنين حكمهم بأمانة بعلبك ، من خلال مستويين:

– المستوى الأول (الخارجي):

عملت السلطة العثمانية على أيقاع الفتن بين أمراء الأسرة نفسها، وبينهم وبين أقاربهم وحلفائهم من المناطق المجاورة، بأغراء بعضهم على بعض، من أجل تفريقهم والنيل منهم، وهو يعد مثابة سلاح ذي حدين بيد الولاة والحكام العثمانيين، الذين كانوا يعتمدون عليه للنيل من أعدائهم العرب، فاشهروا عليهم بأيديهم واحلوا به عقد عصبيتهم، وفرقوا وحدة جماعتهم، ونتيجة ذلك استمرت علاقة هؤلاء الأمراء مع السلطة المركزية متوترة، على هيئة سلسلة من الازمات المتلاحقة، ما أن تنهي أحدهما برشوة الوالي العثماني حتى تبدأ أخرى⁽²²⁸⁾.

– المستوى الثاني (المحلي):

أستغل بعض من أمراء الأقطاعات المجاورة، ذو أصحاب النفوس الضعيفة والطامعين بحكم المدينة من أفراد آل الحرفوش الحاكمة في بعلبك، واستعمالهم كأدات لأثارة الفتن وتنميتها، أحياناً بين الأخوة الأمراء، وأحياناً أخرى بينهم وبين أقاربهم، واستغلال تلك النتائج لصالحهم، انطلاقاً من مبدأ فرق تسد⁽²²⁹⁾، وتتمثل بسببين، هما:

١- طموح بعض

من أمراء القبائل في الاستحواذ على المدينة، لتوسيع حدود إمارتهم، ولأهمية موقع بعلبك.

٢- الخوف والحقد

الذي تملك البعض من شيوخ المقاطعات المجاورة، ومنهم (أمراء آل معن، بنو الفريخ، آل سيف)، عند ازدياد نفوذ آل الحرفوش وسطوتهم كالأمر موسى بن علي والأمير يونس، فسعوا أمراء تلك المقاطعات إلى العمل على القضاء عليهم^(٢).

(فؤاد خليل، المصدر السابق ، ص ٥٥؛ نصر الله ، تاريخ بعلبك ، ج ١، ص ٢٧٤. 228)

(١) كرامة ، المصدر السابق ، ص ١٠؛ ستيفن ونتر ، المصدر السابق ، ص ٢٩٠.

(١) وخصوصاً بعد الأهمية التي وصل إليها موسى من سعيه إلى احلال الصلح والوئام في الفتنة، التي حدثت بين أمراء الفرقة الدائمة للجند في حلب وبين والي حلب نصوح باشا عام ١٦٠٣م. للمزيد ينظر: راجع الفصل الثاني ، ص ٩٥.

(٢) الصفدي ، المصدر السابق ، ص ١٣٣؛ الدويهي ، المصدر السابق ، ص ٤٧١.

(٣) فؤاد خليل ، المصدر السابق، ص ٣٩.

تقسم مراحل النزاعات الداخلية التي نمت وتكونت بين افراد تلك الأسرة، طيلة مسيرتهم التاريخية بحكم المدينة، بمرحلتين، هما:

-المرحلة الأولى (مرحلة النشوء):

زرع بذرة الشقاق الأولى بين أفراد عائلة آل الحرفوش لخلق الفتن والنزاع، في أواخر حكم الأمير موسى بن علي بن أحمد الحرفوش (١٥٩٠-١٦٠٧م)، بغية أضعافهم، إذ أستجد الأمير يونس (١٦٠٧-١٦٢٧م)، بالأمير فخر الدين المعني الثاني (١٥٧٢-١٦٣٥م) والي جبل لبنان خوفاً من ابن عمه الأمير موسى خلال نزاعهما على الإمارة عام ١٦٠٥م، فأجاره أمير الجبل، وتولى بلاد بعلبك بمدده عام ١٦٠٧م، وبمساعدة والي دمشق أحمد الحافظ باشا (١٦٠٦-١٦٠٧م)^(٣).

هنالك عدة أسباب، دفعت البعض من أمراء المقاطعات المجاورة، وأهمهم الأمير فخر الدين المعني الثاني بالاتفاق مع والي دمشق، بشحن الخلافات بين الأمير موسى مع ابن عمه الأمير يونس، من أهمها:

١- لما يمتلكه

الأمير موسى من مزايا كثيره أثارت أعجاب الكثيرين حوله، كالشجاعة والفروسية والجود، فضلاً عن امتلاكه الحكمة في تسوية المشاكل^(٤).

٢- ذاع صيته بين أمراء المناطق المتجاورة، واستطاع أن تكون كلمته مسموعة، حتى في دار السلطة.

٣- باستطاعته أن يجند في الحملات التي يقوم بها خمسة عشر ألف مقاتل أو أكثر.

٤- أمتنع عن دفع الضرائب المترتبة عليه^(٢٣٠).

وتلك الامور لم يتقبلها الأمير فخر الدين الثاني بطيبة خاطر، بل سعى كعادته إلى التخلص منه، ووجدوا في اتمام هذا الأمر مناسب عام ١٦٠٧م، على أثر العصيان، الذي قام به علي بن جانبولاد مع الأمير المعني الثاني، ضد السلطان العثماني أحمد الاول (١٦٠٣-١٦١٧م)، وفشل مساعي الأمير موسى بن الحرفوش في أحلال الصلح⁽²³¹⁾.

الصراع الداخلي في عهد الأمير يونس :

أثناء عهد الأمير يونس عزل الوالي أحمد الحافظ باشا، وعين سلحدار محمد جركس باشا عام (١٦١٥-١٦١٧م)، فطمع الأمير شلهوب ابن عم الأمير يونس بحكم البقاع، فذهب الأمير شلهوب إلى الباشا الجديد، وطلب منه التزام مقاطعة البقاع، مقابل أثني عشر ألف قرش، وأعطاه

(٤)المحبي ، المصدر السابق ، ج٤، ص ٤٣٢.

(نصر الله، تاريخ بعلبك ، ج١، ص ٢٣٤؛ كرد علي ، خطط الشام ، ج٢، ص 231.١٥٦)

حكم الولاية، وبعث معه جيشاً مكون من خمسمائة فارس، ولما وصل إلى بلدة قب الياس، وكان حينذاك حاكماً عليها الأمير حسين بن يونس، فأبى الأخير أن تسليمها له، وعسكر الجيش وعلى رأسه الأمير شلهوب بقرية مكسه، ثم حضر الأمير يونس إلى كرك نوح، وبعث والي دمشق صوباشي وكيلاً عنه ليتولى حل الخلاف، وجرت مفاوضات بينهما، وانتهت بدخول الأمير شلهوب إلى قلعه قب الياس عام ١٦١٥م، وخروج الأمير حسين منها، فدخلها وضبط البلاد لمدة شهرين⁽²³²⁾.

فما كان من الأمير يونس إلا أن كثف اتصالاته، وبذل الاموال الطائلة، من أجل ارجاع البلدة، فذهب لمقابلة الصدر الاعظم محمد باشا الموجود في حلب، وأهداه أربعين ألفاً ذهباً، فضلاً عن خدماته، مقابل التزام بعلبك والبقاع، فقرر محمد باشا إعادة التزام البقاع وبعلمك إلى الأمير يونس ورجع الأخير من تلك المدينة ومعه الأوامر إلى دمشق، بتنفيذ هذا الأمر عام ١٦١٦م، ورفع يد الأمير شلهوب من تلك البلاد واعادتها إلى أميرها السابق، حينذاك تسلم الأمير يونس حكم البقاع، وعاد ولده الأمير أحمد إلى قلعة قب الياس، وولده الأمير حسين تعهد بحكم بعلبك⁽²³³⁾.

وعندما سنحت الظروف للأمير المعني الثاني، على أثر انتصاره بمعركة عنجر⁽²³⁴⁾ عام ١٦٢٣، أعاد الكرة مرةً أخرى إلى التخلص من أمير بعلبك، وهنالك أمران دفعا هذا الأمير للقيام بهذا العمل، هما:

- **الأمر الأول:** رأى الأمير المعني أن الأمير يونس، يقف عائقاً كبيراً، يمنعه من التوسع نحو جنوب البقاع، لذلك وجد في معركة عنجر ١٦٢٣م، فرصة مؤاتية للحليفين المتنافسين، من أجل تصفية كل منهما حساباتهما السياسية مع الآخر^(٢٣٥).

- **الأمر الثاني:** إن النصر الذي حققه المعني على والي دمشق مصطفى باشا (١٦٢٣-١٦٢٤م) وحليفة بن الحرفوش في تلك المعركة، كان دافعاً قوياً لوضع النهاية الحاسمة لحكم الأمير يونس. إذ بادر أمير الجبل بعد المعركة إلى احتلال بعلبك، ونهبها، والاستيلاء على الحصون، وولى عليها الأمير شلهوب بن الحرفوش من جديد عام ١٦٢٣م^(٢٣٦)، دفعت تلك

(الصفدي، المصدر السابق، ص ١٣٣. 232)

(المحبي، المصدر السابق، ج٤، ص٢٩٥، الدويهي، المصدر السابق، ص ٤٧١. 233)

(معركة عنجر: وقعت بالقرب من مجدل عنجر في (٣١/تشرين الاول/١٦٢٣م)، بين جيش الامير 234
فخر الدين المعني الثاني وجيش الدولة بقيادة والي دمشق مصطفى باشا وحليفة الامير يونس الحرفوش،
وانتهت بهزيمة الجيش العثماني وأسر والي للمزيد ينظر: فؤاد خليل، المصدر السابق، ص ٥٤.

(فؤاد خليل، المصدر السابق، ص ٥٥؛ ميخائيل الوف، المصدر السابق، ص ٧٢. 235)

(يوسف الدبس، مختصر تاريخ سوريا، ج٢، ص ١٦١؛ بازيلى، تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين، ص ٣٦. 236)

الحادثة بالأمير يونس على الانتقام من شلهوب، وهو الأمير ابن الأسرة، الذي يحمل الاسم نفسه والدم نفسه، وبالرغم من ذلك سعى الأمير يونس على تحريض الوالي مصطفى باشا على قتل ابن عمه، مقابل هدية قدرها ثلاثين ألف قرش، وبعث الباشا مجموعه من رجاله للقبض على الأمير شلهوب، والاستيلاء على املاكه، وعندما حضر الأخير إلى دمشق، أمر الوالي بسجنه، وبعد يومين تم قتله داخل السجن بأمر من الوالي^(٢٣٧).

على ما يبدو، إن مواقف الأمير المعني وولاة دمشق تجاه (الأمراء)، رغم اختلاف دوافعهما، وما تبطن تلك المواقف من مصالح، إلا أنها صبت في الغاية نفسها، هي زرع بذرة الفتنة وتنمية بوادر النزاعات، وتهيئة الساحة الداخلية لحدوث الانشقاق والانقسام بين صفوف الأمراء، حتى وصولها إلى الذروة بين أفرادها.

-المرحلة الثانية (مرحلة الذروة):

هي المرحلة التي وصلت فيها الصراعات الداخلية بين أفراد آل الحرفوش إلى القمة، إذ تفاقمت حدتها وتصاعدت نيرانها داخل الأسرة، ونشرت الفوضى ووضعت الأمارة على حافة الهاوية، ظهرت تلك المرحلة في نهاية حكم أولاد الأمير يونس (حسين ومحمد) في عام ١٦٥٦م، خاصة في عهد أخيهما الأمير علي (١٦٦١-١٦٦٦م)، إذ وصلت إلى ذروتها، حينما أستجد الأخير بوالي دمشق أحمد كجك باشا (١٦٦٦-١٦٦٧م)، على أولاد عمه (عمر وشديد ويونس)^(٢٣٨)، فأمدّه الباشا بقوه عسكر، وهزم الأمير علي أولاد عمه المذكورين، أثر مواجهة عسكرية دارت بينهما عام ١٦٥٦م، ونهب أرزاقهم وأحرق دورهم، ومكنه بعد ذلك من أستلام زمام الحكم في بعلبك في العام نفسه، وبقي فيها حاكماً، واستمرت النزاعات العائلية على حالها، إلى أن توفي عام ١٦٦٦م، إذ قتل في غمرة أحداث شغب لم تصل موثقة من أي مصدر يركن إليه^(٢٣٩).

الصراع العائلي في عهد الأمير عمر (١٦٦٦-١٦٨٣م) :

تركت تلك النزاعات بين أمراء آل الحرفوش، أثراً سلبياً على نفوذ الأمراء وسطوتهم بين سائر المقاطعات المجاورة، إذ أدت إلى اخراج حكم المدينة من أيدي أولئك الأمراء، فقد أستأجرها الأمير فارس الشهابي من الدولة العلية عام ١٦٨٠م، وبوساطة والي دمشق حسن باشا (١٦٧٩-١٦٨٣م) وتسمية شهابي حاكماً عليها، وتلك هي المرة الأولى التي تولى فيها شهابي حكم بعلبك، وهذا العمل اغضب آل الحرفوش، جمع الأمير عمر فرسانه وداهم الشهابي ورجاله

(سليمان ظاهر، المصدر السابق، مج ٣، ص ١٧؛ محسن الأمين، المصدر السابق، ج ٧، ص ٣٥٠.)^{٢٣٧}

(يوسف الدبس، المصدر السابق، ص ٢٤٣؛ فضل رعد، المصدر السابق، ص ٣٨.)^{٢٣٨}

(نصر الله، تاريخ بعلبك، ج ١، ص ٢٧٤.)^{٢٣٩}

ليلاً في قرية نيجا⁽²⁴⁰⁾ وانجلت المعركة عن مقتل الأمير فارس مع عدد من رجاله⁽²⁴¹⁾، فاستعاد آل الحرفوش سلطتهم على بلاد بعلبك في العام نفسه⁽²⁴²⁾، وعاد الأمير عمر إلى حكم بعلبك، ولكن خلافاته مع أقاربه، سرعان ما لبثت وعادت كالسابق، وأثناء هذه الظروف تعرض لوعكة صحية شديدة توفي على أثرها عام ١٦٨٣ م⁽²⁴³⁾.

الصراعات في عهد الأمير شديد (١٦٨٣-١٦٩٢م):

على مدى سنوات حكم الأمير شديد، لم يناعه أي أمير سواء من نفس الأسرة، أو من الأقارب على حكم الأمارة، وبالرغم من علاقاته المتدهورة مع السلطة العثمانية، وهذا ما أوحى بأنه أمتلك شخصية قيادية، مكنته من التحكم بكل واردة أو شاردة⁽²⁴⁴⁾.

دل ذلك ، على إن أسرة آل الحرفوش في عهد الأمير شديد، متمسكة ببعض السطوة في المدينة في تلك المدة الزمنية، إذ لم يسمح الأمير لأي كان، التدخل بالشؤون الداخلية للبلاد.

الصراعات في عهد الأمير حسين (١٦٩٢-١٧٢٤م):

أشتهر الأمير حسين، بأنه ذا، قوة ونفوذ، أتصفت السنين الأولى من حكمه بهدوء نسبي واستقرار سياسي، إذ التجأ إليه بعض الشيوخ طالبين مساعدته⁽²⁴⁵⁾، واستمر على ذلك النهج إلى أن تعرضت مكانته السياسية المعروفة لمشاحنات داخلية عنيفة عام ١٧١٢م، على حكم البلاد من قبل أمراء الأسرة، ما لبثت أن تصاعدت حدتها عام ١٧٢٤م، وشملت عامة السكان في المدينة، حيث توجت في ثورة عنيفة تحت مسمى (جنينة اللطامة)⁽²⁴⁶⁾، نشرت الفوضى في أنحاء بعلبك، وافقدتها طابعه كمركز للأمارة، إذ اشترك فيها أهالي المدينة، ضد الأمير حسين وأتباعه، ونتج عنها اعظم نكبة في تاريخ المدينة عامة، وتاريخ العائلة خاصة، ولاسيما أن

(٢٤٠) نيجا: وهي قرية تقع بالقرب من بلدة يونين غربي بعلبك. للمزيد ينظر: نصر الله، الحياة الاجتماعية في بعلبك، ص ٢٧٦ .

(٢٤١) ينظر: الفصل الثالث، ص ١٦٤ .

(الدويهي، المصدر السابق، ص ٥٦٩؛ كرد علي، خطط الشام، ج ٢، ص ٢٦٤. ²⁴²)

(٢٤٣) أسد رستم، لبنان في عهد الامراء الشهابيين، ج ١، ص ٤٣..

(٢٤٤) يوسف مزهر، المصدر السابق، ص ٣٩٧؛ بن كنان، المصدر السابق، ص ٤١.

(٢٤٥) التجأ إليه يوسف الدحداح والأمير حيدر الشهابي، عندما طرده بشير الشهابي والي صيدا، وعين مكانه يوسف علم الدين عام ١٧٠٩م، وشارك أيضاً في معركة دارا عام ١٧١١ م .

(١) ثورة اللطامة: بدأ الصراع على النفوذ والسلطة في بعلبك، بين أهالي المدينة واغلبهم من السنة وبين امراء آل

الحرفوش، وسعت الأهالي يجهزون حملات متتابعة إلى إنهاء حكم آل الحرفوش ،بدفع من ولاية دمشق لكن

أمير بعلبك حينها حسم امرهم، ذلك بالقضاء على المتمردين، وسميت باللطامة (نسبة إلى الطم على الوجه

والصدر)، والتي حدثت قرب قلعة بعلبك. للمزيد ينظر: قاسم الرفاعي، المصدر السابق، ص ٦٩؛ نصر الله،

الحياة الاجتماعية في بعلبك، ص ٨٧

أحداث ذلك العام، فتكت بطوائف البلاد وأهلها حيث قضوا آل الحرفوش على عدد كبير منهم، وعمدوا إلى بيوتهم فأحرقوها، وإلى بساتينهم فقطعوا أشجارها، ونزح عنها أكثر من مئة عائلة، تجاوز عدد أفرادها عشرين عائلة منها، الخمسمائة شخص، وهجروهم إلى بلدة الزيداني ودمشق، ومنذ ذلك الحين أصبحت المدينة، تبدو وكأنها قرية لا يزيد عدد سكانها عن خمسة آلاف نسمة، وقد لقي الأمير حسين مصرعه في تلك الأحداث⁽²⁴⁷⁾.

الصراعات في عهد الأمير إسماعيل بن شديد (١٧٢٤-١٧٣٣م):

اتسم عهد الأمير إسماعيل، بكثرة الخلافات مع والي دمشق عثمان باشا أبي الطوق (١٧٢٣-١٧٢٥م)، بسبب الحوادث، والفوضى، التي انتشرت في المدينة، وأهمها حادثة حزيان عام ١٧٢٩م⁽²⁴⁸⁾، لذا أصبح في مسار تصادمي مع السلطات العثمانية، فعملوا أولئك الولاة، على إثارة مشاكل بينه وبين أولاد عمه (الأمير محمد، والأمير سلطان)، عام ١٧٣١م، وتصاعدت حدتها، فرأى والي دمشق عبد الله باشا ايضنلي (١٧٣١-١٧٣٤م) وقتها، بأن أسرة آل الحرفوش، أصبحت غير مؤهلة لحكم المدينة، ونتيجة ذلك تبعت الأمانة في عهده إلى الحكم الشهابي عام ١٧٣١م، وكانت تلك الغاية الأساسية لولاة دمشق، كما أكد ذلك وجود عقد مشاركة محفوظ في سجلات المحكمة الشرعية في دمشق⁽²⁴⁹⁾ وتمكن الأمير من الامساك بزمام أمور الحكم في الأمانة في العام نفسه⁽²⁵⁰⁾.

الصراعات في عهد الأمراء (حيدر وحسين):

خلف الأمير إسماعيل الحكم من بعده ولداه (حيدر وحسين)، عام (١٧٣٣-١٧٦٣م)، فكانا على وفاق في أول أمرهما، ولكن التدخلات العثمانية والمطامع الشهابية، قد فرقتهما وبينهم ودب الشقاق على الحكم بينهما عند وفاة والدهما عام ١٧٣٣م، فتنازعا وتبادلا الأمانة أكثر من مرة، فتمكن الأمير حسين في بادئ الأمر من حكم بلاد بعلبك، ولكن عهده تعرض لمناوئة شقيقه حيدر ما فسح المجال إلى ارتهان الأمانة، بسبب تدخلات والي دمشق تارة، وأمير الجبل ملحم الشهابي تارة أخرى⁽²⁵¹⁾، أمام تلك المشاحنات الداخلية، أناط والي دمشق أسعد باشا العظم (١٧٤٣-١٧٥٧م)، أمر بعلبك إلى الأمير ملحم الشهابي عام ١٧٤٨م، ليأمن نتائج تلك المشاحنات، ويصون خراج البلاد، لكنه ما لبث أن نقم على الشهابي لتأخره عن دفع المرتبات

(٢) فضل رعد، المصدر السابق، ص ٤١؛ الدويهي، المصدر السابق، ص ٥٦٧.

(٢٤٨) فؤاد خليل، المصدر السابق، ص ٤٣.

() ستيفن ونتر، المصدر السابق، ص ٢٦٧؛ نقلاً عن : مكرزل، الوثائق التاريخية في دمشق، دار 249 (الكتاب، دمشق، د.ت، ٢٨٦.

(حمادة، المصدر السابق، ج ١، ص ٣١٤؛ أحمد البديري، المصدر السابق، ص ٧١. 250

(حيدر الشهابي، لبنان في عهد الأمراء الشهابيين، ص ٧٦. 251

الأميرية، فاستدعى والي دمشق حينها حليفه الأمير حيدر الحرفوش واقره على بعلبك، ثم تجهزاً بجيش لمحاربة الأمير ملحم الشهابي وحليفة الأمير حسين بن الحرفوش، إلا أن النصر كان إلى جانب أمير الجبل وحليفه، فعاد الوالي إلى دمشق خاسراً، ومن ثم توجه إلى الحج، فاستقل الشهابي فرصة غياب والي دمشق، وتقدم بجيش نحو بعلبك مع حليفة بن الحرفوش، فنهبها وعين عليها الأمير حسين حاكماً بعد أن فر منها شقيقه الأمير حيدر إلى بلاد القلمون شرقي بعلبك⁽²⁵²⁾، بقي الأمير حسين حاكماً للمدينة حتى عام ١٧٥١م، وفي هذا الوقت كان الصراع بين الأخوين قد بلغ ذروته، فحيدر قد روع المنطقة في سعيه لاستعادة السلطة، حينئذ دهمه الأمير حيدر مع اثنين من جماعته وقتله في ذلك العام، حين كان خارجاً من الجامع، فأخذ الأمير حسين بعد ذلك بزمام الأمور في بعلبك⁽²⁵³⁾.

يمكن القول، إن الصراع الدائم بين الأخوين يضمن فعلاً أن أحدهما، كان متسلماً لحكم بعلبك، ولاسيما أن تلك المشاحنات عادت بالمنفعة لأشخاص آخرين أكثر أهمية، وأكثر نفوذ وقوة في المنطقة، وأن ذلك النزاع فتح مجالاً واسعاً للتدخلات الخارجية في شؤون الإمارة، عن طريق نصرة أحد المتنازعين، فكانا يتناوبان على الحكم حسب موازين القوة، فيستقر أحدهما في دار الإمارة، بينما يتحصن الآخر في القرى الجبلية البعيدة ليخرب على أخيه، ويستعد لجوله أخرى في استعادة حكمه، ولم ينتهي هذا النزاع، إلا باغتيال أحدهما، الذي وضع حداً لنزاع طويل الأمد.

عندما أستلم الأمير حيدر زمام الحكم في المدينة عام ١٧٥١م، لقي معارضة شديدة من مفتي المدينة يحيى افندي وانصاره، فقتل الأمير الأخير المفتي المعارض وشقيقه، وهدم داريهما، ونتيجة ذلك تم عزله عن بلاد بعلبك من قبل والي دمشق أسعد باشا في عام ١٧٥٦م، فأبى الخروج منها، وأمر جميع سكانها بالرحيل وهدد كل من بقي فيها بعد ثلاثة أيام بالسلب والنهب، إلا أنه ما لبث أن غادرها، ليضمن التزامها من بعده إلى ابن عمه الأمير حسين بن عمر⁽²⁵⁴⁾، فانصرف الأخير إلى جمع الأموال، لتقديمها إلى والي دمشق، وقام بفرض ضرائب باهضة على السكان بسبب ما أصابها من خراب نتيجة الأحداث الأخيرة، وقد عجز أهلها عن تأدية الأموال المفروضة عليهم وخرجوا عليه أهل المدينة، وفي ظل ظروف الأخيرة للمدينة، وضمن سياق الصراع الداخلي، تمكن الأمير أحمد بن حسين بن إسماعيل بن شديد بن عم الأمير حسين من ضبط مدينة بعلبك من قبل والي طرابلس حسن باشا، بمقطوع سنوي قيمته مئة كيس، أي

(أسد رستم، لبنان في عهد الأمراء الشهابيين، ج ١، ص ٣٧؛ حيدر الشهابي، لبنان في عهد الأمراء 252)

الشهابيين، ج ٢، ص ٤١؛ فؤاد خليل، المصدر السابق، ص ٦٠.

(ستيفن ونتر، المصدر السابق، ص 253.٢٩١)

(نصر الله، تاريخ بعلبك، ج ١، ص 254.٢٩٨)

خمسین الف قرش سنوي في العام نفسه، وظل فيها حتى تمكن بعد ذلك الأمير حيدر من استعادة الحكم عام ١٧٦٣م، وبقي قابضاً على أزمه الحكم إلى أن توفي عام ١٧٧٤م⁽²⁵⁵⁾.

يفهم مما سبق، بأن الأمير حيدر خلال مدة حكمه الطويلة، حكم ثلاثة أمراء من نفس الأسرة، فضلاً عن الشهابيين، وبالرغم من ذلك كان يثير المشاكل ويعلن العصيان، لكنه كان يتمكن من استعادة حكم الأمانة في جميع الظروف.

الصراعات في عهد الأمير مصطفى :

تولى حكم البلاد عام ١٧٧٤م، فنازعه في بادئ الأمر الأمير درويش بن الأمير حيدر، الذي قصد الأمير يوسف الشهابي طالباً مساعدته، ليكون حاكماً مكان أبيه، فلم يقتنع الأمير يوسف بهذا الأمر، لأنه رأى أن الأمير مصطفى أهل للحكم أكثر منه، فولاة على بعض القرى من بعلبك⁽²⁵⁶⁾، ولكن المنافس البارز له، كان الاخ الثالث، هو الامير محمد، إذ ثار الأخير على حاكم بعلبك عام ١٧٧٦م، الذي استطاع الوصول لحكم البلاد بمساعدة والي دمشق محمد باشا العظم (١٧٧٣-١٧٨٣م) مقابل خمسین الف قرش، وبعد حمله أحمد باشا الجزار على البقاع عام ١٧٧٧م، التي أدت إلى خراب المدينة، وحبس الكثير من رجالاتها، ومنهم الأمير محمد، حينئذ تمكن الأمير مصطفى من مقاومة جيش الجزار، واخراج جنوده من المدينة، فعاد إليها الأمير مصطفى حاكماً مرة أخرى⁽²⁵⁷⁾، بعد أن عاد الأمير إلى بعلبك، عادت من جديد تدخلات والي دمشق محمد باشا ومطامع يوسف الشهابي، التي انعكست سلباً على الاستقرار السياسي للأسرة، أدت إلى حدوث نزاع ثم انقسامات بين افراد العائلة اثرت سلباً على استقرارهم⁽²⁵⁸⁾، إذ ذهب الأمير محمد إلى دير القمر ١٧٨١م ، طالباً مساعدة الأمير يوسف الشهابي، وقد ارفده أمير الجبل بجيش قوامه خمسة الاف فارس، بقيادة ابناء عمه بشير بن قاسم وحيدر احمد، وتوجها برفقة الامير محمد ابن الحرفوش الى بعلبك، فدخلوا المدينة، واعادة إلى حكم بعلبك حتى عام ١٧٨٢م⁽²⁵⁹⁾، حين استطاع الامير مصطفى من استعادة حكمه مجدداً بمساعدة والي دمشق محمد باشا العظم، لقاء مبلغ وقيمته خمسة وعشرين الف قرش، وهرب الأمير

(عيسى اسكندر المعلوف ، تاريخ رحلة الفتاة ، ط٣، بيروت ، ١٩٨٤، ص ٩٣؛ فضل رعد ، المصدر 255) السابق ، ٤٤ .

(حيدر الشهابي، تاريخ الامير حيدر الشهابي، ج١، ص١٠٧؛ اسد رستم، لبنان في عهد الامراء 256) الشهابيين، ج١، ص ١٣٧ .

(فضل رعد، المصدر السابق، ص ٤٣؛ أسد رستم ، لبنان في عهد الأمراء الشهابيين ، ج١، ص ١٣٤. 257) (فؤاد خليل ، المصدر السابق ، ص ٦٢؛ ميخائيل الوف ، المصدر السابق ، ص ٧٧. 258) (محسن الأمين ، المصدر السابق ، ج١٠، ص ١٢٨. 259)

محمد مع أسرته إلى المجدل في جرد المتن، وبقي هناك إلى أن توفي في عام ١٧٨٤م⁽²⁶⁰⁾. ونظرا للظروف التي مرت بها الإمارة والمشار إليها سابقاً، عمل الأمير مصطفى على تحسين علاقته مع الأمير يوسف الشهابي، عندما استقر بحكم بعلبك، فتبادلا المفاوضات، وتم الصلح بينهما، لتقوية مركزه في البلاد، ولكن بعد اجتياح أحمد باشا الجزار لجبل عامل، وفرار بعض أهله والمشايخ، ومن بينهم الشيخ قبلان أحد مشايخ جبل عامل إلى بعلبك، واستقبلهم حاكمها، وقد اهدى للشيخ المذكور قريتي القاع ورأس بعلبك التابعتين لمطبخ والدة السلطان، فضلاً عن الهرمل، إذ قام بانتزاعها من يد يوسف الشهابي، وعلى أثر ذلك غضب والي دمشق محمود درويش باشا (١٧٨٣-١٧٨٤م) واتفق مع أحمد باشا الجزار، على إنهاء حكم تلك الأسرة من بعلبك⁽²⁶¹⁾، وضمن هذا السياق اجتاحتها والي عكا أحمد باشا الجزار بمساعدة العثمانيين، فقبض على كل من طالته يده منهم، وساقهم إلى دمشق، وأعدم عدد منهم، ومن بينهم الأمير مصطفى عام ١٧٨٤م⁽²⁶²⁾.

الصراعات في عهد الأمير جهجاه :

نُج الأمير جهجاه (١٧٨٧-١٨٧١م) من المذبحة التي قام بها الجزار، واستعان بأقاربه بن الخزاعة في العراق، ولكن عهده شهد تقاوم النزاعات الداخلية⁽²⁶³⁾، ١٧٨٧م، إذ قرر والي دمشق بطل باشا (١٧٨٦-١٧٨٧م)، التخلص من الأمير جهجاه بضربة بأحد من أفراد الأسرة نفسها عام ١٧٨٧م، إذ فوض والي دمشق حكم الإمارة إلى الأمير كنج بن محمد الحرفوش، حيث امده بجيش ضخم^(٢)، حينئذ استنجد الأمير جهجاه بالأمير يوسف الشهابي، والأمير شديد اللامي حاكم زحلة، فارسلوا له جيش، هزم به قوات والي دمشق الذين تحصنت في القلعة، أدى ذلك إلى غضب بطل باشا^(٣)، لكنه استطاع من استرضاء واسترداد حكمة بواسطة عباس التل، تصاعدت حدة المنازعات بين الأمير جهجاه مع أولاد عمه (الأمير إبراهيم، الأمير داود) في عام ١٧٩٤م، نتيجة تحريض والي دمشق إبراهيم باشا، وامدادهم بجيش كبير، لمداومة بعلبك في العام نفسه، ولكن الأمير جهجاه تصدى لهم بشجاعة وانتصر عليهم، حينئذ سعوا للانتقام منه، فنصبوا العداء بين الأمير جهجاه وبين أخوه عمر، للترقة بينهما، ذلك بضرب أحدهما بالآخر

(محسن الأمين ، المصدر السابق ، ج٣، ص١٣٩؛ الركني ، المصدر السابق ، ص٢٦٠.٨٧)

(المعلوف ، دواني القطوف ، ص٢١٨-٢١٩؛ نصر الله، تاريخ بعلبك، ص ٢٢٩. 261)

(١) كرامة ، المصدر السابق ، ص ٧٤.

(١) محسن الأمين ، المصدر السابق ، ج٦، ص ٣٥٠.

(٢) سليمان ظاهر ، المصدر السابق ، مج٣، ص ٤٠؛ المعلوف ، دواني القطوف ، ص ١١٠.

(٣) فؤاد خليل ، المصدر السابق ، ص ٦٨؛ المنير ، المصدر السابق ، ص ٦١.

(٤) نصر الله ، تاريخ بعلبك ، ج١، ص ٢٨٩.

بحجة أحقيته بتولي حكم الإمارة، فقام والي دمشق بتجهيز قوات ضخمة من دمشق، على رأسها الأمير عمر بن الحرفوش وبمساعدة أولاد عمه السابقين الذكر، والتقى الطرفان قرب تلك البلدة، ونشبت المعركة، وتمكن الأمير مصطفى من القبض على الأمراء فقتل أولاد عمه، وسمل عيني أخوه امام الجميع، لكي يكون عبره لغيره ممن طمعوا بالملك، ولكن هذا العمل أدى إلى استياء سكان بعلبك منه، وتحذروا من غدره^(٤).

وشهدت الإمارة بعد ذلك هدوء نسبي، إذ أخذت المنازعات تهدأ، ولو لسنوات قليلة لا تتعدى العقد من الزمن حتى عام ١٨٠٨م، و ثم عاد النزاع الأسري من جديد، حيث بدأت بوادر الشقاق والفتنة، ووقعت النفرة من جديد، بين الأخوين الأمير جهجاه والأمير سلطان عام ١٨٠٨م، فرحل الأخير إلى مدينة حمص مستاءً من أخيه، وعندها تدخل الأمير بشير الكبير شيخ الشهابيين واتم الصلح بين الأخوة الأمراء (جهجاه، وسلطان)، ولكن لم يدم هذا الصلح وتجدد الخلاف من جديد عام ١٨٠٩م، فاستغل بشير الكبير ووالي دمشق كنج يوسف باشا (١٨٠٧-١٨١٠م) تلك الخلافات لصالحهما، فدعم الأول الأمير جهجاه، وساند الثاني الأمير سلطان، بعد ما دفع له ثلاثمئة كيس، مقابل حكم المدينة وعزل أخيه عنها، ودخل الأمير سلطان بمساعدة جيش الوالي، وهرب منها الأمير جهجاه إلى الكرك وأرسل أهل بيته إلى عكار⁽²⁶⁴⁾، توسط أمير الشهابيين بشير لدى الوالي، بشأن عودة جهجاه لحكم المدينة، فوافق الوالي بشرط حضور جهجاه نفسه لمركز الولاية في دمشق، ولكن الأخير رفض مقابلة والي دمشق، وبقي متحذراً من هذه الدولة ورجالها وغدرها، إذ أنه كان خبيراً بوعودها الزائفة، بعدها ترك بلدة كرك نوح، وسار إلى عكار مع بعض انصاره، وخيم مثل بدو الصحراء في أراضي الشيخ علي بك الاسعد⁽²⁶⁵⁾، وبقي فيها ثلاث سنوات، وبعد ذلك طلب من الملا اسماعيل⁽²⁶⁶⁾ التدخل لدى والي دمشق عام ١٨١٠م، وإعادة حكم بعلبك اليه، مقابل خمسين ألف قرش، ودخل المدينة، بعد أن طرد منها الأمير سلطان، وتوجه الأخير إلى عكار، أثناء تلك الاحداث تم عزل والي دمشق كنج يوسف باشا وتعيين سلمان باشا السلحدار (١٨١٠-١٨١٨م)، فتوجه اليه الأمير سلطان، وطلب منه إعادة حكم الإمارة اليه، وأهداه مبلغاً من المال، قيمته أربعين ألف قرش، وبعدها فر جهجاه إلى الضنية هذه المرة ثم إلى الهرمل، وبقي منتظر مساعي صديقه إسماعيل في حماة،

(الشدياق ، المصدر السابق ، ج٢، ص ١١٨؛ الركني ، المصدر السابق، ص ٢٦٤.٩١)

(علي بك الاسعد : من أعيان عكا، وتولى حكم طرابلس في (١٨٢٤-١٨٢٦)، توفي عام ١٨٢٧م 265)

(الملا اسماعيل : متسلم حماة عام ١٨١٠م، غضب عليه الوالي سليمان باشا، فالتجأ الى بعلبك وعاد في 266)

نفس السنة الى منصبه . للمزيد ينظر : حيدر الشهابي، تاريخ الامير حيدر الشهابي، ج٣، ص ٥٧٢.

إلى أن تمكن أخيراً جهجاه من استعادتها عام ١٨١٣م، بعد أن زاد قيمة التزامها لدى والي دمشق الانف الذكر، وظل متسلماً لبعليك حتى تاريخ وفاته (267).

يستدل مما سبق ذكر، تميز نهاية عهد الأمير جهجاه، بنزاعه مع عدد من أفراد أسرته وكان آخرهم أخيه الأمير سلطان، وبتشجيع من ولاية دمشق الذين أبترزوا الأثنين معاً، فتبادلا حكم الأمانة والمنفى أكثر من مره، ما سهل لباشوات دمشق التدخل في شؤون المدينة .

الصراعات في عهد الأمير أمين :

عند وفاة الأمير جهجاه في السابع عشر من أذار عام ١٨١٧م)، فاستغل الوضع الأمير سلطان ونصب نفسه حاكماً عليها، وقد كان للأمير المتوفي ولداً، يدعى نصوح في الثانية عشر من عمره، فأخذة عمه الأمير أمين إلى والي دمشق سلمان باشا، فالتمس عم الأمير التزام بعليك، مقابل أربعين ألف قرش، فأعطاهم المبلغ، وهرب الأمير سلطان إلى الهرمل، والتجأ إلى بيت حمادة مشايخ المقاطعة (268)، وهكذا انتقل الحكم إلى الأمير أمين عام ١٨١٧م، حيث عمل هذا الأمير على توطيد علاقته مع والي دمشق الجديد سليمان باشا العظم (١٨١٩-١٨٢١م)، وطلب منه الأخير عام ١٨١٩م، بأن يطرد من بلاد بعليك المشايخ النكدية النازحين (269)، فجهز لذلك القوات وهاجم هؤلاء، حيث فروا من قرية معذر شرقي البقاع إلى قارا والنبك نواحي المشرق، وقد أثارت سياسة الأمير أمين شكوك ومخاوف الامير بشير الكبير الشهابي، لذلك أوعز إلى والي بعزل أمين وتعيين نصوح ، فلبى والي طلبه عام ١٨٢٠م، وأرسل قوات من الدولة، وهاجمت بعليك وهرب الأمير أمين منها إلى الهرمل (270)، وقد أستطاع الأخير من استرجاع بعليك بمساعدة آل حمادة، بعد أن جهزوا له قوات كانت تحت أمرته، ودخل المدينة، وهرب الأمير نصوح إلى زحله في العام نفسه، ومن ثم استقرت له الأمور في بعليك بعد ذلك (271) .

ذهب الأمير أمين إلى قرية بدنايل عام ١٨٢٥م، فقام الأمير نصوح مع أتباعه بمداهمته، فانهمز الأمير أمين (272)، ولكنه تمكن بعد ذلك من اعادة بعليك بمساندة جيش والي دمشق

(فؤاد خليل ، المصدر السابق ، ص 267.٣٨)

(نصر الله ، تاريخ بعليك ، ج ١، ص ٢٩٦؛ كرد علي، خطط الشام، ج ٣، ص ١٧. 268)

(أرسل عبد الله باشا الخزندار والي صيدا، يطلب من والي دمشق سليمان باشا العظم عام ١٨١٩م، بطرد المشايخ اليزيكية واحزابهم النازحين في بلادهم، والذين سخط عليهم الأمير بشير الكبير، فكتب والي إلى أمير بعليك وأمير راشيا، وأمرهم بطردهم من تلك البلاد. للمزيد ينظر: مخائيل الوف، المصدر السابق، ص ٨٠.

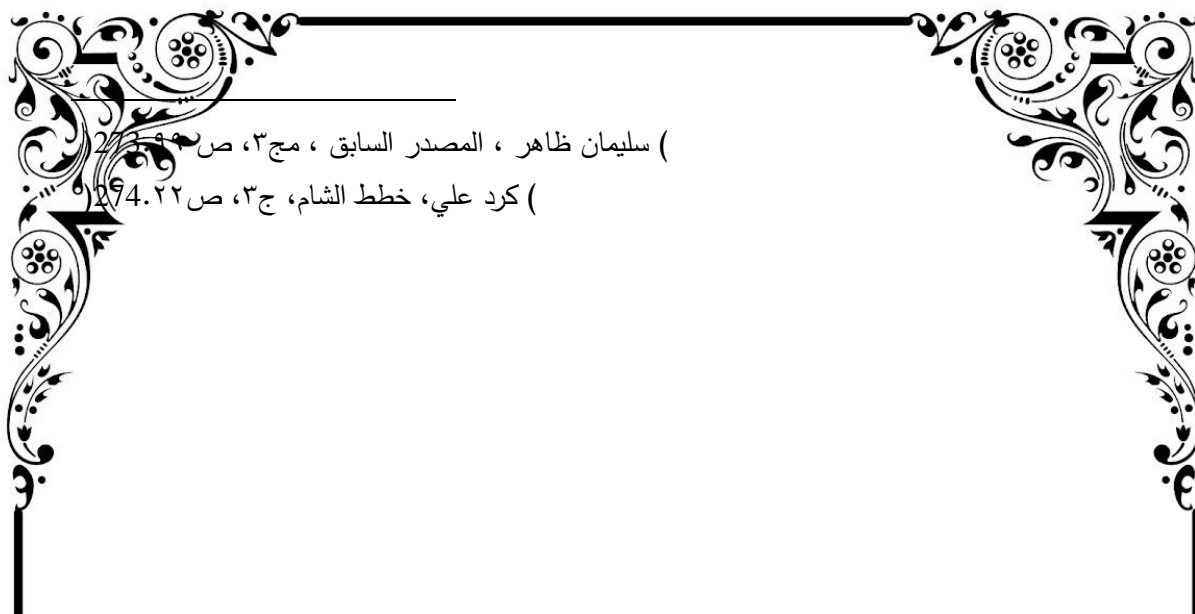
(الشدياق ، المصدر السابق ، ج ٢، ص ٤١٤؛ المعلوف ، زحلة الفتاة ، ص 270.٣١)

(فضل رعد، المصدر السابق ، ص ٤٥؛ سليمان ظاهر ، المصدر السابق ، مج ٣، ص 271.٩٩)

(فؤاد خليل ، المصدر السابق ، ص 272.٧٠)

مصطفى باشا (١٨٢٢-١٨٢٦م)، وعندها أقتنع الأمير نصوح، أن معاندة عمه لا تجديه نفعاً، فعاد اليه طالباً السماح والمغفرة منه، فطيب الأمير أمين خاطره، ولكنه طوى قلبه على الضغينة والكراهية، وقام بأرسال أحد من رجاله وأمره بخنق الأمير نصوح وهو نائم في قرية مجدلون عام ١٨٢٥م⁽²⁷³⁾، وحينذاك استقل الأمير أمين بحكم البلاد، إلى أن أحتل إبراهيم باشا بن محمد علي باشا المصري ولاية دمشق عام ١٨٣١م⁽²⁷⁴⁾.

يمكن القول، أن سياسة ولاية العهد العثماني، كانت عبارة عن مجموعه من عناصر الأطماع وارهاق سكان البلاد بالضرائب، والمصادرات، والهابها بالحروب المتتابعة، والقاء النفرة والشقاق والتفريق بين الطامحين في الولاية من المجاورين البعيدين والقربين، وبين أبناء الأعمام والاخوان والأولاد، وهذا هو شأن المتقلب الغريب في كل زمان ومكان، فضلاً عما عجزت عنه السلطة المركزية آنذاك من الاستعانة بأسره محليه أخرى ضد آل الحرفوش، خلال تاريخ حكمها، كما حصل مثلاً في الشوف، إذ عمد الولاة إلى التلويح بتعيين أسرة آل علم أو غيرها كلما شأؤوا أن يذكروا المعنيين، ثم الشهابيين، أن البديل جاهز، فقد عمد الباشوات في تلك المدة من الزمن إلى إذكاء التنافس بين أفراد الأسرة نفسها، ذلك بإصدار فرمانات متناقضة، تدفعهم للتقاتل فيما بينهم، مع الاهتمام والحرص على الاحتفاظ بأكبر دعم رسمي، ممكن يعزز موقعهم داخل الأسرة. ويرغمهم على تلبية جشع حكام الولاية المادي الذي لا يخدم.



(سليمان ظاهر ، المصدر السابق ، مج ٣، ص ٢٢٩)

(كرد علي، خطط الشام، ج ٣، ص ٢٢٠، ٢٢١)

الفصل الثاني

آل الحرفوش تحت الحكم العثماني

المبحث الأول: الاحتلال العثماني لمدينة بعلبك

المبحث الثاني: علاقات أمراء آل الحرفوش مع السلطة العثمانية

المبحث الأول: الاحتلال العثماني لمدينة بعلبك

بعلبك في العهد العثماني:

أنطلق بنو عثمان من أسيا الوسطى إلى شبه جزيرة الأناضول، حاملين راية الجهاد ضد البيزنطيين، مزودين بتراث إسلامي في مواجهة أولئك الأعداء، فاكتملوا بفعل ذلك شرعيتهم التاريخية الدالة على مشروع تاريخي كبير لم يلبث أن اتجه للانتقال من طور إمارة تعيش في كنف سلطة السلاجقة في قونية، إلى طور سلطنة مترامية الأطراف تشغل حيزاً من أحداث التاريخ العالمي في العصرين الوسيط والحديث على حد سواء، وعلى قاعدة هذه الشرعية، نجح العثمانيون في استيعاب الكتل الشعبية وجمعوها حول مشروعهم في نطاق خدمة أهدافه، وصيغ في سياق مراحل الأولى خطابات شعبية تستلهم شعارات، المساواة، العدل، والنخوة، ولم يلبث بعد ذلك أن احتوى عناصر جديدة أرفدته قوة وصلابة، وجعلته ينفذ على دوائر استيعابية أشمل من ذي قبل، ما جعل الدولة تتشكل من خليط هائل من الأقوام والشعوب، وقدمت الدولة العثمانية تجربة غنية ومعقدة في قانون الاستيعاب الإسلامي، وبلورته تاريخياً في دولة الخلافة الأخيرة التي أتخذت الإسلام كسابقاتها، عقيدة سلطوية حكمة، ومنظمة، لبنى العلاقات بين الحكام والمحكومين، هكذا جاء انضواء المنظمات الإسلامية ذات الصبغة العسكرية تحت لواء

المشروع الامبراطوري، وتعاضم وتيرة الحرب، يفسران إلى حد بعيد النجاحات السريعة والباهرة التي حققها ذلك المشروع في حركة فتوحاته الواسعة على امتداد القرون الثلاثة الأولى من تاريخ السلطة (275).

اعتلى السلطان سليم الأول عرش السلطة العثمانية في (٢٥/ نيسان/ ١٥١٢م)، وأرتبط أسم السلطان الجديد في التاريخ بمسألة التحول في سياسة الدولة العثمانية تجاه التوسع، وقد كان هناك أمران ينتظرانه، لهما الأثر البالغ في توجيه السياسة العثمانية، الأمر الأول، هو ازدياد النفوذ الصفوي في العراق وبلاد فارس (276)، وتهديد الدولة الصفوية للدولة العثمانية، في حين تضمن الأمر الثاني تصاعد الخطر البرتغالي في الخليج العربي (277)، وتهديدهم للأراضي المقدسة، فضلاً عن طموح السلطان العثماني سليم الأول بتوسيع بلاده، ولاسيما أن ارتبط اسمهم الجديد في التاريخ بمسألة التحول في سياسة الدولة العثمانية تجاه التوسع، وأجتاز السلطان العثماني عقبة الدولة الصفوية التي كانت تعوق حركة دولته وتهديدها بمعركة جالديران (279278).

(٢٧٥) فؤاد خليل، المصدر السابق، ص ٢٠-٢١.

(٢٧٦) نجح الشاه إسماعيل (١٥٠١-١٥٢٤م)، في أقامه دولة شيعية في بلاد فارس عام ١٥٠١م، وجعل المذهب الشيعي هو المذهب الرسمي للدولة، وبدأ يتطلع إلى توسيع دولته، فاستولى على العراق، وأرسل دعاته لنشر المذهب في الأناضول، ما أثار حفيظة الدولة العثمانية المجاورة، وبدأت المناوشات العسكرية في أواخر عهد السلطان بايزيد خان. للمزيد ينظر: بديع جمعة أحمد الخولي، تاريخ الصفويين وحضارتهم، دار الرائد العربي القاهرة، ١٩٧٦، ص ٣٣؛ رونالد ولبر، إيران ماضيها وحاضرها، تر: عبد النعيم محمد حسنين، دار الكتاب المصري، القاهرة، ١٩٨٥، ص ٩٨.

(١) اندلعت معركة ديو البحرية في (٣-شباط-١٥٠٩م)، قرب جزيرة ديو الهندية، بين الامبراطورية البرتغالية وبين أسطول مشترك من سلطنة المماليك البرجية من مصر والدولة العثمانية وسلطان كجرات، بالمساعدة البحرية التقنية من جمهورية البندقية وجمهورية راكوسا، التي انتهت بانهزام المماليك وحلفائها، وتعد تلك المعركة فاصلة من الناحية الاستراتيجية، إذ أدت بانتهاء سيطرة المسلمين على خطوط التجارة البحرية مع آسيا، وبدء السيطرة الأوروبية على الجانب البحري. للمزيد ينظر: شارل عيساوي، تأملات في التاريخ العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ١٩٩١، ص ١١١-١١٢؛ مارشال هودجسون، تصور تاريخ Rogers, San·Clifford J. Readings On The Military Transformation Of Early Modern Europe Press, 1995, P200، العددان (٢٦/٢٧)، ١٩٩٥؛

(٢٧٨) معركة جالديران: أعلن السلطان سليم الأول الحرب على الصفويين، وسار بجيشه من أدرنه متجهاً إلى تبريز، والتقى الجيشان في وادي جالديران في (٢٤/ ٤/ ١٥١٤م) وكانت معركة هائلة حسمت فيها المدفعية العثمانية النصر للسلطان سليم الأول، وتقهقرت جيوش الشاه إسماعيل الصفوي، ودخل السلطان العثماني تبريز حاضرة الصفويين، أثمر هذا النصر عن ضم السلطان سليم أراضي كثيرة من بلاد أرمينية الغربية، وما بين النهرين، وتبليس، وديار بكر، والرقعة والموصل، وأدت تلك المعركة إلى توقف التوسع الصفوي لمدة قرن من الزمان وجعلت العثمانيين سادة الموقف. للمزيد ينظر: عباس إسماعيل صباغ، تاريخ العلاقات العثمانية الإيرانية (الحرب والسلام بين العثمانيين والصفويين)، دار النفائس، بيروت، ١٩٩٩، ص ١٢٨-

بدأ في الاستعداد للخطوة الأخرى، كانت ذات أهمية خاصة، ونجاحها يجلب له نصراً خالداً، واتساعاً في رقعة دولته وازياد هيبتها وقوتها، فالدولة المملوكية، التي كانت تحكم بلاد الشام ومصر حينذاك، أصابها الوهن، ودب في أوصالها الضعف والانحلال، وأصبحت غير قادرة على مواجهة الخطر البرتغالي المتنامي في الخليج العربي، ولم يغب عن ذهن السلطان أن انتقال الخلافة العباسية من القاهرة إلى آل عثمان، يجعل منهم قوة معنوية كبيرة لدى المسلمين، ويضفي عليهم هبة وجلالاً في صراعهم مع أوروبا المسيحية، ولتحقيق هذين الحلمين الكبيرين كان لابد من الصدام مع المماليك، وهذا ما حدث بالفعل على أثر معركة مرج دابق عام ١٥١٦م، حيث غدت عاملاً مهماً في كشف نوايا الدولة العثمانية، ودافعاً قوياً للتوسع العثماني نحو المشرق العربي لتولي زعامة العالم الإسلامي⁽²⁸⁰⁾، قرر السلطان سليم الأول توحيد الأمصار الإسلامية، لتكون تابعة للدولة العثمانية، ذلك بضم بلاد الشام ومصر للإمبراطورية العثمانية الصاعدة بقوة⁽²⁸¹⁾، وقد اتخذ السلطان جميع الاستعدادات لمحاربة الجيش المملوكي، من أهمها المحاولات السرية بواسطة أدريس البديليسي (١٥١٤-١٥٢٠م)⁽²⁸²⁾، المسؤول عن الشؤون الإدارية في المناطق الكردية ومستشار السلطان سليم الأول، لاستمالة نواب المماليك، ومنهم وجان بردي الغزالي نائب حماة، وخايربك⁽²⁸³⁾ نائب حلب، الذي وافق على العمل سراً لدى السلطان العثماني، وحاجب السلطان قانصوه الغوري⁽²⁸⁴⁾، الذي وعده بتوليته حكم مصر إذا

١٢٩؛ محمد علي الصلابي، الدولة العثمانية عوامل النهوض والسقوط، ط٢، دار المعرفة، بيروت، ٢٠٠٥؛ ص ٢٠٠-٢٠١.

^(٢٨٠) محمد محمود الحلبي، العراك بين المماليك والعثمانيين، دار الفكر، دمشق، ١٩٨٦، ص ٢٧٦؛ يوسف الملواني ابن الوكيل، تحفة الأحاب بمن ملك مصر من الملوك والنواب، دار الأفق العربية، القاهرة، ١٩٩٩، ص ٢٦٥.

(ينظر: ملحق رقم (١١). 281)

^(٢٨٢) أدريس البديليسي: بن الشيخ حسام الدين البديليسي (١٤٥٢-١٥٢٠م)، من عائلة دينية، من مدينة بدليس، له دوراً فاعلاً في تجنيد شباب الكورد في صفوف الجيش العثماني في معركة جالديران عام ١٥١٤م. للمزيد ينظر: محمد أمين زكي، خلاصة تاريخ الكورد وكوردستان، تر: محمد علي عوني، ج١، ط٢، د.ط، بغداد، د.ت، ص ١٦٥.

(٤) خايربك : أحد أمراء المماليك الجراكسة، وأول حاكم لمصر تحت السلطة العثمانية وآخر مملوكي في حلب، تولى نيابة حلب عام ١٥٠٤م، ظل نائباً عليها حتى ١٥١٦م، وعينه السلطان سليم الأول حاكماً على مصر عام ١٥١٧م، كمكافأة له على انحيازه للدولة العثمانية. للمزيد ينظر : محمد التونجي، بلاد الشام إبان العهد العثماني، دار المعرفة، بيروت، ٢٠٠٤، ص ٩٦.

(٥) قانصوه الغوري: (١٤٤٦-١٥١٦م)، اصله جركسي الجنس، من سلاطين قايتباي، يعد السادس والأربعون من سلاطين المماليك، والعشرين من سلاطين الشراكسة، تدرج في المناصب بسرعه، حتى اصبح سلطان مصر عام ١٥٠١م. للمزيد ينظر : محمد سهيل طقوس، تاريخ المماليك في مصر والشام، دار النفائس،

ساعده على القضاء من السلطان الغوري، لكنه رفض هذا العرض وأخرين غيرهم، فضلاً عن الأمراء المحليين⁽²⁸⁵⁾، الذين وعدهم بالبقاء في إماراتهم، إذا تم له النصر⁽²⁸⁶⁾.

خرج السلطان سليم الأول من عاصمته، يقود جيوشه الجزارية ناحية بلاد الشام، لملاقاة قوات المماليك، وكان السلطان الغوري قد علم بأنباء تحركات العثمانيين وأعدا العدا لملاقاتهم وقتالهم، فخرج من مصر بجيش كبير، لمواجهة هذا الخطر الداهم الذي يهدد دولته، والتقى الجيشان بالقرب من مدينة حلب عند سهل يدعى مرج دابق⁽²⁸⁷⁾، ونشبت المعركة واحتدم القتال العنيف يوم الأحد الموافق (٢٤ / آب / ١٥١٦م)، فتسلل نواب الشام والأمراء المماليك بجيوشهم، وانظموا للعثمانيين وبذلك رجحت كفة النصر لصالحهم، بذلك ضعف أمر المماليك وهزموا هزيمة منكرة، ولقى قائدهم الغوري مصرعه في المعركة، وتفرق جيشه ورحل من بقي حياً منهم إلى مصر، وتحقق للعثمانيين النصر، وكانت تلك الأحداث بداية لان يستكمل سليم الأول احتلال مدن بلاد الشام كافة⁽²⁸⁸⁾، وأثمر ذلك النصر العثماني الساحق تساقط المدن الرئيسية في أيدي العثمانيين تباعاً، وتقدم السلطان العثماني بالجيش مع الأمراء المماليك الذين أنظموا اليه باتجاه دمشق، فسار على الطريق القديم، ووصل حلب فأستقبله أهلها ودخلها سلباً في (٢٢ - آب)، من العام نفسه، وعين عليها خايربك والياً، وهكذا أصبحت حلب أول ولاية سورية عثمانية⁽²⁸⁹⁾.

أنطلق بعدها نحو دمشق، عبر طريق تدمر، فوصل حماة، فدخلها سلباً، وعهد إدارتها إلى كوزلجه قاسم باشا والياً عليها (١٥١٦-١٥١٧م)، ثم تقدم نحو حمص ودخلها من دون أدنى

مصر، ١٩٩٧، ص ٥٩٩-٦٠٠؛ أحمد الرمال بن زنبيل، واقعة السلطان الغوري مع سليم العثماني، تح: عبد المنعم عامر، مر: عبد الرحمن عبد الله الشيخ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٨، ص ١٧.
(هم: (القاضي يونس، والأمير فخر الدين المعني الأول-أمير الشوف، والأمير منصور الشهابي-أمير 285) الشهابيين، وعساف التركماني-أمير كسروان، وغيرهم). للمزيد ينظر: بن زنبيل، المصدر السابق، ص ٢٥٤.

(فاضل بيات، دراسات في تاريخ العرب في العهد العثماني، دار المدار الإسلامي، بيروت، ٢٠٠٣، ص 286) ١٩٢-١٩٣؛ منير البعلبكي وآخرون، المصدر السابق، ج ٦، ص ١٣٠-١٣١.

(مرج دابق: هو اسم لقرية تقع في شمال شرق مدينة حلب، وتبعد عنها قرابة ٣٥ كم، وهي قريبة من 287) الحدود التركية السورية وتبعد عنها قرابة ١٥ كم. للمزيد ينظر: حسن نعمة، الموسوعة اللبنانية، ج ٢، ص ١٩٢.

(محمد بن علي المقرئ، السلوك لمعرفة دول الملوك، تح: محمد مصطفى زيادة، ج ٤، دار صادر، القاهرة، 288) ١٩٥٦، ص ٦٥٦؛ شمس الدين محمد بن علي بن طولون، أعلام الوري بمن ولى من الأتراك بدمشق الشام الكبرى، تح: محمد أحمد دهمان، دار الفكر، دمشق، ١٩٨٤، ص ٣٢٥.

(كريم عباس حسون، التغلغل الأوروبي في جبل لبنان في عهد الإمارة الشهابية (١٩٦٩-١٨٤١)، 289) رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية، جامعة القادسية، ٢٠٠٨، ص ١٢.

مقاومه، وعين هتمان أوغلي باشا حاكماً عليها (١٥١٦-١٥١٨م)، ووضع في كل من المدينتين السابقتين قوات كافية لضمان حمايتها⁽²⁹⁰⁾، ووصلت القوات العثمانية وعلى رأسها السلطان إلى غوطة دمشق في (٧-أيلول)، في الموضع المسمى مصطبة السلطان⁽²⁹¹⁾، وأقام فيها أثني عشر يوماً، ونزل يومها القصر الأبلق⁽²⁹²⁾، وبهذا أصبحت مدن دمشق جميعها، بقبضة السلطان سليم الأول⁽²⁹³⁾.

واستقبل السلطان مع مستشاره البدليسي في التاسع من أيلول من العام نفسه، مدة إقامته في ولاية دمشق عدداً من حكام، وإمراء المناطق المحلية، أمثال: الأمير فخر الدين المعني الأول، أمير جبل الشوف، والأمير جمال الدين التنوخي، أحد إمراء الغرب، والأمير موسى بن الحرفوش حاكم بعلبك، والأمير منصور الشهابي، حاكم وادي التيم، والأمير عساف التركماني، حاكم كسروان، علاوة على وفود تمثل مدن بيروت، وصيدا، وطرابلس، جاءوا للأعراب عن ولائهم له⁽²⁹⁴⁾، وتم اللقاء بين السلطان وتلك الوفود في قصر الأبلق للتداول في شؤون البلاد الإدارية، وأستمع باهتمام كبير إلى المشاكل التي عرضوها عليه، ووعدهم بوضع الحلول الأزمنة لها، وقرأ الأمير فخر الدين المعني الأول الدعاء، الذي أثنى فيه على السلطان سليم الأول، وقدم فيه فروض الطاعة والولاء، الأمر الذي لاقى ترحيباً واعجاباً من سليم الأول، الذي منحه لقب سلطان البر، وأقره بولايته على جبل الشوف، وأوصاه باتباع سياسة حسنة، وحدد مبلغ الاتاوة المفروضة عليه، ومنحه مرسوماً بذلك، وعين السلطان الأمير جمال الدين التنوخي حاكماً على الغرب،

(بازيلي، تاريخ سورية وفلسطين ولبنان، ص ٢٨؛ المقريزي، السلوك، ج ٤، ص ٦٥٨. 290)

(مصطبة السلطان: تقع شمال شرق دمشق، قرب حي القابون، يخترقه الطريق الدولي (دمشق-حمص)، 291) ويمر خلاله نهرا يزيد وتورا، مما جعلها منطقته اصطيف واستحمام للأمراء والملوك، فأقام فيها السلطان سليم الأول مدة من الزمن، ولذلك أطلق عليها هذا الاسم. للمزيد ينظر وديع بشور، سوريا صنع دولة، دار اليازجي، دمشق، ١٩٨٤، ص ١٩٢.

(القصر الأبلق: وهو من قصور السلاطين في دمشق، سمي بالأبلق، لأنه بنى من الحجارة البيض 292) والسود، بنى في عهد السلطان محمد بن قلاوون عام ١٣١٤م، ويقع في الجهة الغربية من قلعة بعلبك، على يمين مدخل البوابة الوسطى، وهدم في زمن تيمورلنك، وبقي خراباً، حتى زمن السلطان العثماني سليمان القانوني، فأقيمت بمكانه التكية السلمانية. للمزيد ينظر: عبد الرحمن زكي، موسوعة مدينة القاهرة في ألف عام، مكتب الانجلو المصرية، القاهرة، ١٩٨٧، ص ٢٠٤؛ محمد بن علي المقريزي، المواعظ واعتبار بذكر الخطط والأثار، ج ٢، دار صادر، بيروت، د.ت، ص ٢٠٩.

(فاضل بيّات، المصدر السابق، ص ٢٠٩؛ محمد الصلابي، المصدر السابق، ص ٢١٢؛ 293) [lite.islamstory.com.//https:](https://lite.islamstory.com/)

(نعمان افندي قساطلي، الروضة الغناء في دمشق الفيحاء، مج ١، دار طلاس للدراسات والنشر، 294) بيروت، ٢٠٠٤، ص ٧٧.

والأمير عساف التركماني حاكماً على كسروان، وبلاد جبيل، ومنصور الشهابي حاكماً على وادي التيم، والأمير محمد بن قرقماز أمير آل الفريخ على بعض الأقطاعات في صيدا، وصور، وبيروت، وطرابلس، في حين منح الأمير موسى بن الحرفوش حاكمية بعلبك، وأعترف السلطان العثماني بامتيازات هؤلاء الزعماء، وأبقى على نظام الأقطاع في تلك المناطق، وبذلك تمتع إمراء جبل لبنان، باستقلال ذاتي، ومنحوا حق انتهاج سياسات خاصة بهم، والتمسك بتقاليدهم القبلية، طالما أنها لا تهدد السيطرة العثمانية⁽²⁹⁵⁾، وقد منح أمراء الأقطاعات كل هذه الامتيازات، مقابل اعترافهم بالتبعية الاسمية للدولة العثمانية، ولا سيما أن هؤلاء الأمراء قد قدموا للسلطان المبالغ الكافية لقاء تبعيتهم لها⁽²⁹⁶⁾.

يستدل مما سبق، أن أهم أسباب هزيمة المماليك في معركة مرج دابق، تعود إلى خيانة خيانة بعض الأمراء والنواب المماليك في الشام ومصر لسلطينهم الذين أشتري السلطان سليم الأول ذممهم قبل المعركة، وأعتمد عليهم ليخبروه عن نقاط الضعف بين صفوف قوات دولة المماليك، وعن معلومات مهمة لخطط قادة جيش المماليك وبسبب ذلك فقد المماليك حكمهم في بلاد الشام، وتحولت إلى ولاية عثمانية، فأصبح الطريق ممهداً لتقدم القوات العثمانية نحو مصر.

التنظيمات الإدارية العثمانية :

اتبع العثمانيون في جميع البلاد التي دخلوها بما فيها ولاية دمشق، نظاماً ادارياً متسقاً بسيطاً، لإدارة شؤون دولتهم، متوخين بذلك فرض سيادتهم على الجميع، وابتكروا جهازين إداريين للحكم (مركزي ومحلي)⁽²⁹⁷⁾، ويتم أتباع في كل جهاز هرمية معينة، والسلطان بوصفه حاكم البلاد وخليفة المسلمين يكون في أعلى قمة الهرم، وتلك التقسيمات، ليست دائمية وموحده، بل تتعرض للتغير والتبديل، تبعاً للظروف العامة والأوضاع السياسية والمحلية التي تحدث في بلد ما، مع الانتباه والاهتمام في كل مره بالتدريج الهرمي من الأعلى إلى الأسفل، فضلاً عن ذكرهم

(٢) إسماعيل سرهنك، حقائق الأخبار عن دول البحار، تر: عبد الوهاب بكر، مج ١، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ٢٠١٠، ص ٥٢٩.

(٣) نيقولا أيفانون، الفتح العثماني للأقطار العربية (١٥٦١-١٥٧١)، تر: يوسف عطا الله، دت، بيروت، ١٩٨٨، ٦٥؛ يوسف محمد عمرو، نظرة على ماضي وحاضر الشيعة في بلاد كسروان وجبيل، العرفان (مجلة)، مج ٧٢، العدد ٢، ١٩٨٢، ص ٦٧-٦٨.

(جهاز الحكم المركزي يتكون من السلطان وحاشيته، وهؤلاء يعرفون بآل عثمان، وبذوره يتكون من الصدر 297) الأعظم وأفراد الطبقة الحاكمة، وأما جهاز الحكم المحلي، قسمت السلطة الحاكمة الدولة إلى ولايات، وكل ولاية إلى سنجق، وهذه السناجق إلى مقاطعات، ومن ثم إلى احياء. للمزيد ينظر: وديع بشور، المصدر السابق، ص ٣٠٧.

أسم السلطان من على منابر المساجد، وسكه على النفود⁽²⁹⁸⁾، وعندما أحتل السلطان سليم الأول ولاية دمشق، أبقى على التقسيمات الإدارية التي كان معمول بها في عهد المماليك، مع إجراء تغييرات طفيفة، واتخاذ الوحدة الإدارية العثمانية الولاية⁽²⁹⁹⁾، بدل الوحدة الإدارية المملوكية النيابة، ويلحقه لقب التشريف العثماني باشا، فعدت بلاد الشام ولاية واحدة مركزها حلب ومقسمة على مجموعة من الوحدات الإدارية الأصغر هي السناجق، وأما الوالي⁽³⁰⁰⁾، يمثل السلطان وإدارته في جميع أرجاء الولاية⁽³⁰¹⁾، تتضمن أولى مهماته عرض المقاطعات التابعة لولايته سنوياً على الالتزام بإبرام عقد بديوانه في مجلس خاص مع الذي يدفع السعر الأعلى، يجب أن يحصل منه على الضمانات الكافية، التي يستطيع من خلالها بتسديد المبلغ المنفق عليه في الوقت المحدد، وكانت مصلحة الوالي يومذاك، تتطلب أن يعطي التزام المقاطعة إلى من تتوفر فيه القدرة على الدفع من دون مشقات، بشرط بأن تعود عليه بأكبر قدر ممكن من المنفعة الشخصية، واحتفظت السلطة الإدارية العثمانية بكثير من موظفي الدولة المدنية، من العهد السابق، بعدما قدموا الطاعة والولاء إلى السلطة الجديدة⁽³⁰²⁾، و تم تعيين جان بردي الغزالي والياً على دمشق، مكافأة على خيانتته لأسياده، وانحيازه للعثمانيين، وأعلن المذهب الحنفي مذهباً رسمياً، وأخذ من حلب عاصمة للبلاد⁽³⁰³⁾، وإعادة تنظيم الضرائب عليها⁽³⁰⁴⁾.

يستدل مما سبق، إن العثمانيين أخذوا الكثير من العادات العربية والفارسية والبيزنطية في تنظيمهم للأجهزة الإدارية، ودمجوا فيها بعض العادات التركية القديمة، وصهروها في بوتقة

(أحمد عزة عبد الكريم، التقسيم الإداري السوري في العهد العثماني، مج ١، دار الفكر الحديث، القاهرة، 298)
١٩٥١، ص ٣٨-٣٩؛ عبد العزيز محمد عوض، الإدارة العثمانية في ولاية سوريا، تح: أحمد عزت عبد الكريم، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٩، ص ٨٠-٨١.

(الولاية: أكبر وحدة ادارية في التنظيم الإداري العثماني . للمزيد ينظر: فضل رعد، المصدر السابق، 299)
ص ١١. للمزيد ينظر : عبد العزيز محمد عوض، المصدر السابق، ص ٧٧.

(الوالي: وهو معين في مركز الولاية بفرمان سلطاني، صادر عن الباب العالي، والمنوط به تنفيذ سياسة الدولة في كافة المجالات المدنية والعسكرية وتعيين الموظفين، وقيادة العسكر، وجمع الضرائب وغيرها من الامور المماثلة. للمزيد ينظر: حمادة، المصدر السابق، ج ١، ص ٦٧.

(منير البعلبكي وآخرون، المصدر السابق، ج ٦، ص ١٥٩-١٦٠. 301)

(وديع بشور، المصدر السابق، ص ٣٠٨؛ عبد الكريم رافق، بلاد الشام ومصر من الفتح العثماني، ص 302)
٨٠.

(حلب: نتيجة قربها من مركز السلطة، وكونها نقطة تجارية استراتيجية في منتصف الطريق بين البحر المتوسط وبلاد ما بين النهرين، في نهاية طريق الحرير الذي يمر عبر اسيا الوسطى وبلاد ما بين النهرين، ولكونها أكبر المدن الشامية . للمزيد ينظر : كامل الغزي، نهر الذهب في تاريخ حلب، مج ٣، حلب، ١٩٩١، ص ٤٥٠؛ عبد الرحمن حميدة، مدينة حلب -حلب المدينة التي لم تقهر، مجلة الفصيل، العدد ٢، ص ٣٦.

(محمد الصلابي، المصدر السابق، ص ٢٢٥. 304)

واحدة، مما جعل الدولة العثمانية، تظهر بمظهر الوريث الشرعي للحكومات التي سبقتها، وبقيائها على هذه التقسيمات، كانت من صميم تخطيطها الإداري، لكي يكون مستساغاً لدى سكان البلاد التي دخلوها، ومعتادين عليه، لكي لا يكون فرق أو صعوبة بين التقسيمين . وأهتم السلطان سليم الأول، أيضاً بتوطيد السلطة خارج دمشق، ذلك عن طريق التخلص من الأمراء الذين عارضوه وتمردوا عليه⁽³⁰⁵⁾، والإبقاء على الأمراء الذين تعاونوا معه منذ دخوله مدنهم، بصفه تابعين، وأقرهم على حكم أقطاعاتهم كما كانوا سابقاً، وأطلق على من يديرها لقب أمير أو شيخ، ويكون من أبناء الأسرة نفسها، وأستمر العثمانيون في الاعتماد على القبائل البارزة والمسيطرة في تلك الاقطاعات، التي كانت حكراً على أسر معينة منذ العهد المملوكي، وبقي هذا الوضع على حاله بالعهد الجديد، لضبط أمن المناطق البعيدة عن متناول أيديهم، ولحماية طريق شديد الأهمية جنوباً إلى الحجاز الحج⁽³⁰⁶⁾، وأحياناً للمساهمة في الحملات العسكرية السلطانية، فضلاً عن تحويل إدارة المقاطعة إلى وسيلة لتحصيل المال، والاعتماد عليهم بتوسيع سلطة الدولة بالصحاري، والمرتفعات المحيطة التي يصعب الوصول إليها، وكوكلاء لدفع الضرائب المترتبة على عاتقهم عن طريق اتفاق بين أمير القبيلة وبين والي العثماني⁽³⁰⁷⁾. لكن بعد حركة التمرد الفاشلة التي قام فيها والي دمشق جان بردي الغزالي⁽³⁰⁸⁾ عام ١٥٢١م، شرع السلطان سليمان القانوني⁽³⁰⁹⁾ (١٥٢١-١٥٦٦م)، بإعادة النظر في التقسيمات

(الأمراء الذين تمردوا عليه، هم : (ناصر الدين بن الحنش أمير آل الحنش، والتتوخيين الذين ساندوا آل 305 الحنش، وبنو بشارة). للمزيد ينظر : نصر الله، تاريخ بعلبك، ج١، ص ٧٧-٧٨.

(مدة الحكم العثماني شهدت دمشق تطوراً مهماً، بانتقال إمارة الحج إليها، وتعيين ولاية دمشق لهذا 306 المنصب، إذ كانت رحلة الحج شاقة، وغير آمنة، وتسير القوافل أشهراً من بعلبك إلى دمشق، ثم إلى فلسطين لزيارة بيت المقدس، وإلى الحجاز، وقد تتعرض في بعض الأحيان لقطاع طرق، وأحياناً أخرى تهب العواصف الرملية، تؤدي إلى هلاك بعض الحجاج . للمزيد ينظر : نصر الله، الحياة الاجتماعية، ص ١٢٧.

(ميخائيل الوف، المصدر السابق، ص ٢٣٦ ؛ حمادة، المصدر السابق، ج١، ص ٧٠-٧١ . 307 عند وفاة السلطان سليم الأول عام ١٥٢٠م، لم يعترف جان بردي الغزالي -الذي تلقى خطاب إعلان 308 ارتقاء السلطان الجديد سليمان العرش، فشن هجوماً وقتها على حلب معلناً التمرد، وبناءً على ذلك، كلف السلطان العثماني الجديد فرقة من الجيش بقيادة فرهاد باشا بالتحرك نحو حلب وإخماد ذلك التمرد، وبالفعل حدثت مناوشات بينهما في منطقة تدعى بالمصطبة قرب دمشق، وانتهى التمرد بهزيمة الغزالي وقتله عام ١٥٢١م. للمزيد ينظر : جلال زادة مصطفى جلي، فترة بارزة من تاريخ القانوني، دار طباعة كارير، استنبول، ٢٠١١، ص ٢٥.

(سليمان القانوني: (١٤٩٤-١٥٦٦م)، هو سليمان خان الأول بن سليم خان الأول، هو عاشر سلاطين 309 الدولة العثمانية وخليفة المسلمين الثمانين، بلغت الدولة الإسلامية في عهد أقصى اتساع لها، حتى أصبحت أقوى دولة في العالم في تلك المرحلة ، إذ أنه أكثر سلاطين المسلمين جهاداً، وغزواً في أوروبا، وصلت

الإدارية لولاية دمشق، خوفاً من أن تجتمع بالإمكانات التي تحتويها بيد والٍ آخر، فهيء السلطان نظام إداري جديد عام ١٥٢١م، من أجل تحقيق الأمن والسيطرة على البلاد، وللحد من سعه البلاد، ولتسهيل السيطرة عليها، إذ كانت الغاية الأساسية منه، هي تقوية السلطة العثمانية، وركّز النظام الجديد على الأسس الآتية :

١. أصبحت البلاد مقسمة بين ولاية دمشق وتتبع ثمانية سناجق^(٣١٠)، وولاية حلب وتظم عشرة سناجق^(٣١١)، بعد أن الغيت نيابة صفد وألحقت بولاية دمشق .

٢. تعيين ولاية عثمانيين بدلاً من النواب المماليك .

٣. مراعاة التقسيم التقليدي، مع إقرار العصبية البدوية والتركمانية والدرزية في مناطقها^(٣١٢).

بعد احتلال الدولة العثمانية لقبرص عام (١٥٧٠م)، بدأ الباب العالي بتقسيم الأراضي على الجنود العثمانيين والقبائل المحلية الموالية لها، لغرض توسيع سلطتها في الداخل الصحراوي، التابعة لولاية دمشق، نظراً لذلك تم عام ١٥٧٩م، تعقيد التقسيم الإداري مع استحداث ولاية جديدة على أراضي كلا الولايتين السابقتين واستحداث سناجق جديدة، فاصبح التقسيم الإداري الجديد على الترتيب الآتي، ويعد ذلك التقسيم الثاني للبلاد:

-ولاية حلب: وتشمل خمسة سناجق، هي (حلب، وأضنة، ومرعش وعنتاب، والبيرة/كلس).

-ولاية طرابلس: تحوي أربعة سناجق، هي (طرابلس، واللاذقية، وحماة، وحمص) .

-ولاية دمشق: وتضم عشرة سناجق، (هي دمشق، وبيروت، وعكار، وصيدا، وصفد، ونابلس وغزة، وحران، ومعان، والقدس)⁽³¹³⁾.

وأنشئت الولاية الرابعة (الرقّة) عام ١٥٨٦م في عهد السلطان العثماني مراد الثالث (١٤٧٤-١٥٩٥م)، على أراضي كانت في السابق تحت سلطة ديار بكر القانونية، التي تشمل مناطق الجزيرة الفراتية وبادية دمشق، لغرض توسيع سلطة الدولة العثمانية في الداخل الصحراوي والسيطرة عليهم، وبقي هذا التقسيم حتى عام ١٦٦٠م⁽³¹⁴⁾، حيث استحدثت ولاية صفد وهي

الجيش في عهد هـ إلى قلب أوروبا عند أسوار فينا مرتين . للمزيد ينظر : محمد حرب، العثمانيون في التاريخ والحضارة، المركز المصري للدراسات العثمانية، القاهرة، ١٩٩٤، ص ٥٩-٦٠.

(دمشق، وطرابلس، وصفد، ونابلس، والقدس، واللجون، والسلط، وغزة). للمزيد ينظر: أحمد عبد الكريم، 310) المصدر السابق، مج ١، ٤١.

(حلب، وأضنة، ومرعش، وعنتاب، وكلس، ومعرة النعمان، وأورفة /البيرة، وسلمية، وحمص، وحماة). 311) للمزيد ينظر: عبد العزيز محمد عوض، المصدر السابق، ص ٨١.

(وديع بشور، المصدر السابق، ص ٣١١؛ أحمد عبد الكريم، المصدر السابق، مج ١، ص ٤٢ . 312)

(عبد العزيز محمد عوض، المصدر السابق، ص ٨٤. 313)

(وديع بشور، المصدر السابق، ص ٣١٢؛ محمد أحمد، الحياة الثقافية والتقسيمات الإدارية في دمشق في 314) العصر العثماني، جامعة دمشق (مجلة)، مج ٢٧، العدد ١-٢، دمشق، ٢٠١١ .

الولاية الخامسة، إذ سلخ سنجق صيدا مع بيروت من ولاية دمشق، فأنشئت ولاية صفد ومركزها صيدا، التي سميت فيما بعد بولاية صيدا وتشمل (عكا، والجليل، وصفد وجبل عامل، وجبل لبنان)، وقد استحدثت لمراقبة الاقطاعات المسلحة في جبل لبنان، ونقل مركزها في عام ١٧٧٧م إلى عكا في عهد أحمد باشا الجزائر، وبقي هذا التقسيم معتمداً حتى عام ١٨٦١م، حيث أستحدث نوع جديد من الإدارة، هو المتصرفية⁽³¹⁵⁾.

نتائج التوسع العثماني على صعيد البقاع وبعلبك :

أدى الاحتلال العثماني لولاية دمشق إلى خضوع البقاع وبلاد بعلبك للغازي الجديد، الذي سارع إلى اتخاذ إجراءات سياسية، وإدارية، كان لها الأثر الكبير على صعيد تركيبة تلك البلاد، وتوازنها المحلية والعامّة على حدٍ سواء :-

أولاً: تيقنت حكومة الباب العالي، إنّ البقاع التي تزعمها ناصر الدين بن الحنش حليف المماليك، شكلت تهديداً جدياً للأمن في ولاية دمشق⁽³¹⁶⁾، لذلك لم يتوانوا في ضربها عسكرياً⁽³¹⁷⁾، ثم وضع الأسس الكفيلة لمواجهة كل مشروع أعاد الحياة إليها أو لسواها، ولتحقيق ذلك الهدف عمدت السلطة العثمانية إلى :

١- الأبقاء على تقسيم البقاع كما كان في السابق، على قسمين (البقاع الشمالي أو البعلبكي، والبقاع الغربي أو العزيزي).

٢- الحاق البقاعين بولاية دمشق .

٣- تجزئة البقاعين إلى ثلاث إمارات :

أ- إمارة آل الحرفوش في بعلبك (البقاع الشمالي) .

ب- إمارة آل فريخ في البقاع الغربي أو العزيزي.

ج- إمارة آل حنش في البقاع الجنوبي.

ثانياً: أدخلت السلطة إلى البقاع نظام التيمار العثماني، ونظام الالتزام في آن معاً، وهذا ما خلق الأرضية وهي الظروف الملائمة لاندلاع الاضطرابات والفتن في تلك الإمارات⁽³¹⁸⁾ .

(يوسف الحكيم، بيروت ولبنان في عهد آل عثمان، ط٤، دار النهار للنشر، بيروت، ١٩٩١، ص ٩٨-٣١٥)

٩٩؛ شادية علاء الدين، لبنان في أواخر العهد العثماني (التقسيمات الإدارية وشؤون الجند والدرك) . من التاريخ (مجلة)، العدد ٣٤١، بيروت، تشرين - الثاني ٢٠١٣.

(سبب العصيان الدائم والتمر الذي قام به ناصر الدين بن الحنش (زعيم آل الحنش)، ضد السلطان³¹⁶ العثماني عام ١٥١٨م، الذي أنتهى بمقتل الزعيم ببلدة تدعى جوسية قرب بعلبك . للمزيد ينظر: بن طولون، أعلام الوري، ص ٢٢٨-٢٢٩ ؛ ابن أبياس، بدائع الزهور، ج ٥، ص ٢٥٢-٢٥٣.

(ستيفن ونتر، المصدر السابق، ص ٨٥؛ نصر الله، تاريخ كرك نوح، ص ٥٧ .³¹⁷

(فضل رعد، المصدر السابق، ص ١٩-٢٠ .³¹⁸

ثالثاً: أستصفى العثمانيون معظم الأراضي الخصبة والمساحات الشاسعة من البقاع، وبعليبك، ووادي العاصي⁽³¹⁹⁾، وجعلوها أميرية، والحقوها بالتاج السلطاني، وقد عمق هذا الأجراء أزمة حكم آل الحرفوش في السنين اللاحقة للقرن السادس عشر⁽³²⁰⁾.

العوامل التي ساعدت آل الحرفوش في الانخراط بالسلطة العثمانية :

بالرغم من احتفاظ العهد العثماني في ولاية دمشق، بالمظاهر الأساسية للتنظيم الإداري في العهد السابق، وعدم إجراء أي تغيير ملحوظ في بنيته العامة وهيكلته، فبدأ الاختلاف يبدو واضحاً إلى حد التناقض في مضامينه، وأهدافه، وطبيعته، عندما استعمرت الدولة العثمانية ولاية دمشق، سيطرت على مساحات شاسعة من الأرض البعيدة، لم تكن الدولة المملوكية تشكل إلا بعضاً من أجزائها، ذلك لبعد المسافات التي أصبحت تفصلها عن العاصمة الجديدة، ولصعوبة الاتصالات بين السلطة المركزية ومن يمثلها في مراكز النيابات السابقة، فضلاً عن نواب المماليك، هم الذين مثلوهم في مراكز تلك النيابات⁽³²¹⁾، ولا سيما أن أولئك النواب كانوا في الغالب من رجال الدولة، وأبنائها وقادتها العسكريين، أما في العهد الجديد حل مكانهم باشوات دخلاء على السلطان، قد وصلوا في أغلب الأحيان إلى مناصبهم عن طريق شرائها بأثمان مرتفعة، ولهذا أنحصر معظم همهم في كيفية الاحتفاظ بها، أو الانتقال إلى غيرها، تكون أكثر نفعاً وأعظم مردوداً حين كان حكم النواب العهد السابق، مباشراً، وشديد الوطأة، ولهم القدرة على التدخل العسكري السريع في الأوقات الحرجة، لإبقاء الأمور في الحيز الذي تم التخطيط له من قبل، وبالشكل الذي سمح به الإقامة في أماكن قريبة وتحت أمرتهم الجند الجاهزون عند الحاجة، أدت تلك القبضة الشديدة في عهد المماليك إلى التحكم بالمناطق كافة، والسيطرة على زمام الأمور، وانكماشها التدريجي، وعدم السماح لها بإجراء أي حركه أو نشاط ضدها، وبمرور الوقت تزداد رقعة تواجدها، وانتشارها ضيقاً، وتراجعاً⁽³²²⁾.

ولما حل الباشوات العثمانيون مكان النواب المماليك اختفى بذلك النائب المملوكي صاحب الرتبة والخبرة العسكرية، فلم تعد المناطق التابعة لولاية دمشق مثل بعليبك مراكز حكم، وظهر مكانه باشا من عبيد السلطان، بل غلبت صفة الجابي على الوالي العثماني، الذي جعل اهتمامه الأول، جمع أكبر مقدار من المال، لتعويضه عن ما دفعه من ثمن منصبه، وجمع أموال أخرى لشراء منصب آخر، فتراخت بذلك القبضة الحديدية التي كانت تتغلب على تلك المناطق بمرور

⁽³¹⁹⁾ المناطق الأميرية، هي (رأس بعليبك، الهرمل، القاع) . للمزيد ينظر: فضل رعد، المصدر السابق، ص ٣٧.

⁽³²⁰⁾ حمادة، المصدر السابق، ج ١، ص ٦١؛ المحبي، المصدر السابق، ج ٤، ص ٤٣٢.

(المقريزي، السلوك، ج ٣، ص ٤٥٦؛ نصر الله، تاريخ بعليبك، ج ١، ص ٥٤.³²¹)

⁽³²²⁾ حسن نعمة ، الموسوعة اللبنانية ، ج ٢، ص ٨٦.

الوقت، فمالَت الدولة العثمانية إلى التقهقر، وتضاءل اهتمام السلطة، لانصرافها إلى الاهتمام بأولويات أخرى، شغلت جل قدرتهم، واستأثرت بمعظم جهودهم⁽³²³⁾.

أدت تلك السياسة التي اعتمدها العثمانيون في هذه البلاد، إلى أدكاء الشعور بالانتماء إلى الأرض، و إعطتهم دافعاً قوياً لتحول طوائفه إلى مجموعات متباينة، لكل منها تنظيماتها ومسيرتها الخاصة، وأن ذلك الانتماء، أوجد حالة من العصبية القوية، التي شددت السكان بعضهم إلى بعض، كمجموعة موحدة، ومتميزة، ومتجانسة، وتخلق منهم كياناً، اجتماعياً، وسياسياً، وتطبق عليهم معظم العناصر التي تألف الشعب الواحد، ويجمعهم وحدة الانتماء والمصير المشترك عملت تلك العصبية إلى تكوين أسر متنفذة وقوية حكمت مقاطعاتها من دون أن تقيم شائناً كبيراً لأوامر الوالي، وهي التي عطلت صلاحية الوالي العثماني، وفرضت عليه بحكم فعاليتها امراً واقعاً، ومنها آل حرفوش وبني حماده، فقد قويت هاتان الأسرتان، فاعترفت بهما الحكومة الجديدة، واقترهما على حكم اقطاعاتهم⁽³²⁴⁾، فضلاً عن ذلك يوجد هناك عدداً من الظروف والعوامل التي ساهمت في تعزيز قوة آل الحرفوش ومنها، قتل أمير البقاع ناصر بن الحنش عام ١٥١٨م، على يد جان بردي الغزالي، فتقلصت مكانة الأسرة ونفوذهم تدريجياً، وبرزت أسرة آل الحرفوش، إذ تمكنوا من ترسيخ سيطرتهم تدريجياً على المناطق التابعة لأسرة آل الحنش⁽³²⁵⁾.

علاقة آل الحرفوش مع العثمانيين:

تعد معركة مرج دابق لمدينة بعلبك مرحلة تأريخيه جديده، وبالرغم من ذلك لم يتوقف أمراء آل الحرفوش، ولا يتوانوا عن اكمال مسيرتهم الشاقة، التي بدأوها منذ أواخر السلطة المملوكية، باتخاذ الخطوات المستقلة والخاصة التي نبعت من واقعهم المميز في دولة لم تعد نفسها دولتهم، كما لم يشعروا يوماً بأنهم من رعاياها، واستعدوا لجولة طويلة من المقاومة والعناء والتصدي، فقد اعتمدوا على حصونهم الطبيعية الشاهقة في جرد الجبال، كانت مواقف أمراء هذه الأسرة تجاه الأحداث والتطورات المفصلية التي حدثت في المدينة في العهد العثماني، غالباً ما تميزهم من غيرهم، بما أختاروه من مواقف وأحداث تكون الأنسب والأقرب لمصالحهم، تبعاً لرؤيتهم العامة لسير الأمور التي صب في واقعهم، وهم عرفوا أولية ذلك الأمر، فكانت لهم سياسة عامه ثابتة ومستقرة، تجمعها روابط الدم والمصير المشترك، هدفها الاستقلال أم الموت، وحاولت بكل ما ملكت من وسائل، قوة، ونفوذ ما سمحت به الظروف والأحداث المفصلية، أن تدفع الأذى عن

(٣٢٣) فؤاد خليل، المصدر السابق، ص ١١.

(٣٢٤) كمال الصليبي، تاريخ لبنان الحديث، ص ٨١؛ محمد مكي، المصدر السابق، ص ٢٥٤؛ يوسف الحكيم،

المصدر السابق، ص ١٢٢.

(٣٢٥) نصر الله، تاريخ كرك نوح، ص ٥٩؛ ابن طولون، اعلام الوري، ص ١٠٢.

أفرادها، وتدافع عن استمرار وجودها، ووحدة استقلالها، وتدعيمه، وترسيخه بكل الوسائل المتوفرة لديهم، والمتاحة في الميادين السياسية والعسكرية والمدنية⁽³²⁶⁾.

سياسة الولاة العثمانيين تجاه أسرة آل الحرفوش :

تلخصت سياسة الولاة العثمانيين تجاه الأسرة طيلة مدة حكمهم في بعلبك، بثلاثة محاور رئيسية، هما:

أولاً: قيامهم بالعمل على تنمية المشاكل الداخلية للتفرقة بين أبناء تلك الأسرة بغية أضعافهم، وكسر شوكتهم، ثم لتغرقهم من بعد في الفوضى، قوامها نزاعات ومشاحنات لا نهاية لها بين أبناء الأسرة الواحدة، حتى بين الأخوة أحياناً، وتعد هذه من أعظم الأسباب التي أدت إلى تشتيت قوتهم، لتمكن الأعداء منهم في كثير من المواقف، من خلال تنافسهم على تولي منصب أمير بعلبك، وهو الذي أستخدموه ضدهم، وأحلوا به عقد عصبتهم، وفرقوا به وحدة تماسكهم⁽³²⁷⁾.

ثانياً: التجأ الولاة العثمانيون أثارة الخلافات مع أمراء المقاطعات المجاورة، ابتغاء أضعاف الطرفين، إذ أن ولاية دمشق هم الذين يتحكمون سنوياً بقيمة الالتزام إلى من يدفع الثمن الأكبر⁽³²⁸⁾.

ثالثاً: يومذاك أفتعل الولاة العثمانيين يومذاك المشاكل وتحنوا الفرص، للتدخل عند حدوث أمرٍ ما، واستبدال الحكام الأمراء، بموظفين أرسلوهم من دمشق، كلما اعتقدوا أن باستطاعتهم التخلص من آل الحرفوش بضمن معقول، وأن الظروف قد تكون مناسبة لتحقيق ذلك الأمر، ما جعل سير الحملات العسكرية المزودة بأوامر القتل والتدمير والنهب لا ينقطع عن طريق (دمشق - بعلبك)، إلا ليستمر بعدها أكثر عدداً، وأقوى عدة، وبتعليمات، وأوامر أشد عنفاً،

⁽³²⁶⁾ فضل رعد، المصدر السابق، ص ٢٣.

⁽³²⁷⁾ عمل الولاة على خلق التنافس بين أفراد الأسرة الحاكمة على منصب حاكمية بعلبك، من خلال تفضيل أحدهم على الآخر، بزيادة قيمة الالتزام، وكان هذا من أجل خلق روح العداوة والبغضاء بينهم . ينظر: الفصل الأول، ص ٦٤ .

(قام الولاة بانتزاع بعلبك عدة مرات من أسرة آل الحرفوش، وتسليمها إلى أسرة ثانيه، مثلاً في عام ⁽³²⁸⁾ ١٦٨٠م، تم تسليمها إلى الشهابيين . ينظر: الفصل الثالث، ص ١٤٥-١٤٦ .

وقسوة⁽³²⁹⁾، واستمرت تلك المحاولات المتكررة من السلطة المركزية، لإقصائهم من مكانهم طيلة مدة حكمهم.⁽³³⁰⁾

المبحث الثاني: علاقات أمراء آل الحرفوش مع السلطة العثمانية

اتسمت علاقة آل الحرفوش مع الولاية، منذُ البداية بأنها لم تكن خالية من المشاكل، فوالي دمشق جان بردي الغزالي، قام بقتل أحمد بن الحرفوش نائب بعلبك عام ١٥١٦م، بسبب مقاومته للمحتل الجديد، والذي يعد الأول من تسلسل أمراء آل الحرفوش، بحسب ما أكدته المصادر التاريخية التي تناولت تاريخ تلك الأسرة، إذ سكتت المراجع بعد ذلك مدة وجيزة على نحو واحد وعشرين عام عن أخبارهم، ولاسيما عهد الأمير موسى بن علي (١٥١٦-١٥٣٧م)، الذي لم يذكر منه سوى اسم الأمير، وتاريخ استلام منصب حاكمية بعلبك، ويرجح السبب الرئيس، هو انشغال المؤرخين والكتاب بذكر الأحداث الأهم في تلك المدة الزمنية، التي شملت وقائع الاحتلال العثماني للبلاد، وما تعلق بذلك الغزو من حوادث مهمة وأخبار، التي غيرت من تاريخ البلاد⁽³³¹⁾.

بالرغم من مرور تلك السنين، إلا أن موقف الولاية العثمانيين العدائي تجاه أسرة آل الحرفوش لم يتغير، فأن الأمير علي بن موسى بن الحرفوش (١٥٣٧-١٥٩٠م) ابتداءً حكمه في انتزاع الإمارة انتزاعاً من السلطات العثمانية، حينما كانت تحت حكم أبو علي الملقب (بالأقرع) عام ١٥٣٧م، بعد أن قدم الأخير رشوة لوالي دمشق محمود باشا (١٥٣٦-١٥٣٧م) ومقدارها خمسة عشر ألف قرش، مقابل عزل بن الحرفوش، وأصبحت المدينة تحت حكم الأقرع، لكن تلك المتغيرات التي حدثت في بعلبك، والأوضاع المتردية التي وصلت إليها، لم تززع من عزم الأمراء على المضي في بناء مسيرتهم التاريخية في بعلبك، وعلى الرغم من إنهم كانوا في بداية بناء الإمارة، فأن ذلك الأمر قد زادهم إصراراً وتمسكاً، واعدوا إمارة بعلبك متوارثة لبني الحرفوش، ونظراً لذلك عزم الأمير علي على استرجاعها، فتوجه إلى كسروان والشوف لجمع

(فيليب حتي، تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين، ص ٣١٣؛ كمال الصليبي، تاريخ لبنان الحديث، دار 329) النهار، بيروت، ١٩٨٤. ص ٨٥ .

(سلمان ظاهر، المصدر السابق، مج ٣، ص ١٩؛ ابن طولون، اعلام الوري، ص ١٩٣. 330)

(علي كرد، خطط الشام، ج ٢، ص ٢٣١؛ المعلوف، دواني القطوف، ص ١٥٥. 331)

الرجال والأتباع حوله، ثم عاد ومعه ألف فارس من تلك المناطق، فضلاً عن رجاله فالتقى الطرفان، ونشبت المعركة وسقط من جيش بن الحرفوش ما ناهز مئتان وثمانون قتيلًا، وعلى أثر ذلك تراجع وعاد إلى كسروان، واستطاع بعد مضي ثلاثة أشهر من قتل بن الأقرع، بعد أن تربص به أثناء وجوده بالصيد مع رجاله واسقطوه قتيلاً هو ومن معه، وهكذا تمكن من استعادة البلاد عام ١٥٣٨م، ما أغضب والي دمشق سليمان باشا طوبال (١٥٣٧-١٥٣٨م)، والصدر الأعظم أياص محمد باشا (١٥٣٦-١٥٣٩م) على بن الحرفوش جراء فعلته تلك، فأصبحت علاقته مع والي دمشق على حافة الهاوية⁽³³²⁾، حينئذ قام الوالي بتجهيز جيش ووضعه على رأسه أحد أتباعه، هو أحمد بن القنبر، وتقدم الأخير نحو بعلبك عام ١٥٣٨م، وتمكن الأمير علي من رده وعاد بن القنبر أدراجه مخذولاً إلى والي دمشق. وتم اختياره في عام ١٥٦٨م، ليقود فصيلاً مساعداً لمساندة الحملة السلطانية لتهدة حملات التمرد التي حدثت في اليمن⁽³³³⁾، مقابل حاكمية رسمية في حمص وتدمر، إلا أن تلك الأمور لم تشفع له لدى ولاية دمشق، وقضى مدة حكمه الطويلة والتي استمرت أكثر من نصف قرن بين رضا تلك الولاية وديسانسهم، وفي النهاية تم قتله غدرًا على يد الوالي العثماني محمد باشا عام ١٥٩٠م⁽³³⁴⁾.

وشهد عهد الأمير موسى بن علي (١٥٩٠-١٦٠٧م)، فتنة وقعت بين والي حلب نصوح باشا (١٦٠٢-١٦٠٤م)، وبين الأمير موسى عام ١٦٠٢م، سببها كالأتي :

كان لجند دمشق فرقة دائمية، مقرها في حلب بقيادة سردار، ومهمتها جمع الأموال والاتاة ومراقبة تحركات الولاية العثمانيين، وكانت عائداتها من الأموال تقسم بين الأمراء (موسى بن الحرفوش، فخر الدين المعني الأول، كورد حمزة، الخداوردي رئيس جند الشام)، في عام ١٦٠٢م، رفض والي حلب الاعتراف بحقوق الأمراء في هذه الأموال، ما أدى إلى حدوث فتنة استمرت طيلة سنتي (١٦٠٣-١٦٠٤م)، حينذاك اضطر أمير بعلبك إلى قتال والي حلب مع هؤلاء الأمراء، وانتشرت تلك الفتنة في ولايات حلب وطرابلس ودمشق، وانتهت تلك المواجهة بانتصار أمراء الجند عام ١٦٠٤م، وكان للأمير بن الحرفوش دور بارز في نشر العصيان ضد

(الغزي، المصدر السابق ج٣، ص١٩٣؛ وضحة سعيد شعيب، قبسات من تاريخ ال الحرفوش، دنيا 332) الوطن (مجلة)، بيروت، ١٢-٨-٢٠١٤.

(قام الامام الزيدي المطهر بن يحيى شرف الدين بزرع الخلافات ما بين الباشوات العثمانيون المتولين 333) ايالة اليمن (محمود باشا وبين ورضوان باشا)، فعزل رضوان باشا وعين حسن باشا بدلاً عنه عام ١٥٦٧م، انتهر المطهر الفرصة ليجتاح صنعاء وساندته قبائل الجوف البدوية وسائر الامراء المحليين، وأنتشر التمرد في كافة انحاء البلاد، وتمكنت السلطة العثمانية بالقضاء على التمرد عام ١٥٦٨م. للمزيد ينظر: عامر بن محمود الرعامي، تاريخ اليمن تحت حكم حسن باشا، مكتبة الكونغرس، اليمن، ١٩١٣، ص٢١٩.

(أبو حسين، المصدر السابق، ص ١٨٠-١٨١ ؛ الغزي، المصدر السابق، ج٣، ص ١٩٥. 334)

والي حلب في تلك الولايات، إذ كان يقود تلك الحملات، التي زعزعت أمن البلاد ونشرت الفوضى، وبالتالي صدرت حكومة والي دمشق فرمان عدت فيه الأمير موسى نبذاً عن طاعة الدولة العثمانية⁽³³⁵⁾، وأرسلت جيشاً إلى بلاد بعلبك عام ١٦٠٥م، للنيل من الأمير والقضاء عليه، وحينما علم حاكم بعلبك بالأمر، توجه عندئذ خفية إلى الاستانة العليا، وكانت بلدة غزير حينذاك شهدت حركة تمرد وفوضى وكانت عاصية على الدولة العثمانية، أستغل الأمير موسى وضع المدينة تلك، فاستأمن للدولة هناك، وتعهّد لها بفتح المنطقة وخرابها، وانه نال جزاء ذلك رضى السلطة المركزية، وتولي بلاد بعلبك رسمياً، فأجيب طلبه، وعاد إلى دياره وجمع خمسة عشر ألف مقاتل وخرج بهم وداهم بلدة غزير وتمكن من اخماد التمرد الذي حدث فيها والاستيلاء عليها بحسب ما وعد دمشق⁽³³⁶⁾.

أمام تلك المعطيات، يمكن القول أن الولاة العثمانيين نظروا إلى إمارة آل الحرفوش طيلة حكمهم أمراً واقعاً مفروض، يحد من سلطانهم المطلق في التصرف بالأمور، كما يحد من رغبتهم في تعيين الحكام والاستبداد بجميع شؤون السلطة، وأنهم مرغمون على حصر مجال اختياريهم ومناوراتهم في أسرة معينة، ولا يمكن استقامة الأمور واستقرارها في حال تجاوزها والأغفال عنها، ذلك قد أدى إلى حدوث مشاكل أمنية وعسكرية في المدينة، لا يمكن التحكم بنتائجها وحجم تكاليفها، لذلك كانوا يحاولون عبثاً تغيير هذا الواقع، كلما وجدوا الظروف قد أمنت لهم قدراً من النجاح، ولذلك فانهم عدنها شراً لا بد من التسليم بوجوده، مرغمين بانتظار ظروف أفضل للتخلص منهم وإنهاء وجودهم، وتعد تلك الأحداث التي مرت بها الأسرة الحاكمة في بعلبك من المواقف، من ذو الأقل ثقل من الناحية السياسية لمسيرة هذه الأسرة، وهكذا يمكن أن تعد تمهيداً لأحداث ووقائع أكثر أهمية في تاريخ الإمارة، التي أدت إلى علو شأنها، وازدياد هيبتها، ولا سيما أن أهم ما يميز العلاقات العثمانية-الحرفوشية، هي المواجهات العسكرية في سوح القتال ما بينهما^(١).

المبحث الثاني : علاقة آل الحرفوش مع السلطة العثمانية

يعد تاريخ الصدام العسكري والصراع بين أمراء آل الحرفوش والولاة العثمانيون بدعم وتحريض من الباب العالي، هو أبرز في تأريخ هذه الأسرة، فقد مثل الصراع السمة الأساسية في مدينة بعلبك أثناء مدة حكم آل الحرفوش، لذلك لم يتوقف سيل الحملات العسكرية المتوالية عليهم من دمشق، بغية اخضاعهم وتأديبهم، ومحاسبة أهلها المخالفين، والانتقام منهم، لما تخلفه

(ميخائيل الوف، المصدر السابق، ص ٣٣؛ الصفدي، المصدر السابق، ص ١٨٧. 335)

(حدث التمرد في بلدة غزير ضد الحكومة العثمانية، بسبب مضاعفة الضرائب على السكان وجشع 336)

الوالي العثماني يوسف باشا. للمزيد ينظر: الشدياق، المصدر السابق، ج ٢، ص ١٩٨.

تلك الحملات من محن ونكبات وخسائر بشرية ومادية، وكانت تلك الحملات بقيادة أحمد باشا الجزائر التي استعانت به السلطة العثمانية وعينته والياً على صيدا عام ١٧٧٦م⁽³³⁷⁾.

نبذة عن أحمد باشا الجزائر:

ظهر بانتهاء النصف الأول من القرن الثامن عشر، في ولاية دمشق، ثلاثة قوى تهدد أمن وسلطة حكومة والي دمشق، والتي كانت وراء انخراط أحمد باشا الجزائر في السلطة العثمانية، والقوى متكونة، من :

١- ناصيف النصار (١٧٥٠-١٧٨١م) زعيم جبل عامل⁽³³⁸⁾.

٢- علي بك الكبير (١٧٦٩-١٧٧٣م) حاكم مصر⁽³³⁹⁾.

٣- ظاهر العمر، حاكم فلسطين⁽³⁴⁰⁾.

أما الأسباب التي شجعت على وجود تلك القوى، فهي:

أولاً: تبعاً للتطورات السياسية التي قام بها الشيخ ناصيف النصار في جبل عامل عام ١٧٥٠م، إذ كانت هناك مخاطر عديدة تهدد الجبل، وتعيق استقراره وازدهاره، ونزوع أهله المتأصل إلى الاستقلال في إدارة شؤونهم، والخضوع لشيوخهم، لا لأي حاكم آخر، سواء أكان عثمانياً أم من الطامعين من أقاربهم أم من جيرانهم، فكان على الشيخ ناصيف أن يهتم بمعالجة هذه المشاكل

(نصر الله، تاريخ بعلبك، ج ١، ص ٣٣٧.٢٥٤)

(٢) حمادة، المصدر السابق، ج ١، ٣٠٧؛ فؤاد خليل، المصدر السابق، ص ٦٧.

(٣) ناصيف النصار: (١٧١٣-١٧٨١م)، ناصيف بن نصار الثالث بن أحمد بن مشرف بن علي الصغير، شيخ مشايخ جبل عامل، وهو رجل حكمة وسياسية، كما هو رجل حرب وقتال، ورث الزعامة من أسرته آل علي الصغير، ناضل كثيراً من أجل استقلال بلاده، قتل بمعركة يارون عام ١٧٨١. للمزيد ينظر: الركني، المصدر السابق، ص ٦٢؛ المنير، المصدر السابق، ص ٧٣.

(٤) علي بيك: (١٧٢٨-١٧٧٣م)، علي بيك بلاط، هو مملوكي من أصل جركسي، ولد في أماسيا في روسيا، اختطف وبيع في سوق العبيد لرجلين يهوديين عام ١٧٤٣م، هما (اسحق ويوسف)، ومن ثم قاموا بإهدائه = إلى رجل معروف، يدعى إبراهيم بيك كتحدا، وأطلق عليه اسم علي، تدرج في المناصب سريعاً حتى أصبح شيخ البلد عام ١٧٦٣م، انتهاز فرصة حروب الدولة العثمانية مع روسيا عام ١٧٦٨م، وأستقل بحكم مصر. للمزيد ينظر: عبد الرحمن بن حسن الجبرتي (ت: ١٢٣١هـ/ ١٨٢٢م)، تاريخ عجائب الآثار في التراجم والأخبار، ج ٢، دار الجيل، بيروت، ٢٠١٠، ص ٣٢١.

(ظاهر العمر : (١٦٨٩-١٧٧٥م)، ينسب إلى بني زيدان، وهم من عرب فلسطين، ولد في مدينة صفد،⁽³⁴⁰⁾ وكان جده ووالده وأعمامه حكاماً على صفد، وقام ببناء علاقات متينة مع وجهاء المناطق، مما ساعده على بناء حكم مستقل في شمال فلسطين. للمزيد ينظر: ميخائيل نيقولا الصباغ، تاريخ أليخ ظاهر العمر الزيداني حاكم عكا وبلاد صفد، مطبعة القدس بولس، لبنان، ١٩٣٥، ص ٨٧-٨٨؛ عبود الصباغ، الروض الزاهر في تاريخ آل ظاهر، مؤسسة حمادة، بيروت، ١٩٩٩، ص ٣٠.

التاريخية المزمنة التي كلفت البلاد الكثير، إلى أن يتمتع جبل عامل بنوع من الاستقلال الداخلي والازدهار الاقتصادي، لما فيه من حصون وقلاع وموارد بشرية، يمكنه من نجاح ذلك الاستقلال الذي سعى الشيخ ناصيف بكل جهوده للحصول عليه، وأهم تلك التطورات، فهي:

١-أهتم الشيخ ناصيف في السنين الأولى من حكمه، بتثبيت سلطته على كل مناطق جبل عامل، وأول الأمور التي وجه اهتمامه إليها ما يعرف بالجبهة الداخلية⁽³⁴¹⁾، إذ قام بالقضاء على أسباب النزاع بين شيوخ أسرته، أو مع الشيوخ الأسر الأخرى، التي كانت تهدد أمن المنطقة وسكانها، وبذلك أمن من التفاف أفراد أسرته، وعشيرته حوله، وخضوعهم لسلطته، وهذا الأمر يمكنه من الإمساك بالحكم، والسيطرة على زمام الأمور، التي تؤدي إلى تقوية مركزه، وأضعاف عزيمة الطامعين بمنصب زعامة الأمير⁽³⁴²⁾.

٢-عمل على تأمين الجبهة الخارجية، وتضمن عمله هذا قيامه بغزوات عدة ناجحة، قصد من ورائها القضاء على هجمات البدو الساكنين في فلسطين، على أطراف بلاد بشارة⁽³⁴³⁾ آنذاك، أدت إلى أن يتمتع جبل عامل بنوع من الاستقلال الداخلي والازدهار الاقتصادي، لما فيه من حصون وقلاع وموارد بشرية، مكنه من نجاح ذلك الاستقلال، الذي سعى الشيخ ناصيف بكل جهوده للحصول عليه^(٣).

٣: يعد شيخ جبل عامل عداء العثمانيون الثابت والمستمر لسكان جبل عامل من المشاكل التاريخية المزمنة، وما سبب ذلك من صدمات دموية بينهما، دفع بسكان جبل عامل إلى العصيان، والذي كلف البلاد الكثير من أدماء وأبنائها، وقاسى منه سكان تلك البلاد الولايات، وأن الدولة العثمانية صاحبة السطوة على البلاد، التي طالما سعوا للحد من وطأتها⁽³⁴⁴⁾.

(أن بؤادر النزاع كانت تظهر أحياناً بين الزعيم ناصيف وبين ابن عمه قبلان بن الحسن، وبالمقابل كان 341) لهم خلافات مع شيوخ آل منكر وآل صعب، و فسعى الشيخ إلى أحلال التفاهم والاتفاق بين أبناء =عمومته وبين المشايخ، الأخرى، بإعطاء كل منهم ما يرضي طموحاته، ويعدها من حقوقهم الموروثة، فسعى إلى ذلك باجتماع شارك فيه الجميع عام ١٧٥٠م. للمزيد ينظر : محسن الأمين، خطط جبل عامل، ص ٢٦٦.

(١) الركيني، المصدر السابق، ص ٤٢؛ ستيفن ونتر، المصدر السابق، ص ٢٤٤.

(٢) أغار على عرب القنيطرة عام ١٧٥٢م، وأغار مع بن عمه عباس على قرية شريعة منذور، بين طبريا وبانياس، كما هاجم على عرب مرج رميش في العام نفسه، وأصبحت قوة ناصيف موهوبة وسلطته مرعبة في كل مناطق التابعة لجبل عامل وفي جواره. للمزيد ينظر: آل صفا، المصدر السابق، ص ٤٤.

(٣) الركيني، المصدر نفسه، ص ٤٨؛ آل صفا، المصدر السابق، ص ٩٥.

٤: قام والي صيدا سعد الدين باشا العظم (١٧٥٢-١٧٥٩م) عام ١٧٥٣م، بشن خمس حملات عسكرية⁽³⁴⁵⁾ على جبل عامل، عند انتهاء كل حملة، كان الشيخ ناصيف يتوجه إلى الباب العالي بتقديم شكوى ضد والي صيدا، لكن من دون جدوى، ما يدل على أن جهوده لوضع حد سلمي لتلك الحملات لم تأتِ بنتيجة تذكر، وأن اتصالاته بوالي دمشق شخصياً، أو بواسطة موفدين لم تؤدِ إلى تحسن الحال، وهكذا أستمّر الحال بين جبل عامل والسلطة المركزية يزداد سوءاً حتى وصل إلى قناعة ثابتة، بعقم محاولة الحد من اعتداءات الولاة العثمانيين بإتباع سبل المفاوضة والإقناع، وبحتمية المواجهة، والتجأ بعد ذلك بنشاط واندفاع لتحسين علاقاته مع المناطق المجاورة للجبل، محاولاً بذلك خلق جبهة متحالفة بين الأطراف المتحالفة للوقوف بوجه العدو الممقوت من الجميع⁽³⁴⁶⁾.

بدأت مساعي شيخ جبل عامل النشطة والمتواصلة لتكوين جبهة واحدة متحدة ومتحالفة تحت اسم المشروع التحالفي عام ١٧٥٤م، والمتكون من (عباس محمد حاكم صور، وعلي الفارس الصعبي صاحب قلعة الشقيف، والأمير إسماعيل الشهاب حاكم حاصبيا، والشيخ علي جنبلاط كبير الدروز، والأمير يوسف الشهاب، والأمير محمد بن الحرفوش حاكم بعلبك)، وأن وجود هؤلاء بهذا المشروع، سيغير الكثير من موازين القوى في كل البلاد، ويضع حداً نهائياً للنفوذ المطلق للباشوات العثمانيين، وتدخلهم في كل الأمور التي قد تعود عليهم بالمنفعة الشخصية، على حساب حرية وكرامة الأهالي المحليين وزعمائهم، وعندما لاحظ هؤلاء الزعماء المتحالفين نجاح المشروع التحالفي الذي ابتدأ بالتعاون فيما بينهم وتأكدوا من نتائجه، قرروا تطوير نطاق المشروع، وذلك بتوسيع حدود مناطق المتحالفة عن طريق دعوة أمراء وشيوخ مقاطعات جديدة للانضمام اليهم، فأول خطوه قاموا بها أولئك الزعماء، هو إزالة الخلاف⁽³⁴⁷⁾ ما بين الشيخ

(٤) كانت أولها عام ١٧٥٣م، على قرية أنصار، فنهبها وقتل بعض اعيانها، إذ قام ناصيف بالرد عليهم في اليوم التالي، والثانية بعد شهر قام بغزو بلاد بشارة، والثالثة كانت في رأس العين، وهكذا تكررت المعارك على الوتيرة نفسها. للمزيد ينظر: عبود الصباغ، المصدر السابق، ص ٨٧.

(١) كرامة، المصدر السابق، ص ١١٠؛ علي الزين، للبحث عن تاريخنا، ص ٣٤٦.٥٠١

(٢) حسن الامين، المصدر السابق، ص ٣٧٧؛ أحمد الحلاق، المصدر السابق، ص ١٦٤.

(٣) بداية ظاهر العمر مع العاملين، كانت بداية سيئة، إذ بسط الظاهر نفوذه في أول تمرّكه، فداهم قريتي البصة ومارون باعتبار بلاد ظاهر مجاوره لإمارة ناصيف وقد تصده له الأخير وهزمه بمعركتي (طربخا والدولاب)، في (٢٣-تشرين الاول -١٦٦٦م)، ولكن الشيخان سرعان ما تحالف، وعقدا معاهدات عام ١٦٦٧م، تحدد علاقتهما مع بعض، وعلاقتهما بالسلطة المركز، وطريقة دفعهما للضرائب، في أسس من التعاون الطويل المدى. للمزيد ينظر: عبود الصباغ، المصدر السابق، ص ٦٩-٧٠.

ناصريف وظاهر العمر؁ فأنظم إليهم عام ١٧٦٧م⁽³⁴⁸⁾؁ وتعاون معهم؁ وأن غاية الشيخ ناصريف الأساسية من مساعيه السياسية التي استمرت سنوات طويلة؁ يمكن حصرها بالنقاط الآتية :

١. تقضي

بإعداد نفسه وقومه وجيرانه؁ ليكون الجميع على اتم الاستعداد؁ حتى تأتي الظروف المناسبة للاستطدام مع العثمانيين.

٢. أنتزاع أكبر قدر ممكن من الاستقلال عن السلطات العثمانية؁ والحد من ممارستهم القمعية على جبل عامل وسكانه.

٣-الحلف الذي سعى إليه شيخ جبل عامل؁ قد شمل في نهاية المطاف؁ كل الزعماء المحليين على اختلاف مقاطعاتهم وطوائفهم⁽³⁴⁹⁾.

ثانياً: تحالف الشيخ ناصريف النصار مع ظاهر العمر :

كانت هنالك أسباب وعوامل عدة؁ استجذبت في الساحة السياسة الخارجية والداخلية للدولة العثمانية؁ كان لها الاثر البالغ نحو تشجيع ظاهر العمر بالتحالف مع شيخ جبل عامل؁ منها:

١. كانت

الدولة العثمانية تمر في أتعس أحوالها؁ وقد انتشرت الحركات الانفصالية والاستقلالية في الكثير من ممتلكاتها؁ فكانت مصر والجزيرة العربية واليونان ترفع راية العصيان؁ وتخرج عن الطاعة.

٢. الأسطول الروسي يجوب موانئ الخليج العربي المتوسط والشواطئ المصرية والسورية خصوصاً؁ ويدعم تلك الحركات ويدفعها تقدماً^(٣٥٠) .

٣. الانكشارية في ولاية دمشق تمردوا على السلطان. وساءت الأحوال في أكثر من مدينة تابعة للدولة.

٤. رفع الحاكم المصري علي بيك الكبير (١٧٦٨-١٧٧٣)م؁ راية الثورة وأرسل قائده العسكري محمد أبو

(٤) كرد علي؁ خطط الشام؁ ج٢؁ ص ٢٨٩؛ آل صفا؁ المصدر السابق؁ ص ٩٥ .

(حمادة؁ المصدر السابق؁ ص ٤٥- كرامة؁ المصدر السابق؁ ص ١١٠؛ 349)

(احمد الحلاق؁ المصدر السابق؁ ص ٢٠٧؛ علي الزين؁ للبحث عن تاريخنا؁ ص ٥٠١ 350)

الذهب^(٣٥١)، للاستيلاء على دمشق عام (١٧٧١م)، وكان هذين الحدثين، الأثر الأكبر في الاندفاع نحو التحالف بين الزعيمان ناصيف النصار (١٧٥٠-١٧٨١م) زعيم جبل عامل، وظاهر العمر^(٣٥٢).

٥. الامبراطور

ة العثمانية تورطت في حرب كارثية مع روسيا عام ١٧٧٠م^(٣٥٣)، التي انتهت

(ابو الذهب: (١٧٣٤-١٧٧٥م)، مملوكي في مصر، اصبح الساعد الأيمن لعلي بك الكبير وترأس حملة 351) الى دمشق عام ١٧٧١م لمساعدة الشيخ ظاهر العمر، وعند عودته انقلب على سيدة ونجح في اقصائه ونصب نفسه حاكماً على مصر، وبقي عليها حتى وفاته. للمزيد ينظر : عبد الرحمن بن حسن برهان الدين الجبرتي، مظهر التقديس بذهاب دولة الفرنسيين، مكتبة العربي للنشر، القاهرة، ١٩٩٨، ص ١٩٨.

(حسن الامين، المصدر السابق، ص ٣٧٧؛ عبود الصباغ، المصدر السابق، ص ٨٧. 352)

(حدثت الحرب الروسية العثمانية في عهد السلطان مصطفى الثالث (١٧١٧-١٧٧٨م)، وقعت على نهر 353) كاجول في جنوبي مولدافيا، وسميت بمعركة كارتال، انتهت بهزيمة ساحقه للعثمانيين، أدت إلى تغيير موازين القوى في العالم، حيث كشفت ضعف الدولة العثمانية وتراجع مكانتها، وأدخلت روسيا في صفاف الدولة العظمى . ينظر : محمد فريد، تاريخ الدولة العلية، تحقيق: أحسان حقي، دار النفائس، بيروت، ٢٣٤-٢٣٥ ؛ Ahmed Resm، 1783 p.116. by Virginia H Efendi، Aksan Ottoman statesman in war and peace، ١٩٨٣، ص ٢٣٤-٢٣٥ ؛

بعد أربع سنوات بمعاهدة كجك كايناركا⁽³⁵⁴⁾ المذلة⁽³⁵⁵⁾.

استغل علي بك الظروف الدولية تلك، فوطد علاقاته مع روسيا التي عملت على تأييد الحركات الانفصالية عن الدولة العثمانية، ولتقوية موقفه أيضاً تحالف مع الشيخ ظاهر العمر حاكم عكا، فازداد خطرهما على الدولة العثمانية، ولاسيما أن روسيا قد وقفت إلى جانبهما، بانتهاء الحرب الروسية العثمانية، ما أدى ذلك إلى زيادة قوة نضال العاملين، ومنح فرصة لا تتعوز للقائدين السابق ذكرهما، ليحرروا أنفسهم وسكان مناطقهم، من تسلط باشوات آل العظم⁽³⁵⁶⁾، الذين كانوا يقبضون على السلطة في دمشق وصيدا وأنظمو إلى القوات المصرية التي جاءت لفتح لدمشق، ثم وصلت تلك القوات إلى فلسطين بجيش قدره ١٥٠٠ فارس وخيالة، ومن ثم دخلوا دمشق منتصرين عام ١٧٧١م، وبعد هذا الانتصار، شاركت هذه القوات ظاهر العمر في إيقاع هزيمه بوالي دمشق عثمان باشا، في معركة بحيرة الحولة⁽³⁵⁷⁾، في (٣٠ - أب) من العام نفسه، ونظراً لتلك المستجدات، بات الطريق سالكاً، امام ناصيف وظاهر، فدخل صيدا، وأعلن استقلالهما في (٢٣ - تشرين الثاني - ١٧٧١)، بعد أن طردوا الوالي العثماني درويش باشا بن عثمان باشا⁽³⁵⁸⁾.

(معاهدة كجك كايناركا: أبرمت المعاهدة في (١٢ تموز ١٧٧٤م)، في قرية كاريناركا، في حدود اليوم تقع 354) على الحدود الشمالية الشرقية لبلغاريا، تتضمن المعاهدة، من ثمانية وعشرون مادة، أهمها استقلال خانية القرم، وأنهاء سيطرة الدولة العثمانية على البحر الأسود باعتباره بحيرة عثمانية، وأعطت للروس حق رعاية السكان الأرثوذكس الذين يعيشون في البلاد العثمانية، والزمته أن تدفع غرامة مالية قدرها ١٥,٠٠٠ اكيس من الذهب، ومثلها من جانب الدولة العثمانية السفير ورئيس الكتاب أحمد الرسمي الكريدي. للمزيد ينظر: History Of the Balkans: Eighteenth and nineteenth centuries by Barbara Jelavich p.117

(علي الزين، للبحث عن تاريخنا، ص ٥١٩ ؛ عبود الصباغ، المصدر السابق، ص ٨٩. 355) (أسرة آل العظم : أسرة عربية يمتد تاريخها لأكثر من ٨٠٠ عام، حكمت بلاد الشام ما بين (١٧٢٠ - 356) ١٨٠٧م)، عمد العثمانيون إلى توطيد حكمهم، عن طريق استرضاء هذه الأسرة، ذات القاعدة المحلية القوية، وقد عملوا على استعادة هيبة السلطة المركزية في الظروف الصعبة المحيطة بها في تلك المدة، فتسلموا الحكم في كافة الولايات السورية . للمزيد ينظر: معتصم المؤيد العظم، سلاله آل العظم، دار الحكمة، بيروت، ١٩٩١، ص ٢٣.

(معركة الحولة: وهي المعركة التي وقعت بين الوالي العثماني عثمان باشا وبين ظاهر العمر وحلفائه، 357) قرب بحيرة الحولة، وقد هاجم ظاهر العمر ليلاً الجيش الوالي وانزل بهم هزيمة نكراء. للمزيد ينظر : علي الزين، للبحث عن تاريخنا، ص ٥١٩.

(حيدر احمد الشهابي، لبنان في عهد الامراء الشهابيين، ج ٢، ص ٩١-٩٢؛ آل صفاء، المصدر السابق، 358) ص ١٣٢.

يستدل من ذلك، بأن تلك المرحلة التي وصل إليها سكان جبل عامل وزعيمهم، تمثل قمة القوة في الحقبة العثمانية، فقد كانوا يولون الاهتمام الأكبر لأعاده بناء الدولة، ويمكن أن توصف بالعصر الذهبي، إذ شهد عصره ازدهار الاقتصادي والاستقلال النسبي .

وبنفس الوقت استنزفت الحرب مع روسيا، كل طاقات الامبراطورية العثمانية، ولذلك بدأت تحول أنظارها إلى خيرات وأملاك المناطق العربية، وخاصة أملاك محمد أبو الذهب وظاهر العمر، فاستعملت الحيلة للقضاء عليهم، ذلك بضرب أحدهما بالآخر، ابتغاء استعادة السيطرة على كل تلك المناطق، وقد تمكنت من استمالة محمد أبو الذهب سراً، ذلك بالانسحاب من ولاية دمشق بجيشه، وعودته إلى مصر، كي لا يزهق السلطان العثماني مصطفى الثالث دمه، عندما ينتهي من حرب الروس، وتم أغرائه بحكم مصر إذا خرج على سيده وحلفائه⁽³⁵⁹⁾، وعاد أبو الذهب سريعاً إلى مصر، وسحب جميع الحاميات التي قد أقامها في البلاد المفتوحة، وطلب علي بيك المساعدة من ناصيف في دحر الثورة التي قامت ضد سلطته في مصر، ولكنه رفض، وهنا بدأت العلاقات تتوتر بينهما، والتقى الجيشان بمعركه في ضواحي القاهرة، انتهت بهزيمة علي بيك واصابته بجروح خطيره في (٢٨ / ٤ / ١٧٧٣)، توفي على أثرها في (٨ / ٥ / ١٧٧٣م)، وأصبحت السلطة الفعلية في مصر لأبي الذهب⁽³⁶⁰⁾.

وبسبب تلك الظروف الحرجة التي عصفت باستقرار الدولة العثمانية، قام الباب العالي بتقويض أحمد باشا الجزائر على ولاية صيدا عام ١٧٧٦م ومنحه لقب باشا، وكان ذلك لهدفين مهمين، هما:

أولاً: لزيادة قوة السلطة المركزية العثمانية واتساع قدرتها على التدخل، والتحكم بشؤونها ومقدراتها لصالحها، وتحصيل الضرائب والمستحقات التي تترتب عليها، على أثر التطورات الداخلية التي حدثت في المرتفعات الساحلية، وبالأخص جبل عامل⁽³⁶¹⁾.

ثانياً: تهيئة الأجواء المناسبة للقضاء على الشيخ ظاهر العمر، وقد أبدى الجزائر مهارة فائقة في توظيف خبرته وعلاقاته السابقة في البلاد، من أجل تفتيت الجبهة المؤيدة للشيخ ومساندة قائد البحرية العثماني حسن باشا الجزائري في حرب الشيخ الظاهر، فتمت المهمة بنجاح تام⁽³⁶²⁾.

(حيدر الشهابي، لبنان في عهد الامراء الشهابيين، ص ٩٣؛ كرامة، المصدر السابق، ص ٧٨. 359)

(عبود الصباغ، المصدر السابق، ص ٣٩؛ ستيفن ونتر، المصدر السابق، ص ٢٥٧. 360)

(عاش سكان جبل عامل، بكل كرامة وازدهار خلال عهد ناصيف النصار، ولذلك يعد من أزهى العهود، 361)
فكان سكان الجبل يتمتعون بالحرية والاستقلال، لا يخضعون لظالم ولا يتحكم بهم غاشم. للمزيد ينظر: آل صفا، المصدر السابق، ص ٣٤٢-٣٤٤.

(المنير، المصدر السابق، ص ٥٥٢؛ أحمد الحلاق، المصدر السابق، ص ٢٣٣. 362)

بالفعل قضي على الثورات المحلية في تلك المدة، التي كانت بأوج قوتها، ثم انحدرت إلى الفقر والتهميش، وسيطر على القوى المحلية بقسوة من دون رحمة، فدخل عكا وقام بانقلاب ضد ظاهر العمر وقتله عام ١٧٧٥م، وأصبح من أقوى الرجال في ولاية دمشق، بسبب غطرسته وقسوته، فعادت السلطة العثمانية تتنعم بالاستقلال من جديد في ظل كيان أنشأه أحمد باشا الجزائر⁽³⁶³⁾.

يمكن القول، أن الأزمة التي مرت بها الامبراطورية العثمانية، التي نشأت نتيجة الحرب مع روسيا، والاحتلال المصري، والقبض ظاهر العمر على السلطة بين ١٧٧٠م و ١٧٧٥م، فإن الحكومة العثمانية لم تكتفي بذلك، وأرادت أن تقضي عليهم من الجذور وتقتلعهم، وكانت مصممة على تشكيل تشكّل توازن عنفي بين الجماعات المحلية وكسرهم، من أجل إعادة السيطرة عليها من جديد والاستفادة من خيراتها، ومع نهاية الحضور المصري، ثم نهاية ظاهر العمر، أصبحت تلك المناطق في مواجهة مع الدولة العثمانية المتمثلة بشخص أحمد باشا الجزائر.

الحملة العسكرية العثمانية على إمارة آل الحرفوش :

بعد أن انتهى الجزائر من تصفيه الثوار في جبل لبنان، وتوليه لولاية صيدا عام ١٧٧٦م، بدأ حملته علي البقاع في السابع والعشرين من أذار عام ١٧٧٧م في عهد حكم الأمير مصطفى بن الحرفوش (١٧٧٤-١٧٨٤)، حيث أرسل والي صيدا فرقه القببسي، وهي إحدى فرق جيشة الماهرة، بقيادة مصطفى آغا بن قراملا لمهاجمة قوات المقاطعات المحلية المتواجدة في تلك البلاد ومصادرة املاكهم، فتقدمت قوات الجزائر باتجاه البقاع، واخذوا فرسان القببسي بقنا ونهب لكل ما رؤوه أثناء مسيرتهم من قرى ومزارع ومواشي مرورا بقلعة قب الياس⁽³⁶⁴⁾، حتى وصلوا إلى بلاد بعلبك، وعاثوا فيها، واخذوا منهم الأموال وقتلوا رجالاً أكثر، وسجنوا الباقين منهم، ومن ضمنهم الأمير محمد الحرفوش⁽³⁶⁵⁾.

ولما تعرضت بعلبك لهجوم رجال الجزائر عام ١٧٧٧م، كان الأمير مصطفى وقتها خارج الإمارة، وعندما بلغ الأمر اليه، سارع إلى المدينة لإنقاذها، حينذاك فحصلت مناوشات كثيرة بين الأمير مصطفى وفرسانه وبين مقاتلين جيش الجزائر، إذ قاومهم برجاله القلائل وحارب الجيش وشغله، حتى تمكن سكان المدينة جميعاً من الهرب، فلولاه ما استطاع أهل المدينة من الفرار

(الركيني، المصدر السابق، ص ١٤٦. 363)

(قلعة قب الياس: تقع في بلدة قب الياس على السفح الغربي لسهل البقاع، وتعد من إحدى قرى مدينة 364)
زحلة، وتبعد ٤٥ كم عن مدينة بيروت، و ٢٥ كم عن زحلة، وترتفع ٩٥٠ م عن سطح البحر، وتربط بين طريق دمشق والبقاع الغربي وراشيا. للمزيد ينظر: حسن نعمة، الموسوعة اللبنانية، ج ٢، ص ٢٥٩.

(المنير، المصدر السابق، ص ٢٠؛ المعلوف، دواني القطوف، ص ٢١٤. 365)

والخلاص بأنفسهم، وبقيت قوات والي صيدا ثلاثة أيام، وبعدها خرجت القوات من بعلبك⁽³⁶⁶⁾، ثم عاد الأمير مصطفى بن الحرفوش ورجاله وبقية السكان الهاربين من بطش قوات الجزار إلى بلادهم، وعندما خرجوا هاجموا القرى التي في طريقهم، ومنها قرية سعد نايل، ودير مار الياس فاحرقوها، بعد ما نهبوا ما فيها من مواشي، وقتلوا بعضاً منهم، ثم هاجموا مدينة زحلة، وعملوا فيها كالقرى السابقة، وخلفت حملة أحمد باشا الجزار ويلات كثيرة في بعلبك وكافة أنحاء البقاع، حتى سميت السنة التي حصلت فيها باسم قائد فرقة القببسي (سنة ابن قراملا)، وبعد ذلك استقرت الأمور داخل الإمارة حتى عام ١٧٨١م، تحت حكم الأمير مصطفى، لكنه سرعان ما لبث ان ظهرت النزاعات الداخلية بين الاخوين بين الأخوين⁽³⁶⁷⁾ (الأمير مصطفى، والأمير محمد) من جديد⁽³⁶⁸⁾.

تزامن عهد الأمير مصطفى مع مهاجمة الجزار لجبل عامل في الثالث والعشرين من ايلول عام ١٧٨١م، انتهت بمجزرة يارون⁽³⁶⁹⁾، التي بها جنود والي صيدا بحق سكان الجبل، إذ راح ضحيتها عدد كبير من السكان، ومن ضمنهم الشيخ ناصيف النصار، وسويت الحصون والقلاع⁽³⁷⁰⁾ كلها بالأرض، وتم أسر ابن الشيخ الأمير حسين، وسبوا النساء وبيعوا في سوق العبيد، ونزح من بقي منهم إلى بلاد بعلبك، وبعضهم الآخر في بلاد عكار لدى مشايخ محمد بيك المرعبي الأسعد⁽³⁷¹⁾،

وقد استقبل آل الحرفوش وعلى أسهم أمير بعلبك، وأولئك النازحين من جبل عامل عام ١٧٨١م أحسن استقبال، وقدموا لهم الحماية والأمان، فأخذت تقد إليهم مشايخ جبل عامل فراراً من أذى الجزار وغطرست جنوده، وكان من بين الفارين الشيخ قبلان الحسن⁽³⁷²⁾، وقد اقتطع آنذاك حاكم بعلبك لهؤلاء الفارين بعض القرى من بلاد بعلبك، هي (القاع، رأس بعلبك، والهرمل)، وولى عليهما الشيخ قبلان عام ١٧٨٢م، ولا سيما أن الواردات الأميرية لتلك القرى كانت تابعة لمطبخ

(فؤاد خليل، المصدر السابق، ص ٦٢؛ ميخائيل الوف، المصدر السابق، ص ١١١. 366)

(ينظر: الفصل الاول، ص ٦٦. 367)

(فؤاد خليل، المصدر السابق ص ٦٢؛ كرامة، المصدر السابق، ص ٥٨. 368)

(ينظر: ملحق رقم (١٢). 369)

(قلاع جبل عامل التي حطمها الجزار، هي (هونين، وتبنين، وميرون، وميس، وديركيفا، وصربا، وجباع 370) وشمع). للمزيد ينظر : حسن نعمة، الموسوعة اللبنانية، ج ٢، ٢١٣.

(المملوف، دواني القطوف، ٢٢١؛ فضل رعد، المصدر السابق، ص ٤٣. 371)

(قبلان الحسن: وهو صاحب مقاطعة هونين وعم الشيخ ناصيف النصار، واعظم زعماء آل نصار، لجأ 372) على العائلة الحاكمة في بعلبك، فأحسنّت ضيافته وأكرمته. للمزيد ينظر : حمادة، المصدر السابق، ج ١، ص ٣٠٤.

والدة السلطان العثماني⁽³⁷³⁾، وأدى ذلك العمل إلى غضب الجزائر من سياسية بن الحرفوش تلك، ومواقفه تجاه سكان الجنوب ومشايخهم، وعدوه تعدي على حقوقهم، وتحدي لسلطة الباب العالي، فأتفق مع والي دمشق محمد درويش باشا (١٧٨٣-١٧٨٤م)، لإنهاء حكم هؤلاء في بعلبك، والقضاء عليهم، وهكذا بدأت المواجهات العسكرية العثمانية بقيادة الجزائر وبين آل الحرفوش، وكأنها سلسلة متواصلة⁽³⁷⁴⁾ من القتال وسيل الدماء⁽³⁷⁵⁾.

المعركة الأولى :

جهز محمد درويش باشا والجزائر جيشاً قوياً لتنفيذ المهمة وتقدموا به نحو بعلبك، وداهموا المدينة على غفلة عام ١٧٨٤م، وقبضوا على الأمير مصطفى وأخوته الخمسة⁽³⁷⁶⁾ وساقوهم أسرى إلى دمشق، ونهبوا المدينة وسبوا الحريم، ثم صادروا أملاكهم وأحرقوا منازلهم، فأمر الصدر الأعظم خليل حميد باشا (١٧٨٢-١٧٨٥م)، بشنق ثلاثة منهم بينهم الأمير مصطفى وسجن الباقين، وأرسل من قبله متسلماً من الانكشارية، دعى رمضان أغا إلى بعلبك ليحكمها، وتمكن ابن الأمير مصطفى (جهجاه)، من الهروب من أيدي الجيش بواسطة آل المعلوف لانهم كانوا يحبونه⁽³⁷⁷⁾، ونظراً لدهاء الجزائر، فقد استطاع أن الحصول على فرمان من السلطان العثماني عبد الحميد الأول (١٧٧٤-١٧٨٩م) عام ١٧٨٤م، تضمن فصل بعلبك عن ولاية دمشق، والحاقها بحكمه في صيدا بصورة مباشرة، وأرسل إليها متسلم من مماليكه القادمين معه، حاكماً عليها من يدعى سليم آغا⁽³⁷⁸⁾.

على ما يبدو، إن بعد اجتياح جبل عامل، وفرار سكانها ومشايخها من جيوش الجزائر، كان لابد من أن يأتي دور الأمير مصطفى بوصفه الأمير المتمرّد والخارج عن طاعة الدولة العليا، الذي قاتل الدولة مراراً واستقبل الهاربين من ديارهم، وهكذا حصل في بعلبك وسكانها وأراضيها، مثل الذي جرى في جبل عامل وجبل ولبنان، من قتل الحاكّمين، وسبي النساء، وتهجير السكان، وتدمير العمران والأراضي، وتحطيم القلاع والحصون، لكي تسهل قيادتها والتحكم فيها، وامتصاص أقصى ما يمكن من خيراتها وثرواتها، والتخلص من حكامها أعداء الدولة

(ميخائيل مشاقه وملحم خليل، مشهد العيان بحوادث سوريا ولبنان، تر: لويس صليبا، مج ١، مكتبة 373) بيبليون بيروت، ٢٠٠٧، ص ٣٨-٣٩.

(ينظر: ملحق رقم (١٣). 374.)

(ميخائيل مشاقه، المصدر نفسه، ص ٣٨-٣٩. 375.)

(أخوته الخمسة: هم الأمراء (سلطان، درويش، إسماعيل، أحمد، أسعد). 376.)

(كرامة، المصدر السابق، ص ٦٨ . 377.)

(حماده، المصدر السابق، ج ١، ص ٣٢٣ ؛ محسن الامين، خطط جبل عامل، ص ١٢٨. 378.)

والسلطة، الذين تمردوا عليها، إذ أن الدولة العثمانية كانت لها سياسية قمعية ذات نهج واحد، تعامل به الذين يخرجون عن طاعة الباب العالي، هي اقتلاعهم من جذورهم. أعتقد الولاة الدمشقيين صنعتهم تلك، بأنهم قد تمكنوا من التخلص من آل الحرفوش نهائياً، إلا أنهم لم يدركوا بأن جذور هذه الأسرة باقية، وجذوة المقاومة لم تخدم حتى في منافيتهم في الأماكن التي هربوا إليها، وأن لهيب المقاومة قد وصل إلى ذروته، إذ أضيف إليه عامل الانتقام، إذ عادوا أقوى من قبل، من أجل استعادة املاكهم وسلالتهم التي أخذت عنوه منهم، حيث كان هنالك في بلاد بعيده أمير من آل الحرفوش، يستعد للعودة إلى بلاده، واستعادة مواقعهم، وهو بيده سيف حمله معه من تلك البلاد، وهو جهجاه بن الأمير مصطفى، لتبدأ به مرحلة جديدة من تاريخ سلالتهم، والتي تمثل مدى تمسك أسرته بتلك الإمارة التي تعدها حق موروث عن إبتائهم وأجدادهم الذي لا يتنازلون عنه مهما كلف الأمر⁽³⁷⁹⁾.

أقلت جهجاه من أيدي جنود جيش الجزائر، وفر إلى عرب الخزاعة في جنوب العراق، وأستعان بهم على استرجاع حكم الإمارة، ثم عاد إلى بلاده عام ١٧٨٧م، بعد ثلاث سنوات قضاه في ديار بعيد، حيث لم يعلم أحد مكانه، فاستجمع قواه طيلة المدة التي غاب فيها، ليعيد سلالة أبائهم من أيدي التي اغتصبوها منهم عنوة، فقام بالبحث عن أخبار أهله و بلاده، وما حل بهم، فوجد الحاكم وقتها في بعلبك محمد آغا (١٧٨٦-١٧٨٧م)، العبد الزنجي الذي عينه والي دمشق بطال باشا (١٧٨٦-١٧٨٧م)، بمكان أبيه، هذا الأمر أوغل صدره حقداً وغيضاً، وبدأ يستحث أنصار أبيه وأسرته، ويطلب المساعدة منهم للاستعداد للقتال والمواجهة العسكرية⁽³⁸⁰⁾.

المعركة الثانية:

بعد عودة الأمير جهجاه من خزاعة العراق إلى بلاده، وعلم بما حصل لأهل بيته، توجه خفية إلى رحلة عام ١٧٨٦م، وخلال ثمانية أيام قد تمكن من جمع الرجال وتكوين جيش بمساعدة أنصار أبيه⁽³⁸¹⁾ وبلغ عددهم مائة مقاتل في مقدمتهم بنو شبلي الذين كانوا يميلون إليه، وأيضاً قام بجمع رجال وفرسان بعلبك الذين استطاعوا النجاة من مذبحه جيش الجزائر، ولما أصبحوا عدداً كافياً، قام بالتجهيزات الأزمة للمعركة، فقام بتغطية حوافر الخيول باللباد حتى لا تحدث صوتاً وتوقظ الأعداء عند بدء الهجوم، وهاجم المدينة ليلاً مع فرسانه بصورة مفاجئة، وقتلوا كل من صادفوه في طريقهم⁽³⁸²⁾، وتصادموا مع فرسان حاكمها العبد، وهرب الأخير إلى

(سليمان ظاهر، المصدر السابق، مج ٣، ص ٣٩-٤٠؛ المعلوف، دواني القطوف، ص ٢٢٧. 379)

(حمادة، المصدر السابق، ج ١، ص ٣٢٤؛ بازيلى، تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين، ص 380.٧٣)

(الأنصار هم : (بني معلوف الشبلي، والحماديين حليفهم الدائم، عباس التل حاكم قرية الزيداني) . 381)

للمزيد ينظر: فضل رعد، المصدر السابق، ص ٣٤.

(فؤاد خليل، المصدر السابق، ص ٦٤؛ المنير، المصدر السابق، ص ٧٦ 382)

دمشق، فدخلها الأمير جهجاه عنوة وجلس في سرايتها وملكها بالسيف وضبط كل ما كان مختصاً بديوان حاكم المدينة وهكذا عادت بعلبك، إلى أهلها وأسيادها⁽³⁸³⁾، وقد وصلت أخبار الأمير العائد الذي تمكن من استرجاع حكم المدينة بالقوة إلى والي دمشق بطل باشا، لكن والي كان حينذاك متهيأ للخروج للحج، فلم يتمكن من تجهيز حملة لقمع الأمير جهجاه والاقتصاص⁽³⁸⁴⁾.

يمكن القول، إن والي العثماني وأحمد باشا الجزار، تمكنوا من القضاء على الأمير مصطفى وأهل بيته وأسرته، إذ جعلت ذلك الاعتقاد السائد لمدة من الزمن، هو نهاية أسرة آل الحرفوش صاحبة التاريخ، وأن الحكم قد أنتقل إلى آغوات الباشا ومماليكهم، لكن الوريث الشاب قد استطاع الهرب من تلك المجزرة دون ملاحظة أحد له، والهروب إلى العراق، وبعد ثلاث سنوات تمكن من الرجوع إلى بلاده، بعد أن هيأ نفسه لاسترجاع بعلبك لملكهم، ويعد هذا الحدث صفة قاسية للسلطة المركزية.

المعركة الثالثة:

بعد رجوع والي دمشق من الحج، أعد في عام ١٧٨٧م، جيشاً مقداره الفين ومئتي فارس بقيادة الملا اسماعيل، للاقتصاص من جهجاه، وتقدمت القوات نحو بعلبك، فتصدى لهم الأمير مع أخوه الأمير سلطان وحلفائهم من زحله وآل معلوف، فتقهقرت قوات الملا، ورجعوا مهزومين إلى والي دمشق، ثم عاد جهجاه إلى بعلبك وقبض على زمام الحكم مرة أخرى⁽³⁸⁵⁾.

المعركة الرابعة :

عندما وصلت أخبار عودة الأمير جهجاه ومهاجمته المدينة إلى الباب العالي، صدرت على أثر ذلك أوامر من الصدر الأعظم يوسف باشا (١٧٨٦-١٧٨٩م)، بعزل بطل باشا ونصب مكانه إبراهيم باشا (١٧٨٧-١٧٨٩م) في عام ١٧٨٧م، وبعد أن تسلم الأخير باشوية دمشق، بعث بفرمان إلى الأمير جهجاه، يتهدد على صنيعه، وطرده العبد، وجرأته على قتل البعض من جيش الدولة العثمانية أثناء هجومه على المدينة، وأخذه الحكم في المدينة عنوة، وقرر محاسبته على فعلته هذه ولا يترك دون عقاب، وعد عمله ذلك خروجاً على القانون، وشرط عليه أما تسليم نفسه ومن معه إلى السلطات، أو القيام بحملة لمهاجمته والإمساك به معاقبته وتأديبه، ولكن والي دمشق بالرغم من ذلك تيقن أن محاولة التخلص من الأمير بن الحرفوش، لا يمكن أن تنجح إلا عند الاستعانة بأحد الطامحين بالحكم من الأسرة نفسها، وأن

(كرامة، المصدر السابق، ص ١٠٣؛ حمادة، المصدر السابق، ج ١، ص 383.٣٢٤)

(المعلوف، دواني القطوف، ص 384.١١١)

(بازيلي، تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين، ص ٧٣ . 385)

كانت النتائج تكون غير مأمونة⁽³⁸⁶⁾، بعد أن وصلت تهديدات إبراهيم باشا إلى جهجاه ، شعر الأمير حينئذ بخطورة الوضع فقام بكافة الاستعداد للمعركة المقبلة، فعَدَّ العدة وجهز أمور الحرب، فاصدر أوامر إلى كل سكان بعلبك والقرى التابعة للبلاد بالرحيل عن المدينة والاختباء بالجبال إلى أن تسوى الأمور ويتم حلها، وقام أيضا بتخريب كافة الطواحين، وبعدها توجه مع رجاله إلى قرية تدعى ضيرة للتحصن بها⁽³⁸⁷⁾، فوض والي دمشق حكم بعلبك إلى كنج بن محمد الحرفوش⁽³⁸⁸⁾ وامده بجيش، ودخل بعلبك ووجدها خالية من السكان، وقتذاك أرسل فرقة من الجيش لملاحقة ابن عمه وقتله، حينئذ توجه الأمير جهجاه إلى المقاطعات المجاورة مستنجداً بهم، ومنهم الأمير يوسف الشهابي والأمير شديد مراد اللمعي حاكم زحلة ورجال من آل المعلوف، وبلغهم ما فعل ابن عمه الأمير كنج، فاستاءوا من فعلته تلك، ووقفوا إلى جانب الأمير بن مصطفى وامدوه بالسلاح والرجال، فأصبح جهجاه ومن معه على أتم الاستعداد للمواجهة العسكرية، فالتقى الجيشان في قرية رأس بعلبك، وتصدى جهجاه ورجاله لقوات ابن عمه، وقتلوا منهم أربعين رجلاً، ودحروا الباقين، ثم دخلوا المدينة وهاجموا ابن عمه ومن معه من القوات الباقية وقتلوا الكثيرين منهم، فهرب الأمير كنج ومن بقي حيا إلى دمشق، وأما جهجاه ورجاله فقد تحصنوا داخل القلعة، فأوغر ذلك صدر والي دمشق إبراهيم باشا غيضاً، واشتد الأمر بينهما، فتوسط حينها الشيخ عباس التل حاكم الزيداني⁽³⁸⁹⁾ لصالح الأمير جهجاه لدى الوالي، وفض النزاع وعادة بعلبك إلى الأمير في التاسع من أذار عام ١٧٨٧م، وحمل عباس اليه الخلع على شرط مفادة دفع نحو مائتي كيس، وبعد أربعة أيام جاء الأمير جهجاه إلى زحلة ومن ذلك الوقت ارتفع شأن بني شبلي المعلوف لدى أمير بعلبك، فكانوا ساعده الأيمن ويعتمد على أراءهم ويأخذ بها⁽³⁹⁰⁾، بعد أن استقر الحكم للأمير جهجاه، وهدأت الأوضاع داخل الإمارة، سعى حاكم المدينة للانتقام من ابن عمه الأمير كنج والتخلص منه لدى والي دمشق، إذ أجزل له الهدايا

(نصر الله، تاريخ بعلبك، ج ١، ص ٣٢٥. 386)

(كرامة، المصدر السابق، ص ١٠٧؛ بازيلى، المصدر السابق، ص 387. ٧٤)

(كنج محمد الحرفوش: وهو بن عم الأمير جهجاه، وابوه الأمير محمد، الذي كان على خلاف دائم مع أخيه مصطفى على حكم المدينة، وبسبب هذا الخلاف نفاه اخيه إلى دير القمر حتى وفاته. للمزيد ينظر: ستيفن ونتر، المصدر السابق، ص ٣٠٣. 388)

(عباس التل: زعيم بني شبلي المعلوف، من سكنة قرية زحلة، الواقعة شمال شرق بعلبك، تربطهم علاقه 389) صداقه وتحالف منذ عهد والده الأمير مصطفى، عندما قدم له مساعدة عندما باغته احمد باشا الجزار، ونهب ديارهم وصادر املاكهم، فاقتطع بعض الاراضي التي كانت تابعه لبعلبك، واسكنهم فيها . للمزيد ينظر: المعلوف، دواني القطوف، ص ٢١٨-٢١٩ .

(سليمان ظاهر، المصدر السابق، مج ٣، ص ٤٠؛ كرامة، حوادث لبنان وسوريا، ص ١٢٢ . 390)

الشمينة، واستجاب الوالي لطلبه، وبعث أمر إلى كنج من أجل الحضور اليه، حينئذ طالبه بدفع نفقات الحملة الفاشلة التي قام بها عام ١٧٨٧م وقدرها خمسة عشر ألف كيس من الذهب، فلما تعذر الأمير كنج قام الوالي بسجنه، فأرسل وقتها الأمير جهجاه أحد رجاله، بأرشاء المتسلم في السجن، فقتله خنقا بالاتفاق مع الوالي (391).

المعركة الخامسة:

بعد أن استقرت الأمور لجهجاه في المدينة وهدأت الاوضاع، بدأ الامير جهجاه بتوطيد دعائم حكمه عبر التحالف مع أمير الجبل (يوسف الشهابي) أثناء هذه الأحداث، كان قد ذاع صيت أحمد باشا الجزار على صعيد ولاية دمشق من شمالها إلى جنوبها، ووقعت هيئته في قلوب المتحالفين ضده، وهذا الأمر أدى بالبعض إلى تشجيعهم والانضمام في صفوف جيش الجزار، وعلى أثره أنقسم الشهابيين على فريقين، أحدهما أنضم إلى قوات أحمد باشا الجزار، على رأس تلك القوات أميران هما علي أمير حاصبيا، ومحمد أمير راشيا، وعلى رأس الفريق الآخر يوسف الشهابي حليف الأمير جهجاه (392)، وحين رفض يوسف الشهابي الانضمام إلى صفوف أحمد باشا الجزار وخالف اصدقائه، شرع الأخير في الانتقام، فجهز حملته في الثالث والعشرين من تموز عام ١٧٨٨م، وبهذا لم يبق مع الشهابي غير عدد قليل من الجند، فأستجد حينها بأمير بعلبك لرد الجزار، فلم يتأخر الأمير جهجاه عن اغتنام أول فرصة سنحت له لمقاتلة أحمد الجزار، فقد هب مع رجاله لنصرة الأمير الشهابي في قب الياس، حيث أوقعا بقوات الجزار الهزيمة في وادي أبو عياد، قرب كامد اللوز في البقاع العزيري، ولاحق المنتصرون فلول الجيش المنهزم حتى قرية خربة روجا عند نهر الحاصباني، وعاد الأمير جهجاه إلى بلاده منتصراً، واليه يعود هذا النصر، إذ أعتمد الأخير في ظل اختلال ميزان القوى مع خصمه على تخطيطه العسكري البارع، وشجاعته المتناهية، واقدامه المنقطع النظير (393).

(نصر الله، تاريخ بعلبك، ج ١، ص ٣١٨-٣١٩ ؛ الشدياق، المصدر السابق، ج ٢، ص ٣٤٩.391)

(يوسف الدبس، مختصر تاريخ سوريا، ج ٢، ص ٣٧٦ ؛ المعلوف، دواني القطوف، ص ٢٧٠.392)

(حيدر الشهابي، لبنان في عهد الامراء الشهابيين، ج ٢، ص ١٣٨ ؛ ستيفن ونتر، المصدر السابق، ص 393)

المعركة السادسة:

الجزار لم ينسَ هزيمته على يد الأمير جهجاه، فعمل على أعاد تنظيم جيشه المنهزم من جديد، ليعاود القتال مرةً أخرى للانتقام لهزيمته السابقة، فسار بقواته نحو البقاع، ووصل بالقرب من قرية جب جنين في البقاع عام ١٧٨٩م، حيث وجدت قوات الأمير الشهابي، و تلك الواقعة حدثت دون مشاركة الأمير جهجاه، والتقى الجيشان ونشبت بينهما معركة عنيفة، انتهت بانهزام قوات الشهابي، وأضطر الأخير مع رجاله للتراجع إلى منطقة الباروك، كسرت تلك الهزيمة هيبة الأمير يوسف أمام رجاله وسكان بلاده، وعلى أثرها ترك الحكم للأمير بشير قاسم الشهابي في العام نفسه (394).

على ما يبدو، إن المعارك التي خاضها أو شارك فيها الأمير جهجاه كان النصر في كل مرة لصالحه، ذلك دل على موهبته القتالية ومقاومته المستميتة والناجحة في المعارك، واعتماده في كيفية توظيف قدراته التفكيرية.

بعد النصر الذي حققه الأمير جهجاه على جيش الدولة، والانتصارات المتوالية على قوات الجزار ووالي دمشق، قد قويت شوكة بن الحرفوش، وأشتهر أمره بين البلاد، فأصبح من الأمراء الذين لهم شأن وقدر كبير، ولهذا أمتنع عن دفع الضرائب إلى والي دمشق إبراهيم باشا، فبقيت الدولة تنتظر الفرصة المناسبة للقضاء عليه وطرده من بعلبك حتى عام ١٧٨٩م، حينها جهزت جيشاً من مدينة حمص ودمشق بقيادة الحاج إسماعيل الكردي، ولما علم الأمير بقدومهم، وكان في قرية حوران خارج حدود بعلبك، ففوجئ ولم يكمل معه رجال تغطي المعركة، فانسحب كعادته لتدبير المقاومة ولجمع الرجال حوله، ودخل إسماعيل المدينة وصادر أموالها ونهب أرزاقها وانحصرت انجازاته فقط في القبض على حريم الأمير جهجاه الاربعة وأمواله وأمتعته ونقلهن إلى والي دمشق (395).

ولما علم جهجاه بالأمر ثارت ثائرتة وتقدم إلى بعلبك، وهدد سكانها المتآمرين ضده، ففروا خوفاً منه إلى القرى التابعة لولاية لدمشق، ثم قام بإخلاء المدينة مع القرى المجاورة من جميع سكانها وذهب بهم زحلة، وطلب من أهل هذه المدينة، أنه إذ خرج هو لمحاربة الكردي، أن

(فؤاد خليل، المصدر السابق، ص ٦٦. 394)

(المعلوف، دواني القطوف، ص ٢٧٣؛ كرامة، المصدر السابق، ص ١٢٥. 395)

يخرجوا من بيوتهم جميعاً لمشاهدة مجريات الحرب دون الاشتراك فيها أو الاقتراب من ميدانها⁽³⁹⁶⁾.

وصل الحاج إسماعيل إلى دمشق، ومعه الحريم، سرّ الباشا لصنعتة تلك، وأكرمه وأنعم عليه بحكم بعلبك، وجاء الحاج المذكور في التاسع من تشرين الثاني من العام نفسه، على رأس جيش كبير، وتسلم زمام حكم المدينة، حينها فتوجه بن الحرفوش إلى حلفائه، ولأدب بجمي آل مراد اللمعي لمدة ثلاثة عشر يوماً طالباً منهم المساعدة، ثم عاد إلى زحلة ومعه نحو ستمائة فارس⁽³⁹⁷⁾، فمضى الخبر إلى الحاج، عن طريق أحد رجاله الخاصين ودعى نقولا الدروبي، الذي كان يقتني أثر بن الحرفوش، فجهز الحاج جيشاً يناهز سبعمائة مقاتل، وتوجه به إلى زحلة، وعندما وصل إلى حدود المدينة، قال لهم أنه لا يتعرض لأحد فيها، وأبلغهم أن هدفه جهجاه وحده، فأجابوه أنه خصمك قد خرج إليك لملاقاتك خارج البلاد ونحن لا نحمله ولا نحاربه فافعل به ما تشاء⁽³⁹⁸⁾، فالتقيا في كرك نوح في العاشر من كانون الثاني عام ١٧٨٩م، ودارت معركة فاصلة بينهما وبدأت الأهالي بالخروج لمشاهدة المعركة من بعيد فكان جهجاه مع رجاله مقبلين عليهم بشجاعة فائقة دون خوف أو تردد. ففزع الجيش وهرب من أمامه، فالحقوهم ولكنهم حاربوه فغلبهم وتبعهم إلى الزبداني خارج حدود البقاع، وقتل منهم نحو مائتي رجل، بينما قتل من رجاله عدد قليل لم يتجاوز الستين، وانتهت المعركة بانتصار جهجاه، فعاد إلى مركز إمارته وأنقم بشدة بعد ذلك من معارضيه، وقطع رأس مفتي المدينة (محمد سلمان)، وثم قتل أعوانه ومؤيديه، ثم ما لبث أن انصرف إلى المفاوضات ليثبت حكمه على البلاد بواسطة عباس التل، لدى والي دمشق⁽³⁹⁹⁾.

بلغت أخبار انتصار الأمير جهجاه على الحاج إسماعيل واسترجاع حكم بعلبك وقتل المفتي إلى إبراهيم باشا، فقرر أن مهاجمة المدينة، ولكن تريث حيث جاءه حاكم الزبداني ونصحته، بأن الأمير جهجاه، باستطاعته الهروب إلى الجبال متى ما شاهد الأمر قد صعب عليه، ولم يستطيع أن التغلب عليه، وبعلبك لا يمكن أن يحكمها غيره فتمكن من أقناع الوالي وأنهاء المشكلة، واطلق سراح حريمه، مقابل أربعين كيساً من الذهب أداها مباشرة للوالي، بشرط أن يدفع الأموال الأميرية

(حيدر الشهابي، لبنان في عهد الامراء الشهابيين، ج ٢، ص ٣٩١؛ أسد رستم، آراء ومباحث، ج ١، ص 396)
٣٤٧.

(كرد علي، خطط الشام، ج ٣، ص ٣١؛ الشدياق، المصدر السابق، ج ٢، ص ٣٥٤؛ 397)

(المنير، المصدر السابق، ص ٨٨؛ نصر الله، تاريخ بعلبك، ص ٢٩٩. 398)

(المنير، المصدر السابق، ص ٨٨؛ كرد علي، خطط الشام، ج ٣، ص ٣٣؛ الشدياق، المصدر السابق، 399)
ج ٢، ص ٣٥٥.

المتأخرة عليه، فوافق حاكم الزيداني، وعلاوة على ذلك أبقى الأمير سلطان بن الحرفوش كرهن، إلى حين يتم اكمال دفع تلك الأموال، وحمل اليه خلع الامارة⁽⁴⁰⁰⁾.

المعركة السابعة :

تولى الجزائر ولاية دمشق عام ١٧٩٠م، فضلاً عن ولاية صيدا، وأصبح ذلك الأمر بمثابة نقطة احتدام الصراع بينه وبين الأمير جهجاه، وقرر الجزائر أن الانتقام من جهجاه، والثأر لهزيمته في معارك متتالية على يد بن الحرفوش، فاتفق مع الأمير بشير الشهابي، على عزل أمير بعلبك والاستعانة بأمير من نفس الأسرة لإتمام الخطة ووقع الاختيار على قاسم بن الأمير حيدر، ابن سبع عشره عام، والغاية من ذلك استعماله كهدف عسكري من شأنه الحد من المقاومة المحلية، لكونه من آل الحرفوش، فضلاً عن أن الأمير قاسم هو بن الأمير حيدر صاحب الأثر المحمود لدى أهالي بعلبك⁽⁴⁰¹⁾، جهز الحليفان (الشهابي والجزار) معاً جيشاً كبيراً على نحو الفي ومائتي فارس، وساروا به من دير القمر، ومعهم الأمير قاسم بن عم الأمير جهجاه لمداومة بعلبك، وأنضم إليهم خمسمائة فارس من سكان زحلة والمتن، وكان جهجاه آنذاك في تمنين⁽⁴⁰²⁾ وعلم بالأمر، فتهياً للقتال وجمع رجاله وكانوا ربع الجيش المهاجم، والتقى الجيشان في قرية ابلح، واحتدم الصراع بين الجيشين، وهربت فرسان الجزائر والشهابي من أمام قوات الأمير جهجاه، فقاموا بملاحقتهم، إلى أن تفرقوا، وانتهت المعركة بانتصار جيش أمير بعلبك بالرغم من قلتهم، ووصف أحد المؤرخين تلك المعركة قائلاً: "كان جهجاه جامعاً عسكريه معه في قرية تمنين، فحالما بلغه حضور العدو، قام من تمنين إلى أبلح، فلما نظرتة عساكر دمشق، وقع الخوف في قلوبهم، فهربت الخيالة، أما المشاة فامسكوهم وأخذوا منهم اسلحتهم بعد أن قتل عدد قليل منهم ، ذلك في الواحد والعشرين من حزيران عام ١٧٩٠ م " ^(٢)، تلك معركة أخرى ينتصر فيها الأمير، من دون أن تشتعل نيران البنادق لفترة طويلة، وانتصر الأمير ودخل المدينة باحتفال كبير^(٣) .

بعد مرور شهرين أراد الأمير بشير الشهابي الثأر لهزيمته تلك، كي لا يبدو ضعيفاً امام الجزائر ورجاله، فجهز جيش جمعه من كل البلاد يتقدمه أخوه الأمير حسن وكاخيتة ناصيف آغا، فلما علم جهجاه سار على نفس خطته، هي أخلاء المدينة والقرى من الناس والغذاء أيضاً، لكي لا يجد المهاجمون ما يستفيدون منه، بينما توجه هو إلى قرية اللبوة للاستعداد للحرب، ولما وصل المهاجمون إلى بعلبك انهمكوا في أعمال السلب والنهب، لكنهم لم يجدوا شيئاً، فأمرهم الجزائر

(المعلوف، تاريخ الامير فخر الدين الثاني، ص 400.٢٣٢)

(حمادة، المصدر السابق، ج ١، ص ٣٣٠. 401)

(كرامه، المصدر السابق، ص ١٢٧-١٢٨؛ الشهابي، تاريخ الامير حيدر الشهابي، ج ٢، ص ٤٢٧. 402)

بالعودة إلى دير القمر، حيث أقتنع حينها الجزار، بعدم قدرة جيش الأمير بشير العسكرية باحتلال بعلبك والقضاء على جهجاه⁽⁴⁰³⁾.

المعركة الثامنة :

بالرغم من كل الهزائم التي تلاقها جيش الجزار على يد الأمير جهجاه ورجاله، إلا أنه لم يستسلم، ولم يخضع للأمير، وبالمقابل بن الحرفوش لم يمل من حملات الجزار⁽⁴⁰⁴⁾، فجهز الجزار حملة أخرى بعد شهر من نهاية المعركة الأخيرة، متكونة من عدد كبير من القوات هذه المرة لم يقود الجيش الجزار، وإنما كان تحت أمره الأمير قاسم بن الأمير حيدر الحرفوش، وتوجهوا نحو المدينة، وعند وصول الجيش حدود المدينة، تظاهر جهجاه بأنه هارب، والبلاد فارغة من السكان كما تعودوا عليه في السابق، فدخلت قوات الجزار المدينة دون قتال، ولاحظوا الهدوء فاطمأنوا للوضع داخل بعلبك، في حين الأمير جهجاه عاد ليلاً مع رجاله إلى بعلبك في الليلة الأولى لهم في الإمارة، فأحرق القرى التابعة للمدينة منها بيارد وتمنين ورياق، ونهب كل ما وقع بيده، حتى يمنع الغزاة من الاستفادة منها، وأنسحب بعد ذلك إلى رأس بعلبك، وظل الأمير قاسم ورجاله داخل البلاد وهي خراباء خالية من الأهالي، وأستمر على هذا الحال مدة أربعة أشهر إلى أن والأمير جهجاه مختفياً عن الأنظار إلى أن ظهر في الحادي عشر من حزيران عام ١٧٩١م على حين غفلة في المدينة وهاجم الأمير قاسم وقتله، مع اثنتا عشر رجلاً، ودخل المدينة في ذلك الوقت وملكها بسيفه وحكم فيها⁽⁴⁰⁵⁾.

المعركة التاسعة :

بالرغم من الانتصارات المتتالية التي منى بها الأمير جهجاه في المعارك التي خاضها، لكن الإمارة وسكانها وأمرائها لم تجن منها سوى الكوارث والمحن وخراب المدينة، على ضوء ذلك أتجه الأمير جهجاه إلى توطيد علاقته بالتحالف مع الأمير الشهابي وجبل لبنان، بدلاً من التعامل مع ولاية دمشق، أدى إلى استياء والي دمشق أحمد باشا (١٧٩٠-١٧٩٥م)، من حاكم بعلبك⁽⁴⁰⁶⁾، فقام الوالي بأرسال جيشاً لمهاجمة بعلبك أو بمعنى أصح للقضاء على الأمير جهجاه

(حيدر الشهابي، تاريخ الامير حيدر الشهابي، ج٢، ص ٢١١.403)

(٢) المنير، المصدر السابق، ص ٨٩ ؛ نصر الله، تاريخ بعلبك، ج ١، ص ٣٠٣ .

(٣) كرد علي، خطط الشام، ج ٣، ص ٣٨ ؛ نصر الله، تاريخ بعلبك، ج ١، ص ٣٠٧ .

(٤) اسد رستم، آراء ومباحث علمية، ص ١٩٧ ؛ كرد علي، خطط الشام، ج ٣، ص ٣٩ .

عام ١٧٨٩م، بعده أصبح هدف بالنسبة لحكومة دمشق يصعب الوصول اليه، و مثل كل مرة قام جهجاه بالانسحاب من المدينة مع رجاله إلى قرية الزيداني، حيثما يوجد حليفه الوفي قبل أن تصل قوات الوالي، فجمع رجالاً نحو مائة فارس ومثلها من الدروز، عندئذ هاجم المدينة وقتل ثلثي قوات الدولة المتواجدة فيها، ودخلها بن الحرفوش، وبعث ببعض رؤوس القتلى إلى الشهابي الذي أعانه في هذه المعركة، فارسل له الأخير التهاني⁽⁴⁰⁷⁾.

المعركة العاشرة (معركة زحلة):

وأعاد الكرة الجزار بجيش أكبر على بعلبك وملك البلاد عام ١٧٩١م، وهرب جهجاه كالمعتاد إلى الجبال، وقضى شهرين وهو متنقلاً بين أرجاء البلاد، فلم يكن معه أكثر من مئة محارب، فاستأجر من زحله والجبال خمسمائة مقاتل لمدة يوم واحد بخمسة قروش لكل منهم، وكان معه شقيقة الأمير سلطان فوضع في الثلاثين من كانون الأول عام ١٧٩١م خطة لاحتلال بعلبك، خطته تتلخصت، بالتسلل ليلاً إلى داخل الإمارة إلى وسط المدينة، دون الشعور بهم، ومنع رجاله من القيام بأي حركة أو صوت، وأعطاهم كلمة السر، هي عبد الله، وأن لم يرد عليها بالمثل، أمر بأطلاق النار عليه حالاً، وختار الدخول من جهة الشمال من ناحية اللبوة إلى المدينة، حيث كان يوجد حرس كثيف من جهة الغرب⁽⁴⁰⁸⁾، وعند حلول الظلام، بدأ بتنفيذ الخطة بحسب ما خطط لها جهجاه، فدخل بعلبك مع أخوه ورجاله بعد منتصف الليل من الشمال، بعد أن تمكنوا من قتل الحراس المتواجدين، وعددهم لم يتجاوز العشرة، وبعدها تمركزوا في الوسط، فقاموا بأطلاق النار مع ارتفاع صيحات رجاله، اعتقد أفراد الجيش أن عدداً كبيراً قد داهم المدينة فأصابهم الذعر وأذهلتهم المفاجأة، فلم يستطيعوا المقاومة فلابدوا بالفرار، والقليل منهم من استطاع من حمل السلاح وركب فرسه، فقتل أكثر من النصف، وهرب الباقيون إلى دمشق، فعاد جهجاه أميراً في إمارة آبائه وأجداده، ولما علم الوالي أحمد باشا بالأمر، توعد جهجاه بأخذ الثأر⁽⁴⁰⁹⁾.

المعركة الحادية عشر:

عاود الجزار الكرة وهاجم بعلبك بجيش أكبر وأضخم، فهرب الأمير جهجاه مع رجاله إلى الأمير سلمان في زحلة، فتبعوه فرسان الجزار إلى هناك في العشرون من كانون الثاني عام ١٧٩٢م، وبادر الأمير بمهاجمتهم وقتل خمسة عشر رجلاً منهم، وهرب الباقيون وقام بملاحقتهم

(نصر الله، تاريخ بعلبك، ج١، ص ٣٠٧. 407)

(يوسف الدبس، مختصر تاريخ سوريا، ج٣، ص ٧٥؛ الصفي، المصدر السابق، ص ٣٢٢. 408)

(المنير، المصدر السابق، ص ٨٨؛ المحبي، المصدر السابق، ج٤، ص ٤٢٣. 409)

حتى وصلوا إلى القرعون في نهاية البقاع، ثم عاد إلى قب الياس في الخامس من شباط من العام نفسه، فاصدر الجزار امراً إلى القوات الموجودة في البقاع والتابعة لجيش لوالي دمشق، بمهاجمة جهجاه وهو في قب الياس⁽⁴¹⁰⁾، لكن الأخير تمكن من الهرب منهم والانسحاب إلى شمال البقاع فتبعته القوات، وعندما وصلوا إلى قريتي فرزل وأبلح، عبثوا ونهبوا تلك القرى، ولما عجزوا عن ملاحقة جهجاه وقتله، قاموا بقتل سبعة عشر من رعاة المواشي الذين رأوهم في الطريق، وبعثوا برؤوسهم إلى الجزار، فلما رآها أدرك أنها ليست رأس جهجاه ورجاله، حتى أرسل لجنوده كتاب جاء فيه : (لقد ارسلتكم لتقطعوا رأس جهجاه الحرفوش وأنتم لم تستطيعوا إلا قتل الأولاد، فاتركوا البقاع إلى عكا)، فعادوا إلى عكا وارجوا البلاد من شرهم⁽⁴¹¹⁾.

أستمرت المعارك بين الجزار والأمير جهجاه سجلاً متتابعة من المعارك المتواصلة لم تهدأ ولم تعرف معنى الاستقرار، حتى تاريخ عزل الجزار من ولاية دمشق عام ١٧٩٥م، فاستمرت الحملات بالتوالي من دمشق إلى بعلبك، ولكن حنكة جهجاه وشجاعته لم تترك مجالاً لتحقيق أي هدف سياسي للجزار، فتعود تلك الحملات فاشلة بعد أن تترك أثار التدمير والخراب والقتل في أمكنه مرورها⁽⁴¹²⁾، وكانت آخر حملة شنّها الجزار على بعلبك في العام الأخير من ولايته الثانية، ولم تختلف عن سابقتها، حيث انسحب الأمير إلى رأس بعلبك وأخلى الناس والغذاء أيضاً، فعاد جيش الجزار مخذولاً كعادته⁽⁴¹³⁾.

يتضح مما سبق، أن نجاح الجزار في اجتياح جبل عامل وتشريد أهلها وقتل زعيمها، والنكبة التي انزلها والي عكا بالأمير مصطفى وأخوته وسائر أفراد الأسرة عام ١٧٨٤م، أثبتت بأن هذه القوى ومن يحركها ومن قف وراءها، فشلت جميعها بالقضاء على جهجاه والنيل منه، بالرغم من محاولاتهم المتكررة، ذلك يرجع إلى العبقرية العسكرية الفذة التي اتصف بها، وجرأته القتالية النادرة وتخطيطه البار، وشجاعته تلك، دفعت الناجين من تلك المجازر إلى التضامن والالتفاف حول جهجاه، إذ قام بالرد على الحملات المتتابعة وهزيمتها التي كان يشنها عليه حكمة الوالي العثماني، إذ كانت هدف جميع تلك الحملات، هو القضاء عليه وتعيين موظف عثماني بدلاً عنه .

إمارة آل الحرفوش في العهد العثماني :

مرت إمارة آل الحرفوش في العهد العثماني، بثلاثة أطوار:

(كرد علي، خطط الشام، ج٣، ص٧٤ ؛ المنير، المصدر السابق، ص٨٨. 410)

(ستيغن ونتر، المصدر السابق، ص٣٥٤؛ نصر الله، تاريخ بعلبك . ج١، ص٣١٣؛ فؤاد خليل، 411 المصدر السابق، ص٧١ .

(كرامة، المصدر السابق، ص١٢٧. 412)

(حمادة، المصدر السابق، ج١، ص٣٨٧؛ الشدياق، المصدر السابق، ج٢، ص٣٤٧. 413)

أولاً: طور التأسيس والبناء (١٤٣٧-١٦٠٨م):

بدأ مع حكم الأمير علي بن موسى (١٥٣٧-١٥٩٠م)، في ثلاثينيات القرن السادس عشر حتى نهايته والجدير بالذكر فيما خص هذا الطور، بأنه شهد استقراراً مديداً، ذلك تبعاً لأسباب عدة، منها :

١. العلاقة

الوطيدة بين آل الحرفوش وآل معن في ظل سلطة الأمير فخر الدين الأول وأبنه قرقماس.

٢. حالة

الاستقرار العام التي عاشتها السلطة في الشطر الأكبر من القرن المذكور^(٤١٤).

٣. استتباب

أداء التنظيم الإقطاعي العثماني في ولاية دمشق، حيث تجزأ البقاع إلى ثلاث إمارات، كما طرحت في السابق، ما جعل من التوازن بين تلك العصبية الحاكمة سبباً راجحاً من أسباب عاشتها المتجاورة على قواعد مستقرة وثابتة ما زاد على أكثر من نصف قرن من الزمن .

٤. التوحيد

السياسي الذي أقامه الأمير الحاكم بين عصبية، وسائر الأمراء، والمشايخ في البلاد، يمثل عاملاً وازناً في صون ذاك التعايش من مغبة اختلاله واضطرابه طيلة المدة المشار إليها^(٤١٥).

ثانياً: طور التوسع (١٦٠٨ - ١٦٥٦م):

بدأ هذا الطور في عهد الأمير يونس (١٦٠٨-١٧٢٣م)، إذ رأى الأمير أن بعد زوال أسرة آل الحنش من كرك نوح وانهيار إمارة آل الفريخ في البقاع العزيزي، بأن الفرصة باتت مؤاتية لتوسيع حدود الإمارة باتجاه الجنوب والشمال، لذلك بادر إلى منازعة ابن عمه الأمير موسى، الحكم، فأزاحه عن سلطة الإمارة واستقل بها عام ١٦٠٨م، وعمل حثيثاً على تحقيق مشروعه السياسي التوسيعي، وبدأ الأمير في توطيد علاقاته مع الأمير المعني بغية التخفيف من تدخل الباشوات العثمانيين في شؤون بعلبك والبقاع، والعمل على صياغة حيز واسع من الاستقلال عن أولئك ، لكنه بالمقابل ذهب بالإمارة إلى تبعية أخرى، هي تبعية إمارة الجبل،

(حيدر الشهابي، لبنان في عهد الامراء الشهابيين، ج٢، ص٢٩٨ ؛ ميخائيل الوف، المصدر السابق، 414 ص ٢٥٣ .

(فؤاد خليل، المصدر السابق، ص ٨٣؛ نصر الله، تاريخ بعلبك، ج ١، ص ١٢٣ . 415)

الأمر الذي اظهر على نحو مبكر أن المشروع التوسعي لابن الحرفوش، م يش، إلا على استغلال التناقض بين أمراء الجبل وحكومة دمشق، والأفادة منه، لأمكانية تطبيقه وتنفيذه⁽⁴¹⁶⁾.

هكذا، كان من الضروري انقلاب الأمير يونس على حليفه المعني، وتأييد العثمانيين في قمع محاولته التوسعية عام ١٧١٣م، وعمل بعد ذلك لدى الصدر الأعظم على بذل الأموال الطائلة لنيل التزام البقاع وبلاد بعلبك، وأغتم بن الحرفوش الانف الذكر، غياب الأمير المعني عن جبل لبنان، فتوسع بإمارته نحو الشمال، حيث التزم سنجقية حمص وأمتد نحو الجنوب إلى بلدة مشغرة للاتصال بمشايع بلاد بشارة ودعوتهم للالتفاف حوله⁽⁴¹⁷⁾.

تبوأ بعد أن كان له الأمر موقع الأمير الكبير الذي قام بدور المسؤول للتوازنات بين لأمارات المتجاورة الذي شكل لها مرجعية عامة في فض نزاعاتها وخلافاتها شبه المستديمة⁽⁴¹⁸⁾، لكن ذلك الموقع أخذت تطوقه عودة الأمير المعني من ايطاليا عام ١٦١٨م، إذ أن التعايش القلق بين الأميرين الذي أستمتر خمسة أعوام، لم يلبث أن انهار في معركة عنجر ١٦٢٣م، إذ أدى انهياره إلى أضعاف المشروع بن الحرفوش الانف الذكر، واستخلاص نتيجة حاسمة مفادها الحدود الغربية القريبة من ولاية دمشق لا يمكن العيش فيها من قبل أميران كبيران، اندفعا إلى التنافس العلني حول التزام مقاطعاتهما من مركز الولاية⁽⁴¹⁹⁾.

على أثر ذلك خضعت إمارة البقاع وبلاد بعلبك ما قارب العقد من الزمن تحت سلطة أمير الجبل، ثم ما لبث أولاد الأمير يونس أن استعادوا السلطة عليها بعد النهاية المأساوية لمشروع الأمير يونس (الاستقلالي) ١٦٢٣م، واستمروا في حكمها بدعم من ولاة دمشق حتى عام ١٦٥٦م⁽⁴²⁰⁾.

يمكن القول، أن ذلك الطور حدث نتيجة الاستقرار في توازنات العصبية الحاكمة من جهة، واستتباب في موازين القوى بين أمراء المقاطعات في البقاع والجبل من جهة أخرى، وأن حدود الإمارة اتسعت وضاقت وفقاً لمعيار وحيد شبه دائم، هو مدى قدرة الأمير على توظيف الفائض الذي أستولى عليه في خدمة مشروع، قد أنسجم مع سياسة الالتزام لمدة محددة، فينمو ويزدهر، لكنه يبقى خاضعاً على الدوام لتهجها المختل والمضطرب، فتراجع وينحسر، بعد أن يكون قد استطال في السابق إلى حد، انعش لديه أوهاماً شتى عن (الاستقلال والحرية)، لكنه رغم خطورة الموقف فقد جازف وباشر بتنفيذ مشروعه الاستقلالي الذي اعطى حياته ثمناً له .

(المحبي، المصدر السابق، ج٤، ص٢٩٥.416)

(فؤاد خليل، المصدر السابق، ص ٨٥؛ الشدياق، المصدر السابق، ج٢، ص ٣٢١.417)

(المعلوف، دواني القطوف، ص ١٩١؛ فؤاد خليل، المصدر السابق، ص ٨٥.418)

(بازيلي، تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين، ص ١٣٢.419)

(نصر الله، تاريخ بعلبك، ج١، ص ٢٩٨؛ حمادة، المصدر السابق، ج١، ص ١٦٩.420)

ثالثاً: طور التآكل والأنهيار (١٦٥٦-١٨٦٥م):

دخلت الإمارة بعد انتهاء حكم أولاد الأمير يونس، طوراً مديداً من الصراعات الداخلية والخارجية العنيفة التي جعلتها مرتبهة لموازن قوى متقلبة بين إمارة الجبل وكل من ولايتي طرابلس ودمشق، لذلك عاشت تاريخاً سياسياً مضطرباً تقلصت في ضوئه الحدود السابقة للإمارة إلى حدود بلاد بعلبك⁽⁴²¹⁾، حيث شهدت المدينة في بعض الأوقات ضغوطاً متزايدة جعلتها متقلصة ومنكمشة تبعاً للتنازعات القائمة في داخل الإمارة وفي خارجها، وحدث ذلك تبعاً لناحيتين أساسيتين، هما :

الناحية الأولى :

ألف شيوع الالتزام في البلاد، الأساس المادي لنمو الصراعات وتعاظمها، الأمر الذي كان دفع أمراء آل الحرفوش نحو التسابق على نيل براءة الالتزام، من مجلس الولاية في دمشق، ونظراً لذلك تعمق انقسامهم العصبي إلى أطراف متناحرة، سعى كل منها إلى الفوز بسلطة الإمارة ما كان يفرض بالضرورة على الأمير الطامع بها، ولذلك طلب الدعم من الخارج لعله وجد في ذلك سنداً قوياً قهر به نده العصبي المنفرد لوحده بزمام الأمور، بعد أن يكون قد أتاح للأمير الشهابي أو والي طرابلس الفرصة في إصدار براءة تضمن اقتطاع المناطق الواسعة من إمارته كلها في وضعية التبعية الخائفة⁽⁴²²⁾.

الناحية الثانية :

أزادت الصراعات الداخلية تفاقمًا في إمارة بعلبك، حين وصلت المنازعات العصبية إلى حد جعلت من كل أمير من الأسرة طامح الحصول على مشروع الأمير الحاكم، آنذاك عاشت الإمارة في مأزق متنام كان لابد أن يجد متنفسه في القمع المعمم اسلوباً غالباً على العلاقة بينهما وبين الأعيان والرعية، وهكذا أقدم آل الحرفوش في الربع الأول من القرن الثامن عشر على تصفية جماعية لآعيان بعلبك وعائلاتها، بغية التخلص من مناوئة الطامعين بحكم البلاد من غير آل الحرفوش، لكن هذا الأمر أدى إلى تفرغ المدينة من أغلب سكانها، فتحوّلت من مركز رئيس إلى بلدة صغيرة لا يزيد تعدادها على خمسة آلاف نسمة⁽⁴²³⁾. يستدل مما سبق، أن كل ما مرت به أسرة آل الحرفوش من ظروف وعوائق خارجية ومحلية، لكنهم لم يحدوا عن صراعاتهم الداخلية العصبية، بل ازدادت حدة وفاقماً، ما جعل سلطتهم تختنق بين الولاة حيناً واطماع الأمراء المجاورين حيناً آخر.

(٤٢١) فضل رعد، المصدر السابق، ص ٣٥؛ يوسف الدبس، مختصر تاريخ سوريا، ج ٢، ص ١٦٦.

(٤٢٢) أحمد الحلاق، المصدر السابق، ص ١٥٩؛ اسد رستم، أراء ومباحث، ج ٣، ص ١١٨.

(٤٢٣) المنير، المصدر السابق، ص ١١٧.

ضمن هذا السياق، كان لابد من ظهور بعض المحاولات الهادفة لأمرء تلك الإمارة من أجل إعادة مجدها السابق، وأن يسقط تحت وطأة يأس قاتل كان يجد في التآكل العصبي الداخلي، وفي ظروف القرن التاسع عشر، الشروط المناسبة لتحويله إلى مادة غنية يستغلها جيداً والي دمشق، لكي يتخذ عام ١٨٥٠م، قراره النهائي في الغاء إمارة البقاع وبلاد بعلبك⁽⁴²⁴⁾.

والوقائع التاريخية السابقة، اثبتت ان اماره ال الحرفوش، عاشت في تاريخها الطويل حالة دائمة من الاختناق السياسي المتولدة عن موازين الصراع بين الجبل ومركز الولاية في دمشق، ولعل الامر هذا ، هو الذي افضى إلى جعل بعلبك والبقاع ساحة صراع مفتوح بين الطرفين، إذ كان يتقرر في ضوئه طبيعة التوازن بينهما وحدود استقراره واستتبابه⁽⁴²⁵⁾.

يمكن القول، بأن بعلبك الفت مادة سياسية لمساومة مفتوحة بين الجبل والولاية، حيث كان حكامها توضح ان توسع الامارة وازدهارها له قانون واحد هو: كيف يصوغ امرء آل الحرفوش امكانية استغلال الصراع حولهم لا ضعاف اماره الشوف وحصر نفوذها في مقاطعاتها الجبلية، لكن تلك الاحكام والوقائع اوضحت في الوقت نفسه ان طور التوسع في تاريخ الامارة لم يعد عن كونه طورا استثنائيا عارضا، وان لهذه الامارة قانونا عاما لا تحيد عنه، هو كيف تنتقل من حاله الانضواء الطوعي في نطاق سلطة الولاية الى التمرد عليها ورفض احكامها فقط، ومن ثم كيف تتحول بعد ذلك الى وضعية (التبعية) القسرية لسلطة الامارة في الجبل، وان بلاد بعلبك في ظل حكم ال الحرفوش، اتصل طواعية مع ولاية دمشق واختيارا وتمردا عليها من قهره وظلمه، بيد انه كان يتصل بالقمع مع اماره الجبل وبلاستبداد، وينفصل عنها او يتمرد عليها بإرادة ومشئته⁽⁴²⁶⁾.

المعلوف، دواني القطوف، ص ٢١٣؛ أحمد الحلاق، المصدر السابق (١٩٩٠)، ص ١٤٤.

فؤاد خليل، المصدر السابق، ص ١٤٤.

(٣) فضل رعد، المصدر السابق، ص ٤٢؛ كرامة، المصدر السابق.

الفصل الثالث

صراعات آل الحنفوش مع القوى المحلية المجاورة

المبحث الأول: صراع آل الحنفوش مع الاسرة المعنية
المبحث الثاني: صراع آل الحنفوش مع الأسر الأخرى
(الشهابيين – آل سيف – الحماديين) أنموذجاً

المبحث الأول: صراع آل الحرفوش مع الأسرة المعنية

العلاقات المحلية :

حكم الصراع والتنافس طبيعة العلاقات الأسر المحلية بعضها ببعض، وتعد السمة السائدة والمشاركة بين جميع مستويات التنظيم الاجتماعي، إذ في بعض الأداء السياسي لأمرائها دل على أنهم كانوا أدركوا جيداً المصلحة المشتركة التي ربطتهم مقابل السطوة البالغة للوالي العثماني في دمشق، ولهذا السبب تحالفوا مع أمراء آل معن وآل شهاب وخاضوا إلى جانبهم معارك ضد عدوهم المشترك (السلطة العثمانية)، فأحياناً أدت الظروف إلى قيام نزاعات ومنافسات، وصلت إلى صدامات دامية فيما بينهم، أو فرضت المصالح المشتركة والعصبية المتقاربة قيام تحالفات آنية سرعان ما تنهوى في أول مناسبه، إذ قام آل الحرفوش حرباً لا هوادة فيها على جيرانهم التركمان، من بني سيفا في طرابلس وعكار، وآل الفريخ في سهل البقاع، بسبب تصادم المصالح، في حين كانت سياسة الولاة العثمانيين في ولاية دمشق عملت على تخريب العلاقات بينهما، ابتغاء إضعاف الطرفين⁽⁴²⁷⁾ من أهم الأسر التي عاصرت أسرة آل الحرفوش، منها:

أسرة المعنيين (١٥١٦-١٦٩٧م):

تعد عائلة المعنيين بطن من بطون قبيلة ربيعة⁽⁴²⁸⁾، من سلالة معن بن ربيعة الأيوبي الربيعي⁽⁴²⁹⁾، من فخذ ربيعة الفرس⁽⁴³⁰⁾ بن نزار بن معد بن عدنان، المنتسبون إليه العرب المستعربة⁽⁴³¹⁾، بن أد بن أدد بن اليسع بن الهيمسح بن سلامات بن جبل بن حمل بن قي دار بن

(٤٢٧) نصر الله، تاريخ بعلبك، ج ١، ص ٢١٣؛ فؤاد خليل، المصدر السابق، ص ٢٢.
(٤٢٨) قبيلة ربيعة: وهي القبيلة المشهورة، الذي يتصل عمود النسب ب(عدنان)، من نسل إسماعيل بن إبراهيم الخليل عليهما السلام. للمزيد ينظر: ابن حزم الاندلسي، جمهرة أنساب العرب، تح: لجنة من العلماء، ج ١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٣، ص ١٢٨.

(٣) الأيوبي الربيعي: وهو جد الأمراء المعنيين، المنسوبة إليه تلك الأسرة، الذي اشتهر في عهد الاتابك طغتكين حاكم دمشق، في محاربة الافرنج. للمزيد ينظر: التتويخين، ط ٢، دار صادر، بيروت، ٢٠١٠، ص ٧١؛ أسراء شريف الكعود، فخر الدين المعني الثاني ودوره في تاريخ لبنان، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة بغداد، كلية التربية، ٢٠١٣، ص ١٠٦؛ سامي نسيب مكارم، لبنان في عهد الامراء التتويخين، ط ٢، دار صادر، بيروت، ٢٠١٠، ص ٧١.

(٤٣٠) ربيعة الفرس: هو ربيعة بن نزار عندما توفي والده ورث عنه الخيل، واصبح يطلق عليه ذلك الاسم.
(٤٣١) قسم العرب قبل الإسلام من المؤرخون والنسابون من حيث القدم إلى ثلاث طبقات هي (العرب البائدة، العرب العاربة، العرب المستعربة)، اما الأخيرة وهم من صلب سيدنا إسماعيل عليه السلام، والذي قد تزوج

إسماعيل⁽⁴³²⁾، منشأ ديارهم الأصلية، تعود إلى بلاد الحجاز في العصر الجاهلي، وبعد تناسلها وتكاثرها، أرتحل الكثير من قبائلها إلى بقاع شتى من الجزيرة العربية، حيث وجود الماء والمراعي، فهاجرت قبيلة ربيعة إلى تهامة، فقطنت في شمالها، وسميت تلك الديار ب (ربيعة الفرس)، وظهر رجل من تلك القبيلة يسمى (أيوب) وكان فارساً شجاعاً مغوراً سلاباً وأشتهر ببسالته ونفوذ كلمته بين سائر القبائل الأخرى، وله من الأولاد أحد عشر ولداً، ولما عظم شأنهم نهض إليهم سادات ربيعة وأخرجوهم من بينهم حسداً فرحلوا⁽⁴³³⁾، فضلاً عن قيام الحروب القبلية الطاحنة التي وقعت بين أكبر بطون قبائل ربيعة في القرن السادس الهجري ومن أشهرها حرب البسوس⁽⁴³⁴⁾، فنزحت العرب الأيوبية إلى شمال الجزيرة الفراتية، فتكاثروا في الجزيرة ولقب ب (العرب الإيوبية)، واستقرت فيها على أمتداد قرون عديدة فيها، حتى مبعث الرسول الأعظم (ﷺ)، ثم هاجرت تلك القبائل إلى بلاد الشام في الفتوحات الإسلامية، وسكنت ربيعة الفرس بالقرب من حلب، وبرز زعيم القبيلة عام ١٠٧٥م ويدعى (ربيعة) وعند وفاته خلفه في الزعامة ابنه (معن)⁽⁴³⁵⁾ عام ١٠٩٩م في عهد الخليفة المستعلي بالله⁽⁴³⁶⁾، (١٠٩٥-١١٠٣م)، وقد سبقت شهرته وسمعته بين القبائل قبل أن ينتدب سيداً للقبيلة⁽⁴³⁷⁾، وأشتهر بحقده للفرنجة، وكان

-
- من رعدة الجرهمية، فتعلم منها العربية. للمزيد ينظر :مؤلف مجهول، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج١، ط٣، دار العلم للملايين، بيروت، د.ت، ص ٢٩٤.
- (٤٣٢) زكي النقاش، دور العروبة في تراثنا اللبناني، دار لبنان للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٧٤، ص ٥٦-٥٧؛ سامي مكارم، المصدر السابق، ص ٢٦٢.
- (٤٣٣) الشدياق، المصدر السابق، ج١، ص ١٨٦.
- (٤٣٤) ووقعت بين قبيلة بكر بن وائل وتغلب بن وائل، واستمرت ما يقارب أربعين عام، وأدت إلى تفريق تلك القبائل إلى أنحاء متفرقة من شبة الجزيرة العربية. للمزيد ينظر: وجيه كوثراني، الاتجاهات الاجتماعية والسياسية في جبل لبنان والمشرق العربي، ط٢، معهد الاتحاد العربي، بيروت، ١٩٧٨، ص ٥٨.
- (٤٣٥) وهو جد الأسرة المنسوبة إليه .
- (٤٣٦) الخليفة المستعلي بالله: وهو أبو القاسم احمد، ولقب بالمستعلي بالله، يعد الخليفة السادس من نسل الأسرة الفاطمية، والمئة والخمسون من تسلسل الخلفاء المسلمون، واطلق على عهده بالعصر الفاطمي الثاني، وتميز بقدوم الحملة الصليبية الاولى واستقرارها في بلاد الشام . للمزيد ينظر: عارف تامر، الموسوعة التاريخية للخلفاء الفاطميين (المستعلي بالله)، ج١، دار الخيل للطباعة والنشر، مصر، ١٩٨٠، ص ٧٧-٧٨؛ المقرئ، الخطط والآثار، ج٣، ص ٣١٢.
- (٤٣٧) ابو يعلى حمزة ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، مطبعة الالباء اليسوعيين، بيروت، ١٩٠٨، ص ١٦٨؛ عباس ابو صالح ومكارم نسيب سامي، تاريخ الموحدين الدروز السياسي في المشرق العربي، المجلس الدرزي للبحوث والإتماء، بيروت، د.ت، ص ٩٧-٩٨.

هذا في عداد الحملة التي قادها حاكم دمشق طغتكين⁽⁴³⁸⁾ ضد الفرنجة عام ١٢١٩م، وعند رجوع حاكم دمشق من حملته تلك، أمر معن أن يتقدم مع عشيرته إلى سهل البقاع، ثم نزل إلى الشوف، ولم يكن حينئذ عامراً، فتقدم في صحراء بعقلين، وطفق يتودد مع آل تتوخ⁽⁴³⁹⁾ أمراء الغرب، ففويت علاقته بأمرهم آنذاك، وكان سيدهم بحتر التتوخي⁽⁴⁴⁰⁾، واتخذ حليفاً، ثم تطورت العلاقة إلى مصاهرة أذ تزوج معن من ابنة الأمير نعمان التتوخي، وما لبث أمير معن أن هجر مضارب الخيام، وبدأ يشجع قومه على البناء، فاستمر على ذلك نحو ثلاثين عام، حين توفاه الله في عام ١١٤٩م، على عهد السلطان نور الدين الزنكي⁽⁴⁴¹⁾ حاكم دمشق، وأصبح بعد ذلك الشوف يعرف بجبل (ابن معن)⁽⁴⁴²⁾.

إمارة آل معن (١٥١٦-١٦٩٧م) في العهد العثماني :

طفقت تلك الأسرة تنمو في البلاد ويعظم شأنها كثيراً في الحكم العثماني، إذ فوض السلطان سليم الأول الأمير فخر الدين بن عثمان المعني الأول⁽⁴⁴³⁾ عام ١٥١٦م الحكم على جبل

(٤٣٨) طغتكين: هو الأمير أبو منصور ظاهر الدين طغتكين المشهور باسم طغتكين أتابك، وهو مؤسس حكومة البوريين الذين حكموا دمشق ضمن الدولة السلجوقية . للمزيد ينظر : شمس الدين الذهبي (ت: ٧٤٨هـ/١٣٤٨م) ، تاريخ الاسلام، تح : عمر عبد السلام تدمري، مج ٣، دمشق، ص ١٦١.

(٤٣٩) آل تتوخ: أتقى الأخباريون على ان تتوخ حلفاً عقد قبل الاسلام في تهامة، بين عدد من القبائل العربية التي كانت اغلبيتها يمنية الأصل، وتمتد سلطاتها من الحيرة شرقاً إلى بلاد الشام غرباً حتى نجران جنوباً، وأول ملوكها هو مالك بن فهم ،وأول من تنصر منهم، أمراً القيس بن عمرو. للمزيد ينظر : التتوخيون (اجداد الموحدين الدروز ودورهم في جبل لبنان، دار النهار للنشر، بيروت، ١٩٨٤، ص ٤٣-٤٤.

(٤٤٠) بحتر التتوخي: وهو جد زهير التتوخي المعروف بناهض الدين أبي العشائر، تولى إمارة الغرب بعد وفاة الأمير مجد الدولة محمد بن الأمير عدي عبد الله عام ٥٣٢هـ، له وقائع مذكورة مع الفرنج، اهمها واقعة التينة. للمزيد ينظر: مؤلف مجهول، تاريخ بيروت وأخبار الأمراء البحتريين من بني الغرب، تح: لوريس شيخو اليسوعي، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، ١٩٢٧، ص ٩٧.

(٤٤١) نور الدين الزنكي: أبو القاسم نور الدين محمود بن عماد الدين الزنكي، ينتسب إلى السلاجقة الأتراك، لقب ب(ليث الإسلام، العادل، وغيرهما)، شملت إمارته معظم بلاد الشام، تميز عهده بالحملة الصليبية الثانية. للمزيد ينظر: ابو عباس شمس الدين بن خلكان، وفيات الأعيان وانباء الزمان، تح: أحسان عباس، دار صادر، بيروت، ١٩٧٨، ص ١٨٤؛ علي محمد الصلابي، الدولة الزنكية ونجاح ونجاح المشروع الاسلامي لمقاومة التغلغل الباطني والصليبي، المكتبة المصرية، مصر، ١٩٩٧، ص ٤٨٥.

(٤٤٢) كمال الصليبي، منطلق تاريخ لبنان، ص ١٨٠؛ سامي مكارم، لبنان في عهد الامراء التتوخيين، ص ٢٦٧.

(٤٤٣) الأمير المعني الأول: أمير معني درزي تولى حكم الشوف وجبل لبنان الجنوبي بعد معركة مرج دابق عام ١٥١٦م، وكان صاحب مكانة رفيعة لدى المعنيين، ولما رأى السلطان سليم الأول قوته واستعداده لأخذ الشام من المماليك، فمنحه لقب سلطان البر، وعندما حاول الامير الطموح توحيد المناطق التابعة

الشوف والمقاطعات المجاورة⁽⁴⁴⁴⁾، ومنحه لقب سلطان البر، لكن الأمير المعني الأول حاول الاستقلال بالجبل، فامر والي دمشق بييري باشا (١٥٤٣-١٥٢٥م) بقتله عام ١٥٤٤م⁽⁴⁴⁵⁾، وتولى من بعده ابنه قرقماس⁽⁴⁴⁶⁾ (١٥٤٤-١٥٨٥م)، لكنهم لم يقضوا على النفوذ القبلي للمعنيين، وخلف الأمير قرقماس والده في الحكم، لكنه لم يستوعب الدرس الذي حدث لوالده، وحاول أن يحقق طموحاً سياسياً إقليمياً في منطقة حكمه، فدفّع أيضاًحياته ثمناً لتلك المغامرة عام ١٥٨٥م، في إحدى مغارات جزين في سفوح جبل الشوف⁽⁴⁴⁷⁾، وتولى فخر الدين الثاني (١٥٩٠-١٦٣٥م)، مقاليد الحكم عام ١٥٩٠م، وكان عمره وقتذاك ثمانية عشر عاماً، واستمر بالحكم حتى عام ١٦٣٥م وهو تاريخ مقتله بأمر من الحكومة العثمانية في دمشق، وبذلك فتحت صفحة جديدة من تاريخ آل معن، إذ أتصف الأخير بأنه سياسي ماهر، بارع في حيك الدسائس، كما كانت له عيون في الاستانة وفي قصور الباشوات ودور الاتباع، وبذر الشقاق في صفوف أعدائه، ولإرضاء السلطان العثماني عنه، قام بدفع أموال ضخمة لخزينة الدولة، ولم يتوان الأمير المعني الثاني بعد ذلك في إعادة بناء موقع أسرته في الشوف بثبات، ثم تمكن من الحصول على قيادة لا ينازعه فيها أحد على كل جبل لبنان والمقاطعات المجاورة، وتبعاً لسياسته الحكيمة، فقد أتخذ من الأسرة الشهابية حكام وادي التيم حلفاء مخلصين له⁽⁴⁴⁸⁾.

العوامل التي دفعت أمراء آل معن بالتوسع نحو أراضي إمارة آل الحرفوش:

-
- لحكمه وتنمية اقتصادها وتطوير قدراتها لتأسيس دولة مستقلة داخليا عن الامبراطورية العثمانية، انقلبت عليه الحكومية المركزية، وأرسلت من يقتله. للمزيد ينظر: بن طولون، تاريخ الشام من قيام دولة المماليك في مصر الى صدر العهد العثماني، ص ١٦٥.
- (٤٤٤) ميشال شلبي، فخر الدين المعني الثاني (مير لبنان ١٥٧٢-١٦٣٥)، منشورات الجامعة اللبنانية، بيروت، ١٩٨٤، ص.
- (٤٤٥) نايف عبد نايف نجم الجبوري، موقف السلطات العثمانية من الادارة المعنية في لبنان في القرن السابع عشر، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الاداب، جامعة الموصل، ٢٠٠٢، ص ١٤٩.
- (٤٤٦) تميز عهده بعدم التمييز الديني، لذلك أحبة الجميع، وهذه الامور اثار غضب العثمانيين، فقاموا على تجهيز جيش بقيادة إبراهيم باشا والي دمشق، فهاجم البلاد في البر والبحر، فدافع المعنيين واعوانهم من سكان البلاد وأرتفع عدد الضحايا الى ستون الف، و قتل الأمير قرقماس، وترك له ولدان (المعني الثاني- ويونس). للمزيد ينظر : سامي مكارم، لبنان في عهد الأمراء التتوخيين، ص ٢٧٦.
- (٤٤٧) سامي مكارم، لبنان في عهد الامراء التتوخيين ، War: Fisher sirgo d frey Barbary Legend ، ٣٠٣، O clarendon Press'Oxford' P23، 1957، Teadard Piracy in north Africa 1415-1830
- (٤٤٨) الخوري بولس قرالي، المصدر السابق، ص ٤٣.

حكام الشوف وحلفائهم في وادي التيم (آل الشهاب)، يتربصون طامعين بمد سلطتهم طيلة مدة حكمهم (١٥١٦-١٦٧٩م) إلى أراضي إماره آل الحرفوش أو قسم منها فسعوا إليها دون الأهتمام بالوسيلة، كان ذلك لأسباب عدة منها:

١- ازدياد غرورهم بسبب المكانة الكبيرة التي آلت اليهم في العهد العثماني ، ولاسيما أن ولاية دمشق ،هم الذين يتحكمون سنوياً بالتزامها إلى من يدفع الثمن الأكبر، نظراً لطمع الولاة بالمال، إذ أن حكام الشوف وغيرهم من الأسر النافذة في الشوف كآل جنبلاط وآل تلحوق^(٤٤٩)، لهم أملاك زراعية في البقاع لا يمكن أستثمارها على الوجه المرغوب دون موافقة أمراء بعلبك ومساعدتهم أو عدم ممانعتهم على الأقل^(٤٥٠).

٢- سياسية الدولة آنذاك تقتضي أن لا يبرز احداً سواء منهم ،أم من الأسر الأخرى، بحيث أستمر نهج الولاة وبتتسيق محكم لأضعاف القبائل ، لذلك ارهقت الدولة المركزية تلك الإمارات المحلية بالحروب المتواصلة والذرائع التعسفية فيما بينهم كي لا تقوم لهم قائمة.

٣- ما بلغ إليه الأمير المعني من النفوذ والسلطة، وعلاقات متعددة في اتجاهات مختلفة محلية ودولية، ولاسيما أن وقوع منطقة حكمه (جبل الشوف) في موقع استراتيجي مهم .

٤- برزت أطماع المعنيين في أراضي البقاع الواسعة وثرواتهم الزراعية والحيوانية ومواردهم البشرية في عهد الأمير المعني الثاني^(٤٥١).

٥- كانت سياسة أمراء آل معن تتلخص في إزاحة حكام الإمارات المتجاورة عن مناطقهم والسيطرة على مناطقهم، لتقوية نفوذهم، وتوسيع مناطق حكمه .

٦- بدأ ظهور حكام الشوف السياسي للعيان عن طريق تنفيذه للعيان، بتنفيذها تدريجياً بحسب خطة مرسومة، دون أن يقيم اعتباراً مهماً لعلاقات التعاون مع المقاطعات المجاورة التي أرتبطت معها بتحالف، أو نسب مصاهرة^(٤٥٢) .

صراع آل الحرفوش مع الأسرة المعنية :

عندما دخلت ولاية دمشق تحت الحكم العثماني أصبحت بعلبك تحت حكم آل الحرفوش عام ١٥١٦م ، التي كانت تحت عهدهم منذ أواخر العهد المملوكي ١٤٩٧م⁽⁴⁵³⁾، فسعوا الأمراء

(٤٤٩) آل جنبلاط وآل تلحوق: من العوائل المتنفذة في منطقته الشوف التي كان لها املاك داخل البقاع، منذ عهد جدهم بحتر التنوخي منذ قدوم ال معن الى منطقته الشوف. للمزيد ينظر: سامي مكارم، لبنان في عهد الأمراء التنوحيين، ص ٢٧٠؛ صالح بن يحيى، المصدر السابق، ص ٥٦.

(٤٥٠) الخوري بولس قرالي، المصدر السابق ، ص ١٤٤-١٤٥.

(451) Found Ephram AL-Bustani، C. Nutural Resources in Lebanon، Notws on Lebanon Under the Emirs (1516-1842) ، Beirut، the Salwa C. Nassar، foundation for Lebanon Studies، 1964، p321.

(٤٥٢) فضل رعد، المصدر السابق، ص ٢٩؛ ميخائيل الوف، المصدر السابق، ص ٦٥.

وقتئذ على توطيد دعائم إمارتهم وتوسيع سلطتها، بدءاً من الأمير موسى بن أحمد (١٥١٦-١٥٣٧م)، وأبنة الأمير علي بن موسى (١٥٣٧-١٥٩٠م)، إذ أمتد حكم الأخير ثلاثة وخمسون عاماً، وكان حكمه ملئ بالأوضاع السياسية المشحونة بالتوتر والقلق، ما بين جشع وغطرست ولاية دمشق و مؤامرات أمراء المقاطعات المجاورة، الذين طمعوا بحكم بعلبك والقرى التابعة لها، فكثر التحالفات ضدهم، فتيقن أمير بعلبك وقتها أنه من الضروري القيام بعقد تحالف مع بعض الإمارات أو الأسر المحلية القوية، صاحبة النفوذ والسطوة التي لها كلمه مسموعة عند الولاية التابعين للحكومة المركزية^(٤٥٤) منها أسرة آل معن، ذلك لثلاثة أسباب :

١- لضمان سير علاقته بصورة طبيعية مع الدولة العثمانية التي قدمت الأمير المعني على غيره من الأمراء.

٢- لالتقاء شر خصومه من آل الفريخ حكام البقاع الجنوبي، وآل سيف^(٤٥٥) حكام طرابلس.

٣- تركت حادثة عام ١٥٣٧م، أثر سلبي لدى الأمير علي بن الحرفوش وما آلت اليه من خراب للمدينة وتهجير للسكان، ذلك عندما انتزع والي دمشق الإمارة من الأمير علي، وولى عليها بن قنبر^(٤٥٦)، ونظراً لتلك الظروف، عزم أمير بعلبك بعد أن تمكن من استرجاع المدينة عام ١٥٣٨م على قيام حلف مع الأمير المعني الأول (١٥١٦-١٥٤٤م) وأبنة قرقماس (١٥٤٤-١٥٨٥م) عام ١٥٣٩م، وأستمر التعاون والمناصرة بين الأميرين المذكورين حتى وفاة الأمير فخر الدين الأول عام ١٥٤٤م، دون عوائق أعترت صفوه ذلك الحلف^(٤٥٧)، وظل التحالف بين الأمارتين (آل الحرفوش، وآل معن) حتى في حكم الأمير قرقماس، ساند بعضهم البعض إلى عام ١٨٥٠م، إذ وقعت حادثة في ذلك العام، كانت السبب الرئيس في انهيار التحالف الذي استمرسته وأربعون عام، الذي شهد عهدي الأمير فخر الدين

(٤٥٣) ياسين سويد، التاريخ العسكري للمقاطعات اللبنانية في عهد الامارتين، ج ١، المؤسسة العربية للدراسات بيروت، ١٩٨٥، ص ١٥٣؛ عيسى المعلوف، الامراء الحرفشيون، العرفان (مجلة)، مج ٩، ٢٠١٢، ص ٢٩١.

(٤٥٤) المعلوف، تاريخ الامير فخر الدين الثاني، ص ٧٥؛ حمادة، المصدر السابق، ج ١، ص ٢٦٩.

(٤٥٥) آل سيف: وهم كرد الأصل، نزحوا من شمال تركيا، وأستوطنوا سهل عكار وطرابلس، ومنها تولوا الحكم في طرابلس لمدة مديدة، وأخذوا منها مقرأ لهم، واشتهروا بالكرم والفضل ومقصد المحتاجين. للمزيد ينظر: إبراهيم الأسود، تنوير أذهان في تاريخ لبنان، دار الكتاب، بيروت، ١٩٧٨، ص ٣٢٠.

(٤٥٦) إسماعيل حقي بك، المصدر السابق، ج ١، ص ٢١٠؛ سامي مكارم، لبنان في عهد الامراء التتوخيين، ص ٢٧٨.

(٤٥٧) علي كرد، خطط الشام، ج ٢، ص ٢٣١؛ سليمان ظاهر، المصدر السابق، مج ٣، ص ٩.

الأول، وأبنة قرقماس على التوالي، هي حادثة سرقة الخزنة السلطانية^(٤٥٨)، والتي تتخلص بما يلي :

عند مرور القافلة التي تحمل الخزنة التابعة للسلطان مراد الثالث (١٥٧٤-١٥٩٥م) أثناء مرورها بالقرب من طرابلس ، قد سرقت في عكار عام ١٥٨٥م، كانت متجهه إلى أسنبول، ووجهت حكومة دمشق الاتهام في هذا الأمر إلى حكام طرابلس⁽⁴⁵⁹⁾، فصدرت الأوامر في العام نفسه إلى جعفر باشا الطواشي قائد القوات البحرية العثمانية، بتجهيز قوات من جيش الدولة المركزية من سواحل البحر من صيدا لحمص، لمهاجمة يوسف باشا بن سيفا وتقدم الجيش، نحو مدينة طرابلس، فحرقوا بلاد عكار حال وصولهم إليها، خلال انشغال الجيش بنهب ارزاق عكار ، توجه يوسف باشا ومنصور بن الفريخ إلى والي دمشق حسن باشا (١٥٨٥-١٥٨٦م) ، وتمكنوا من أقناعه والصاق التهمة بخصومهما من المعنيين وآل الحرفوش، فقرر والي دمشق حسن باشا توجيه حملة بقيادة إبراهيم باشا ضد المعنيين وحليفهم عام ١٥٨٥م، وتقدمت الجيوش نحو منطقة الشوف، حيث مركز إمارة آل معن، حينئذ قام الأمير قرقماس بجميع الاستعدادات للمواجهة العسكرية التي شنت ضده، فتأخر أمير بعلبك بالقدوم لنصرة حليفه ، فبعث له قرقماس خبر يستعجله وأخبره بأن قوات الوالي قد اقتربت من حدود إمارتهم، وبالرغم من ذلك لم يأت واحجم عن نصرته الأمير قرقماس ، ووصلت قوات الوالي ، فالتقى الجيشان وأنتهت المعركة بهزيمة المعنيين هزيمة نكراء، قتل على أثرها عدد كبير من المعنيين وأميرهم قرقماس، وعدّ تخلف بن الحرفوش عن نصرته بن معن في المعركة، السبب في أنهيار التحالف بين الأسرتين⁽⁴⁶⁰⁾.

بعد مقتل الأمير قرقماس، حضر الأمير علي بن موسى إلى أسنبول عام ١٥٨٥م، جرت مفاوضات بينه وبين حكومة الدولة العثمانية ، منها أهمها التزام بن الحرفوش المذكور مقاطعات بن معن في صيدا والمقاطعات التابعة لها، ومقاطعات محمد بن شرف الدين⁽⁴⁶¹⁾، بما في ذلك القرى وحصن الأكراد، على أن يدفع مائة ألف فلوري بزيادة خمسة وعشرين ألفاً عن مبلغ التزامها المعتاد أيام حكم المعنيين، وقد كانت تلك الأخبار تصل إلى الأمير المعني الثاني

(٤٥٨) هي حادثة سرقة قافله تحمل خراج مصر وفلسطين وهي في طريقه إلى الاستانة، بالقرب من جون عكار . للمزيد ينظر: الدويهي، المصدر السابق ، ص ٤٤٧.

(٤٥٩) الدويهي ، المصدر السابق ، ص ٤٤٧.

(٤٦٠) الشدياق، المصدر السابق، ج١، ص ٢٣٨ .

(٤٦١) محمد شرف الدين: وهو أحد أقارب فخر الدين قرقماس، ومعاصروه، صاحب مقاطعة تقع في جبل الدروز تمتد حتى حدود بيروت . للمزيد ينظر: الغزي، المصدر السابق، ج٣، ص ١٩٦.

(١٥٨٥-١٦٣٥م)⁽⁴⁶²⁾ بن الأمير قرقماس، وهو في كنف خاله سيف الدين التتوخي⁽⁴⁶³⁾، قبل أن استلامه زعامة القبيلة، فزداد بذلك حقداً وضغينة على من تخلى عن والده وخذلة، فاصبح عدوه اللدود⁽⁴⁶⁴⁾.

تلك الحادثتان دفعا الأمير المعني الثاني لاحقاً، إلى الاخذ بثأر والده من الأمير علي بن موسى، فعند استلامه لحكم الشوف عام ١٥٩٠م، أول شيء بادر به، هو تحريض مراد باشا (١٥٩٠-١٦٠٣م) والي دمشق على الأمير بن الحرفوش، فما كان من الوالي إلا أن القي القبض على بن الحرفوش عام ١٥٩٠م، وخنقه في قلعة دمشق في العام نفسه⁽⁴⁶⁵⁾، بعد أن سهلت دسائس الأمير المعني الثاني للباشا، والتمكن منه غيلة وغدرا⁽⁴⁶⁶⁾.

خلف الأمير علي بعد وفاته أبنيه الأمير موسى (١٥٩٠-١٦٠٧م) في مسك زمام أمور بعلبك، في عام ١٥٩٤م حدثت مستجدات وطرأت تغييرات فيما بعد في الإماراتين، اضطّر الأميرين (موسى، المعني الثاني)، على أثرها، إلى إعادة لحمة التحالف بينهما من جديد، منها:
١- كان آل الفريخ ما زالوا يتقاسمون البقاع مع آل الحرفوش، فقرر الأمير علي بن الحرفوش الاستحواذ على كل البقاع، والقضاء على أميرها قرقماس بن الفريخ^(٤٦٧).

٢- استطاع الأمير منصور بن الفريخ بفرض سيطرته على منطقة شرق الإمارة وجنوبها، بعد أن اقام تحالفاً مع يوسف سيفاً حاكم طرابلس، وهذا التحالف يعارض مع طموحات المعني الثاني الاستراتيجية التي تتضارب مع مقاطعات آل سيف^(٤٦٨).

(٤٦٢) الأمير فخر الدين الثاني: (١٥٧٢-١٦٣٥م) فخر الدين بن قرقماس معن حاكم جبل الشوف، استطاع خاله سيف الدين التتوخي أن يسترضي إبراهيم باشا من خلال الهداية القيمة، وان يقنعه بجعل الشوف اقطاعاً له، وهكذا ناب خاله عنه بحكم الشوف، حتى بلغ سن الرشد، وعندما عين مراد باشا والي دمشق، وتولى على أثره حكم الإمارة ١٥٩٠م، ولوالدته نسب فضل كبير في اعداد الأمير وتنمية خصائل الصبر والعزم في نفسه، ويعرف بالثاني للتميز بينه وبين جده، ويلقب أيضاً بالكبير لأنه أعظم أمراء المعنيين. للمزيد ينظر: سامي مكارم، لبنان في عهد الامراء التتوخيين، ص ٢٩٤.

(٤٦٣) سيف الدين التتوخي: وهو خال الأمير فخر الدين الثاني، عندما توفي والده كان عمره لا يتجاوز الثاني عشر عاماً، فتكفل برعايته وبحكم الشوف أيضاً إلى أن بلغ سن الرشد. للمزيد ينظر: شيبان الخازن، =الأصول التاريخية، تح: الأب بولس مسعد ونسيب وهيبة الخازن، ج٣، بيروت، مكتبة صغير، ١٩٥٨، ص٧٦.

(٤٦٤) فضل رعد، المصدر السابق، ص٣١؛ حمادة، المصدر السابق، ج١، ص٢٦٥.

(٤٦٥) ينظر: الفصل الأول، ص٤٦.

(٤٦٦) فؤاد خليل، المصدر السابق، ص٤٥.

(٤٦٧) أسما عيل حقي بك، المصدر السابق، ج١، ص٣٣٩.

غنى فخر الدين الثاني مرور والي دمشق مراد باشا بصيدا وهو في طريقه إلى دمشق عام ١٥٩٤م، توجه للترحيب فيه وأجزل اليه الهدايا، فرحب الوالي به فاستمع إلى شكواه لسوء سياسة بن فريخ ، فلم يلبث مراد باشا عند رجوعه إلى دمشق، فصدر أمر إلى بن معن بمهاجمة بن الفريخ والقضاء عليه، حينئذ جهز اقوات إمارته لمواجهة بن الفريخ، فتقدم الأمراء المتحالفون (بن معن وبن الحرفوش) على رأس جيش ضخم، باتجاه البقاع الجنوبي، حتى وصلوا إلى منطقة زينون، حيث توجد قوات بني الفريخ، فالتحما الجيشين، بهجوم دامي، أنتهى بانتصار القوات المتحالفة عام ١٥٩٤م، فحاول قرقماس الفرار إلى آل سيفا في طرابلس، ولاحقه الأمير موسى الحرفوش وتمكن من القبض عليه وقتله في البقاع، وتعد تلك الحملة نهاية أسرة بني الفريخ، وبعد الانتهاء من المعركة أستولوا على أملاك وأموال الأسرة الحاكمة في البقاع الجنوبي، ووزعت بين الحلفاء⁽⁴⁶⁹⁾، وأصبحت مقاطعات آل الفريخ تحت حكم آل الحرفوش، وهكذا حصل الأمير علي بن الحرفوش، على مبتغاه ، وأصبح عام ١٥٩٤م أميراً على كل البقاع بقسميه (الشمالي والجنوبي)⁽⁴⁷⁰⁾، ولم يقتصر التحالف عند هذا الحد، بل توطد التحالف بين الأميرين مرةً أخرى، وهذه المرة ضد يوسف سيفا حاكم طرابلس، حول ولاية بيروت، يعد ذلك بحد ذاته تحدياً شديداً لوالي طرابلس، ومضمون الواقعة تتلخص بما يلي :

كانت ولاية بيروت تابعة لإمارة طرابلس حتى عام ١٥٩٤م⁽⁴⁷¹⁾، لكن الأمير فخر الدين الثاني استطاع من الحصول عليها بمساعدة والي دمشق مراد باشا ،وحلفاءه من آل الحرفوش والشهابيين، حيث باغته في ممر نهر الكلب، وانزلوا بجيش بن سيفا هزيمة ساحقة، ثم طاردوه حتى كسروان وبيروت واحتلوهما عام ١٥٩٤م، وجنى أمير الشوف املاك العسافين إليه ولحلفاءه⁽⁴⁷²⁾، وظل بن سيفا يترقب الفرص حتى اقصى الوالي مراد باشا عن ولاية دمشق،

(٤٦٨) كاظم ياسين، تاريخ الشيعة والطوائف في لبنان من العصر النبوي إلى الانتداب الفرنسي، ج١، بيروت، ٢٠١٥، ص ١٦٥ .

(١) آل قانصوه، وعرب المفارجة في حوران وال الحرفوش. للمزيد ينظر: حسن نعمه، الموسوعة اللبنانية ، ج١، ص٤٠٣ .

(٢) المحبي، المصدر السابق، ج٤، ص٤٢٧-٤٢٨ .

(٤٧١) عندما توطدت علاقته الأمير المعني الثاني مع مراد باشا، وكان يجزل اليه المال والهدايا بسبب ودون سبب فربطتهما صداقة حميمة، طلب منه الأمير المعني أن يقطع سنجق بيروت عام ١٥٩٤م، وكانت تابعة لابن سيفا وسنجق صيدا، فلبى طلب الأمير فخر الدين الثاني، وكانت أراضي السنجقين تمتد من نهر الكلب إلى عكا، واتخذ أمير الشوف صيدا مقراً له. للمزيد ينظر: منير البعلبكي وآخرون، المصدر السابق، ج٧، ص٤٠-٤١ .

(٤٧٢) إسماعيل حقي بك، المصدر السابق، ج١، ص٣٤١؛ منير البعلبكي وآخرون، المصدر السابق، ج٧، ص٢٦ .

وحل مكانة محمد باشا المنتقل من ولاية مصر عام ١٥٩٨م، وهرع إلى الوالي محمد باشا، بحجة تقديم التهاني محملاً بالمال والهدايا الثمينة، حتى نال رضاه، وشكاه في الأمراء فخر الدين الثاني وموسى الحرفوش، وكيف هاجموه بأبشع صورة ونهبوا أملاكه وقتلوا رجاله، وأستجبد به في استرجاع مقاطعاته التي أستولى الأمراء المتحالفين، حينئذ تدخل والي دمشق وأمر الأمير فخر الدين الثاني بإعادة كسروان وببيروت، إلى بن سيف، واشترط على الأخير مقابل ذلك التزامه بالهدوء، وامتناعه عن مناوأة الأسرة الحاكمة في الشوف، ففضل حاكم الشوف صداقة والي بالهدوء، وابتغاء كسب ود الوالي الجديد⁽⁴⁷³⁾.

نجد الأميرين (بن الحرفوش وبن معن) معاً مرةً أخرى في التمرد⁽⁴⁷⁴⁾ الذي حدث عام ١٦٠٢، عدت الدولة العثمانية الأمير موسى خارج عن طاعتها، فصدرت أوامر إلى حكومة دمشق بالقبض على أمير بعلبك للعقوبة، فجمع والي دمشق أحمد باشا القوات عام ١٦٠٥م، وخرجت متجهه إلى مدينة بعلبك، وعندما سمع الأمير موسى بالخبر توجه إلى جبل الشوف لرؤية الأمير فخر الدين الثاني لاطلاعه على الأمر، فبعث معه جيش من رجاله لمساندته والدفاع عنه إذ لزم الأمر، فكف حينئذ والي دمشق عن الأمير موسى وتراجع، كان ذلك سبب إلى نفور والي دمشق من حاكم الشوف، في حين توجه بن الحرفوش إلى الاستانه لمعالجة الوضع الذي وقع فيه⁽⁴⁷⁵⁾.

استجذت أمور عده ظهرت على الساحة السياسية، للإمارتين (آل معن وآل الحرفوش)، عملت إلى تغيير مسار التحالف بين الأمير موسى والأمير فخر الدين الثاني، من أهمها: أولاً: برز أمير من الأسرة الحاكمة في بعلبك عام ١٦٠٥م، هو يونس بن عم أمير الأمير موسى، تميز بشخصية فذه، إذ أعجب به الأمير فخر الدين الثاني كثيراً، ولفت انتباهه دبلوماسيته السياسية وكيفية إدارته لأمر البلاد وإيجاد الحلول البديلة، فاصبها صديقين مقربين⁽⁴⁷⁶⁾.

ثانياً: التمرد الذي قام به علي بن جانبولاد عام ١٦٠٧م، الذي يتلخص بما يلي:

نتيجة تصدي الأمير فخر الدين الثاني وموسى الحرفوش، لهجوم والي دمشق في عام عام ١٦٠٥م، المشار اليه اعلاه، أصبح والي دمشق أحمد الحافظ عدو للحليفين، فضلاً عن بن سيفاً خصمهم القديم، الذي كان دائماً العائق الذي وقف بوجه توسيع حدود إمارة المعنيين، فلم يتمكن من القضاء عليه، بالرغم من الهزائم المتكررة التي تلاقها بن سيفاً على يد حاكم الشوف الأمير

(٤٧٣) صالح بن يحيى، المصدر السابق، ص ٨٤.

(٤٧٤) الشدياق، المصدر السابق، ج ٢، ص ٢١٥؛ المعلوف، دواني القطوف، ج ٢، ص ٣١١.

(٤٧٥) ستيفن ونتر، المصدر السابق، ص ١٠٨.

(٤٧٦) سليمان ظاهر، المصدر السابق، مج ٣، ص ١٥؛ يوسف الدبس، مختصر تاريخ سوريا، ج ٢، ص

فخر الدين الثاني ، مازال متمتع بقوة وسيطر على مساحات واسعة من البلاد التي شملت المقاطعات من جبيل إلى اللاذقية، ولأجل مناهضة خصميه المذكورين سابقاً، فقد عقد أمراء جبل الشوف وبلعبك تحالفاً عام ١٦٠٧م، مع الزعيم الكردي علي باشا جانبولاد والي حلب على القيام بحركة انقلاب ضد السلطان أحمد الأول (١٦٠٣-١٦١٧م)، فأستغل حاكم طرابلس هذا العصيان، وذهب إلى حكومة الباب العالي، وطلب بأن يصبح أميراً على كل ولاية دمشق، وبالمقابل يتعهد لها لقاء ذلك بالقضاء على تمرد بن جانبولاد، فوافقت حكومة الباب العالي، وتمكن حاكم طرابلس من قيادة جيش دمشق لمحاربة المتمردين على السلطان وعلى رأسهم بن جانبولاد الذي سار آنذاك إلى البقاع، ليلقى حليفه المعني والحرفوش، لدعم خطته في حصار السيفي في مدينة دمشق، وأجتمع الحلفاء الثلاثة على نبع العاصي عام ١٧٠٧م^(٤٧٧)، قرب الهرمل، وتشاوروا في أمر العصيان واحتلال دمشق، ثم قر رأيهم على المفاوضات قبل إعلان الحرب، وأنتدب الأمير موسى لهذه المهمة^(٤٧٨)، وعهد الأمير موسى بالذهاب إلى ولاية دمشق، ومحاولة تحقيق شروط والي حلب المتمرّد وحلفائه سلمياً، فسار الأمير المتعهد إلى مدينة دمشق، والتقى والي دمشق أحمد باشا، وعرض عليه مطالب بن جانبولاد وحلفائه وهي:

✽ تعطى مقاطعة حوران لعمر بن مفرج البدوي من عرب الفارجة، والبقاع الجنوبي لمنصور الثاني بن الفريخ .

✽ أذن للحاج كيوان بالدخول إلى دمشق، وكتب بان جانبولاد لم يدخل أرض مدينة دمشق .

✽ أن فخر الدين يعطي ما عليه من مال للسلطان، وبلاده موصوفة بالأمان^(٤٧٩).

تمت الموافقة في البداية على المطالب كافة، وبحضور زعماء المدينة بعد أن عقد ديواناً لبحثها عام ١٦٠٧م، باستثناء الشيخ محمد بن سعد الدين^(٤٨٠)، ورفض ما تم الاتفاق عليه، حينها غادر حاكم بلعبك ولاية دمشق مخذولاً، ورجع ليلبغ حلفائه وأعوانه بفشل مساعيه في المفاوضات التي أجراها مع حكومة دمشق^(٤٨١)، حينئذ قرر الحلفاء مهاجمة دمشق لإخراج بن سيفا منها، فخشي الأمير موسى من مغبة ذلك الأمر وما تلحق إمارته من خراب، فالتحق بجند الدولة عام ١٦٠٧م مع بن سيفا منقلباً بذلك على حليفه السابقين، وانشق الأمير يونس عن ابن عمه الأمير موسى، وأنحاز إلى جانبولاد والأمير المعني الثاني وسانداهم في التمرد، وعمل حاكم بلعبك بتجريد الأمير يونس من أراضيه ومقاطعاته في البقاع عقاباً على فعلته، فاستاء الحليفان من

(٤٧٧) نبع العاصي : هو الحد الفاصل بين ولاية دمشق وولاية طرابلس .

(٤٧٨) حمادة، المصدر السابق، ج ١، ٢٧١؛ المغلوف، تاريخ الامير فخر الدين الثاني، ص ٨٥.

(٤٧٩) يوسف الدبس، مختصر تاريخ سوريا، ج ٢، ص ١٥٤-١٥٥.

(٤٨٠) رأس مجالس ولاية دمشق واعيانها . للمزيد ينظر : نصر الله ، تاريخ بلعبك ، ج ١، ص ٢٣١.

(٤٨١) فؤاد خليل، المصدر السابق، ص ٤٧؛ المحبي ، المصدر السابق، ج ٤، ص ٥٩٨.

موقف حاكم بعلبك⁽⁴⁸²⁾، وبادرا على أثر ذلك إلى مهاجمة بعلبك واحتلالها وتقريب أنصار أميرها، ثم تسليمها إلى ابن عمه، حليفهم الجديد، وسار الحلفاء الثلاثة إلى دمشق وحاصروها عام ١٦٠٧م، وأنتصروا على قوات السلطة المركزية، وفر بن سيفاً منها بعد أن سلم أمراءها مئة ألف قرش رشوة، لتعطى لابن جانبولاد، لمنعه عن دخولها وتخليبها، ثم انتهى الحصار بعقد صلح بين الطرفين، فنال أمير حلب ١٢٠ ألف قرش، ورضي بن معن على أن تكون إمارة بعلبك والبقاع لحليفه الأمير يونس⁽⁴⁸³⁾.

يمكن القول، إن آل الحرفوش، كالكثيرين من الزعماء المحليين، كانوا على درجة عالية من الشك بالمتبردين، ومعرفة نتائج الأحداث وما تؤل إليها، فاستبعد حينها القتال في معركة يراها خاسرة منذ البداية، حتى لو انتصروا في المعركة، فأن هذا الانتصار لا يجنى من وراءه غير انتزاع بعلبك وتسليمها إلى غيره من قبل الباب العالي، فضلاً عن أنه لا يرغب في دفع رجال الإمارة في التهلكة، وما تجره تلك المعركة من خسائر مادية ومعنوية هو في غنى عنها. استقل الأمير يونس بحكم البقاع عام ١٦٠٧م، وبدأ تحركاته بتوثيق علاقات الصداقة مع أمير جبل الشوف، ليخفف من حدة تدخل ولاية الدولة العثمانية في شؤون بعلبك والبقاع، ويوسع حدود الإمارة عن الولاية، ولكن سرعان ما ظهرت النوايا العدائية من حكومة دمشق حياله، ذلك نظراً لشخصيته القوية، وميله إلى التوسع والاستقلال، كما شاع عنه آنذاك⁽⁴⁸⁴⁾، إذ بدأ بن الحرفوش يبذل جهود ويكثف اتصالاته مع حليفة الأمير فخر الدين الثاني حتى نال سنجق حمص، سياسية الأمير تلك قد أزعجت السلطة المركزية، فأمرت والي دمشق أحمد الحافظ باشا عام ١٦١١م، بتجهز جيشاً لقتال الأمير يونس بغية تحجيمه، ووضع حد لمطامعه، إلا أن الأمير المعني الثاني قام بحماية الأمير يونس الحرفوش منوالي دمشق بواسطة صديقة الصدر الأعظم مراد باشا، الذي أفشل هذا التدبير⁽⁴⁸⁵⁾.

يتضح مما سبق، أن الأمير يونس بدأ حياته السياسية في حكم البلاد، بقوة وصلابة، ليس السبب فقط فيما يتعلق ببناء تكوينه العقلي وتفكيره السياسي، بل يعود تلك القوى إلى وجود حليف قوي لمساندته والوقوف إلى جانبه، وحمايته من أطماع الإمارات المتجاورة وتدخل ولاية دمشق.

(٤٨٢) (الصفدي، المصدر السابق، ص ١٣٤؛ willaim Griswold، The Great Anatolia 1000، Berlin: Klaus P19، 198

(٤٨٣) يوسف الدبس، تاريخ سوريا، ج ٢، ص ١٥٤-١٥٥.

(٤٨٤) فؤاد خليل، المصدر السابق، ص ٤٩.

(٤٨٥) نصر الله، تاريخ بعلبك، ج ١، ص ٢٣٧.

توفي مراد باشا عام ١٦١١م، وخلفه نصوح باشا (١٦١١-١٦١٤م) في منصب الصدر الأعظم، قدم نصوح باشا إلى حلب في العام نفسه، وأرسل مع مبعوث منه يطلب من الأمير فخر الدين الثاني بعض الهدايا خدمة للسلطان، فأرسل إليه أمير الأسرة المعنية، مدبره مصطفى كتحدا ومعه خمسة وعشرين ألف قرش وبعض الهدايا من خيل وثياب ثمينة، لكن قيمة المبلغ لم ترض الباشا، وعدم قدوم الأمير المعني بنفسه إليه، كما فعل مع سلفه مراد باشا، وعندما علم بعدم رضى الصدر الأعظم عليه، توجه بنفسه مع الهدايا الثمينة ومعها خمسون ألف قرش أخرى، فقام الوالي بضيافته على أكمل وجه وبقي معه لمدة ثلاثة أيام⁽⁴⁸⁶⁾، أول طلب أنفذه نصوح باشا بعد أن استلم منصب الصدارة إلى والي دمشق أحمد باشا (١٦٠٩-١٦١٥م) هو قتل الأمير يونس، ولما وصل الأمر السلطاني إلى الوالي، تقدم نحو بعلبك لمهاجمة بن الحرفوش والقضاء عليه، تنفيذاً لأوامر الصدر الأعظم، ولما سمع الأمير المعني الثاني ذهب إلى نصوح باشا، محاولاً أنقاد حاكم بعلبك، ذلك بشراء رضا الصدر الأعظم بخمسين ألف قرش، ورضا والي دمشق بخمسة وعشرين ألف قرش، وتمكن الأمير المعني من الحصول على رضا الوالي العثماني وتغيير رأيه بشأن الأمير يونس⁽⁴⁸⁷⁾.

تدهورت علاقة الأمير المعني الثاني مع ولاية دمشق، بعد أن كشفت الدولة العثمانية العلاقات السرية⁽⁴⁸⁸⁾، التي تربط أمير المعنيين وتوسكانيا، واطلعت على تفاصيلها عام ١٦١٢م، حينئذ قلقت حكومة العثمانية من ازدياد نشاط حاكم آل معن فقررت وضع حداً لمطامعه، فأمرُوا والي دمشق بأستدعاء الأمير فخر الدين الثاني، وأبلغه بضرورة قطع العلاقات المعنية الأوروبية، وأن سياسته تلك معادية للسلطان⁽⁴⁸⁹⁾، فضلاً عن آل سيفاً قد اوغروا صدر الوالي حقداً وغيضاً على الأمير فخر الدين المعني الثاني، ولما حذر أحمد باشا الأمير المعني من

(٤٨٦) يوسف الدبس، مختصر تاريخ سوريا، ج٢، ص ١٥٩.

(٤٨٧) فؤاد خليل، المصدر السابق، ص ٤٦.

(٤٨٨) أوفد فردينايدو الأول عام ١٦٠٨م، بعثة إلى الأمير فخر الدين الثاني برئاسة سفيره هيبوليت ليونشيتي، تحمل إليه ألف بندقية، وقام الأمير باستقبال البعثة في قصره في صيدا، وتم الاتفاق بين الطرفين على أبرام معاهدة تعاون المشترك بين الفريقين ضد الدولة العثمانية، وتضمنت المعاهدة عدة بنود، وكانت أهمها (بان يمنح الأمير المعني جواز سفر يخوله دخول توسكانيا متى يشاء، ويضع فردينايدو الأول تحت تصرفه في ميناء صيدا مركبين، يستخدمهما الأمير في تبادل الرسائل والوفود بينهما ونقل أموال الأمير إلى توسكانيا إذا اضطر إلى ذلك). للمزيد ينظر: منير البعلبكي وآخرون، المصدر السابق، ج٧، ص ٣٤-٣٥.

(٤٨٩) غادة المقدم عدرة، العلاقات بين فخر الدين الثاني وتوسكانيا، تاريخ العرب والعالم (مجلة)، العدد ٥٣، بيروت، اذار-١٩٨٣؛ محمد بكري، سفراء العرب إلى الغرب قبل الحملة الفرنسية على مصر، جريدة الحياة، ٦-كانون الثاني-٢٠١٣.

استمراره في التعاون مع توسكانيا، نشأت بينهما خصومة عنيفة، لجأ والي دمشق على أثرها إلى إغاظة الأمير المعني الثاني، وعمل على عزل شيخ سنحج حوران وعجلون، وهما من أنصار وحلفاء الأسرة المعنية، ولكن فخر الدين الثاني تمكن من أعادتهما إلى منصبهما عنوة في العام نفسه، بحملة قوامها ثلاثة آلاف رجل من الفرسان والمشاة قادها أبنه الأمير علي إلى جانب الأمير يونس حليفه⁽⁴⁹⁰⁾، غضب أحمد باشا لهذا التحدي، وعزم على البطش بفخر الدين الثاني، فوافقه على الرأي نصوح باشا الصدر الأعظم، وامده بجيش بري يتكون من أربعة عشر باشا (بكلربك وخمسين سنجقاً)، يقودون خمسين ألف عسكري، يدعمه الأسطول العثماني للقضاء على الأمير فخر الدين المعني الثاني ورجاله عام ١٦١٣م، بادر أمير بعلبك في أول الأمر إلى نجدة حليفه فخر الدين الثاني المعني، لكنه سرعان ما انقلب عليه واستسلم لأحمد باشا قائد الحملة، وانضم إلى قوات الدولة مكرهاً⁽⁴⁹¹⁾، نتيجة ضغط من الأمراء الشهابيين (أحمد وعلي)، بالتنسيق مع حسين سيف، ولما علم الأمير المعني بالوضع وما آلت إليه من مستجدات، حاول أن يدخل الوسطاء من مشايخ المقاطعات من آل الخازن والمقدمون لأصلاح الأمر بينه وبين والي دمشق فلم يفلحوا، وحاول مرة أخرى استرضاء والي، فبعث له وفداً من أعيان صيدا وبيروت⁽⁴⁹²⁾، ومعهم رساله ودية ومبلغ من المال، لكنه لم يوافق⁽⁴⁹³⁾، عندما أستنزفت كل أمور الصلح لدى أمير آل معن، بدأ بتحسين كثير من القلاع وتزويدها بالجنود ومن أهمها قلعه بانياس⁽⁴⁹⁴⁾، ووضع فيها حسين اليازجي مع ألف من الفرسان، وقلعة الشقيف⁽⁴⁹⁵⁾ ووضع عليها حسين الطويل ومعه أربع مائة مقاتل، ووضع حريمه في تلك الحصون، ولم يأخذ معه إلا واحده،

(٤٩٠) فؤاد خليل، المصدر السابق، ص ٥٠.

(٤٩١) كتب الأمير أحمد الشهابي إلى الامير يونس أن يحضر إلى دمشق ويدخل في طاعه والي ، وبين له وفرة القوات والي من حيث العدد والعدة، وشدة أهتمام السلطة بزوال آل معن، فتقدم أمير بعلبك برجاله وقدم الطاعة للقائد العثماني .للمزيد ينظر: فضل رعد ، المصدر السابق ، ص ٣٨.

(٤٩٢) (الأعيان: هم، (ناصر الدين التتوخي، ومنذر البحتري،والشيخ ابا هرموش). للمزيد ينظر : فؤاد خليل ، المصدر السابق، ص ٣٦.

(٤٩٣) الصفدي، المصدر السابق، ص ٢٩٢؛ يوسف الدبس، مختصر تاريخ سوريا ، ج ٢، ص ١٧١.

(٤٩٤) تقع في منطقة القنيطرة في الجولان بدمشق، بناها الصليبيون عام ١١٠٧م، أستولى عليها الأمير المعني الثاني عام ١٦١٠م.للمزيد ينظر: حسن نعمة ، الموسوعة اللبنانية ج ٢، ص ١٥٤.

(٤٩٥) قلعة شقيف: تسمى أيضاً قلعة شقيف أرنون، وتكون هذه القلعة قائمة على صخر شاهق يشرف على النهر اللباني وسهل مرجعيون ،هي قلعه قديمة بناها الرومان وزاد الصليبيون أبنيتها ورممها الأمير المعني الثاني، تعد من القلاع الحصينة، لذلك جعلها الامير مركزاً للتموين و خزن أمواله. للمزيد ينظر : نصر الله، تاريخ بعلبك ، ج ١، ص ١٨٧.

ثم وجه ولده علي مع سبعمائة رجل من الفرسان للمحافظة على جسر الخان جامع⁽⁴⁹⁶⁾، زحفت جيوش والي دمشق ومعها رجال حسين سيفاً بن يوسف سيفاً، نحو جبل الشوف، ودارت معارك بالغة الأثر بين الجيشين، في مناطق مختلفة، كان أشدها تلك التي حدثت في قلعة الشقيف، وأرسل قائد الحملة العثمانية الأمراء حسين سيفاً ويونس الحرفوش، لقطع الطريق وإغلاقه على الجنود المعنيين الذين قدموا لنجدة قلعة شقيف، فتصادموا في البقعة فوق جسر الخردلة ليلاً مع جيش الأمير فخر الدين الثاني المعني، فتم أسر اثنين وعشرين مقاتل من رجال الأمير الأخير ونجا الباقيون، واستطاع أحمد باشا السيطرة على الموقف، وبدأ جنود الوالي الاعتداء على القرى والحقول، وكان الأمير فخر الدين المعني الثاني خلال ذلك متخفياً وتتنقل مع رجاله الخاصين من حصن إلى آخرى، ثم أقبل الأسطول العثماني يفرض حصاراً على المرافئ في دمشق، ليمنع الأمدادات من الوصول إلى الأمير فخر الدين المعني الثاني، بدا الجنود البحارة بالنزول إلى البر والعبث على إراضي التابعة لآل معن، وعندما رأى الأمير فخر الدين الثاني المعني الحشود العثمانية الضخمة، والأهوال التي نزلت باتباعه وممتلكاته ومقاطعاته، حتى يؤس من أحرار النصر، عندئذ قرر ترك الشوف ومغادرة البلاد⁽⁴⁹⁷⁾، إذ ابهر في السادس عشر من أيلول عام ١٦١٣م، من ميناء صيدا إلى توسكانيا بعد أن ترك لأبنة الأمير علي زمام الحكم وإدارة الأمور في غيابه بمعاونة عمه الأمير يونس، وأبحر الأمير المعني⁽⁴⁹⁸⁾ على ثلاثة مراكب وترافقه حاشيته المؤلفة من زوجته خاصيكة ومستشاره الحاج كيوان بن عبد الله، ومن نحو خمسين رجلاً، وكان قد أمر أخاه يونس بنقل مقر إقامته إلى دير القمر من بعقلين التي كانت مركزاً لأملأك المعنيين، فأصبحت دير القمر من ذلك الحين مركز الإمارة المعنية⁽⁴⁹⁹⁾، وتابع الأمير علي بن فخر الدين الثاني وعمه يونس، مقاومة والي دمشق، بعد مغادرة أبيه بما لديهما من الحصون والرجال، وقد انهكت تلك الحصون والي دمشق ورجاله، واستعصت عليهم، فقد حاصروا قلعة الشقيف، متوهمين بأن أموال الأمير المعني الثاني مودعة فيها، ولكن دون جدوى بعد أن صمدت حاميتها فيها، وحاصروا أيضاً قلعة بانياس وحصل الأمر نفسه، وعندئذ اشتد غيظ الوالي، فتغاضى عن رجاله وقد أتلف الزرع وأحرق القرى وأسفك دماء الأبرياء، فتعرضت

(٤٩٦) ياسين سويد، المصدر السابق، ص ١٣٢.

(٤٩٧) محسن الأمين، أعيان الشيعة، ج ٣، ص ٢١.

(٤٩٨) أبحر الأمير فخر الدين المعني الثاني من صيدا حيث اغتتم فرصة أنشغال الأسطول العثماني بملاحقة الأسطول الإسباني الذي أسر سبعة مراكب عثمانية. للمزيد ينظر: فريد بك، تاريخ الدولة العلية العثمانية، تح: احسان حقي، ط ١٠، دار النفائس، بيروت، ٢٠٠٦، ص ٢٨١.

(٤٩٩) سامي مكارم، لبنان في عهد الأمراء المتوحيين، ص ٢٩٥؛ الشدياق، المصدر السابق، ج ٢، ص ٢٤٦.

البلاد لمجزرة رهيبة، ضرب بها المثل، ولما رأى أعيان الشوف ومشايخه ما حل بالبلاد من خراب ودمار، فكروا في كيفية ارضاء الوالي، فذهبوا حينها إلى بن الحرفوش شكوه على ما حدث بالبلاد من أهوال عظيمه (500).

حضر حاكم بعلبك إلى الشوف مع الأعيان، فأشار على الأمير علي وعمه، بأن أرسل والدته السيدة نسب التتوخية توسطت لدى والي دمشق، وقد بلغت السبعين من العمر، فتوجهت للوالي وبرفقة نحو الثلاثين رجلاً من المشايخ العقال، وعرضت عليه ثلاثمائة ألف قرش وهدايا ثمينة، لقاء انسحابه من البلاد، وسلمته والده المعني، مائة وخمسين ألفاً، وقد دفع الأهالي وبن الحرفوش مئة وثلاثين ألف، لقاء اصدار أمر من الوالي إلى رجاله بالكف عن أحراق الشوف وقلاعهم، وغادر حسين باشا بن سيفا دير القمر إلى الدامور بعد أن كان على وشك أحراق سراياها، فاستطاعت أن تقدي الشوف بما قدمت من مال وهدايا، أما السيدة نسب فقد أبقاها أحمد باشا عنده في المعتقل رهينة، ولكنة جعلها معظمة محبوره، ريثما سدد رجال الأمير المبلغ المتبقي بحسب الاتفاق (501).

امام تلك المعطيات يمكن القول، أن انقلاب الأمير يونس بن الحرفوش على حليفه المعني ليس إلا حنكة، وبعد سياسي، ودراية وفهم بخطورة الوضع الراهن في تلك الحملة، وتقانيه في أخلاصه ووضع مصلحة بلاده فوق كل اعتبار، وأن انسحابه من المعركة وانضمامه لحمله الدولة العثماني، أقرب إلى أن يكون تعبيراً عن موقف ظاهري سياسي، يرمي إلى ارضاء القائد العثماني، من دون الحاق الضرر بخصمه الحالي وحليفه السابق.

وعاد احمد باشا لأكمال حملته على الشوف فيالثالث والعشرين من ايلول عام ١٦١٤م، بسبب عدم دفع المتبقي عليهم من المال المتفق عليه، وتقدم من دمشق إلى المزة ثم أنتقل إلى الديماس وبعدها إلى جسر ديرزنون، ومنها إلى قب الياس وأقام بها نحو عشرين يوماً، ووافته حكام صفد (حسن باشا)، وصيدا (محمد اغا)، وبيروت (حسين بن سيفا)، ومحمد باشا والي غزة، وحسين بك بن الاعرج حاكم حماة بجميع عشائهم واتباعهم، ورجال فروخ بك أمير الحاج، كذلك اجتمع إليه أولاد العرب برجالهم، كالأمير يونس الحرفوش والأمير أحمد بن الشهاب، حيال هذا العدد الكبير من الجيش، أرسل الأمير يونس المعني إلى أحمد باشا، المبلغ المتبقي من الغرامة المفروضة على الشوف من قبل، غير أن ذلك لم يغير من الأمر شيئاً، والتقى الجمعان عند نبع الباروك، ودارات معركة طاحنة دامت من أول النهار حتى المغرب، وكان النصر لصالح الوالي

(٥٠٠) سامي مكارم، لبنان في عهد الامراء التتوخيين، ص ٢٩٦؛ ميخائيل الوف، المصدر السابق، ص ٨٧ .

(٥٠١) الصفدي ، المصدر السابق ، ص ٢٥.

وحلفائه، حيث جرت وقائع أخرى لا يتعلق لنا بها غرض⁽⁵⁰²⁾، على أثر ذلك طلب الوالي من الأمير يونس عام ١٦١٥م، أن يسلمه بلدة قب اليأس وحصن اللبوة، فلبى طلبه، ثم استرده بعد شهر كامل بعد أن نال رضاه بخمسين ألف قرش⁽⁵⁰³⁾.

قتل الصدر الأعظم نصوح باشا، بأمر من السلطان أحمد الأول، وولى مكانه محمد باشا عام ١٦١٥م، ووصلت تلك الاخبار إلى والي دمشق وكان في طريقه إلى قلعة الشقيف لمحاصرتها، فعاد ادراجه إلى دمشق، فبادر الصدر الجديد إلى عزل والي دمشق، وعين مكانه سلحدار جركس باشا والياً على دمشق، وكان محمد باشا صديقاً للأمير فخر الدين المعني الثاني⁽⁵⁰⁴⁾ فاطلق الوالي الجديد حال استلامه حكم الولاية سراح السيدة نسب من سجن دمشق وسلمها فرمان العفو أو براءة العفو⁽⁵⁰⁵⁾ عن فخرالدين الثاني، وهذا فرمان يخول الأمير الهارب العودة إلى بلاده ومنصبه، ومن ثم بعثها إلى أبنها الأمير يونس المعني⁽⁵⁰⁶⁾.

جهود الأمير يونس للمحافظة على نفوذ آل معن :

بعد أن تغيرت أوضاع البلاد، ومالت لكفة المعنيين، عندئذ قام الأمير يونس الحرفوش بجهود حثيثة لتسوية علاقات الأسرة الحاكمة في الشوف مع أرباب وأمراء الدولة والمحليين، ومن أجل أتمام تلك التسويات، قام بعدة أعمال، منها:

✳ بقيت قلعة الشقيف محاصرة من قبل جنود الدولة العثمانية حتى عام ١٦١٦م، وكان الأمير محمد بن علي بن الشهاب من ضمن المحاصرين بتلك القلعة، فحضر الأمير يونس إلى الأمير بن الشهاب، وتم الاتفاق على أتمام زواج الأمير علي بن معن على كريمة الأمير بن الشهاب، وكان الأخير مؤملاً أن يخرج ولده من القلعة، فكتبوا الكتاب، وأرسلوا يستدعون الأمير محمد من القلعة على حسب الاتفاق ولكن القوات الموجودة بتلك القلعة مانعت خروجه، فامتنع الأمير الشهابي من تزويج ابنته مالم يحضر ولده، فالتزم الأمير المعني بدفع خمسة آلاف قرش إلى

(٥٠٢) منير البعلبكي وآخرون، المصدر السابق ج٧، ص ٤٠-٤١.

(٥٠٣) ميخائيل الوف، المصدر السابق، ص ٦٨؛ سليمان ظاهر، المصدر السابق، مج ٣، ص ١٧.

(٥٠٤) كان الصدر الأعظم محمد باشا صديقاً للأمير المعني الثاني، عندما كان الوزير في منصبة القديم في قبودانا في مصر قبل عزلة، وكان الأمير المعني الثاني في خدمته. للمزيد ينظر : سامي مكارم، لبنان في عهد الأمراء التتوخييين، ص ٢٩٧.

(٥٠٥) أرسلت السيدة نسب براءة العفو إلى فخر الدين في توسكانيا، ولكن الأمير في تلك الفترة كان قد غادرها إلى صقلية، وصقلية كانت تابعه لملك اسبانيا، عدوة الدولة العثمانية، فاضطر الأمير المعني إلى البقاء ثلاث سنوات أخرى في المنفى. للمزيد ينظر : المعلوف، دواني القطوف، ص ٢١٤.

(٥٠٦) سامي مكارم، لبنان في عهد الامراء التتوخييين، ص ٢٩٧؛ ريتا شروادة، عشائر بعلبك - الهرمل، النهار (مجلة)، العدد ١٠، بيروت، ١٦-كانون الاول-١٩٩٦.

القوات المسؤولة عن القلعة وأن يوفيه أياها الأمير علي الشهابي، وكفل ذلك الأمر الأمير يونس الحرفوش^(٥٠٧).

* أرسل الأمير علي المعني في العام نفسه مدبره مصطفى كتحدا ومستشاره الخاص حسين اليازجي إلى بعلبك يلتبس من أميرها رضا الصدر الأعظم أن يقرر عليه صفد وصيدا، وأنهاء حصار القلعتين، حينها الأمير بن الحرفوش توجه إلى حلب وصحبهما معه، وقابلوا آنذاك محمد باشا، ونال ما يريد الأمير، وأصدر محمد باشا أمره بتعيين الأمير يونس المعني على سنجقية صفد والأمير علي المعني على سنجقية صيدا وتوابعهما بدلاً من محمد آغا بوشناق الذي كان جركس محمد باشا والي دمشق قد ولاه عليها^(٥٠٨)، واشترط عليهما أن يهدما القلعتين، ووعد الأمير بن الحرفوش بسنجقية حمص، وعاد أمير بعلبك مع رسول الوزير باكير آغا لتنفيذ الاتفاق، وتوجهوا هؤلاء جميعاً إلى القلاع، فاخرجوا جميع المحاصرين منها، من حريم وسكان تلك الحصون، ولم يتركوا أحداً بها، ثم استحضروا بنائين لتهديم القلاع، بالرغم من أمر الهدم لم يسر الأمير يونس ولا الأمير علي، ولكن كان عليهم وجوب التنفيذ، فهدموا تلك الحصون واستمروا في هذا العمل نحو أربعين يوماً، وبعد ذلك توجهوا إلى الصدر الأعظم، ليخبروه بأن هدم القلاع قد تم، فخلع عليهم وأعطى أمير بعلبك سنجقية حمص كما وعده^(٥٠٩).

* وضع حداً للنزاع القائم بين حاكم صيدا محمد آغا بوشناق والأمير علي المعني، ذلك عندما أعطى والي دمشق هذه البلدة إلى الأمير المعني، توجه الأخير حينها ومعه خمسمائة فارس، فمانع محمد آغا دخوله، عندها نشب نزاع حاد بين الاثنين، لكن الأمير يونس بن الحرفوش أستطاع أن يقنع محمد آغا بالانسحاب من المدينة وانتهت بتسليم صيدا إلى بن معن وأصبحت مركز الأمير علي، في حين سنجقية صفد عين عليها يونس المعني^(٥١٠).

* تابع الأمير يونس بن الحرفوش مساعيه التفاوضية والسياسية لصالح علي بن معن، ذلك عندما خرج حسين اليازجي المستشار الخاص بالاستقلال بحكم صفد لنفسه عام ١٦١٧م، وقتئذ أرسل الأمير علي مدبره كتحدا إلى بعلبك، ملتصقاً من الأمير يونس مساعدته لدى والي دمشق محمد جركس باشا لأعاده سنجقية صفد^(٥١١) إليه، فلم يتوان أمير بعلبك عن اصطحاب المدبر إلى الوالي، ثم الحصول له على التزام صفد مقابل أربعين ألف قرش دفع منها حاكم بعلبك عشرة آلاف قرش مقدماً وتكفل هو بالباقي، ولما عاد المدبر إلى سيده حدثه بالذي قام به الأمير يونس

(٥٠٧) سامي مكارم، لبنان في عهد الامراء التتوخييين، ص ٢٩٧؛ الصفدي، المصدر السابق، ص ٣٩.

(٥٠٨) سليمان ظاهر، المصدر السابق، مج ٣، ص ١٩؛ فؤاد خليل، المصدر السابق، ص ٥١.

(٥٠٩) نصر الله، تاريخ بعلبك، ج ١، ص ٢٤١؛ ميخائيل الوف، المصدر السابق، ص ٢٦٨.

(٥١٠) نصر الله، تاريخ بعلبك، ج ١، ص ٢٤١.

(٥١١) الصفدي، المصدر السابق، ص ٦٦؛ سامي مكارم، لبنان في عهد الامراء التتوخييين، ص ٣٠٠.

الحرفوش، فكتب الأمير علي إلى حاكم بعلبك، شكره على ما قام به وتقديمه للكفالة، وأرسل له ما دفعه مسبقاً، وأنتهى الأمر بمقتل حسين اليازجي من أحد رجال الأمير بن معن وإعادة صفد إليه^(٥١٢).

✽ قام بمؤازرة ومساندة المعنيين للوقوف في وجه آل سيف عام ١٦١٧م، عندما أصدر السلطان أحمد الأول فرمان للصدر الأعظم يأمره، بما يأتي :

١- رفع يد يوسف باشا بن سيف عن كسروان وبيروت .

٢- يتوقف بن سيف عن مساعدة الشيخ المظفر العذاري⁽⁵¹³⁾.

وكتب الصدر الأعظم محمد باشا بهذا المضمون إلى والي طرابلس حسين باشا، وإلى والي دمشق محمد جركس باشا، وأرسل لهم فرمان السلطان داخل الكتاب، وبعث الواليان إلى يوسف باشا (الفرمان والكتاب) مع رسول، ولما وصل الأخير إلى بيروت سلم الكتاب إلى بن سيف، وعند اطلاعه على ما تضمن ذلك الكتاب فاض غيضاً حتى عزم على قتل الرسول الذي جاء بتلك الأحكام، لكن تراجع في اللحظات الأخيرة فأبى الخروج عن بيروت ورفض ما أمر به رفضاً قاطعاً⁽⁵¹⁴⁾، حيال هذا الأمر فوض الصدر الأعظم أمر بن سيف العاصي إلى الأمير علي بن معن، فجمع ثلاثة آلاف مقاتل من الشهابيين والمعنيين ورجال بلاد بشارة، فضلاً عن جنود بلاده وعلى رأسهم بن الحرفوش ورجاله، وتوجهوا إلى طرابلس بلاد آل سيف، فالتحم الجيشان في منطقة دعيت ب(عين الناعمة) وأنتهت بانتصار الأمير بن معن وحلفائه على حسين سيف في موقعة عين الناعمة⁽⁵¹⁵⁾ .

يمكن القول، أن استمرار حاكم بعلبك في مساعدة المعنيين، وقدم لهم خدمات جليلة، كان لها الأثر البارز في احتفاظهم بمكانتهم في غياب الأمير فخر الدين الثاني.

علاقة الأمير يونس مع الأمير فخر الدين الثاني بعد عودته من توسكانيا :

عاد الأمير فخر الدين المعني الثاني من توسكانيا عام ١٦١٨م، بعد غيبة خمس سنوات وشهرين، ووصل إلى عكا. واستقبله كل مشايخ ورجالات عكا، وجميع مشايخ صفد وبشارة والشقيف وبلاد صيدا على أحسن وجه، وأخبروه بما حصل في البلاد عندما كان في إيطاليا، واطهروا أسفهم لما حصل لبلاده من حرق وتخريب، أشد الأمير المعني الثاني غيضاً لسماع

(٥١٢) منير البعلبكي وآخرون، المصدر السابق، ج٧، ص ٥٥.

(٥١٣) سلمان ضاهر، المصدر السابق، مج٣، ص ٥١.

(٥١٤) سلمان ظاهر، المصدر نفسه، مج٣، ص ٥١؛ نصر الله، تاريخ بعلبك ج١، ص ٢٦٨.

(٥١٥) عيسى اسكندر المعلوف، الامراء الحرافشة، العرفان (مجلة) العدد ٩، بيروت، ١٩٣٥، ص ٢٩١.

تلك الاخبار، وعزم إلى الانتقام من الذين شاركوا أو حتى سروا بأبتعاده، ومن الذين أضطهدوا أنصاره، وفي مقدمة هؤلاء يوسف سيفاً⁽⁵¹⁶⁾.

نضم الأمير فخر الدين المعني الثاني القوات العسكرية لبلاده وجهزهم لمهاجمة طرابلس، وطلب من حلفائه الانضمام للحملة، وأول من لبى طلبه هو الأمير يونس الحرفوش، ومنذ ذلك عاد التحالف القديم بين الأسرتين إلى الساحة السياسية من جديد، وحضر بن الحرفوش برجاله والتقى مع جيش الأمير المعني عند قرية رأس بعلبك، وزحفوا معاً إلى بلاد عكار، ولما وصلوا بقرب حدود عكا انقسموا على قسمين، الأول تحت قيادة الأمير فخر الدين المعني الثاني، ومهمته تضمنت دخول عكار حتى وصلت تلك القوات إلى المدينة، قاموا بمحاصرة حصن راويد في بلاد عكار، حيث قصور آل سيفاً، وأما القسم الثاني، فكان تحت أمره بن الحرفوش وكانت مهمته التوجه برجاله نحو برج القيراونية، حيث يوجد فيها فرقة من جيش آل سيفاً، فقام بمحاصرتها لمدة ثلاثة أيام، وبعد ذلك تمكن من دحر رجال بن سيفاً، ودخل الناحية والهمل مع الغنائم، وأخذ جميع المواشي التي انهزمت من بلاد عكار والحصن، عندئذ بعث الأمير يونس الحرفوش بفرقة من رجاله عددها خمسمائة فارس لمساندة الأمير المعني الثاني خلال محاصرته لحصن راويد، وعاد هو وبقية رجاله إلى بعلبك⁽⁵¹⁷⁾، عند وصول قوات بن الحرفوش تمكن الأمير فخر الدين المعني الثاني من دخول المدينة حيث قصور آل سيفاً فهدمها ونقل حجارتها الصفراء الجميلة من تلك المدينة إلى ميناء طرابلس ومنها نقلتها المراكب إلى الدامور، ثم إلى دير القمر فأعاد بناء قصره وقصور آل معن بها، بعد الخراب الذي لحق ببلاد آل سيفاً، اضطر أن يصلح الأمور مع الأمير فخر الدين المعني الثاني بدفع مبلغ كبير من المال، لم يحدد قيمة المبلغ في المصادر التاريخية، بعد أن تنازل عن مقاطعتي جبيل والبترون⁽⁵¹⁸⁾.

وبعد تلك المعركة استمرت العلاقات بين الأمير المعني الثاني وبن الحرفوش، لكنها أصبحت فاترة جداً، وبالرغم من ذلك فإنه لم تصل إلى حد القطيعة، إذ انهما لم يتقابلا وجهاً لوجه منذ عودة فخر الدين من إيطاليا حتى عبوره في بلاد بعلبك، ذلك عند رجوع الأمير فخر الدين من حرب بن سيفاً الثانية في لعام نفسه، التي لم يشارك فيها الأمير بن الحرفوش لسبب لم يذكر في المصادر التاريخية، عند مرور الأمير المعني الثاني، وهو قادم من البترون عبر حدث بعلبك، ونزل على المجر على نهر العاصي، فبلغ الأمير يونس الحرفوش ذلك الخبر وهو

(٥١٦) كان آل سيفاً قد اغاروا في غياب الأمير على دير القمر، مقر أسرة الأمير المعني، وهدموا قصره وقصور سكان آل معن، وأحرقوا المزارع، ونهبوا الأموال والمواشي. للمزيد ينظر، الصفدي، المصدر السابق، ص ٧٦.

(٥١٧) منير البعلبكي وآخرون، المصدر السابق، ج ٧، ص ٤٦-٤٧؛ كرد علي، خطط الشام، ج ٢، ص ١٣٢.

(٥١٨) فؤاد خليل، المصدر السابق، ص ٥٢.

بحسن اللبوة، الذي لا يبعد كثيراً عن المجر، عندئذ ساوره القلق والشك، فعاد مسرعاً إلى بعلبك، فالتقيا على طريق اللبوة، وسلم كل منهما على صاحبه فدعاه الأمير المعني الثاني إلى خيمته، فلبى أمير بعلبك الدعوة، وقضى اليوم بأكمله وهما يتحاوران عن الأمور التي تتعلق بمستقبل إمارتهما، ورحل الأمير المعني الثاني في اليوم التالي في الصباح الباكر، إلى الهرمل ثم إلى قرية صدارة قرب بلاد عكار، وعمل على هدم الدور التي جدها بيت سيفاً في عكار، ثم عاد عن طريق بعلبك إلى بيروت⁽⁵¹⁹⁾.

عندما اطمأن الأمير يونس الحرفوش إلى نفوذه السياسي، حاول أن يتوسع جنوباً، ولكن هذه المرة أخذ أسلوب آخر مغاير لعادته السابقة، هو أسلوب المصاهرة والتقارب، لتثبيت وتوسيع حدود بلاده، فقد صاهر الأسرة المعنية، هذا النسب قد تخطط به البعض من المؤرخين، فتارة يقول أنها تمت في عام ١٦٠٥م، والعروس هي أبنه الأمير فخر الدين الثاني⁽⁵²⁰⁾، وتارة يجعلها أحداث عام ١٦١٧م، والعروس أبنه الأمير علي بن الأمير يونس المعني⁽⁵²¹⁾، وأخر رواها في وقائع ١٦١٨م⁽⁵²²⁾ والعروس أبنه الأمير بن فخر الدين الثاني، في حين أورد آخر أنها في عام ١٦٢٠م، والعروس ابنة الأمير علي المعني⁽⁵²³⁾، فيكون هنا الرأي الأرجح هو عام ١٦١٨م، على أن قد أصبح نصيب للأمير أحمد بن يونس الحرفوش في مصاهرة الأمير علي بن فخر الدين المعني الثاني، وعقد عقد نكاحه على كريمته، فجاء وسكن في قرية مشفرة وأسس بها أساس عظيم ليسكن هناك، وابتدأ يكتتب أمراء طرابلس، وأولاد داغر، وأمراء جبل عامل بني علي الصغير وبيت شكر وبيت منكر، فلما بلغ الأمير علي المعني الثاني ذلك الأمر، أنزعج وكتتب والده الأمير يونس، بأن يمنع ولده عن السكن في قرية مشفرة، فأرسل له بن الحرفوش جواباً أن ولدي مراده القرب منكم، وأن يكون هو وزوجته بقرىكم وتحت أنظاركم، فلم يوافق الأمير علي المعني بذلك والزمه بالرجوع إلى بعلبك، ففعل وعاد إلى بلاده⁽⁵²⁴⁾.

يستدل مما سبق، أن الأمير يونس الحرفوش أصبح، الحاكم البارز ذات الشخصية السياسية والعشائرية الموثوقة والحكيمة، ومحل ثقة الجميع واحترامهم، وأرتبط بعلاقات حسنة مع باقي المقاطعات المجاورة، ذلك من خلال قيامه بوساطات واسعة لفض النزاع بين الإمارات، وبهذا

(٥١٩) كرد علي، خطط الشام، ج ٢، ص ١٣٤؛ نصر الله، تاريخ بعلبك، ج ١، ص ٢٩٨.

(٥٢٠) فؤاد خليل، المصدر السابق، ص ٢٠.

(٥٢١) نصر الله، تاريخ بعلبك، ج ١، ص ٢٤٧.

(٥٢٢) فضل رعد، المصدر السابق، ص ٣٤.

(٥٢٣) الصفدي، المصدر السابق، ص ٦٦.

(٥٢٤) محسن الأمين، أعيان الشيعة، ج ٣، ص ٢١٦؛ حمادة، المصدر السابق، ج ١، ص ٢٧٨.

العمل حول بعلبك إلى مركز رئيس للتباحث بشؤون الإمارات والمقاطعات، فقرر عندئذ مصاهرة الأسرة المعنية، ذلك لأسباب عدة يسعى لتحقيقها، منها:

١- طموح الأمير يونس بتوسيع حدود أمارته جنوباً، وتوطيد حكمه.

٢- كان الغرض من ذلك النسب والمصاهرة، ما هي إلا محاوله جريئة لإنقاذ علاقاته المتدهورة مع أمير أسرة آل معن .

٣- ويأمن شر تقلباته الأمير فخر الدين الثاني المعني ودسائسه.

٤- يستفاد من العلاقة التي تربط الأمير المعني الثاني مع ولاية دمشق، وهي علاقة مصالح، تتبع من المكانة الكبيرة للأمير فخر الدين الثاني المعني.

الأمور التي أستجدت، كان من أهمها سكن بن أمير يونس في مشفره، ما جعل الأمير المعني الثاني يتخوف من ولادة إمارة، تمتد من بعلبك إلى كرك نوح فقب الياس ثم مشفرة ثم إلى جبل عامل وصفد، وعد المعنيون أن هذا تهديداً لمصالحهم وتحديداً لنفوذهم، والذي أزعج المعنيين هو موقع مشفره الجغرافي، وهي تقع على تخوم سنجقية صفد، التي ادخلت انياً في التزامهم، بمساعي وأموال وجهود الأمير يونس الحرفوش⁽⁵²⁵⁾.

توفى الأمير أحمد بن يونس الحرفوش، صهر الأمير علي بن فخر الدين المعني عام ١٦٢٠م، فرجعت أبنه الأمير المعني إلى بلاد والدها مع أبنها الذي يبلغ من العمر تسعة شهور⁽⁵²⁶⁾، وعندما عزل مرتضى باشا عن ولاية دمشق، وعين مكانه مصطفى باشا عام ١٦٢١م، عندئذ أرسل الوالي الجديد، الحاج كيوان إلى الأمير فخر الدين الثاني المعني الثاني طلب منه مالا خدمه للسلطان، وعند مرور الحاج المذكور في بعلبك طلب حاكمها من الحاج، الالتماس له من أمير آل معن، أن يأذن لولده الأمير حسين الزواج بأمرأة أخيه المتوفى، فيدفع له ثمانية ألف قرش أرضاء لخاطره، فتوجه الحاج إلى صيدا، وعندما وصل إلى الأمير المعني الثاني وخاطبة بشأن السبب الذي قد أرسل من أجله، فدفع عشرة ألف قرش من ذهب لوالي دمشق، وعندها خاطبه بشأن زواج أبنته، أرملة الأمير المتوفى، بابن الأمير يونس الثاني الأمير حسين، فوافق الأمير فخر الدين الثاني المعني الثاني، على مصاهرة الأمير يونس للمرة الثانية، وقد وطلب بن الحرفوش من صهره الأمير فخر الدين الثاني المعني الثاني بالذهاب إلى والي دمشق الجديد ويلتمس منه سنجقية حمص، وبالفعل أسجاب أمير المعنيين لمطلب بن الحرفوش، وطلب السنجقية من مصطفى باشا وفعل ما يريد⁽⁵²⁷⁾.

(٥٢٥) الصفدي، المصدر السابق، ص ١٣٥؛ سليمان ظاهر، المصدر السابق، مج ٣، ص ٥٢ .

(٥٢٦) فؤاد خليل، المصدر السابق، ص ٥١.

(٥٢٧) نصر الله، تاريخ بعلبك، ج ١، ص ٢٤١.

وقد حدث أمراً في عام ١٦٢٢ م ، قد بدل في موازين تلك العلاقة ، إذ بعث الأمير يونس الحرفوش في ذلك العام كتاباً إلى كرد حمزة⁽⁵²⁸⁾، يخبره بعزل فخر الدين الثاني عن صفد، ويذكره ما حصل لرجاله في نابلس وعجلون، ولضبط الأمير بشير بن قانصوه جميع المواشي، وأظهر فيه بن الحرفوش البغض من تلك الأعمال، وشدد على كرد حمزة بالاستفادة من تلك الفرصة لأنها لا تأتي ولا تتكرر في أي وقت، ومن القضاء والقدر قد أختلط هذا الكتاب مع المكاتيب التي أراد كرد إرسالها للأمير فخر الدين الثاني، وبحسب ما يقال بأنه امي لا يقرأ ولا يكتب، ولو علم بذلك لما أرسله⁽⁵²⁹⁾، وبلغ الأمير المعني أن تلك دسيصة من الأمير يونس الحرفوش، فتغير خاطره على آل الحرفوش، وأغتاظ جداً من الأمير يونس، إذ وجده مع كل حسناته كافراً بنعمته، لأنه لما قدم علي باشا جانبولاد ثائراً إلى دمشق ضد السلطان قبل تاريخه بخمسة عشر عام، وتقدم عنده الأمير موسى الحرفوش، حينها التجأ ابن عمه الأمير يونس إلى الأمير فخر الدين المعني الثاني، فوفاه من ضرر ابن عمه أمير بعلبك، وتولى حكم بعلبك بأمدادة⁽⁵³⁰⁾، ولما ثبتت أقدامه في المدينة وقوي نفوذه منع أهل الشوف من الزراعة في أراضي البقاع، التي أشتروها من زمن الأمير منصور فريخ عام ١٥٨٥م، وضبط للأمير علي بن فخر الدين تل النمورة⁽⁵³¹⁾ من أراضي قب الياس، وقد نهاه ولده الامير حسين فلم ينته وامعن في أساءته⁽⁵³²⁾ .

فتوجه الأمير المعني الثاني من بيروت إلى قب الياس، حيث مركز الأمير حسين بن يونس الحرفوش، وعندما علم الأخير بقدوم أمير المعنيين ،خرج اليه ورحب به ودعاه إلى داره، ولما استقر بمقرهم أظهر صكوكاً وأوامر سلطانية بمشتراه قب الياس، وأرض تل نحرا وغيرهما من العقار في البقاع من تركة الأمير منصور بن عساف وأعطاهما للأمير حسين، وقال له : "على موجب هذه الحجج الدار هي ملكنا ونحن اسكناكم بها هذه المدة والان احتجنا اليها فتوجه انت الى والدك بالأمن والأمان"⁽⁵³³⁾، وعندما بلغ الأمير يونس بما فعله الأمير المعني الثاني، أرسل إلى كرد حمزه وهو في حمص، وطلب منه أن يوافيه إلى دمشق، واجتمعوا بالوالي مصطفى باشا وزاد على مبلغ التزام بلاد صفد ثلاثة آلاف قرش عن قيمة المبلغ المتفق عليه للأمير يونس،

(٥٢٨) كرد حمزة : هو مأمور سنجق حمص. للمزيد ينظر: فضل رعد، المصدر السابق ، ص ٢٧.

(٥٢٩) سليمان ظاهر، المصدر السابق ، مج ٣، ص ٥٣.

(٥٣٠) نصر الله ، تاريخ بعلبك، ج ١، ص ٢٦٢.

(٥٣١) تل النمورة: تل قرب قرية عنجر لايزال يحمل الاسم نفسه حتى اليوم. للمزيد ينظر: حسن نعمة ،

الموسوعة اللبنانية ، ج ٢ ، ص ١٨٩.

(٥٣٢) حماده، المصدر السابق، ج ١، ص ٢٨٨؛ ستيفن ونتر، المصدر السابق، ص ١٢٣.

(٥٣٣) نصر الله، تاريخ بعلبك، ج ١، ص ٢٦٥.

فكتب الباشا له الأوامر بإحالة سنجقيتها إليه عن يد كرد حمزه، وأعطى سنجقية عجلون للأمير بشير، ودفع الأمير يونس إلى ملاقاته الحج كالمعتاد خمسة آلاف ذهب عن بلاد عجلون، ودفع عشرة آلاف ذهباً سلفاً عن قيمة صفد، فانعم عليهما به⁽⁵³⁴⁾، أغضب ذلك الأمير فخر الدين المعني الثاني وجعله يستنفر جميع طاقاته وقواه العسكرية والمالية، وكتب إلى والي دمشق، وقال: "بلغنا أن بن الحرفوش زاد على سنجقية صفد ثلاثة آلاف قرش ذهباً وقبلتم ذلك منه، واحتلموه إليه، فنحن عندنا تقدمه إلى مولانا السلطان مائة ألف ذهب، وإن كان ذلك لحزازة في الصدر وقصدكم حدوث فتنه وما قبلتم المال يصل اليكم فالأمر لله ثم اليكم"⁽⁵³⁵⁾ فلما وصلت هذه الكتب إلى والي دمشق لم يعره اهتماماً ظناً أنها تزوير، وعندما رجعت رسل الأمير فخر الدين المعني الثاني خائبين، ولم يتمكنوا من الحصول على مبتغاهم من والي، واعلموا الأمير بواقع الحال، أرسل الأمير فخر الدين الثاني إلى ولده الأمير علي بأن يجمع رجاله ويأتي من صفد ويوافيه إلى قب الياس، ففعل ذلك⁽⁵³⁶⁾.

وصل الأمير فخر الدين المعني الثاني والشهابي بجيوشهم إلى القرعون، وبلغ آل الحرفوش خبر وصول قولاً المعنيين واستعدادهم لمهاجمته، عندئذ أجمع الأمير يونس بن الحرفوش وأبنيه الأمير حسين وجميع أقاربهم في بعلبك، فضلاً عن عمر بن سيف ورجاله، وتوجهوا هؤلاء بجيوشهم إلى والي دمشق، ونزلوا على جسر دير زينون للاستراحة، ومن ثم ارتحلوا إلى الديماس وهناك التقوا بجيش الولاية⁽⁵³⁷⁾، أما الأمير علي بن فخر الدين الثاني المعني، كرس النصيب الأكثر من الاهتمام والعناية على الصعيد العسكري، حضر جيش كبير على نحو ألفي فارس، وأعلن الأمير فخر الدين الثاني الحرب على الأمير يونس بن الحرفوش، وأتجهت القوات من قب الياس إلى القرعون، ومن هذه البلدة بدأ الهجوم نحو كرك نوح، وكان في تلك القرية مزار، وفي داخله على نحو مائة فارس من آل الحرفوش مختبئين فيه للتربص برجال العدو، لكن الفرسان المعنيين قد علموا بوجودهم فيه، فاخذوا بأطلاق نيران بنادقهم على من في المزار، فسقط أربعين رجلاً من أتباع الأمير يونس بن الحرفوش، وتم أسر الباقيين منهم وأرسلهم إلى الشوف ثم أحرق الأمير فخر الدين الثاني المعني جميع أحياء البلدة، وتم تخريب القرية بالكامل، توجهوا بعدها إلى سرعين التي كانت قديماً مسكناً لآل الحرفوش، فوجدوا أهلها قد ارتحلوا منها إلى الزيداني، فنهبوا منها المواشي، ثم أحرقها، ولم يبقَ فيها بيت عامر، ورجعوا إلى الجهة الشرقية من بعلبك، ودمروا جميع القرى المنتشرة بالقرب من تلك البلدة، وعند وصولهم إلى بعلبك، وجدوا الأهالي

(٥٣٤) حماده، المصدر السابق، ج ١، ص ٢٩٢؛ ستيفن ونتر، المصدر السابق، ص ٢٤٣.

(٥٣٥) سليمان ظاهر، المصدر السابق، مج ٣، ص ٥٤.

(٥٣٦) الصفي، المصدر السابق، ص ١٤٧؛ المحبي، المصدر السابق، ج ٣، ص ٢٩٩.

(٥٣٧) المملوف، تاريخ الامير فخر الدين الثاني، ص ١٨٣.

التي لم تتمكن من الهروب، قد تحصنت داخل القلعة، فرجع الأمير علي المعني بقواته إلى قب الياس⁽⁵³⁸⁾.

يتضح مما سبق، أن الأمير فخر الدين الثاني عاد من أوروبا حامل ضغينة وعداء نحو يونس الحرفوش وباقي الأمراء الذين خذلوه، وأن المساعدات التي قدمها الأمير يونس في غياب أميرهم، تقتض المعاملة ترد بالمثل عند عودة الأمير فخر الدين الثاني المعني من منفاه، لكن ما حصل هو خلاف ذلك، فلما عاد أمير الشوف من إيطاليا عام ١٦١٨م، بدأت بوادر العداء بالظهور بصورة مبكرة بين الأميرين، فلما علم بالذي قام به الأمير يونس للمعنيين أثناء غيابه، أدى ذلك إلى أخمد نار الغضب التي كان يحملها، وانتهت الأزمة بالمصالمة وتجديد التحالف عن طريق المصاهرة بينهما، ولم تكن إقامة الأمير حسين في مشفرة إلا القشة التي قصمت ظهر البعير، إذ فسح المجال لظهور هذا العداء إلى العلن، وسرعان ما أنهار هذا التحالف بسبب سياسة التوسع التي انتهجها كل من الأميرين، فالمعني الثاني الذي ساعد الأمير بن الحرفوش إلى حكم بعلبك، بالمقابل بن الحرفوش منع أهل الشوف من الزراعة في أراضي البقاع وضبط أملاك أبنه في قب الياس، بن الحرفوش كان يرى هو الآخر أن حليفه كان عائقاً كبيراً أمامه. يعيق توسع بلاده نحو جنوب البقاع.

اصاب بعلبك خراب شامل، فما كان من الأمير يونس بن الحرفوش من عمل قام به للأنقام من الأمير فخر الدين المعني الثاني، إلا تدبير مكيدة له فوشى به لدى والي دمشق مصطفى باشا، وبلغ الأمير يونس أمام والي العثماني في تصور الخطر المحدق بالدولة العثمانية وبالوالي جراء طموحات الأمير المعني التوسعية، ومن اتصالاته وعلاقاته بالدول الأوروبية^(٢)، ولم يتركه حتى تمكن من أقناعه بضرورة التخلص من الأمير المعني الثاني، بوصفه الخطر الذي هدد أمن السلطة، ونال ما تمناه الأمير بن الحرفوش، فوعده والي دمشق بان بتقديم المساعدة، حتى يتمكنان منه، فخرج مصطفى باشا بجيش كبير بلغ عدده على اثني عشر ألفاً، وما لبثت أن اجتمع من أعداء أسرة آل معن، وانضمت اليهم قوات آل الحرفوش فضلاً عن بن سيف ورجاله، وتحرك والي بجيشه من دمشق ومنها إلى خان ميسلون⁽⁵³⁹⁾، كان الأمير فخر الدين الثاني أثناء تلك الأحداث يراقب تحركات آل الحرفوش، وينتظر الفرصة المناسبة للأقتصاص من الأمير يونس، فتقدم الامير فخر الدين المعني الثاني مع حلفائه من آل شهاب بجيشه المؤلف من خمسة آلاف مقاتل المكون من جميع فرسان المناطق الواقعة تحت

(٥٣٨) فؤاد خليل، المصدر السابق، ص ٥٣؛ نصر الله، تاريخ بعلبك، ج ١، ص ٢٥٨.

(٥٣٩) المعلوف، تاريخ الامير فخر الدين الثاني، ص ١٨٤؛ المحبي، المصدر السابق، ج ٣، ص ٣٠١.

حكمه، ووصل جيش الوالي في الثالث عشر من تشرين الأول عام ١٦٢٣م إلى ينبوع عنجر (540).

أبتدأت المعركة عند وصول حشود الشهابيين إلى المجدل قرب قرية عنجر، قبل وصول جيش الأمير فخر الدين الثاني، فهاجم عليهم جيش الدولة بالاشتراك مع آل الحرفوش هجمة واحدة، فأخرجوهم من البلدة فهربوا إلى تل قرب نبع عنجر، فقامت معظم فرق جنود الدولة بملاحقة تلك القوات واللاحق بهم، فتحصنوا في برج خرب، وتمكنت قوات الوالي وبن الحرفوش من محاصرة قوات بن الشهاب داخل البرج، وملك بن آل حرفوش وبن سيف تلك القرية، فظل دخان البارود يتصاعد إلى السماء، ووصلت قوات الأمير فخر الدين الثاني في ذلك الوقت من ناحية الشمال نحو برج المجدل، وشقيقه الأمير يونس من ناحية الجنوب، فسمع عندئذ الأمير علي الشهابي فرقة البارود، فغار بجيشه على الحشود العثمانية حال وصوله، ولما علم آل شهاب بوصول قوات الأمير المعني الثاني، هاجموا على الذين في القرية فتشتت قواهم، وأجتمعت قوات آل الشهاب مع فرسانهم قبالة ينبوع عنجر بمزاميرهم وطبولهم ونشروا الأعلام، ووقفوا بانتظار جيش بن معن وقد قسم الأمير فخر الدين الثاني جيشه على ثلاثة أقسام، فزحفت مشاة الأمير فخر الدين المعني الثاني من جانب الشمال عند الثغرة التي تنفذ إلى ينبوع عنجر، وجاء رجال الأمير علي المعني من ناحية المجدل أي جهة القلب، في حين قوات الأمير يونس المعني ومذبذبة تقدمت من الناحية الجنوبية تحت قرية المجدل (541).

بدأ الأمير المعني بتنفيذ خطته في البدء بالهجوم، حيث أرسل مئة خيال للتحرك نحو خيالة مصطفى باشا، والانكفاء أمامهم لأستدراج كل خيالة الوالي لتعقب خيالاته، بحيث ينكشف مشاة والي دمشق أمامه في سهل عنجر، وهذا ما حصل بالضبط، ما أن بدأ خيالة الأمير المئة بالانكفاء حتى تعقبهم على نحو ألف فارس من جيش الوالي وغاروا على جيش الأمير علي بن فخر الدين الثاني دون جدوى، فقد كانوا ثابتين في مواقعهم، وعندما رأى الأمير فخر الدين المعني الثاني ميل الفرسان نحو قوات أبنة الأمير علي، قام حينها بالهجوم على مقدمة جيش حكومة دمشق، وتقدم مصطفى كتحدا لأنجاد الأمير علي بمن معه، إلا أنه لما ضرب الأمير المعني مقدمة جيش الوالي، هربت من أمامه قوات الوالي، والذي زاد من نجاح المناورة (542)، أرسل باقي الخيالة والي دمشق إلى برج الخراب للقضاء على قوات الأستطلاع، وما أن انكشفت

(٥٤٠) الغزي، المصدر السابق، ج٣، ص ١٧٠.

(٥٤١) سامي مكارم، لبنان في عهد التتوحيين، ص ٣٠٢؛ المحبي، المصدر السابق، ج٣، ص ١٣٧.

(٥٤٢) المحبي، المصدر نفسه، ج٣، ص ١٣٨.

مشاة الوالي في سهل عنجر من دون حماية الخيالة، حتى أرسل الأمير فخر الدين المعني الثاني كل باقي قواته من خيالة ومشاة للقضاء على جيش الوالي وانتهاء المعركة⁽⁵⁴³⁾.

تقدمت مجموعة مدبر الأمير فخر الدين الثاني المعني برجاله مهاجمين جيش مصطفى باشا، أما رجال الأمير يونس المعني، فاقفلوا طريق الرجعة على قوات ولاية دمشق، وما أن رأى جيش الوالي أنه أصبح مطوقاً، وأن مقدمة جيش الدوبة وبن سيفاً وبن الحرفوش قد انكسرت من وراء، حتى ولوا الأدبار، وأرغم الوالي وقتها بإعطاء الأوامر بالانسحاب، فتضعض جيشه وسقط أربعمئة قتيل وخمسة من القواد، وأسروا مائة منهم، والمنهزمون تمت ملاحقتهم حتى الزبداني، ونادى قوات آل معن بالنصر، وانتهت الحرب انتصار الأمير فخر الدين المعني الثاني وانكسار قوات الوالي، ولولا أنشغال جنود جيش بن معن بالغنيمة والمكسب ونهب الخيم، لهلك من الحشود العثمانية قتلاً ما لا يحصى⁽⁵⁴⁴⁾.

بعد انتهاء المعركة بين الجيشين، لم يكن باستطاعة مصطفى باشا الفرار، فأحاطت به خيل رجال بن معن من كل جانب، وامسكوه واتوا به أسيراً مع عشرة من خواصه إلى الأمير فخر الدين المعني الثاني وأبناه علي، ولكن هذا الأمير وأبناه احاطوه بالأحترام والحفاوة، فلما رأياه نزلًا عن خيلهما وقبلًا ذيل ثيابه، وقدم له الأمير المنتصر فرسه وأركبه عليها، وأمر محمد بلوكباشي، أحد رجال الأمير فخر الدين الثاني الخاصين، بالذهاب معه إلى قب الياس، وأما الأمير يونس الحرفوش وعمر بن سيفاً وكود حمزه الذين كانوا في جيش الوزير، فانهم انهزموا إلى بعلبك، فأبقى حاكم بعلبك في القلعة مائتين وعشرة فرسان، فضلاً عن أفراد بيته، وظل سائراً إلى حصن اللبوة، أما الأمير عمر وكود حمزة توجهوا إلى حمص⁽⁵⁴⁵⁾، ولما دخل الأمير فخر الدين الثاني المعني على مصطفى باشا في قب الياس اعتذر له عن تلك المعركة التي لم تكن من رضاه، والباشا اعتذر له أيضاً وقال له أن هذه الحرب لم تكن بخاطرة، وأن بن الحرفوش هو الذي سبب تلك الحرب مع كرد حمزه، وطلب الأمير الأخير عندئذ من الباشا، بالذهاب إلى بعلبك لينظم احوالها⁽⁵⁴⁶⁾، وغادر والي دمشق المذكور مقاطعة الأميرعلي بن فخر الدين الثاني المعني في اليوم الثالث، مع الأمير فخر الدين الثاني المعني والأمير أحمد الشهابي، ونهضوا إلى قرية تمنين ومنها ساروا إلى المدينة المقصودة فدخلوها في عام ١٦٢٣م، فلم يجد فيها من أمرائها أو من سكانها أحداً، غير قوة عسكرية مكونة من مائتي وعشرة أشخاص من البلوكباشية قائدهم أحمد بن حرب من الدوير في جبل عامل موكلين بحفظ القلعة، وأذن بنهب غلال الأسرة الحاكمة

(٥٤٣) فؤاد خليل ، المصدر السابق ، ص ٥٧.

(٥٤٤) محسن الامين، خطط جبل عامل، ص ٢٠٩.

(٥٤٥) نصر الله ، تاريخ بعلبك ، ج ١، ص ٢٥٨؛ كرد علي، خطط الشام، ج ٢، ص ٦٧.

(٥٤٦) الصفدي، المصدر السابق ، ص ٢٢٨.

عليها، واستولوا على الحصون⁽⁵⁴⁷⁾، فنزل والي دمشق والحاج كيوان في دار الأمير شلهوب الحرفوش، في حين الأمير فخر الدين الثاني نزل في دار الأمير يونس، وفرق الباقون يذهبون ما قدروا عليه، ولما بلغ أمير بعلبك قدوم الأمير فخر الدين الثاني وحلفائه إلى بلاده، فر من اللبوة بأولاده إلى قلعة حصن راويد، وتوجه هو إلى حماة لحل المشكلة⁽⁵⁴⁸⁾.

أولى التدابير التي اتخذها الوالي بعد وصوله بعلبك، منها إصدار فرمان بتعيين الحاج كيوان كتخدا، وأرسل إلى متسلمه في دمشق بالقبض على الموالين لكورد حمزة وقتلهم، فتنفذ الأمر بخنق بعضهم في القلعة، وتشنت الباقون إلى حمص وحماة وحلب، وأعطى لفخر الدين بعلبك والقرى التابعة لها، وأباح له أملاك آل الحرفوش، ومقاطعه غزة وتابعها وسنجد صفد، ومنح لولده الأمير علي بن معن مقاطعه بقاع العزيز، وأحالة سنجد عجلون إلى الأمير حسين بن أمير فخر الدين، وكانت نابلس من نصيب كتخدا مصطفى، أما سنجد اللجون إلى الأمير منصور المعني، وقد نظم الوالي والأمير فخر الدين الثاني المعني أمور جند الدولة، حيث أعطى للأمير الأخير الصلاحيات التي كانت لكيوان وكورد حمزة معاً في السابق⁽⁵⁴⁹⁾.

عندما بلغت أمور بعلبك إلى الأمير يونس، توجه في العام نفسه من قلعة الحصن إلى حماة، وولده الأمير حسين أقام في حمص، حينئذ قدم الأمير شلهوب الحرفوش إلى الأمير المعني نزياً، فطيب خاطره، والتصرف في أمواله وممتلكاته، وعينة حاكماً على بعلبك من قبله، وفي أثناء تلك الأمور توجه الأمير يونس بن الحرفوش الهارب وكرد حمزة إلى حلب لرؤية مراد باشا وتقديم شكوى بشأن تلك الأمور التي قام بها الأمير المعني، فأبى مراد باشا أن يقابلهم، حينئذ عاد الأمير يونس إلى حماة، وبعد رحيل والي دمشق من بعلبك، أرسل الأمير المعني مجموعه من المقاتلين عددهم مائة رجل إلى جبة عسال للاستيلاء على مواشي تعود إلى يونس بن الحرفوش، وكانت نحو عشرة آلاف رأس فارسل منها الفين إلى الوالي⁽⁵⁵⁰⁾، أصدر والي حلب مراد باشا عام ١٦٢٣م أمراً إلى الأمير خالد بن عجاج بالقبض على الأمير يونس الحرفوش، وكان وقتها الأمير يونس في معرة النعمان، فأتمثل الأمير خالد للأمر، وقام بمطاردة الأمير يونس إلى أن مسكة في معرة النعمان، وتوجه به إلى سلمية، ومنها إلى قلعة حلب⁽⁵⁵¹⁾.

يستدل مما سبق، جاءت معركة ينبوع عنجر فرصة مؤاتية للحليفين المتنافسين كي يصفى كل منهما حساباته السياسية مع الآخر، وتعد تلك المعركة النتيجة الطبيعية لصراع مرير وحاسم

(٥٤٧) يوسف الدبس، مختصر تاريخ سوريا ، ج٢، ص ٢٦٥؛ الشدياق، المصدر السابق، ج٢، ص٢٧٩.

(٥٤٨) المحبي، المصدر السابق، ج٤، ص٢٩٥.

(٥٤٩) نصر الله، تاريخ بعلبك، ج١، ص ٢٦٤؛ الصفدي، المصدر السابق، ص١٥٣.

(٥٥٠) الغزي، المصدر السابق، ج٣، ص ١٧٥.

(٥٥١) المعلوف، تاريخ الامير فخر الدين الثاني، ص١٨٩؛ الصفدي، المصدر السابق، ص ١٥٤.

بين الأميرين القويين، فقد كان لكل منهما تحالفاته السياسية، وقد أنقسم جند الدولة بين فريقين رئيسيين، إذ أن قادة معركة عنجر مثلوا الفئة العسكرية التي تعتمد سلطانها وقراراتها، فكان كيوان حمزه وانصاره في جهة الأمير فخر الدين الثاني وكورد حمزة وأتباعه في جهة آل الحرفوش، أما ما خص الوالي فلا يبدو بأنه صاحب قرار، لا قبل المعركة ولا بعدها خصوصاً، بل يعد من أكثر المستفيدين، لأنه تخلص من فئة عسكرية تشكل قسماً كبيراً من القوة التي تمنعه من مباشرة سلطانه، وبالفعل أن النتيجة التي أدت إليها هذه المعركة في الواقع هي في مصلحته تماماً، لأنه تخلص من الفئتين وفسحت له المجال للقضاء على من كان يحارب مع المتربصين للحكومة المركزية، والنصر الذي حققه فخر الدين الثاني المعني على والي دمشق مصطفى باشا وحليفه بن الحرفوش، وضع نهاية حاسمة للمشروع التوسعي للأمير يونس، وهكذا تمكن الأمير فخر الدين الثاني المعني من قتله كما فعل في السابق مع ابيه، وأصبحت بعلبك والبقاع تابعة بعد المعركة للأمانة المعنية.

فلما بلغ الأمير حسين خبر الأمساك بوالده عام ١٦٢٣م، وكان الأمير حسين في حماة تحت حماية خاله محمد باشا، حينها خرج إلى مدينة الحصن، حيث كانت وجود أسرته بقلعتها، وأرسل أخاه الأمير علي إلى الأمير شلهوب الحرفوش لأستعطاف الأمير فخر الدين الثاني، بأن يكتب إلى مراد باشا ملتمساً رفع الضرر عن والده⁽⁵⁵²⁾، وتعهده له في مقابل ذلك باريعين ألف قرش للأمير، وترددت في ذلك المراسلات، أثناء ذلك قدم قبوجي باشا ومعه فرمانات تقرير أليات الجبل وبعلبك والبقاع على الأمير فخر الدين الثاني المعني، فخاطب المحاصرين في القلعة بأن يسلموا فأبوا، ووصلت الاخبار بأعتقال الأمير يونس الحرفوش، فوهنت عزائمهم فاستسلموا وطلبوا الأمان، فطيب الأمير فخر الدين الثاني المعني خاطرهم، وأعطاهم وثيقه تضمن خروجهم من القلعة بسلام، وادخل أولئك السكان في خدمته، فسار عندئذ الأمير علي بن يونس الحرفوش إلى قلعة الحصن حيث جاء أخوه الأمير حسين بالمال الذي أقدم به للأمير فخر الدين الثاني المعني⁽⁵⁵³⁾، ثم عاد في عام ١٦٢٣م، ومعه بن عمه الأمير أحمد ووكيل الأمير مدليح الحيارى، ودفع لفخر الدين الثاني ستة عشر ألف قرش، وسلم إليه صكا بتوقيع الأمير حسين بالباقي عليه إلى عيد الفطر، والتمس منه الصلح ورفع الحصار عن قلعة اللبوة، فأجابه الأمير فخر الدين الثاني المعني إلى ملتمسه، وزحف بجيشه من بعلبك إلى مرج عدوس ثم إلى مرجعيون، وبقي الأمير شلهوب حاكماً على المدينة. وبعد ذلك اخلي سبيل الأمير يونس الحرفوش من سجن مراد باشا بواسطة فكرد حمزة وسكت الأمير فخر الدين عنه، ودفع مبلغ

(٥٥٢) فؤاد خليل، المصدر السابق، ص ٣٤.

(٥٥٣) فضل رعد، المصدر السابق، ص ٣٣.

من المال وقدره أربعون ألف قرش، وغادر الأمير فخر الدين المعني الثاني بعلبك في عام ١٦٢٣م، بعد أقامه سبعة أشهر فيها بعد أن خرب بعض دورها بما فيها دور الأمراء، وعجز عن هدم قلعتها، إلا أنه الحق بها أضراراً بالغة وقبض من الأمير حسين المبلغ المتفق عليه فيما بينهما⁽⁵⁵⁴⁾.

توجه الأمير يونس الحرفوش من حلب إلى ناحية جبة عسال، واجتمع مع عثمان آغا بن الياس كتحدا وقره محمود آغا، ومصطفى باشا، من أجل القضاء على بن عمه شلهوب⁽⁵⁵⁵⁾، وفعل الوالي ذلك، وأعاد الأمير يونس إلى الحكم في بعلبك عام ١٦٢٣م⁽⁵⁵⁶⁾، وطلب الأمير حسين بن الأمير يونس من الأمير علي بن شهاب في أن يكون شفيعه لدى الأمير المعني ليعيد له زوجته، وأنه يدفع بقية ما تعهد به في بعلبك، فاقبل الأمير علي الشهابي وولده قاسم بالأمير حسين إلى صيدا، فالتقاهم الأمير فخر الدين المعني الثاني عنده مكرمين، وأعاد لحسين زوجته بعد أن قبض منه عشرة آلاف قرش، وأخذ صكاً بكفالة الأمير علي الشهابي وولده إلى مدة شهر بالعشرة الألاف الثانية الباقية عليه من الأربعين الف قرش، بحسب تعهد في بعلبك، و سلمه زوجته وسار بها إلى بعلبك⁽⁵⁵⁷⁾.

وردت أحكام في عام ١٦٢٤م، تقرر أن يكون الأمير فخر الدين المعني الثاني متولياً على عرسال من حلب إلى القدس، ومنح لقب جده المرحوم الأمير فخر الدين الأول (سلطان البر) على المقاطعات ضمن هذه الحدود، وأمره بإعطاء راحتها وصيانتها وجباية أموالها الأميرية وتأديتها إلى الباب العالي، فجمع رجاله من أبناء العرب وزحف بهم من بيروت وبلغوا أربعة عشر ألفاً إلى نهر إبراهيم، ثم نهض إلى البترون، وبعد ذلك إلى جبل عكار، وهكذا إلى جهات حلب فحماة وكل ما هو واقع في إيالته، بجمع الأموال ورتب الأعمال والقي هيئته في النفوس⁽⁵⁵⁸⁾، وبعدها توجه إلى بعلبك في العام نفسه، وبلغ ذلك آل الحرفوش ومنهم الأمير يونس، فروا إلى المشرق مذعورين فاطلق الأمان للرعايا، فحضرُوا إليه مستسلمين، وطلبوا منه الإقامة وتعهدوا له بخمسة وأربعين ألف قرش خدمة، ثم أمر بترميم القلعة، ومكث الأمير فخر الدين الثاني المعني هناك شهراً إلى أن تم ترميمها، فوضع فيها الجيش وعلوفاته، وهكذا عادت

(٥٥٤) نصر الله، تاريخ بعلبك، ج١، ص ٢٦٨.

(٥٥٥) ينظر : الفصل الثاني، ص ٦٤.

(٥٥٦) حماده، المصدر السابق، ج١، ص ٣٠٨.

(٥٥٧) المحبي، المصدر السابق، ج٤، ص ٢٩٨.

(٥٥٨) الدويهي، المصدر السابق، ص ٥٩٠.

بعلبك مرةً أخرى إلى يد الأمير فخر الدين الثاني المعني، وبعد أنتهائه من هذه الجولة في البلاد الشمالية أنتقل إلى جنوبها، وصفاً له الزمان على هذا السلطان⁽⁵⁵⁹⁾.

ولما عزل الوزير الاعظم احمد باشا في عام ١٦٢٥م، وتولى مكانه خليل باشا، توجه إلى حلب للتخلص من الأمير فخر الدين الثاني وينهب بلاده، وعندما وصل الخبر إلى الأخير أرسل إليه عبد الله بلوكباشي، يعده بخزائن كثيرة وتسليم قلاع الحصن وصافيتا وسلمية وشميس والمرقب إليه، فقبل الباشا بذلك، وتمت المراضاة فيما بينهما، ومن ثم تم الاتفاق بين الأمير فخر الدين المعني الثاني ووالي دمشق على قتل الأمير يونس الحرفوش، وبهذا تم أحالة الحملة التي كان يقودها ضد الأمير فخر الدين الثاني المعني إلى القضاء على أمير بعلبك، فكانت نهايته مأساوية كنهاية سلفية الأمراء علي وموسى على يد الولاة العثمانيين، مدفوعين بدسائس الأمير فخر الدين الثاني ورشاويه⁽⁵⁶⁰⁾.

حضر الأمير حسين الحرفوش عام ١٦٢٦م، إلى حاصبيا ملتصقاً شفاعاً الأمير علي الشهابي في أسترضاء خاطر الأمير فخر الدين الثاني، فكتب أمير حاصبيا بشأنه فأجابه ودعا إليه، فسار الأمير علي به لولده الأمير قاسم إلى صيدا ومعهما الأمير حسين، فالتقاهم الأمير فخر الدين الثاني بأحسن لقاء وأكرم مثواهم وطيب قلب الأمير بن الحرفوش، فرجع إلى بلاده مسروراً⁽⁵⁶¹⁾.

عندما أستوثق الأمر الأمير فخر الدين الثاني، وعنت لسلطته أقاليم ومقاطعات ولاية دمشق، أقره فرمان سلطاني عام ١٦٢٧م أن يكون متولياً على دير عرسال من حلب إلى القدس، واستمر على الحكم بنفس القوى والنفوذ حتى عام ١٦٣٣م، وعندما بلغ السلطان مراد الرابع (١٦٢٣-١٦٤٠م)، عن ما هو ناوي عليه الأمير المعني من محاولته في تقليد السلطة إلى أمور أخرى، من حيث تحشيد الجيوش في بلاده وتهيئة الأمور إلى الاستقلال والأنفصال عن الدولة العثمانية، فغضبت الباب العالي، وعينت كجك أحمد باشا في العام نفسه، والياً على دمشق للنيل من الأمير فخر الدين الثاني المعني، وعند دخول الأخير الولاية، أخذ بجمع الجيوش من حدود بلاد الروم إلى حدود بلاد مصر، وراسل أيضاً شيوخ العرب منهم الأمير حسين بن سيفاً ومن أولاد الحرفوش الأمير محمد والأمير حسين فجمعهم الكجك، ودعاهما لمساندته في الحرب ضد الأمير فخر الدين المعني الثاني، فقاد الوالي الحشود لمحاربة أمير الشوف بأمر من خليل باشا الصدر الأعظم، وقد شاركا أولاد الأمير يونس الحرفوش في المعركة أنقاصاً لوالدهما، فالتحم

(٥٥٩) نصر الله، تاريخ بعلبك . ج ١، ص ٢٥٢.

(٥٦٠) المغلوف، تاريخ الامير فخر الدين، ص ٢٢٩؛ المحبي، المصدر السابق، ج ٤، ص ٢٩٩.

(٥٦١) الصفدي، المصدر السابق، ص ١٠٩.

الجيشان، وأخذت المصائب تتوالى على أمير المعني الثاني، حيث قتل أبنة الأمير علي قرب بانياس، وقتل معظم من كان معه من رجاله، وعم الخبر البلاد فهربت الرجال من جيشه، ففر الأمير فخر الدين الثاني المعني إلى مغارة جزين⁽⁵⁶²⁾، فقرر الأخير شراء رضا خاطر الصدر الأعظم والوالي، فبعث للصدر الأعظم مائة ألف قرش وكجك باشا خمسين ألف بواسطة أبنة الأمير حسين، وما أن دفع الأمير المال لقائد الحملة العثمانية حتى أمر بقتله، ثم أجتاحت القوات العثمانية بلاد الشوف، وأسر الوالي الأمير بن معن في الحادي عشر من كانون الأول عام ١٦٣٣م، وبعثوه مع أولاده الثلاثة إلى الأستانة، وتم قتله بعد سنتين من سجنه، أي في عام ١٦٣٥م⁽⁵⁶³⁾.

طوي مشروع الأمير فخر الدين الثاني بعد مقتله في الأستانة، بعد حكم دام واحد وأربعين عام، وعادت الحياة السياسية إلى مسيرتها السابقة في ولاية دمشق، حيث سجل التزام ولاية دمشق إعادة تخصيص التزام ضريبة معينة كانت سابقاً للأمير فخر الدين الثاني⁽⁵⁶⁴⁾، فحكم أولاد الأمير يونس بعلبك والبقاع عام ١٦٣٥م، إذ أستلم الأمير حسين حكم البقاع البعلبكي، وتولى الأمير محمد البقاع الجنوبي وازدادت نفوذ تلك الأسرة، وقوي حكمهم في بعلبك والبقاع⁽⁵⁶⁵⁾. أستقرت الأمور بعد ذلك بين الإمارات المعنية⁽⁵⁶⁶⁾، وبعلبك⁽⁵⁶⁷⁾، ومن ثم وجدت ثغرة فيما بعد، تبلغ ستة وخمسون عام لا تذكر شيئاً عن علاقات الأسرتين معاً، حتى عهد الأمير أحمد بن الأمير فخر حيث تلقى الأخير، امراً من حكومة الباب العالي للالتحاق بحملة ضد أمراء آل الحرفوش في الثاني من تشرين الثاني عام ١٦٩١م، على أثر حكم متطابق أرسل إلى حكام ولايات دمشق وطرابلس وسنجق عجلون وتضمن ذلك الأمر: "أن الخارج على القانون المعروف بحرفوش اوغلي شديد مع جماعه من محيط بعلبك هاجموا ونهبوا البلدة وهم يميلون دائماً لقتل الناس، مرهبين المسلمين ومرتكبين الشر وقطع الطرق"، إذ استجابت تلك الإمارات للأوامر السلطانية، وتوجهت الجيوش العثمانية وقوات متنوعة من الأقطاعيين واجتاحوا بعلبك محرقين منازلهم ومختطفين نساءهم وسارقين ماشيتهم⁽⁵⁶⁸⁾.

(٥٦٢) نصر الله، تاريخ بعلبك . ج ١، ص ٢٥٢.

(٥٦٣) المعلوف، تاريخ الامير فخر الدين، ص ٢٢٩؛ المحبي، المصدر السابق، ج ٤، ص ٢٩٩.

(٥٦٤) نصر الله، تاريخ بعلبك، ج ١، ص ٢٩٩.

(٥٦٥) المعلوف، تاريخ الامير فخر الدين، ص ٢٢٩؛ المحبي، المصدر السابق، ج ٣، ص ٢٩٩.

(٥٦٦) تسلم حكم الامارة المعنية في تلك الفترة من الامراء، هما أولاد الامير فخر الدين الثاني (ملحم ويونس واحمد).

(٥٦٧) الامراء العائلة الحاكمة في بعلبك، وهما (حسين ومحمد وعلي وعمر) اولاد الامير يونس الحرفوش.

(٥٦٨) ابن نجم، نبذه من تاريخ لبنان في القرن السابع عشر، مجلة المشرق، العدد ٢٥، ص ٨١٦.

وهلك من سكان المدينة ما يقارب من مائة وخمسون رجلاً ونساء وأطفال في المعركة وفي محاولتهم للهروب في الثلوج الكثيفة، بمساعدة الأمير شديد بن الحرفوش في مضائق الجبال الشتوية إلى البقاع، وكان موقف الأمير أحمد المعني في تلك الحملة وسيطاً بين آل الحرفوش والدولة العلية، وموقف الأمير بن معن هذا، وجهت الامبراطورية العثمانية على أثره حملة تأديبية نحو الأمير، فحدثت من نفوذه، وعندما توفي الأمير عام ١٦٩٧م، أسندت السلطات العثمانية حكم ولاية على الشوف، فضلاً عن الرئاسة على الدروز، وعدت من حق الأمير القاصر حيدر الشهابي، وهكذا أنتهى حكم الأمانة المعنية من تاريخ تلك المنطقة، والتي كانت بداية لحكم حلفاءها الشهابيين⁽⁵⁶⁹⁾.

(٥٦٩) سلمان ظاهر، المصدر السابق، مج ٣، ص ٦٩.

المبحث الثاني: صراع آل الحرفوش مع الأسر الأخرى (الشهابيين - آل سيف - الحماديين) أنموذجاً

أولاً: الأسرة الشهابية (١٦٩٧-١٨٥٠م):

يعود نسبها إلى مالك (الملقب بالشهاب) من بني مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر (المسمى قريشاً) بن مالك⁽⁵⁷⁰⁾ بن عدنان المنتسبة إليه العرب المستعربة⁽⁵⁷¹⁾، وجاء الشهابيون من جزيرة العرب في مطلع الفتح الإسلامي لبلاد الشام عام ١٥هـ/٦٣٦م، فشاركوا في الفتوح، حيث أشترك جدهم حارث في حصار دمشق إلى جانب القائد أبي عبيدة بن الجراح (٥٨٤-٦٣٩م) لكن القائد الشهابي قتل بالمعركة وخلفه ابنه مالك الملقب بشهاب المخزومي وشارك بمعركة اليرموك التي فتح العرب على أثرها سوريا وطلب الخليفة عمر بن الخطاب آنذاك منه، أن يرتحل إلى حوران⁽⁵⁷²⁾، ويكون قائداً على فرقة من الجيش في المنطقة المذكورة لينجد القوات التي تأتي من الحجاز لمساعدة أبي عبيدة، فعمل القائد مالك الشهابي بتلبية طلب أبي عبيدة، فأقام فيها مع أهله وعشيرته، واستوطنوا في قرية شهباء الواقعة على سفوح جبل العرب اليوم، وقاتل الشهابيون حتى النصر في معارك لتحرير ولاية دمشق من قبضة الامبراطورية البيزنطية، وبقيت تلك الأسرة في منطقة حوران حتى عام ١١٧٢م⁽⁵⁷³⁾.
تبدأ أسرة الأمراء الشهابيين بالأمير منقذ بن عمرو، فقد نزحوا من حوران إلى وادي التيم⁽⁵⁷⁴⁾ جنوب دمشق، في عهد الملك العادل نور الدين زنكي (ملك الشام) عام (٥٦٨هـ/١١٧٢م)، وكان

(٥٧٠) بن نظر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر بن عدنان. للمزيد ينظر: نجيب محمد سليم شهابي، نسب الامراء الشهابيين واخبارهم في بلاد حوران ووادي التيم ولبنان، الدار التقدمية، بيروت، ٢٠١٠، ص ١٧.

(٥٧١) نجيب شهابي، نفسه، ص ١٧.

(٥٧٢) حوران: هي المنطقة الجنوبية من دمشق التي تمتد جغرافياً الى شمال الاردن (الرمثا)، حتى تخوم جبال عجلون في الاردن، وهي عبارة عن سهل ولذلك تسمى سهل حوران، وقد قامت عليه الكثير من الحضارات، وذلك لخصوبة تربته، وكثرة محاصيله الزراعية. للمزيد ينظر: احمد عطا الله الزعبي، صور مشرفة من نضال حوران، دار الشادي، بيروت، ١٩٩٣، ص ٩٢.

(٥٧٣) كمال الصليبي، منطلق تاريخ لبنان، ص ٩٨؛ البر داغر، عروبة الموارنة، الاخبار (مجلة)، العدد ٢١، بيروت، ٢١-نيسان-٢٠١٠، ص ٥٢.

(٥٧٤) وادي تيم: هو وادي طويل وخصيب على السفوح الغربية لجبل الشيخ في جنوب شرق لبنان اليوم، يربط الجنوب اللبناني الحالي بالبقاع ويمتد من راشيا الوادي الى مرج الزهور وحتى حاصبيا وكوكبا، يمر به ويسقي سهوله نهر الحاصباني لذلك ازدهرت العديد من الزراعات فيه وبالأخص الكرمة والزيتون، للمنطقة تاريخ عريق منذ ان استوطنته قبائل التيم العربية ثم انتقلت للشهابيين، ويضم من البلدات والقرى هي:

ذلك الوادي منطقة تابعة لحكم الفرنجة الصليبيين، واستقروا في صحراء (الظهر الأحمر)، ما بين الكنيسة والجديدة من لبنان اليوم، وشاركوا في قتال الصليبيين بضرارة في راشيا مع جيش قوامه عشرون ألف مقاتل، وعلى رأسه القائد منقذ وتمكنوا من دحر الصليبيين من راشيا إلى القلعة في حاصبيا حيث تابع الجيش المحاصر هجومه، وفي غضون عشرة أيام احتلت القوات الشهابية القصر، وسيطروا على وادي التيم، فنالوا رضى الملك نور الدين الزنكي فمنحهم الحاكم الإمارة على الوادي وتوابعه، وأخذوا من حاصبيا مركزاً لهم وحصنوها بالجند والآت الحرب، ثم قاموا بترميم القلعة واصلاحوها وفقاً لمتطلباتهم واستخدموها على مدى سبعمائة عام قاعدة للسيطرة على المنطقة، وأحرزت هذه الأسرة انتصارات جعلتها تتمركز في دمشق ووادي التيم عبر التاريخ، فاضحت الإمارة متوارثة في أسرة الأمير منقذ حتى عام ١٨٦١م، وكانت رايتهم هلالاً أبيض على قماش زرقاء⁽⁵⁷⁵⁾.

بدأ اتصال الشهابيين بالمعنيين، في عهد الأمير يونس بن قرقماس بن فخر الدين المعني الأول عام ١٣٥٤م، ومنصور الأول الشهابي، ذلك نظراً لأنتماء الأسرتين إلى الحزب القيسي، وقد شكلوا مع بعضهم حلفاً سياسياً عسكرياً، ثم ترسخت العلاقة بينهما بالمصاهرة⁽⁵⁷⁶⁾، ثم ما لبث أن تكرر ذلك النسب بين الأسرتين المذكورتين، إذ تزوج الأمير منقذ بأبنة الأمير يونس بن قرقماس عام ٨٧ ١٤م، وأيضاً في عام ١٦١٦م، كتبوا كتاب الأمير علي بن معن بن فخر الدين الثاني المعني على كريمة الأمير علي الشهابي⁽⁵⁷⁷⁾، أدى ذلك النسب إلى تحالف وطيد بين الإمارتين، وتوطدت العلاقة أكثر في عهد الأمير فخر الدين الثاني المعني، فوقف الشهابيون إلى جانب حلفائهم في كل المحن، ولاسيما في معركة مجدل عنجر، والتي تم تدوينها سابقاً، وهكذا استمرت العلاقة وأواصر القربى بينهما، إلى أن انقرضت الأسرة المعنية، ومن جراء تلك المصاهرة المتكررة بين الأسرتين، ورث الشهابيون حكم بلاد المعنيين، بعد وفاة آخر أمرائهم (الأمير أحمد المعني) في عام ١٦٩٧م، وانقطعت بوفاته السلالة المعنية⁽⁵⁷⁸⁾.

حاصبيا مركز الوادي، راشيا، عين عطاء الكفير، ميمس، الحلوات، عين قنيا، راشيا الفخار، كفر حمام والفرديس. للمزيد ينظر: سامي نسيب مكارم، لبنان في عهد الأمراء التتوخيين، ص ٣٠٣.
(٥٧٥) عبد العزيز المسعودي، تاريخ قبائل العرب، دار العلم للملايين، بيروت، ٢٠٠١، ص ١١٣.
(٥٧٦) إذ تزوجت بنت ابو بكر بن حسين بن سعد الثالث بن قرقماز بن عامر بن نجم بن الامير منقذ من، الامير عثمان بن سعد الدين المعني عام ٧٨٠ هـ، وبنت عامر بن نجم بن منقذ تزوجت علي بن عبد الله المعني عام ٦٥٥ هـ. للمزيد ينظر: حيدر الشهابي، لبنان في عهد الأمراء الشهابيين، ج ٢، ص ١٧٨-١٨٠.

(٥٧٧) ستيفن ونتر، المصدر السابق، ص ٢٤٢؛ منير البعلبكي وآخرون، المصدر السابق، ج ٧، ص ٩٠.
(٥٧٨) بازيل، سوريا ولبنان وفلسطين تحت الحكم التركي، ص ٩٤؛ ستيفن ونتر، المصدر السابق، ص ٢٣٥.

أجتمع أعيان البلاد في العام نفسه ، في مؤتمر السقمانية واتفقوا على اختيار حيدر الشهابي (١٧٠٧-١٧٣٢م)⁽⁵⁷⁹⁾ بن الأمير موسى الشهابي اميراً على بلاد معن لأنه الأجدر والأحق بحكم البلاد، فأصبحت بلاد الشوف ووادي التيم تحت حكم الشهابيون، وقد صدر فرمان سلطاني بذلك الأمر، عين الأمير بشير الأول الشهابي (١٦٩٧-١٧٠٧م) ،وصياً عليه لصغر سنه ، وانتهى حكمهم عام ١٨٦١م، عند انشاء المتصرفية⁽⁵⁸⁰⁾.

على ما يبدو، أن أمراء المقاطعات، كانوا يستعملون ثلاث وسائل لبلوغ أهدافهم، وهي: القوة، والمصاهرة، و المال، وكان لوسيلة المصاهرة دور رئيسي، في تطور العلاقات بين السرتين المعنية والشهابية، والتي أدت إلى انتقال الحكم لصالح الأسرة الشهابية.

علاقة أسرة آل الحرفوش مع الأسرة الشهابية:

كانوا آل شهاب دائماً إلى جانب آل معن في السنوات السابقة، في السراء والضراء، وفي عام ١٦٨٠م قام الأمير فارس الشهابي بأول محاولة للوصول إلى حكم بلاد بعلبك، وانتزاعه من آل الحرفوش أمرائها الحقيقيين، وأستطاع الأمير الشهابي من ضم بلاد بعلبك من حكومة دمشق، حيث أهدى الأخير والي دمنشق مبلغاً من المال وقدره أربعون ألف قرش وبعض الهدايا الثمينة، وسار إليها الأمير بجيش قوامه ألفي فارس من الدروز، فوصلت القوات إلى قرية نيجا، التي فوق الفرزل، حينئذ سمع الأمير عمر بن الحرفوش خبر وصول تلك القوات باتجاه بلاده، وقد صادم الطرفان لكن الأمير الشهابي تمكن من هزيمة أمير بعلبك وطرده من المدينة⁽⁵⁸¹⁾، وتوجه الأمير عمر إلى أسرة حماده طالباً العون، وجمع الأمير عمر نحو ستين فارساً ممن أتمروا بأمره، وأخذ يطوف البلاد متنكراً، وما رواه الأهالي انه لما استتب الأمر للأمير فارس في بلاد بعلبك، بدأ جنوده بظلم السكان واقتراف الفواحش، إذ وقعت حادثة، هي حين اعتدى أحد رجال الأمير الشهابي دعي مبارك، على إحدى المحصنات من أهالي مدينة بعلبك ، فذهبت والدتها إلى قرية نيجا، حيث كان الأمير عمر وبيدها اليمنى شاش ناصع البياض، وبالأخرى حذاء عتيق، وقالت له: "ان اخذت بثأر ابنتي فهذه رايتك وارته الشاش، وان لم تقم به فتلك رايتك وارته الحذاء"،

(٥٧٩) الامير حيدر الشهابي: (١٦٨٢-١٧٣١م)، هو ان ابنة الامير أحمد المعني، كان صغير السن عندما تسلم الإمارة عنة امير راشيا بشير الشهابي الاول، توفي الامير حيدر المذكور في دير القمر بعد ان حكم ٢٦ عام، وكان شجاعا كريما. للمزيد ينظر، سامي نسيب مكارم، لبنان في عهد الأمراء التتوخيين، ص ٣٠٥.

(٥٨٠) حيدر الشهابي، تاريخ الامير حيدر الشهابي، ج ٢، ص ٦٦؛ بازي، سوريا ولبنان وفلسطين تحت الحكم التركي، ص ٩٥.

(٥٨١) الدويهي، المصدر السابق ، ص ٥٦٩؛ علي كرد، خطط الشام، ج ٢، ص ٢٦٤؛ الشدياق، ج ١، المصدر السابق، ص ١١٨.

وقصت عليه أمرها، فدبت الحمية في راسه وقام بجماعته وعددهم ستين رجلاً من الحماديين، في السابع والعشرون من اب عام ١٦٨١م، ورجع إلى إمارته بصحبه المقاتلين⁽⁵⁸²⁾، وعلم الأمير فارس بخروج الأمير عمر عليه، فلاقاه بفرقة من جيشه على مقربة من قرية يونين، فتهاجم الطرفان ليلاً، وقاتل فرسان الأمير عمر ببسالة وفتكوا بخصومهم فتكا ذريعاً، وطلب الأمير بن الحرفوش من الأمير فارس القتال وجهاً لوجه، فتلاقوا ونشب بينهما قتال عنيف في الثاني عشر من أيلول عام ١٦٨١م، أدى إلى هروب الأمير الشهابي من امامه وتبعه الأمير عمر ومعه أحد رجاله يوسف السكرية، فاطلق عليه الرمح واردة قتيلاً، ولما بلغ جيش الدروز مصرع أميرهم، فروا هاربين ولاحقوهم وتمكنوا من قتل نحو خمسة وخمسين فارساً من فرسان وادي التيم⁽⁵⁸³⁾، في حين تمت ملاحقة الباقيين، حتى انهزموا إلى بلادهم، ومن الطبيعي أن يثير هذا الحادث أصداء كبيرة في وادي التيم، فنهض الشهابيون طلباً للثأر وعلى رأسهم أمير حاصبيا موسى وأمير راشيا علي، فقصدوا البقاع، وبدأوا بغزو أطراف بلاد بعلبك، ففر الأمير عمر الحرفوش من بعلبك إلى الشوف واستغاث بالأمير أحمد المعني والتمس منه اقرار الصلح بينهم وبين الشهابيين، فشرع الأمير أحمد المعني بخطورة الوضع، وجاء إلى بعلبك بنفسه لمعالجة الوضع، ونجح في إجراء مصالحة بين آل الحرفوش والشهابيين، ومن أهم بنودها أن يدفع آل الحرفوش دية⁽⁵⁸⁴⁾ الأمير الشهابي المقتول ورفاقه ومقدارها خمسة آلاف قرش كل سنة لمدة عشر سنوات وجوادين من جياذ الخيل، وأن لا يسكن الدروز في مدينة بعلبك بعد ذلك⁽⁵⁸⁵⁾.

يستدل مما سبق ذكره، إن محاولة الأمير فارس الشهابي بالأتفاق مع والي دمشق، لإخراج بعلبك من تحت سلطة آل الحرفوش وانهاء حكمهم وتسمية شهابي حاكماً عليها، تعد تلك المغامرة بالمحاولة المأساوية، التي كان فيها التدبير متسرعاً ويفتقد إلى الحكمة والتخطيط. في مستهل حكم الأمير حيدر الشهابي عام ١٧٠٧م، دخل آل علم الدين⁽⁵⁸⁶⁾، مجدداً في الصراع على الحكم، وجيشوا الزعماء المنتمين إلى الحزب اليماني ضد القيسيين، وأدت تلك

(٥٨٢) بازيلى، تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين، ص ٩٩.

(٥٨٣) حمادة، المصدر السابق، ج ١، ص ٣٠٩؛ سليمان ظاهر، المصدر السابق، مج ٣، ص ٤٩.

(٥٨٤) الدية لا يمكن أن تدفع غير مرة واحدة، فلا دين فيها ولا تأخير لأجل، بحسب الاعراف السائدة. للمزيد

ينظر: الدويهي، المصدر السابق، ص ٥٧١.

(٥٨٥) حمادة، المصدر السابق، ج ١، ص ٣١٠؛ منير البعلبكي وآخرون، المصدر السابق ج ٧، ص ٩٨.

(٥٨٦) عاد آل علي الصغير امير اسرة ال علم الدين الى التزام بلاد بشارة عام ١٧٠٧م، ولكنهم هم والصعبيين وال منكر هزموا شر هزيمة على يد الشهابيين في معركة جرت خارج النبطية، ولكنهم جهزوا

الصراعات حدوث معركة عين دارا في الثالث من ايار عام ١٧١٢م، بين معسكر اليمانيين، بقيادة الشيخ محمود أبو هرموش ويوسف آل علم، ومعسكر الشهابيين تحت أمرة الأمير حيدر الشهابي، وقد طلب الأمير حيدر الشهابي الحماية من حاكم بعلبك الأمير شديد الحرفوش وقد منحه الحماية وأمدّه بجيش قرابة الفين وخمسمائة فارس من خيرة جنود هذا البلد، وتقدم بسرية تامه إلى بلاد الشوف لتمكنيه من سحق أعدائه، حيث أنضم اليهم ألف وخمسمائة رجل من أنصار أمير الشوف من الحزب، القيسي ليخوض بهم معركة عين دارا، والتقى الجيشان في سهل قريب من بلدة عين دارا، قام قائد الجيش الشهابي بهجوم مفاجئ على اليمانيين ، حيث داهم القوات اليمانية ليلاً على حين غفلة وتغلبوا عليهم ،وادت تلك المعركة إلى إعادة أمير الحزب القيسي حاكماً إلى دير القمر بفضل حماية حاكم بعلبك ،وأدت أيضاً إلى دمار الحزب اليماني وأبادة آل علم وهجرة المهزومين إلى جبل العرب بدمشق⁽⁵⁸⁷⁾.

وبعد ذلك لم يجرؤ شهابي آخر على التزام بعلبك، حتى عام ١٧٤٨م، بسبب ما حدث للأمير فارس من نهاية مأساوية عام ١٦٨٠م، حين أناط أسعد باشا العظم والي دمشق امور بعلبك وأدارتها بالأمير ملحم شهاب، بسبب تأخر آل الحرفوش دفع التزام البلاد وعصيانه المستمر على الدولة العلية في عهد الامير شديد بن الحرفوش⁽⁵⁸⁸⁾، وسيّر إليها الأمير ملحم الشهابي أخويه (الأمير احمد -والأمير منصور)، يديران شؤونها ولكنه ما لبث أن نقم الوالي على الأمير ملحم لتأخره عن دفع المرتبات الاميرية، فكتب إليه الوزير يطلب المال وشدد عليه الطلب واغلظ له الخطاب، وكان أسعد باشا يبغض الأمير ملحم لالتحامه مودة معأخيه سعد الدين باشا العظم والي صيدا، حيث كانت بين الاخوين (أسعد باشا وسعد الدين باشا) العظم خلاف دائم بسبب السلطة والمنصب ،ودعا أعيان بلاده إلى اجتماع بالباروك من أجل التشاور والأهتمام بجمع المال الباقي⁽⁵⁸⁹⁾ .

فبلغ والي دمشق ذلك الاجتماع، فوجه رسولا إلى الأمير الشهابي لطلب المال في الظاهر، لكن في الواقع طلب اليه أن يتجسس على أعمال الأمير وما ينوي عملة، ففطن الأمير ملحم لما بطن من مقصد مجيء رسول الوالي ، فأظهر حينئذ للرسول البأس والشده وصرفه وهو غير راض، وعند عودته لسيدته، بث له ما رآه، فعزم الوالي آنذاك على أن يدهم الأمير على غفلة، فسار مسرعاً بقواته إلى صحراء بر الياص قاصداً قتال الأمير وأنظم اليه الأمير حيدر بن

الجيشو للانتقام من بيت ال الشهاب بمعركة عين دارا. للمزيد ينظر: يوسف مزهر، المصدر السابق ص٤٠٨.

(٥٨٧) حمادة، المصدر السابق، ج١، ص١٣٤ .

(٥٨٨) ينظر : الفصل الأول، ص ٥٢ .

(٥٨٩) سليمان ظاهر، المصدر السابق ، مج٣ ، ص ٩٥؛ الشدياق، المصدر السابق، ج٢، ص٣١٦.

الحرفوش، وكان الأمير ملحم يقظاً فنهض عاجلاً من الباروك بجحفل كبير وحل في الصباح الباكر، ومعه الأمير حسين بن الحرفوش ورجاله⁽⁵⁹⁰⁾، فلما وصل الوالي إلى قرية بر الياس، ورأى النيران التي أشعلها الأمير تسطح، فعلم أنه يقظ وحذر، فعدل عما نواه، وتأنى من المداهمة، وتلبث ثلاثة أيام، وفي اليوم الرابع زحف الأمير بجيشه إلى صحراء بر الياس فكانت وقعة عظيمة، تغلب فيها جيش اوالي دمشق على جيش الأمير وأتبعته قوات دمشق إلى الجديدة وأهلك منه خلقاً كثيرة، وأستتب الأمر لوالي دمشق، وعين عليها الأمير حيدر الحرفوش مكافأة على مساندته له⁽⁵⁹¹⁾، وبعد ذلك سار الوالي إلى الحج في نفس العام، فانتهاز الأمير ملحم فرصة غيابه وأرسل جيشاً إلى بلاد بعلبك، فنهبها وأزاح الأمير حيدر بن الحرفوش عن الحكم، وولى مكانه أخاه الأمير حسينا، فلما عاد الباشا من الحج بلغه ما فعل الأمير الشهابي في بلاد بعلبك، فاحتدم غيظاً وحنقاً، حينها جهز القوات لقتال الأمير ملحم والتتكيل به، ولكن الأيام خانت، إذ نغمت عليه الدولة ونفذ الأمر السلطاني بضرب عنقه، وتولى مكانه بن عمه سليمان باشا العظم، وتوفي سعد الدين باشا العظم والي صيدا، وعين عثمان، فبقي الأمير حسين متولياً على بلاده إلى أن عام ١٧٥١م، وانسحب الأمير حيدر ان الحرفوش إلى بلاد القلمون شرقي بعلبك⁽⁵⁹²⁾.

يمكن القول، إن الشهابيين حاولوا أنتزاع بعلبك من الأمير حيدر، ولكن تعذر عليهم ذلك، دون الاستعانة بأمير آخر من آل الحرفوش عملوا باسمه، وتمكن الأمير ملحم من ضمان بعلبك من والي دمشق، واقام مكانه أخويه أحمد ومنصور، ولكن الأمر أيضاً لم يستقم لهما لمدة طويلة، فطردا منها، فتحالف مع الأمير حسين بن الحرفوش شقيق الأمير حيدر حاكم بعلبك ودخلها الأميران معاً في عام ١٧٤٧م وخربا ما امكنهما وتولى الأمير حسين ادارتها، حتى وفاته ١٧٥١م .

توفي الأمير ملحم الشهابي عام ١٧٥٤م⁽⁵⁹³⁾، فنبذ آل الحرفوش سيادة حليفهم ، واخذوا يعتدون على المقاطعات التابعة لهم، فادى ذلك إلى غضب الأمير يوسف ابن أخو الأمير ملحم الشهابي الجديد، فأستأذن الحاكم الجديد والي دمشق، بالسماح له بمهاجمة الأسرة الحاكمة في بعلبك، وفعلاً تقدم برجاله نحو بعلبك عام ١٧٦٣م، وتمكن أمير بعلبك من صد الهجوم وقبض

(٥٩٠) نصر الله، تاريخ بعلبك، ج١، ص٢٩١؛ ميخائيل الوف، المصدر السابق، ص٨٧.

(٥٩١) ستيفن ونتر، المصدر السابق، ص ٢٣٧؛ كرد علي، خطط الشام ، ج٢، ص٢٦٩.

(٥٩٢) منير البعلبكي وآخرون، المصدر السابق، ج٧، ص١٠٣.

(٥٩٣) بعد وفاة الامير ملحم الشهابي، بدا الصراع داخل العائلة على السلطة بين ابنه منصورا وابن اخيه الامير يوسف، وقد استمر ابن اخيه بتصعيد المقاومة ضد ابن الامير المتوفي، التي ادت الى انقسام المقاطعات بين الاميران المتخاصمين .

على أزمة الحكم⁽⁵⁹⁴⁾، قام الأمير يوسف الشهابي رداً على وقوف الأمير حيدر الحرفوش الى جانب الحماديين في جبل لبنان، بدعم أحد أخوته ودعى الأمير محمد وهو الاخ الأصغر للأمير حاكم بعلبك، وسانده بقوة مقدارها الفي رجل بتكليف من والي دمشق عثمان باشا، فتقدمت القوات باتجاه بعلبك، ودخلتها عام ١٧٦٧م⁽⁵⁹⁵⁾، وهرب أميرها إلى جبل عامل، لكنه عاد في إلى بعلبك من جديد، إذ تدخل شيخ الجبل ناصيف النصار شخصياً لدى الأمير يوسف الشهابي، وبقي سائداً في الإمارة ليموت فيها اميراً عام ١٧٧٤م⁽⁵⁹⁶⁾.

عندما أرسل أحمد باشا الجزار حملته على البقاع عام ١٧٧٧م، في عهد الامير مصطفى، تمكن الأخير من أسترجاع حكم المدينة بمساعدة يوسف الشهابي ورجاله، كما طرحت في السابق⁽⁵⁹⁷⁾.

أستغل الأمير أحمد شقيق الأمير يوسف فرصة خلافات الأمير مصطفى مع والي دمشق محمد باشا العظم، وذهب لمقابلته عام ١٧٨١م، وطلب منه قلعة قب الياش ويوليه على البقاع، مقابل مئة وخمسون ألف قرش، فتوجه بن الشهاب بقيادة جيش مكون من رجال آل الشهاب وفرسان والي نحو البقاع وهاجموها ونهبوا ما فيها من مواشي، ثم نهب جنود الأمير أحمد قرية النبي ايل، فترك السكان بلادهم، ساءت العلاقة على أثر ذلك ما بين الأمير مصطفى الحرفوش والأمير يوسف الشهابي، وعندما طرد الأمير مصطفى بن عمه الأمير محمد في العام نفسه، إلتجأ الأخير إلى الأمير يوسف الشهابي، فجهز الأخير جيش للآين الحرفوش وتقدم نحو بعلبك، فدحروا الأمير مصطفى وهرب، وتولى الأمير محمد حكم المدينة⁽⁵⁹⁸⁾، لكن الأمير مصطفى أسترد بعلبك مجدداً من والي دمشق محمد باشا العظم عام ١٧٨٢م لقاء مبلغ قيمته خمسة وعشرين ألف قرش، حينذاك عمل على تحسين علاقاته مع يوسف الشهابي، فتبادلا المفاوضات وتم الصلح بين الرجلين، وقدم له الأمير مصطفى المرتب المعتاد على الولاية من المال، فأستقر الحكم بعدئذٍ للأمير مصطفى حتى عام ١٧٨٤، حتى حملة الجزار على المدينة، وقبضوا على حاكم بعلبك، ومن ثم قتلوه، ونهبوا المدينة⁽⁵⁹⁹⁾.

عزل بطال باشا عام ١٧٨٧م، وعين مكانه إبراهيم باشا، وبعث والي دمشق الجديد قواته إلى بعلبك مرتين على التوالي، الأولى تحت قيادته، لكنه فشل من الأمساك به، وأما الثانية فكانت

(٥٩٤) الركني، المصدر السابق، ص ٥٠.

(٥٩٥) حيدر الشهابي، لبنان في عهد الامراء الشهابيين، ج ٢، ص ٦٢.

(٥٩٦) ستيفن ونتر، المصدر السابق، ص ٢٩٨.

(٥٩٧) ينظر: الفصل الثالث، ص ١٦٠.

(٥٩٨) ستيفن ونتر، المصدر السابق، ص ٣٠٢؛ كرامة، المصدر السابق، ص ٥٣.

(٥٩٩) المنير، المصدر السابق، ص ٢٣؛ الركني، المصدر السابق، ص ٨٦.

بأمره الأمير كنج بن الأمير محمد الحرفوش، إذ ساند الأمير يوسف الشهابي الأمير جهجاه، وتصدوا لجيش الوالي معاً، وتمكن من استعادة الحكم في الإمارة بفضل الأمير الشهابي⁽⁶⁰⁰⁾، على أثر ذلك أرسل والي دمشق ١٧٨٨م، إلى الأمير كنج بن الأمير محمد الحرفوش، بن عم أمير جهجاه لاستعادة بعلبك، ولكن حدث الشيء نفسه، إذ تمكن جهجاه من دحرهم بمساندة الأمير بشير الشهابي ورجاله⁽⁶⁰¹⁾.

قدم الأمير قاسم بن الأمير حيدر الحرفوش في الواحد والعشرين من حزيران عام ١٧٨٩م إلى بشير الشهابي مستغيثاً بمده بجيش لمحاربة ابن عمه الأمير جهجاه، فأوعز الأمير الشهابي إلى الزحليين واللمعيين أن يساعده⁽⁶⁰²⁾ ويشدوا أزره، فتقدم الأمير قاسم بنحو خمسمائة مقاتل إلى تمنين حيث كان قوات الأمير جهجاه، فلاقاهم برجاله في سهل أبلح وهناك نشبت المعركة فدحر الأمير قاسم ورجاله، ونقهقروا إلى زحله بعد أن سلبت خيولهم وأسلحتهم، وقتل بعض مشاتهم، وأسر الأمير مراد بن الأمير شديد أبي اللمعي⁽⁶⁰³⁾، فطلب المعلوفيون من الأمير جهجاه إطلاق سراح أميرهم الأسير لديه، فأطلقه ورد له أسلحته وجواده وأكرمه، ولما بلغ الأمير بشير انهزام الجيش، قام عندئذ بتجهيز جيش آخر بقيادة أخيه الأمير حسن ومدبره ناصيف آغا، وتوجهوا إلى بعلبك، وبلغ الأمير جهجاه خبر قدومهم، قام حاكم بعلبك يومئذ بأخلاء المدينة وأتلاف ما فيها من زرع ومأكولات، وبعدها سار إلى اللبوة، وعند دخول قوات الأمير بشير الشهابي إلى بعلبك لم يستطيعوا البقاء فيها أكثر من أسبوعين لقلّة الزاد⁽⁶⁰⁴⁾، وهكذا استمرت علاقات الأسرتين ما بين مد وجزر، تسير وتحدد بحسب المصالح الشخصية، والفوائد التي تجنيها الإمارة من وراء تلك العلاقة.

ثانياً: أسرة آل سيف (١٥٧٩-١٦٤٠م)

نزحوا من بلادهم من شمال كردستان من تركيا في عهد سلاطين بني أيوب الكردي (٥٦٧هـ/١١٧١-٦٤٨هـ/١٢٥٠م)، وتوجهوا إلى منطقة الجزيرة العربية من نصيبين - القامشلي - الحسكة - دير الزور - حلب - حمص - حماة، واستوطنوا سهل عكار وطرابلس أثناء الدولة العثمانية ١٥١٦م⁽⁶⁰⁵⁾، وحكمت هذه الأسرة المنطقة الواقعة بين نهر الكلب ونهر إبراهيم عام

(٦٠٠) حيدر الشهابي، لبنان في عهد الامراء الشهابيين، ج٢، ص١١٣.

(٦٠١) حماده، المصدر السابق، ج١، ص٣٢٢.

(٦٠٢) اللمعيون أو أبو اللمع، وهي أسرة عربية تتوخية الاصل حكمت منطقة المتن، اطلق عليهم لقب الامارة الامير حيدر الشهابي بعد مناصرتهم له في معركة عين دارا عام ١٧١١م، التي حصلت بين القيسية واليمانية . للمزيد ينظر : حيدر الشهابي، تاريخ الامير حيدر الشهابي، ج١، ص٣٢١.

(٦٠٣) حسن الامين، جبل عامل، ص٣٥٧؛ حيدر الشهابي، تاريخ الامير حيدر الشهابي، ج١، ص٣٤٠.

(٦٠٤) المنير، المصدر السابق، ص٦٧؛ الشدياق، المصدر السابق، ج٢، ص٣٤٩.

(٦٠٥) يوسف الديس، مختصر تاريخ سوريا، ج٢، ص٣٢١؛ الركني، المصدر السابق، ص١٣٨.

١٥٢٨م، ومنها تولوا الحكم في طرابلس، واتخذوا منها مقراً، واستقرت لهم الإمارة، عندما رقي الأمير يوسف بن سيفاً باشا، منصب حاكمية طرابلس من الدولة العثمانية عام ١٥٧٩م، وازدهرت الأسرة في عهده، وأستمر الباشا في منصبه، وأبعد مرات عدة حتى وفاته عام ١٦٢٤م⁽⁶⁰⁶⁾، وقد جرت بينه وبين الأمير فخر الدين المعني الثاني العديد من المعارك عبر سنوات طويلة حتى عام ١٦٢٤م، وانتهت بهدنه صلح بينهما، وادت تلك الحروب إلى خراب طرابلس وتولى الحكم بعده ولده، الأمير حسين بن يوسف ١٦٢٤م، وكان قد تولى في عهد والده كفالة طرابلس،⁽⁶⁰⁷⁾. وانتهى حكمهم على طرابلس بمقتل الأمير عساف باشا سيفاً على يد شاهين المتصرف العثماني حينذاك في ولاية دمشق في عام ١٦٤٠م، وانحدر منهم أسرة آل الشهال⁽⁶⁰⁸⁾ العريقة في طرابلس من بني سيفاً، ووصفوا بالكرم والفضل ومقصد المحتاجين، وبرز منهم الأمير محمد بن الأمير علي السيفي الطرابلسي، الذي تولى الحكم بعد الأمير يوسف باشا السيفي، ويعد عهد آل سيفاً في مدينة طرابلس، عهداً ذهبياً إليهم، على ما شهدت البلاد من حروب محلية⁽⁶⁰⁹⁾.

صراعات آل الحرفوش مع آل سيفاً:

اتسمت علاقة آل الحرفوش مع آل سيفاً بالصراع، ويعود السبب الرئيس لوجود تحالف ومصالح مشتركة بين أسرة آل الحرفوش وأسرة المعنيين، وبما أن آل سيفاً يعد العدو الحقيقي والأخطر لحكام المعنيين، ولهذا الأمر كانوا أمراء بعلبك في صراع شبه مستمر مع حكام طرابلس، إذ حدثت فتنة أهلية عام ١٥٣٣م في عهد الأمير موسى بن علي في جهات العاقورة وجبة المنيطرة التابعة لولاية دمشق، نشأت بين مالك اليميني شيخ جبة المنيطرة وهاشم العجمي من مشايخ العاقورة، إذ قام الشيخ مالك أمير بنهب ومن ثم أحرق العاقورة، ورداً على ذلك هاشم العجمي ورجاله قاموا بقتل مالك اليميني، حينئذ اشتكى رجال الشيخ المقتول لدى والي دمشق مصطفى أبلق باشا (١٥٣١-١٥٣٣م)، كاتب الوالي الأمير منصور بن سيفاً طالباً منه تسليم قتلة مالك، فأرسل الأمير بن سيفاً أحد من رجاله بقتل هاشم، ولما سمع هاشم هذا الأمر، أنهزم إلى كرك نوح محتمياً بالأمير موسى بن الحرفوش، إذ كان وقتها في كرك نوح، حيث كانت

(٦٠٦) رمضان العطيفي، رحلتان الى لبنان، المعهد الالمانى، بيروت، ١٩٧٩، ص١٦.

(٦٠٧) كمال الصليبي، تاريخ لبنان الحديث، ص٢٤؛ المحبي، المصدر السابق، ج٣، ص٢٦٨.

(٦٠٨) آل الشهال: من الأسر العريقة في مدينة طرابلس يمتون في نسبهم لآل سيفاً، كان ليوسف باشا سيفاً عدة أولاد منهم، عمر، وعساف، ملك، محمد، فاستقر عمر في طرابلس، وإليه ينتسب آل الشهال. للمزيد ينظر: حسن نعمة، الموسوعة اللبنانية، ج١، ص٧٨.

(٦٠٩) كمال الصليبي، تاريخ لبنان الحديث، ص٤٥؛ سليمان ظاهر، المصدر السابق، مج٣، ص٨.

أحدى المراكز التابعة للإمارة⁽⁶¹⁰⁾، فقام حينها الأمير منصور واتباعه بحرق قرى تابعة للعاقورة منها لاسا، فخافت سكانها وسكان القرى القريبة، وهربوا إلى طرابلس، كاتب أحد شيوخ العاقورة ودعى عبد المنعم، أمراء بن الحرفوش وطلب منهم بقتل هاشم، وتعهد هو بالمقابل بأن يسلمهم بعض القرى التابعة للعاقورة، فوافقوا هؤلاء الأمراء على ذلك، وغدروا بهاشم وقتلوه ورموه في بئر كنييت، وأطلق عليه منذ ذلك الوقت ببئر هاشم ولحد الآن⁽⁶¹¹⁾.

عندما ساند الأمير موسى بن الحرفوش الأمير فخر الدين المعني الثاني ضد آل سيف في الأعوام ١٥٩٤م، و١٥٨٨م⁽⁶¹²⁾، لم يغفر الأمير يوسف سيفاً ووقف الأمير موسى هذا، وعزم على الثأر من الأمير بن الحرفوش، فقام في عام ١٦٠٢م بالاغارة على بعلبك ونهبها ثم غادرها، وفي نفس العام، دهم حاكم بعلبك مع رجاله جبة بشري، وهي من القرى التابعة لأملاك آل سيف، ونهب بيوتها ومواشيها، ولما بلغ الأمير يوسف باشا ذلك، فجمع خمسة آلاف مقاتل من رجاله ومن سكان جبة بشري، وزحف بهم على بلاد بعلبك، فقام بحرق قرية الحدث، ثم توجه نحو بعلبك فنهبها وهرب أهلها، وقتلوا من ادركوا، وأحتفى الباقون من أهل المدينة داخل القلعة مع أهل بيت آل الحرفوش، وكانوا نحو ألف شخص ماعدا النساء والأطفال، فشدد الأمير يوسف باشا الحصار على القلعة مدة خمسين يوماً، ومن ثم تمكن من اقتحامها، وأستولى عليها، وأطلق الأمان للمحاصرين وعاد ظافراً لبلاده، بعد ان عاث خراباً في الكثير من القرى والنواحي التابعة لمدينة بعلبك⁽⁶¹³⁾.

أما باقي الأحداث، فقد تطرقنا إليها سابقاً في المواضيع التي ذكر أعلاه، لاسيما علاقات آل الحرفوش مع المعنيين، ذلك بسبب الخلاف الناتج عن تنافس استراتيجي مع ولايات آل سيف آل معن، فكان آل الحرفوش في حرب مع آل سيف، وأن تحالفات آل الحرفوش، كان له تأثير على علاقاتهم بالجماعات القبلية الأخرى.

ثالثاً- أسرة آل حمادة (١٥١٦-١٨٥٠م)

أختلف الباحثون في أصل هذه القبيلة، فمنهم من قال أنهم يعودون إلى رجل يسمى حمادة، من بخارى في بلاد فارس، خرج على الشاه في أثناء فتح تبريز، فوجه إليه الشاه جيشاً لمقاتلته، إلا أن حمادة هرب إلى جبل لبنان، وأستقر فيه⁽⁶¹⁴⁾، وآخرون ذكروا أن أصلهم من العراق،

(٦١٠) علي كرد، خطط الشام، ج٢، ص ٢٤٨؛ المحبي، المصدر السابق، ج٣، ص٢٧٤.

(٦١١) اسماعيل حقي بك، المصدر السابق، ص٣٤٢؛ كمال الصليبي، تاريخ لبنان الحديث، ص٤٦.

(٦١٢) ينظر : الفصل الثاني ، ص ١٤٢.

(٦١٣) فؤاد خليل، المصدر السابق، ص٤٦؛ إسماعيل حقي بك، المصدر السابق، ج٣، ص٣٣٩ .

(٦١٤) انيس صايغ، لبنان الطائفي، بيروت، ١٩٥٥، ص٧٩؛ كاظم ياسين، المصدر السابق، ج٢، ص ٢٥٠.

وجدهم الأعلى هو هاني بن عروة، الذي نصر الإمام الحسين (عليه السلام)⁽⁶¹⁵⁾، وبعضهم ذكر إنهم من تركمان العراق⁽⁶¹⁶⁾، ومنهم من ذكر إنهم سوريون من صيدا، وأستطاعوا تأسيس مشيخة آل حمادة في عام ١٤٥٠م، ونزلوا قرية الحصين، ثم نزحوا إلى قهمز القريبة من افقا، وكان لحماة ثلاثة أبناء، هم (أبوحسين سرحان، وأحمد أبو زعزوعة، وذيب)، ومنهم تفرعت الأسرة الحمادية في المنيطرة، ووادي علمات، وبلاد بعلبك والهرمل، وأمتد نفوذها من سفوح جبل صنين الشمالية إلى جبة بشري في الشمال، بما في ذلك جبيل والكروة والبترون والضنية وبعلمك⁽⁶¹⁷⁾. عاشت تلك القبيلة في ولاية دمشق في حالة شبة مستقلة عن المماليك، بعد أنتشار النظام الأقطاعي الذي فرضته الدولة المملوكية مقابل الحصول على الأمتيازات الخاصة بها⁽⁶¹⁸⁾، ولكنها لم تستطع بشكل أو بآخر أستغلال تلك الظروف لصالحها، والأستفادة منها في تشكيل إمارة تمثل هويتها الخاصة بها أو على الأقل تأسيس قوة عسكرية تتمكن من الأستفادة منها في الحصول على المناصب السياسية على حساب دولة المماليك، بالرغم من أنها ركزت جهودها على أستغلال الظروف التي تمكنها من تعزيز تلك الأمتيازات، الأمر الذي دفعهم للأهتمام بالجانب العلمي وبناء المدارس الدينية الخاصة بهم في جبل عامل، لغرض بناء قاعدة علمية تعتمد عليها في بناء كيائها، وتوسيع أنتشارها، بعيداً عن الممارسات المملوكية، وفي الوقت نفسه تحقق لهم أستقلالاً ذاتياً، لا يخضع بشكل مباشر لسيطرة المماليك⁽⁶¹⁹⁾، وبذلك ظهرت لديهم العديد من المدارس الخاصة بهم في مناطقهم منها، جزين، ومشقرة، وصيدا، وميس الجبل، وشقرا، وعيناتا، التي أعتمدت على تأسيسها ونشاطها على الدعم الكبير من أبناء القبيلة نفسها، وكذلك المعونات المالية المقدمة من التجار، وظلت على حالها حتى سقوط الدولة المملوكية التي قامت على أنقاضها الدولة العثمانية، والتي أدت إلى إعادة تقسيم تلك المناطق⁽⁶²⁰⁾.

علاقة آل الحرفوش مع الحماديين :

(٦١٥) يوسف طباجة، نموذج الزعامة السياسية بنو بشارة في جبل عامل، العرفان (مجلة)، مج ٨٠، العددان ٩-١٠، ١٩٩٦، ص ١٦.

(٦١٦) الشدياق، المصدر السابق، ج ١، ص ١٩٢؛ جعفر المهاجر، شيعة لبنان، ص ٦٢.

(٦١٧) فاروق حلبص، ابحاث في تاريخ ولاية طرابلس (ابان الحكم العثماني من خلال الوثائق الرسمية العثمانية)، بيروت، ٢٠٠٧، ص ١٩٥.

(٦١٨) سليمان ظاهر، جبل عامل وقلعة الشقيف، ج ٤، العرفان (مجلة)، ١٩٢٠، ص ٣١٠؛ محمد جابر والحكومة الاقطاعية الثالثة، العرفان (مجلة)، مج ٢٧، ج ١، ١٩٣٧، ص ١٢.

(٦١٩) علي الزين، العادات والانظمة في العهود الاقطاعية، العرفان (مجلة)، مج ٤٠، ج ٥، ١٩٥٢، ص ٢١٧.

(٦٢٠) محمد مكي، المصدر السابق، ص ٢١١-٢١٣.

أُتصفت علاقة آل الحرفوش وال حمادة بالتعاون المشترك طيلة سنوات حكمهم، بما أن كانت تربطهم معاً علاقة وثيقة، فلذلك نجد أغلب الأحداث التي جمعتهم ضمن المواضيع التي تم التطرق إليها في الصفحات السابقة، منها:

أرسل والي دمشق حسن باشا عام ١٦٧٥م جيشاً لطرد بن حمادة، لعدم دفعهم للمال الأميري، فتم طردهم إلى قرية عين النقيير الموجوده فوق افقا، فلما عرف أبناء قبيلتهم بذلك الأمر، وثبوا على بعض القرى واحرقوها ،ومنها بلاد جبيل وحصرails والبترون وحواشي حصرون، أدى إلى غضب والي دمشق، فبادر الأخير إلى حرق القرى التابعة لهم ،هي قرى وادي علمات، وجبة المنيطرة، وقصوبا، وتولا، وعبدلي، وبسبينا، وشفار ،وشبطين، فحنق الوالي عليهم وعين الأمير علي بن فخر الدين الثاني حاكماً عليهم ،فدهمهم الأخير بخمسة آلاف مقاتل، حينذاك وفروا إلى بعلبك وأحتموا عند أمرائها، ثم توسط الأمير شديد بن الحرفوش لدى والي دمشق، فصفح عنهم وعاد إليهم الأقطاعات⁽⁶²¹⁾.

قويت شوكة آل حمادة عام ١٦٩١م ، فعهد والي دمشق محمد باشا إلى شيوخ الحماديين، (بلاد جبيل والبترون إلى الشيخ حسين السرحان، وأبنة الشيخ إسماعيل الكورة، والحاج موسى حمد الجبة، وأولاد حسن) (محمد وحسين) ذئب الظنية، فعزموا بعد ذلك على توسيع حدود مقاطعاتهم فنهبوا العاقورة وجبيل، فأمر والي دمشق علي باشا عام ١٦٩٢م، بتجهيز جيش والقبض عليهم، ففر حينها شيوخ الحماديين إلى بلاد بعلبك، فقدموا لهم إل الحرفوش الإمان والحماية⁽⁶²²⁾.

على أثر هجرة سكان جبل لبنان إلى بلاد بعلبك عام ١٧٨٢م، حينئذ أقتطع لهم الأمير مصطفى الهرمل، وبالرغم من ذلك استمرت تلك العلاقات الطيبة بين الأسرتين، إلى حين تمكنت حكومة دمشق من الإيقاع بينهما عام ١٨٦٠م، بسبب النفوذ والقوة ،ذلك كان رغبة من التخلص منهما معاً أو من الأمير سلمان الحرفوش، سوف يتم طرحها لاحقاً⁽⁶²³⁾، وتعد هذه المرة الأولى يتم المواجهة العسكرية في تاريخ الأسرتين⁽⁶²⁴⁾.

(٦٢١) سليمان ظاهر، تاريخ الشيعة ، مج٣، ص ١٠٣؛ البستاني، المصدر السابق، ج ١١، ص ٢١٣.

(٦٢٢) الشدياق، المصدر السابق، ج ١، ص ٤٣٢ .

(٦٢٣) ينظر: الفصل الرابع ، ص ٢٢٠ .

(٦٢٤) فؤاد خليل ، المصدر السابق ، ص ١٢٣.

الفصل الرابع

علاقات آل الحرفوش مع الدول الإقليمية ونهاية الإمارة عام ١٨٦٥م

المبحث الأول / آل الحرفوش تحت الحكم المصري

المبحث الثاني / علاقات آل الحرفوش مع الطوائف المسيحية

المبحث الثالث / نهاية الإمارة عام ١٨٦٥م

المبحث الرابع / النتاج الحضاري والتكوين الفكري والعلمي لآل الحرفوش

المبحث الأول / آل الحرفوش تحت الحكم المصري

نبذه عن تاريخية حملة إبراهيم باشا على دمشق :

صدر الأمر من السلطان العثماني سليم الثالث بتعيين محمد علي باشا⁽⁶²⁵⁾ (١٨٠٥-١٨٤٨م) والياً على مصر عام ١٨٠٥م، قوي مركزه بعد ما تمكن من طرد الأنكليز عام ١٨٠٧م⁽⁶²⁶⁾، فاخذ حاكم مصر الذي يعد بطلاً قومياً يتجه ببلاده ليجعل منها دولة حديثة، مفجراً ثورة فعلية اجتماعية، إدارية، ثقافية، عسكرية، واقتصادية، ما لبث أن قطف ثمارها، فأصبحت دولة تفوق الإمبراطورية العثمانية بتنظيمها وتطورها وتقدمها العلمي خلال مدة حكمه⁽⁶²⁷⁾.

بدأت مطامع والي مصر الجديد تظهر للوجود، بعد أن وضع الأساس المتين لدولته، وأصبحت من الدول القوية، إذ أنه يرى نفسه من سلالة الإسكندر الأكبر المقدوني⁽⁶²⁸⁾، الذي

^(٦٢٥) محمد علي باشا (١٧٦٩-١٨٤٨م)، هو محمد علي إبراهيم آغا الملقب بالعزيز أو عزيز مصر، تولى الحكم بعد أن بايعه أعيان الشعب في دار المحكمة في (١٧/٥/١٨٠٥م)، خاض هذا الحاكم مدة حكمه الأولى حرباً داخلية ضد المماليك والأنكليز إلى أن خضعت له مصر بالكامل، أستطاع أن ينهض بمصر، عسكرياً تعليمياً، زراعياً، وتجارياً، ما جعل منها دولة ذات ثقل سياسي، إلا أن تلك القوة لم تستمر بسبب ضعف حلفائه وتفريطه في ما حققه من مكاسب بالتدريج إلى أن سقطت بلاده في (١٨/٦/١٨٥٣م)، بإلغاء الملكية. للمزيد ينظر: عبد الرحمن الرافعي، عصر محمد علي، ج٣، دار النهضة العربية، مصر، ١٩٥١، ص ٢٤٤؛ جمال بدوي، محمد علي وأولاده، مكتبة الأسرة، القاهرة، ١٩٩٩، ص ٥٩.

^(٦٢٦) نتيجة للصراع بين الأنكليز والفرنسيين حول مسألة الشرقية، أضطر السلطان العثماني دخول هذا الصراع إلى جانب فرنسا، ما حدا بالإنكليز لعداء الدولة العلية، فقامت انكلترا حينها بمحاولة الهجوم على البسفور، ولما فشلت في ذلك، قامت بالهجوم على مصر عام ١٨٠٧م، إلا أن محمد علي باشا تمكن من التصدي للإنكليز، واستطاع من الزحف إلى الاسكندرية (مركز تجمع الإنكليز)، وطردهم منها . للمزيد ينظر: عمر عبد العزيز عمر، تاريخ المشرق العربي (١٥١٦-١٩٢٢)، دار النهضة، بيروت، ١٩٨٧، ص ٢١١،

^(٦٢٧) أحمد حسين، موسوعة تاريخ مصر، دار الشعب، القاهرة، ١٩٧٣، ص ٩٠٩؛ كامل مصطفى، المسألة الشرقية، مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٨٩٨، ص ٩٠-٩١.

^(٦٢٨) هناك العديد من أوجه التشابه بين القائدين، إذ ولد كل منهما في عام ١٧٦٩م، وولد كلاهما في مدينة بمحافظة مقدونيا شمال اليونان. للمزيد ينظر: عبد الرحمن الرافعي، المصدر السابق، ج، ص ٥٥-٥٦.

ولد في المنطقة نفسها، وولد في نفس العام الذي ولد فيه نابليون بونابرت، لذلك رأى أن له الحق بالسيطرة على امبراطورية واسعة، وكان محمد علي يعتمد في حكمه وفي إدارته وقيادته العسكرية على أولاده، وبالتحديد أبنيه طوسون باشا وإبراهيم باشا⁽⁶²⁹⁾، إلا أن الأخير فاق أخوته جميعاً لما قام به ، وخصوصاً قيادته للحملة المصرية على سوريا والإناضول⁽⁶³⁰⁾.

فقد سمحت الظروف لمحمد علي باشا لتحقيق خطته التوسيعية عام ١٨١٠م، ذلك عندما لجأ يوسف كنج والي دمشق عام ١٨١٠م إلى مصر، فأرّاه من وجه سليمان باشا والي صيدا، فانتهاز والي مصر هذا الحادث، فرصة للتدخل في شؤون ولاية دمشق، فقام بالسعي لدى لإعادة يوسف كنج باشا إلى منصبه السابق بتوليته حاكمية السلطان العثماني محمود الثاني دمشق، وكان هذا الأمر بعد أن شرط حاكم مصر على يوسف كنج باشا، أن يكون معيناً له عندما يقوم بمد سيطرته على بلاد سوريا فيما بعد، وقد صرح له ما بنفسه في ذلك الوقت، بأنه يرغب في توليه أبنه طوسون باشا على عكا، إلا أن خوف محمد علي من مقاومة العثمانيين لحملته، ومن عدم رضى السوريين بحكمه، وتعارض مصالحه مع مصالح الدول الأوروبية منها (فرنسا وانكلترا) في ذلك الوقت، كل تلك الأسباب أجبرت محمد علي على تأجيل حملته حتى عام ١٨٣١م⁽⁶³¹⁾، فالأخير لم يكتف نيته عن الحكومة العثمانية بطموحه في ضم سوريا إلى مصر، طلبها تعويضاً عما تكبده الجيش المصري من الخسائر في حرب الموره ، كما طلبها في السابق

(٦٢٩) إبراهيم باشا: بن محمد علي باشا بن إبراهيم آغا (١٧٨٩-١٨٤٨م)، الأبن الأكبر لباشا مصر، تم تعيينه قائداً للحملة التي وجهت ضد للمماليك، ثم أصبح حاكماً على الصعيد عام ١٨٠٩م، قاد الحملة المصرية على الحجاز عام ١٨١٦م، واستمرت حروبه حتى عاد لمصر في عام ١٨١٩م، ثم عين قائداً على الجيش ضد ثورة اليونانيين الذين خرجوا على الدولة العثمانية للظفر بالاستقلال، فانتزع معاقلم وأخمد ثورتهم التي ظلت من ١٨٢٤م ولغاية ١٨٢٨م، ولنزول الفرنسيين بالموره اجبره على الجلاء عن اليونان، وحين طمع والده = محمد علي باشا في ممتلكات السلطنة العثمانية ببلاد الشام، أرسله مع جيش قوي ففتح فلسطين والشام وعبر جبال طوروس، حتى وصل إلى كوتاهيه بين عامي ١٨٣٢م-١٨٣٣م، وحينما تجدد القتال بين المصريين والعثمانيين عام ١٨٣٩م، وكان على رأس القوات، انتصر وهزمهم هزيمة ساحقة في معركة نسيب الفاصلة عام ١٨٣٩م، ولكن الدول الأوروبية حرمتهم من فتوحه وأجبرته على الجلاء عن جميع الجهات التي فتحها. للمزيد ينظر: علي حسون، حرب اليونان (العثمانيون والروس)، المكتب الاسلامي، بيروت، ١٩٨٢، ص ٩٢؛ مؤلف مجهول، حروب إبراهيم باشا المصري في سوريا والإناضول، تح: أسد رستم، منشورات المكتبة البوليسية، لبنان، ١٩٨٦، ص ١١٥.

(٦٣٠) عبد الرحمن الزافعي، المصدر السابق، ج ٣، ص ٢٤٩؛ جمال بدوي، المصدر السابق، ص ٦٠.
(٦٣١) سليمان ظاهر، المصدر السابق، مج ٣، ص ٩٩؛ حيدر الشهابي، لبنان في عهد الامراء الشهابيين، ج ٢، ص ٢٦٥.

وتم رفضها⁽⁶³²⁾، وأيضاً السلطان عبد الحميد الثاني لم يستجب إلى مطلبه ، فاعتزم والي مصر أن ينالها بالقوى ، فإنه أيقن في ضرورة ضم سوريا إلى مصر، تبعاً للأسباب التالية :

١. تعد سوريا حاجزاً بين الدولة المصرية والدولة العثمانية وبها تتقي شر المطامع العثمانية، إذ في يوم من الايام قامت بغزو مصر^(٤).

٢. للضفر بالموارد الاقتصادية من الخشب والفحم والنحاس، وتجنيّد الشباب في صفوف الجيش فتزداد بهم قوة الدولة^(٦٣٣).

أستجبت عوامل عدة صبّت في خدمة ضمان نجاح مشروع محمد علي باشا على الساحة المصرية، من أهمها:

أولاً: هروب الأمير بشير شهاب الثاني حاكم جبل لبنان إلى مصر في الثالث والعشرين من تموز عام ١٨٢٢م، الذي ساند عبدالله باشا والي صيدا بسبب نزاعه مع درويش باشا والي دمشق في العام نفسه ، فصدر أمر من السلطان محمود الثاني بعزل حاكم صيدا والأمير بشير الشهابي في العام ذاته ، إلا أن والي صيدا تمرد على هذا القرار، ما أضطر السلطان محمود الثاني لإصدار أمر إلى والي دمشق المذكور ومصطفى باشا وزير حلب بالزحف على عكا لإخضاع الوالي المتمرد⁽⁶³⁴⁾.

لقد رأى محمد علي باشا، أن هذه الفرصة مناسبة جداً في تسهيل تنفيذ مشروعه، فأخبر الأمير بشير بنيته بعد أن أكرمه وأجاره، وقام بالسعي لدى الباب العالي لإصدار عفو عن الأمير بشير وعبد الله باشا، وفعلاً نجح عام ١٨٢٣م بعد أخذ ورد بينه وبين حكومة الدولة العثمانية ، وتمكن من أعاد عبد الله باشا حاكماً على ولاية عكا⁽⁶³⁵⁾.

ثانياً: وقعت فتنة عام ١٨٢٥م، بين الأمير بشير الشهاب الثاني والشيخ بشير جنبلاط كبير مشايخ الدروز، بسبب رفض الشيخ جنبلاط إعطاء الأمير بشير الشهاب مبلغاً من المال عندما طلبه منه ، فوصلت أنباء الفتنة إلى محمد علي باشا، الذي طلب من والي عكا أن يتدخل لإنقاذ الأمير حاكم جبل لبنان، وفعلاً قام والي عكا بأنجاد أمير جبل لبنان، فبعث رجالاً ليلحقوا الشيخ جنبلاط والقبض عليه، فامسكوا به وقادوه إلى عكا سجيناً لدى الوالي

(٦٣٢) طلب محمد علي باشا من السلطان العثماني، ضم أراضي سوريا إلى مصر، مكافأً له لمساندته الدولة العثمانية ضد الحروب الوهابية، التي أستمريت من ١٨١٦م حتى ١٨١٩م تحت قيادة إبراهيم باشا. للمزيد ينظر: عبد الرحمن الرافي، المصدر السابق، ج٣، ص٢٥١.

(٤) عبد العزيز عمر، المصدر السابق، ص١٩٧؛ جمال بدوي، المصدر السابق، ص٦٦.

(٦٣٣) جواد بولس، تاريخ لبنان، ص١٨١؛ كمال الصليبي، منطلق تاريخ لبنان، ص٢١٣.

(٦٣٤) فيليب حتي، تاريخ لبنان ، ص ٥٤٣.

(٦٣٥) حسان علي حلاق، دراسات في المجتمع اللبناني، دار النهضة العربية، بيروت، ٢٠٠١، ص٢٤٣.

عبد الله باشا، إلا أن الأخير أحسن اليه، في حين والي مصر والأمير الشهابي، طلبى من والي عكا التخلص من الشيخ السجين لديه، ونظراً لإلحاحهما عليه بذلك، لى والي عكا طلب الأميرين وقام بقتل الشيخ في نفس العام، بذلك قوي نفوذ الأمير الشهابي وازدادت تبعيته لمصر، في الوقت نفسه زادت أحقاد الدروز على الأمير الشهابي ومحمد علي باشا⁽⁶³⁶⁾.

وهنا أنتبه عبد الله باشا اطماع محمد علي باشا في بلاده، وأدرك خطورة هذا الأمر وتعارضه مع أطماعه الخاصة وتعرض مركزه للخطر، لذلك كان من أول المعارضين لسياسة محمد علي، وبهذا فشل والي مصر في ضم والي عكا تحت جناحية رغم ميوله ومساعدته له عند الضيق⁽⁶³⁷⁾.

ثالثاً: مالت الظروف أكثر، لكفة محمد علي باشا، إذ اضطر السلطان العثماني محمود لثاني لطلب مساعدته في القضاء على ثورة الصرب، وكذلك في الوقوف بوجه الوهابيين، والحد من سلطتهم، وقد قبض حاكم مصر ثمن هذه المساعدات غالياً، إذ قام بالتوسع باتجاه السودان الشطر المكمل لدولة مصر، وقد خرجت مصر من الحرب اليونانية الاستقلالية في عام (١٨٢١-١٨٢٤م)، دون أن تضفر بفتوحات جديدة، بل انتهت بجلاء المصريين عن بلاد المورة وعودتهم إلى مصر، وقد أرادت الدولة العثمانية، أن تعوض محمد علي باشا بعض ما فقدته من الحرب اليونانية، فاكتفت حكومة الدولة العثمانية بتقديم جزيرة كريت لمحمد علي باشا عام ١٨٢٤م، لكن هذا العوض لم يكن ذا قيمة بالنسبة للاحير، إذ لم يكن من السهل أن تحكم مصر تلك الجزيرة أو تبسط سياستها عليها أو تستعيد منها، ذلك نظراً لنزوع أهلها إلى العصيان، ولأنها كانت ارض فتن وثورات⁽⁶³⁸⁾.

أما الوضع السياسي والاجتماعي في دمشق قبل الحملة، فكان مضطرباً وفوضوياً لعدة أسباب، منها:

١. تعسف الولاة وخلافاتهم فيما بينهم، وكثرة الثورات والاضطرابات داخل الولاية .
٢. انتشار الفوضى داخل الجيش العثماني بعد الغاء فرقة الانكشارية عام ١٨٢٦م، التي كانت قوام الجيش العثماني^(٦٣٩).

(٦٣٦) عبد الكريم رافق، العرب والعثمانيون، ص ٢١٤؛ عبد الرحمن الرفاعي، المصدر السابق، ج ٣، ص ٢٩٨.

(٦٣٧) سليمان أبو عز الدين، إبراهيم باشا في سوريا، بيروت، ١٩٢٩، ص ٢٦٥، ص ٢٨٦.

(٦٣٨) خالد محمد صافي، الحكم المصري في فلسطين (١٨٣١-١٨٤٠م)، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، بيروت، ٢٠١٠، ص ٧٥.

(٦٣٩) يوسف الدبس، مختصر تاريخ سوريا، ج ٢، ص ٤٥٦.

٣. أنشغال العثمانيين بثورة البوسنة، واضطرابات البانيا، وضعف السلطة المركزية بعد إنتهاء الحرب اليونان عام ١٨٢٨م، ثم الروسية في ١٨٢٩م.

٤. كانت دمشق خالية من القوات العسكرية، لعدة أسباب أولها انشغال معظم القوات في القضاء على والي بغداد داوود باشا، فقد خرج الجيش العثماني في الرابع عشر من شباط عام ١٨٣١م بقيادة والي حلب علي رضا باشا، وثانياً بسبب ثورة دمشق ضد والي سليم باشا في الحادي عشر من شباط عام ١٨٣١م، نتيجة ضريبة فرضها الأخير على المدينة، فانتفض السكان وهاجموا قلعة دمشق وقتل والي فيها^(٦٤٠).

٥. وأخيراً بسبب الاضطرابات التي حدثت في صيدا عام ١٨٣١م، إذ كان يحكمها والٍ مترف اسمه عبدالله باشا، وكان سكان نابلس حائقين على هذا والي الذي هاجمهم ودمر حصونهم وأنتشر التمرد وعم جبالها وجبال الخليل، فضلاً عن سكان صيدا^(٦٤١).

أما يخص سكان ولاية دمشق، فقد أمن محمد علي باشا حاكم جبل لبنان لطفه مع سكان جبل، والمسيحيين عامة، إذ أن المسيحيين في سوريا قد علموا بمعاملة محمد علي باشا الحسنى للأقباط في مصر ومناذاته بالحرية والمساواة، والأمير بشير الثاني الشهابي أمير جبل لبنان التابع للوالي في الوقت نفسه قد أرق سكان بلاده من مغامرات والي العسكرية وأتاواته الباهظة، وكانوا سكان جبل لبنان حائقين على الاثنين معاً بسبب الخلافات والفتن الأسرية التقليدية في الجبل وتنكيل الأمير بشير بكثير من شيوخهم، فضلاً عن أرهاقهم بالإتاوات^(٦٤٢).

أما باقي السكان ومنهم المسلمين، فقد أعتمد محمد علي باشا على تأييدهم له بسبب كرههم للعثمانيين، ولحكمهم السيئ، وبسبب كرههم للأقطاع والإغوات الذين تسلطوا على الشعب، وقام والي مصر تمهيدا لغزو سوريا بإعلان مشروع قيام الدولة العربية، وأيده في هذه الدعوة ابنه إبراهيم باشا تأييدا مطلقاً^(٦٤٣).

إلا أن الأسباب الرئيسة للخلاف بين والي عكا ووالي مصر يمكن حصرها، بما يأتي:
١. رفض والي عكا عبد الله باشا إعادة الفلاحين المصريين الهاربين إلى سوريا من التجنيد بحجة أن سوريا ومصر تابعة للسلطان العثماني والسكان في كلا البلدين من رعاياه ولهم حق الإقامة في أي مكان يختارونه .

(٦٤٠) محمد الصافي، المصدر السابق، ص ٨٠؛ عبد الرحمن الرافعي، المصدر السابق، ج ٣، ص ٢٧٥.
(٦٤١) أسد رستم، الأصول العربية لتاريخ سورية في عهد محمد علي، مج ١، دار النهار، بيروت، ١٩٣٠، ص ٣٤٠.

(٦٤٢) المنير، المصدر السابق، ص ٢١٣.

(٦٤٣) غسان فوزي طه، المصدر السابق، ص ١٧٩؛ حيدر الشهابي، لبنان في عهد الامراء الشهابيين، ج ٢، ص ٢٤٤.

٢. رفض والي عكا عبد الله باشا تسديد الدين الذي دفعه محمد علي باشا للسلطان العثماني شرطاً لعودة عبد الله لولاية صيدا.

٣. منع عبد الله باشا والي عكا مصادرة الحرير من لبنان اضراً بمحمد علي، الذي كان يعتمد عليه في صناعة الأقمشة الحريرية^(٦٤٤).

تلك الأسباب، جعلت محمد علي باشا يقدم على غزو سوريا ووضعا ستاراً شرعياً امام السلطان محمود الثاني، وهو تأديب عبد الله الذي كثر تمرده على السلطان ومحاولاته الاستقلال عن السلطة، ولم يكن ستار الشرعية هذا، ليخدع السلطان العثماني الذي ادرك أهداف حاكم مصر^(٦٤٥).

تشير تلك المعطيات، إلى أن حرب دمشق ومصر بصفة عامة، تعد حرباً دفاعية هجومية، أما كونها حرباً دفاعية، فإن محمد علي باشا يعلم أن الدولة العثمانية لا تقف تسعى لاسترداد مركزها في مصر، ما أن وجدت سبيلاً إلى ذلك، وأن السلطان محمود الثاني كان ينظر الية بعين الحسد إلى تقدم مصر وما كسبته من مكانة عالية، ولم يكن يحول بينه وبين ذلك سوى ارتباط أحوال الامبراطورية العثمانية، وضعفها بسبب حروبها مع اليونان وروسيا، وكثرة الفتن الداخلية والاضطرابات، فإذا ما سنحت الفرصة فإنه لا يتردد في التخلص من حاكم مصر، فطموح باشا مصر إلى احتلال سوريا، كان الغرض منه أن يدافع عن قوة والنفوذ المصري فيها، فالعرب من هذه الوجهة كانت حرباً دفاعية، لكنها كانت أيضاً حرباً هجومية وكان الغرض منها التوسع في الفتح والسلطان، فان محمد علي باشا كان طامعاً ببلاد سوريا منذ عام ١٨١٠م، وكان يأمل في أن يصل إلى حكمها بموافقة السلطان العثماني، ولقد صرفه عنها انهماك في الحرب الوهابية، ثم فتح السودان، ثم الحرب اليونانية، فلما انتهى من هذه الاخيرة أخذ يفكر في تنفيذ فكرته القديمة، ومن الراجح الذي تؤيده الحوادث، أن مشروع محمد علي باشا كان يتناول انشاء دولة عربية مستقلة في مصر تضم إليها البلاد العربية في افريقية واسيا، فهذه البنات تدل على ما أتجه اليه فكر إبراهيم باشا من تأسيس دولة عربية مصرية تجمع شمل الناطقين بالضاد وتحي عهد الفاطميين والايوبيين والسلطين البحرية والبرجية حين كانت مصر تضم إلى رقعتها سوريا وجزيرة العرب، وأيضاً كانت لمحمد علي باشا في فتح سوريا اغراض اقتصادية، وقد كانت الظروف في البلاد عام ١٨٣١م، ملائمة لتنفيذ مشروعه.

(٦٤٤) أسد رستم، الأصول العربية لتاريخ سورية، ص ٣٤٢.

(٦٤٥) جمال بدوي، المصدر السابق، ص ١٠٦؛ عبد الرحمن الرافي، المصدر السابق، ج ٣، ص ٣٣١.

حملة إبراهيم باشا على دمشق عام ١٨٣١م:

وجه محمد علي حاكم مصر حملة على بلاد سوريا بتوجيهه أبنه إبراهيم باشا قائداً للحملة مع ثلاثين ألف رجل وأربعين مدفعاً ميدانياً ، تساندتهم قوة بحرية قوامها ثلاث وعشرون سفينة حربية وسبع عشرة سفينة نقل بقيادة أمير البحر عثمان نور الدين بك⁽⁶⁴⁶⁾، وتوجهت تلك الحملة البرية من معسكر الخانكة في القاهرة في التاسع والعشرين من شباط عام ١٨٣١م، تحت أمرة إبراهيم باشا بن محمد علي المصري، قاصداً الحدود السورية مارا ببلبيس، فالقرين، فالصالحية، فقطية، فبئر العبد، فمسعودية، فالعريش حيث استراح بها يوماً ثم دخل التخوم السورية، فاحتلت وصور وصيدا وطرابلس⁽⁶⁴⁷⁾، وفشلت محاولات الدولة العثمانية في وقف الزحف المصري، لذا حشد العثمانيون عشرين ألف مقاتل، بقيادة عثمان باشا والي حلب، وزحفوا لملاقاة المصريين، والتقى الجيشان قرب حمص في الرابع والعشرين من نيسان عام ١٨٣٢م، وانتصر المصريون، ثم توجهوا نحو عكا الحصينة في الثالث والعشرون من تشرين الثاني من العام نفسه، وبعد حصار دام ستة أشهر سقطت هذه المدينة في السابع والعشرين من ايار عام ١٨٣٢م، وتابع قسم من الجيش المصري زحفه باتجاه دمشق تحت قيادة محمد سليم باشا، فأسقطهما في الخامس عشر من حزيران عام ١٨٣٢م⁽⁶⁴⁸⁾، واتجهت القوات المصرية بعد ذلك، باتجاه حمص حيث وقعت معركة قوية مع الجيش العثماني في التاسع والعشرين من تموز عام ١٨٣٢م، وشهد فيها الجيش العثماني انكساراً فادحاً، وهروب قائده حسين باشا مع بقية قواته إلى ادرنه، وتعد هذه المعركة من أهم معارك الجيش المصري، ذلك لأنها أول معركة يتقاتل فيها المصريين ضد العثمانيين وجهاً لوجه، وظهرت تفوق الجيش المصري، وبعد ذلك تابع الجيش المصري، زحفة إلى حماة وحلب إلى أن دخل إبراهيم باشا بقواته ولاية ادرنه في بلاد الاناضول⁽⁶⁴⁹⁾، فكانت مدينة ادرنه مفتاح الاناضول وصلة المواصلات البحرية بين مصر وجيشها، لكن عزيمة السلطان العثماني لم تتكسر أمام الهزائم التي لحقت بجيشه، وأعد جيشاً جديداً بقيادة الصدر الاعظم محمد رشيد باشا وبلغ قوام هذا الجيش ثلاثة وخمسون ألف مقاتل، ونشبت معارك شرسة بين الجيشين، انتصر فيهما العثمانيون، من أهمها موقعة قونية عام ١٨٣٢م ، التي فتحت الطريق أمام المصريين إلى الاستانة عاصمة الدولة العثمانية ، ودخلت

(٦٤٦) عبد الكريم رافق، العرب والعثمانيون، ص ١٧٦؛ كمال الصليبي، تاريخ لبنان، ص ٢٣٢.

(٦٤٧) أحمد حسين، موسوعة تاريخ مصر، دار الشعب، القاهرة، د.ت، ص ٢٧٦؛ لطيفة محمد سالم، الحكم

المصري في الشام، ط ٢، مكتبة مدبولي، القاهرة، ١٩٩٠، ص ١٩٧.

(٦٤٨) لطيفة محمد مدبولي، المصدر نفسه، ص ١٩٨.

(٦٤٩) فضل رعد، المصدر السابق، ص ١٠٩.

البلاد في حكم الدولة المصرية، بعد صلح كوتاهية، وأصبح إبراهيم باشا حاكماً عاماً للبلاد السورية وقائداً للجيش المصري، ووطد مركزه الحربي والسياسي بهذه البلاد، وبلغ عدد الجيش المصري، المرابط في سوريا نحو سبعون ألف مقاتل⁽⁶⁵⁰⁾.

أحتلال مدينة دمشق:

بعد أن رتب إبراهيم باشا شؤون عكا، عزم على التقدم إلى دمشق، فأرسل كتاباً إلى واليها علو رؤوف باشا دعى إلى تسليم المدينة، وكتب إلى أحمد بك اليوسف ربيب يوسف باشا كنج الذي فر إلى مصر ولجأ إلى محمد علي باشا في عام ١٨١٠م، أخبره على عزمه على التقدم برجاله إلى دمشق ومحاصرتها، وكتب بالمثل إلى أعيان البلاد⁽⁶⁵¹⁾، الذين كانوا من أعيانه وأيدوه وساندوه في فتح البلاد، وتقدمت تلك الحشود المصرية في عام ١٨٣١م المتألفة من تسعة آلاف من الجنود المنظمة وتسعة آلاف من العربان المصريين والدروز والبدو السوريين، يتبعها أربعة وعشرون مدفعا نحو ولاية دمشق⁽⁶⁵²⁾.

أما أهالي دمشق، فإظهروا عزمهم على المقاومة، إذ حث آغاوات البلد سكانها على حمل السلاح والاستعداد لمقاتلة قوات إبراهيم باشا، فلبوا الأهالي الدعوة، وقسموا على شكل جماعات، وقاموا بمظاهرات لغرض لحامسة والاستعداد للمواجهة، واستمرت تلك المظاهرات ثلاثة أيام⁽⁶⁵³⁾.

أمام تلك المعطيات التاريخية، يمكن القول أن ما قام به الدمشقيون بعدما عرفوا بعزم إبراهيم باشا على الاستيلاء على مدينتهم، بالرغم من أنهم لم يكونوا راضين عن حكم الولاة العثمانيين وسياسية الدولة معهم، فلعلهم فعلوا ذلك خوفاً من الجنود العثمانية التي بلغهم قرب وصولها مع مبالغاة بكثرة عددها، بحيث أن كل حرب يكون فيها تلك الأشاعات والأخبار واردة ومعمول بها في الحرب .

وصل إبراهيم باشا مع القوات المصرية إلى ضواحي دمشق في الخامس عشر من حزيران عام ١٨٣١م، فخرج علو باشا ومعه فرقة من قوات الدولة، لمقاتلة الجيش المصري، لكن أرعبهم ما شاهدوه من غطرسة وظلم أفراد الجيش وحسن تجهيزاته تلك القوات، فلم تبد منهم سوى مقاومة ضعيفة، وانهزموا على أثرها، وبعد استقرار الأمور في البلاد خرج وفد من أعيان

(٦٥٠) جمال بدوي، المصدر السابق، ص ١٢٣؛ فؤاد خليل، المصدر السابق، ص ١٤٥.

(٦٥١) الأمير بشير الشهابي الثاني أمير جبل لبنان، والشيخ حسين عبد الهادي من زعماء نابلس، ومصطفى آغا بربر من أعيان طرابلس الذي عينه إبراهيم باشا أثناء الفتح متسلماً لطرابلس، وكانوا هؤلاء الثلاثة من

اعوان القائد المصري. للمزيد ينظر: أسد رستم، الأصول العربية لتاريخ سورية، ص ٣٢٥.

(٦٥٢) عبد الرحمن الرفاعي، ج٣، المصدر السابق، ص ٣٤٥ .

(٦٥٣) جمال بدوي، المصدر السابق، ص ١٣٤؛ كمال الصليبي، منطلق تاريخ لبنان، ص ٢٣٥.

المدينة وقدموا خضوعهم لإبراهيم باشا، أما بخصوص والي دمشق، فقد انسحب من المدينة، قاصدا حمص يحرسه الف وخمسمائة خيال وخمسمائة مشاة، فدخل إبراهيم باشا بعد ذلك إلى دمشق في السادس عشر من حزيران من العام نفسه (654)، أقام إبراهيم باشا في دمشق ثمانية عشرة يوماً، وحضر صلاة الجمعة في الجامع الأموي، واثاء الخطبة تحير الخطيب بين أن يخطب باسم السلطان أو باسم محمد علي باشا، ورفع الأمر إلى إبراهيم باشا، فأجابه بأنه عبد السلطان، وأن الخطبة يجب أن تكون باسم السلطان والدعاء لمحمد علي باشا، وجعل من دمشق قاعده لحكمه، ونظم الإدارة فيها على النمط المتبع في مصر، وأقام أحمد بك يوسف متسلماً عليها، ورتب ديوان حكم مؤلفاً من عشرين عيناً من اعيان البلاد سماه ديوان المشورة عام ١٨٣١م، وكان هذا المجلس ينظر في دعاوى الرعية والحكومة (655).

آل الحرفوش تحت الحكم المصري:

لبث الأمير أمين بن مصطفى الحرفوش حاكماً على بعلبك إلى أن جاء القائد المصري إبراهيم باشا إلى مدينة بعلبك غازياً عام ١٨٣١م، وكان ذلك الأمير لم يزل خاضعاً للدولة العثمانية منكرًا لنفوذ المصريين، ورفض الاستسلام وتقديم الطاعة لهم والانضمام لقواتهم، فأوغر ذلك الأمر صدر القائد المصري إبراهيم باشا حقداً عليه، فحشد قواته في نفس العام إلى بعلبك لدحر حاكمها، فأخذها دون أي مقاومة، وتمكن الأمير أمين من الهرب وأخذ معه أفراد عائلته وبقي متنقلاً من قرية إلى أخرى (656).

وجد إبراهيم باشا أن تلك المدينة، تهدد موقها المتوسط كلاً من دمشق، وحمص وطرابلس، وببيروت، وتسيطر في الوقت نفسه على طريق عسكري شهير يصل شمال سوريا بجنوبها، ويضيق جداً عند وسط المدينة، نظراً لأقتراب السلسلتين الجبليتين بعضهما من بعض، فقرر الباشا المصري أن وضع فيها قوات لجيشة نظراً لموقعها الحربي، فبنى لهم ثكنة عسكرية كبيرة، وجعل منها نقطة حربية، وجعلها بكل ما تحتاج إليه من أسلحة ومعدات عسكرية ليشغل بها العثمانيون عن عكا، وأمر ابن أخيه عباس أن يأتي إلى بعلبك على رأس الفرقة الثانية عشر من المشاة وفرقة الخيالة الثالثة ومدافع ثلاث، ففعل وتوجه إلى المدينة مع القوات المطلوبة، وأصبح لديه في المدينة إربيع فرق من المشاة وفرقة من الخيالة ومدفعية كافية، وفوض أمر تلك الإمارة حينئذ إلى الأمير جواد بن الحرفوش في عام ١٨٣١م (657).

(٦٥٤) رافق عبد الكريم، العرب والعثمانيون، ص ٢٢٠؛ أحمد حسين، المصدر السابق، ص ٣٨٥.

(٦٥٥) أحمد الحلاق، المصدر السابق، ص ٢٧٩.

(٦٥٦) حمادة، المصدر السابق، ج ١، ص ٣٣٥؛ الشدياق، المصدر السابق، ج ٢، ص ٤٤٥.

(٦٥٧) فؤاد خليل، المصدر السابق، ص ٧٨؛ نصر الله، تاريخ بعلبك، ج ١، ص ٣٠٨.

توجه الأمير أمين إلى جبل لبنان مستجيراً بالأمير بشير الشهابي الثاني، فطيب خاطره ووعده بجلب فرمان للعفو عنه من إبراهيم باشا، فرآي الأمير بن الحرفوش حينئذ، أن الأمير الشهابي الثاني، يسير في ركاب باشا مصر، ورفض عندئذ التحالف مع المصريين وظل موالياً للدولة العثمانية⁽⁶⁵⁸⁾، وطاردته قوات إبراهيم من مكان إلى آخر، واستمر بن الحرفوش المذكور يجوب القرى والأرياف مع أفراد أسرته وولده قبلان هارين مطاردين من القوات المصرية، وما زال منهزماً إلى أن لحقته يوماً فرسان الهنادي⁽⁶⁵⁹⁾ في عام ١٨٣١م في منطقة عين الوعول شمالي بعلبك وبلغ عددهم اربعمائة فارس، والأمير أمين لم يكن معه سوى ولده الأمير قبلان و مئة واثنى عشر فارساً من رجاله الخاصين، فوقف الأمير مع الحريم لحمايتهن، في حين هاجم ولده الأمير قبلان بفرسانه قوات إبراهيم باشا، ورجاله تحمي ظهره، فشغل الهنادي واعوانه، حتى هرب والده الأمير إلى داخل الجبل، فارتد أبنه إليه ولم يتمكن القوات من اللحاق به فعادوا على اعقابهم، وقد اظهر قبلان من الشجاعة، حتى اصبح حديث الناس حينها يتناقلوه رواية وشعراً⁽⁶⁶⁰⁾، فسار حينئذ الأمير أمين من هناك إلى منطقة دعبيت (شعرة الدنادشه) وادع حريمه في تلك المنطقة، وتوجه بعد ذلك نحو الاستانة، حيث نزلا في ارفع منزلة ولبثا هناك، حتى رحيل قوات المصرية عن بلاد سوريا ١٨٤١م⁽⁶⁶¹⁾.

أستدل مما سبق، أن الأمير أمين أول من ثار على إبراهيم باشا، بعد أن دخلت القوات المصرية بعلبك وحولتها إلى مركز عسكري قيادي في حربها ضد الدولة العثمانية، وعلن رفض الخضوع للقائد المصري، كما رفض التعاون مع المصريين وظل موالياً للعثمانيين، ولاسيما أن كثافة القوات المصرية الموجودة داخل بعلبك، قد حدت من إمكانية تحرك آل الحرفوش ضد تلك الحشود، وخرج إلى الصحراء والجبال ، ينتقل من مكان إلى آخر مطارداً من القوات المحتلة، وقد فشلت الجهود المبذولة للعفو عنه والتي شارك فيها الأمير بشير الثاني الشهابي، ولاسيما أن تلك الجهود قد شملت شرط يقابل الأمير أمين إبراهيم باشا شخصياً، لكن الأمير أمين رفض مقابلته

(٦٥٨) حمادة، المصدر السابق، ج١، ص ٣٣٧.

(٦٥٩) فرسان الهنادي: وهي فرسان إبراهيم باشا الخاصة.

(٦٦٠) جمع الأمير قبلان كالعديد من افراد اسرته مجد السيف والقلم فترددت سيرته كمقاتل اسطوري ساهم الشعر البعلبكي في بقائها حية في الوجدان الشعبي حتى اليوم :

سل عنة يوم القرنتين وقبله في يوم حمص فذاك يوم ثان

وسل الهنادي ما لقوا لما التقوا معه وما لاقوا من الخذلان . للمزيد ينظر: الشدياق، المصدر السابق،

ج٢، ص٤٥٠.

(٦٦١) حمادة، المصدر السابق، ج١، ص٣٣٨؛ محسن الأمين، أعيان الشيعة، ج٦، ص ٣٨٠.

خوفاً من غدره أو ربما خوفاً من غدر الأمير الشهابي، فيكون مصيره مشابهاً لمصير عمه وابن عمه سابقاً، ثم سافر الأمير بن الحرفوش إلى الاستانة.

شهدت إمارة بعلبك اضطراباً واسعاً تحت وطأت الاحتلال المصري، نتج عن سياسة إبراهيم باشا التي كانت تقتضي بوجود التخلص تدريجياً من جميع الحكام المحليين ونفوذ الأمراء الذين كانوا يدفعون مالاً لخزينة الدولة العثمانية، فعينت هؤلاء الحكام مأمورين من طرفها براتب محدود قد لا يساوي عشر أيراد من رواتب السابقة لبلادهم، ثم عمدت لعزلهم عام ١٨٣٢م وعين بدلهم موظفين غريباء مكانهم⁽⁶⁶²⁾، صادر إبراهيم باشا أولاً استقلالية أمراء اسرة آل الحرفوش في بلاد بعلبك، وصادر املاكهم، وتم تعويضهم عنها برواتب شهرية محدودة، وعزل الأمير جواد عن حكم الإمارة بعد تعيينه متسلماً للإمارة لمدة شهرين وعين عوضه أحمد آغا الدردار وخصص القائد المصري راتباً للأمير جواد وقدره الف ومئة وخمسون قرش في العام ذاته، لكونه من اشرف الناس، فكان ذلك سبب عصيان وتمرد الأمير جواد بن الحرفوش على حكومة مصر في بعلبك، وبعد ذلك صدر أمر من السلطة المصرية، بتوقيف صرفيات الكتاب والمتسلمين والنظار، نظراً لكثرة النفقات، وبقيت تلك الرواتب موقوفة ثمانية اشهر⁽⁶⁶³⁾، سكن الأمير جواد بعد عزله في ناحية يبرود شمال بعلبك، ثم أخذ الأمير بجمع الرجال حوله، وبلغ عددهم مئتان و ثلاثون فارساً من المقاطعات المجاورة، منها (جبيل والعاقورة) وغيرهن، مع أولاد عمه (خنجر، عساف، عيسى، سعدون، محمد، وفندي)، يجولون من مكان إلى آخر وينشرون الفتن على الدولة المصرية، فشرعوا بقطع الطرق على القوات المصرية والتعدي على موظفي السلطة، فأصبحت له شهرة وهيبة بين المقاطعات المجاورة لبعلبك، إلى أن ادركه يوماً بقرب بلدة يبرود مئتا فارس اكراد ارسلهم شريف باشا المصري حاكم دمشق عليه، وكان مع الأمير جواد أولاد عمه المذكورين مئتان والثلاثين فارساً، فهجم بعضهم على بعض واقتتل الفريقان، وفعل أمراء آل الحرفوش فعلاً خلدت لهم ذكراً جميلاً، فانهزم الاكراد وقتل منهم عجاج آغا⁽⁶⁶⁴⁾ وهو أحد أمرائهم⁽⁶⁶⁵⁾.

ذهب الأمير جواد بعد ذلك إلى حمص وتفرقت عنه رجاله بعض الرجال، ولم يبق معه سوى أولاد عمه الأمراء المذكورين ومئة مقاتل، وقد أشتهر بالشجاعة الفائقة، والجرأة الحربية بين

(٦٦٢) فؤاد خليل، المصدر السابق، ص ٨٥؛ حمادة، المصدر السابق، ج ١، ص ٣٤١.

(٦٦٣) المنير، المصدر السابق، ص ٣٦٦.

(٦٦٤) عجاج آغا: وهو ضابط مصري من كبار الضباط.

(٦٦٥) الشياق، المصدر السابق ج ٢، ص ٤٧٥؛ بازيل، سوريا ولبنان وفلسطين تحت الحكم التركي، ص ٣٧٣.

عامة سكان المقاطعات المجاورة، والهمت الشعراء قصائد بمدحه والاشادة بشجاعته⁽⁶⁶⁶⁾، وعندما كان في قرية دعت الحريشة، دهمه ثمنائة فارس من الهنادي، أطلقوا عليه الرصاص، ثم قطعوا عليه جسر التل المنسوب على نهر العاصي، الذي لا بد له من المرور منه لكي يتمكن من التخلص منهم، حينئذ هجم عليهم الأمير جواد مع أولاد عمه ورجاله هجمه واحده، وهو الخيار الوحيد لديهم، وفرقوا جمع فرسان إبراهيم باشا بضرب الحسام، ومروراً منه بعد أن قتلوا منهم نحو عشرين فارساً وفروا هارين⁽⁶⁶⁷⁾ عام ١٨٣٢م، نظراً لتلك الظروف، أصبح لا يأمن على نفسه من شر القوات المصرية، الذين ما زالوا مستمرين بملاحقته، فتيقن حينها أن العصيان لا يجديه نفعاً، وأن لا مناص له من يد اعدائه، فارسل كتاباً إلى رجل اسمه عبد القادر آغا، بان يأخذ له مرسوم الأمان من شريف باشا حاكم دمشق من قبل إبراهيم باشا فاخذ له ذلك، كاتب الأمير جواد الأمير بشير الثاني وطلب منه الحضور إلى دير عطية، ودخل معه لمواجهة والي دمشق، وقد أرسل له الأمير الشهابي الثاني حفيده الأمير محمود، فدخلا دمشق معاً في العام ذاته، وواجهها حاكم دمشق، وبقياً في المدينة ثلاثة ايام، وطلب شريف باشا إلى إبراهيم باشا جعل الأمير جواد (سرسواري) رئيس خيالة، لكن خلافاً قديماً تجدد بين الأمير جواد وبين البعض من رؤساء اكراد الصالحية وهما (أحمد آغا اليوسف، وشمدين آغا)، حول اتهامه بمقتل أحد أغوات الاكراد، وقد كان شريف باشا عنيف معه بعض الشيء⁽⁶⁶⁸⁾، فخرج الأمير جواد خارج البلدة وبعث إلى أحمد آغا اليوسف، وابلغه أن كان له حق عنده فليخرج اليه للمحاسبة فيما بينهم، و بين أكراد الصالحية رجل دعى خليل آغا⁽⁶⁶⁹⁾، فاستأذن هذا الأخير شريف باشا وأخذ رجاله وتوجه إلى ناحية النبك عام ١٨٣٢م، فبلغه أن الأمير جواد في دير عطية، وتوجه نحو تلك القرية، فلما بلغ الأمير بن الحرفوش حضور آغا الاكراد غادر القرية، وتلاقى الطرفان ونشبت بينهما مواجهة عنيف، واسفر القتال عن جرح الأمير جواد وقتل ثلاثة من أولاد عمه، وهما (الأمير خنجر، والأمير محمد، والأمير فندي)، وقتل بن الحرفوش خليل آغا وعشرين فارساً

(٦٦٦) وهي كثيرة ومنها للشاعر البعلبكي محمد الحسين المرتضى:

يحمي النزيل ويلقى الضيف مبتسماً اذا أتى وديون المجد يقضيها
كل الكمالات رب العرش صيرها من حطة فتعالى الله معطيها
حلم وعدل وجود وافر ونهى ينهى الاهالي ويعفو عن تعديها
جواد قد جاد رب العالمين به على البلاد فيا طوبى لاهليها .

للمزيد ينظر: حمادة، المصدر السابق، ج١، ص ٢٩٨.

(٦٦٧) محسن الأمين، أعيان الشيعة، ج٦، ص ٣٨٠؛ كرامة، المصدر السابق، ص ٢٣٦.

(٦٦٨) عبد الرحمن الرافعي، المصدر السابق، ج٣، ص ٣٦٣؛ ميخائيل الوف، المصدر السابق، ص ٨١.

(٦٦٩) خليل آغا: وهو متسلم جبل دروز حوران ويعد من الرجال المشهود لهم بالفروسية.

من القوات المصرية⁽⁶⁷⁰⁾، لذلك اشتد قلق الأمير جواد من مغبة الأمر، وبالرغم من أن الآغا المقتول من أقرباء الأمير الشهابي الثاني، إلا أن الأمير جواد راسل أمير جبل لبنان وأخبره بالذي حدث⁽⁶⁷¹⁾، ورد عليه الأمير الشهابي ليستأمنه على حياته لدى إبراهيم باشا، ووعدته بالسعي عند الحكومة للعفو عنه، ولما كان إبراهيم باشا في حلب، راسل الأمير الشهابي إلى الحكمدار محمد شريف باشا، فجاء جوابه بارسال الأمير جواد مع رفاقه إلى دمشق سريعاً ومعه رسالة إلى بحري بك⁽⁶⁷²⁾ عام ١٨٣٢م، يلتمس فيها عدم قتل الأمير جواد، واستبدال العقوبة بغرامة مالية، ولاسيما بأنه سلم نفسه طائعاً للدولة المصرية، فحاول بحري بك اقناع والي دمشق بالعودة عن عزمه أخبار إبراهيم باشا عن رغبته في قتل بن الحرفوش حتى يبيت هو بالامر، فرفض وكتب محمد شريف إلى إبراهيم باشا عن رغبته في قتل الأمير جواد، وعند وصول الأمير بن الحرفوش إلى جسر القاضي، قبض عليه رجال حكومة دمشق، واحضروه إلى شريف باشا فأمر الأخير بقتله⁽⁶⁷³⁾ فقتل في الثاني عشر من تشرين الأول عام ١٨٣٢م⁽⁶⁷⁴⁾.

شهدت بعلبك في حكم أحمد آغا الدردار عام ١٨٣٢م المتعين من إبراهيم باشا، فوضى عارمة شملت أرجاء المدينة، ناتجة من عدم رضى أهالي الإمارة على سياسية متسلمها الآغا عام ١٨٣٦م، فتم عزله، وعين بعده خليل آغا ورده عام ١٨٣٦م، ولكن الوضع في المدينة لم يستقر، فاقنتع محمد شريف أخيراً، بوجوب عودة حكم بعلبك إلى أسرة آل الحرفوش عام ١٨٣٩م، فاصبح الأمير حمد الحرفوش أميراً على بعلبك في العام نفسه تحت النفوذ المصري⁽⁶⁷⁵⁾. أشارت تلك المعطيات، إلى أن الأمير جواد بن الحرفوش كان شجاعاً "أبياً"، فاعلن التمرد على الحكومة المصرية، بعد اعلان أبعاد أسرته، وعزله عن حكم بعلبك، وظل الأمير متمرداً يتجول مع رجاله في كل مكان لمقاتلة قوات إبراهيم باشا، ودعوة سكان البلاد والمقاطعات المجاورة إلى الثورة عليهم، وواجه الحملات المصرية التي كانت تطارده في أمكنة كثيرة بشجاعة

(٦٧٠) فؤاد خليل، المصدر السابق، ص ٨١.

(٦٧١) استعان بمكانة الأمير الشهابي عند السلطات المصرية المتنفذة، وبحسب التقاليد والاعراف تقضي بان الكفيل اذا وجد في نفسه القدرة والاهلية والرغبة في القيام بتسوية الخلاف كما ينبغي تطوع لذلك، وإذا كان لديه ادنى شك في اتمام الموضوع على الوجه الصحيح يبقى بعيدا عنه لئلا يلحقه عار الفشل ووزر النتيجة

(٦٧٢) بحري بك: وهو احد اركان الحكومة المصرية في ولاية دمشق.

(٦٧٣) يحيط الغموض بمقتل الأمير جواد بحسب روايات المؤرخين، هل اغتاله الأمير بشير غدرًا أم سلمه بحيلة إلى شريف باشا فقتله؟ أم أن الأمير بشير سعى فعلاً إلى الحصول على عفوا له، إذ أن شريف باشا قام بقتله دون رضاه وبدون سعي منه .

(٦٧٤) محسن الأمين، أعيان الشيعة ، ج٦، ص ٣٨٠.

(٦٧٥) عبد الرحمن الرافعي، المصدر السابق، ج٣، ص٣٦٦؛ ميخائيل الوف، المصدر السابق، ص ١٣٤

نادرة، وعجز المصريون عن الظفر به حتى سئمت نفسه في الفرار والمطاردة، فتوجه إلى الأمير الشهابي لتسوية الامر مع الحكومة المصرية، ولكن الذي حصل كان مفاجئ، إذ تم القبض عليه من جيش شريف باشا، وفي الوقت نفسه أعدم مع ستة من اعوانه، ورافقت تلك الحادثة الكثير من الغموض، إلا إن الأمير الشهابي يبدو من رسالته لوالي دمشق رأى في تسليم الأمير بن الحرفوش إلى جلاده خدمة يقدرها الحاكم المصري ويتقرب بها اليه، دون النظر باعتبارات المروءة والنخوة وعادات البلاد واعرافها، فضلاً عن أن الأمير بشير عد بن الحرفوش وقيعاً لا أسيراً أو سجيناً، والوقيع كما هو معلوم، هو الذي جعل مصيره بأختياره بين يدي صاحب مكانة يثق به هو وسائر الناس لانتهاء مشكلته على وجه لضمان سلامته وحرية وكرامته، وبالرغم من اعتراف البشير بان جواد هو وقيعاً، ومع ذلك يضع مصيره بين يدي محمد شريف باشا، إذ كان أهتمامه يصبُ في رضى حكومة دمشق المصرية، دون الاهتمام بالاعتبارات الأخرى، خصوصاً ما يلحقه من اذى معنوي، وانعكاس على حرمة، ومكانته الاجتماعية، والعشائرية.

استمر الوضع في بعلبك كما هو عليه، إلى أن برز أمير آخر من آل الحرفوش عام ١٨٤٠م، هو الأمير محمد وكان ثائراً" على وجود قوات إبراهيم باشا في المدينة، جال في البقاع، ويطلب المساندة من الحماديين في الهرمل، عكار، وجبل عامل بقيادة الشيخ حسين النصار للقيام بثورة عامة في سبيل جلاء المصريين من البلاد، فظهر العصيان في بلاد عكا بقيادة الأمير محمد بن الحرفوش ، ثم انتقل بعد ذلك إلى مدينة بعلبك، فتمكن هؤلاء المتمردون ان يستولوا على تلك المدينة في السابع عشر من أيار عام ١٨٤٠م، على رأس تسعمائة مقاتل من رجاله وسبعمائة من سكان زحلة ، فغنموا اكثر من الف بندقية والكثير من العتاد والذخيرة، وأسروا اربعمائة من جنود المصريين، واستمر العصيان ضد الحكومة المصرية يعم بعلبك⁽⁶⁷⁶⁾، فوصلت على أثرها نجدات مصرية من معدات واسلحه عسكرية إلى بعلبك من حلب في العاشر من حزيران عام ١٨٤٠ م، ففر الأمير محمد ورجاله إلى البقاع، إلا ان الأمير المتمرّد قام مرة اخرى في الثالث من تموز عام ١٨٤٠م، بالإغارة على حصنا قرب بعلبك واحتلها، واستولى على خمسة مدافع وكميات من الذخيرة وأسر مائتي جندي، ثم دخل إلى إمارة اجداده وابائه، ظافراً في التاسع والعشرين من تموز عام ١٨٤٠)، وفي اليوم التالي سيطر على الابنية ونهب مخازنها وأسر ثلاثمائة مقاتل مصري، وفر الباقيون مستجدين بعثمان باشا الموجود في مدينة زحلة⁽⁶⁷⁷⁾ .

(٦٧٦) فؤاد خليل، المصدر السابق ، ص ٧٢؛ المعلوف ، دواني القطوف ، ص ١٦٥.

(٢) فضل رعد، المصدر السابق ، ص ٤٨.

غنى الأمير بن الحرفوش على قافلة متكونة من ثلاثمائة جمل محملة بالذخائر قادمة من حلب، فهاجمها الأمير وسقط حراسها أسرى ، وفي السادس عشر من آب عام ١٨٤٠م تم الاتفاق بين السلطان عبد المجيد العثماني (١٨٣٩-١٨٦١م)، وملوك النمسا والانكليز وبروسيا على استخلاص بلاد سوريا من يد إبراهيم باشا ، الذي قد انظم اليه كثير من الأمراء المحليين إلى الجيش العثماني⁽⁶⁷⁸⁾، فوصل إبراهيم باشا إلى بعلبك في السابع والعشرون من شهر آب من العام نفسه، على اثر تلك الاحداث، واقام فيها مترقبا للتطورات العسكرية، ومتابعاً اخبار البوارج الانكليزية التي تقصف مدن الساحل، ثم عقد مؤتمراً في المدينة للتداول ، حضره كلاً من محمد شريف والي دمشق، الأمير بشير الثاني الشهابي وبحري بك، فضلاً عن كبار القادة في الجيش الدمشقي، وعزز قواته في تلك المدينة، حتى وصلت إلى عشرين ألف جندي وعادت بعلبك مركزاً لقيادته العامة، في حين كانت التعزيزات المصرية تصل إلى تلك البلدة من حلب وعكا ، وعمت الثورة جميع المناطق في بيروت وجبل لبنان وكسروان وجبل عامل في الثاني عشر من أيلول من العام نفسه ضد الحكومة المصرية، وبرز حينئذ من آل الحرفوش أمير آخر قدر له إن يكون له دوراً مهماً في الأحداث السياسية والعسكرية اللاحقة، هو الأمير خنجر بن الحرفوش، إذ أعلن الحماديون وآل الحرفوش الثورة المشتركة على الدولة المصرية في الخامس والعشرين من أيلول عام ١٨٤٠م، التي استمرت حتى جلائهم من البلاد السورية⁽⁶⁷⁹⁾.

وكان الأمير الثائر عدواً لإبراهيم باشا، وله دور بارز في أغلب الأحداث السياسية الخطيرة التي عصفت بولاية دمشق في عهد الامير خنجر، فابتدأ ظهوره بمشاركته في الثورة العامة على حكم إبراهيم باشا، وتنقل بين مختلف نواحي البلاد جامعاً الرجال للقتال، داعياً عامة السكان إلى الثورة على الحكم المصري، فكان على رأس الثوار في كسروان التي كان فيها مشاركاً إلى جانب الأهالي، وقد اشتعلت نيران التمرد إلى درجة لم تستطع القوات المتمركزة في كسروان إن تخمدوها، فاضطر إبراهيم باشا أن يتوجه بنفسه مع اثني عشر ألف جندي من المشاة لإنهاء التمرد، ونشب القتال بينهما لكن النصر كان لحليف إبراهيم باشا، فانهزم الأمير خنجر، وتوجه بعد ذلك مع رجاله إلى جبل عامل لدعم الشيخ حسين الشبيب النصار عندما أعلن تمرده على الحكم المصري والشهابي معاً، فاستطاعوا من سحق قوات إبراهيم باشا وخرجهم من جبل عامل⁽⁶⁸⁰⁾.

قدم عثمان باشا من حلب إلى بعلبك بثمانية آلاف مقاتل لمحاربة القوات المصرية في الخامس عشر من تشرين الأول عام ١٨٤٠م، وبعد قتال بين الجيش المصري والقوات

(٦٧٨) دومينيك شوفالييه، مجتمع جبل لبنان في عصر الثورة الصناعية، دار النهار للطباعة والنشر ، بيروت ،

٢٠٠١. ص ٤٧١، المجلد، دواني القطف، ص ١٦٨.

(٦٧٩) ميخائيل الوف، المصدر السابق، ص ٨٣؛ فضل رعد، المصدر السابق، ص ٤٩.

(٦٨٠) نصر الله ، تاريخ بعلبك ، ج ١، ص ٣٠١.

العثمانية، أحتل عثمان باشا الثكنة التي بناها إبراهيم باشا، ثم تقدم إلى البقاع ،وتمكن الأمير علي المعني في ذلك الوقت من جمع رجال من المتن وسار بهم إلى المريجات⁽⁶⁸¹⁾، وتلك الاثناء جمع الأمير خنجر وأخوه سلمان نحو اربعمائة فارس من بعلبك والمقاطعات المجاورة، وانظموا للأمير المعني، فنهضوا من قريتي الحازمية والدكوانه بجيش كبير ،واخذوا يقتفون اثار جيش إبراهيم باشا ،فالتقوا بفرقة الارناؤط في بلدة الاشرفية، فاطلقت هذه الفرقة عليهم الرصاص فقتلت منهم رجلين وانهزموا فلاحقوهم،وأستمرت الهجمات المتتابة على حشود المتمردين فتبددوا، وجرت معارك متتابة بين الجيش المصري وأمراء البلاد ومشايخها من انصار الجيش العثماني، وكان النصر في اكثرها للمصريين (ليس يوجد فيها ما يخص الموضوع)، فقدم الأمير محمود والأمير فاعور من مشايخ الحازمية، فاجتمعوا مع الأمير فارس والأمير يوسف من أمراء الشهابيين، والأمير خنجر وأخوه واللمعيون وامرائهم، فاتفقوا جميعهم حينها على الانفضاض، ثم تفرقوا بعد ذلك كل إلى جهة⁽⁶⁸²⁾.

ولما علم عباس باشا قائد الجيش العثماني بتفرق الثائرين، أمر الأمير بشير بالقبض عليهم. في حين الأمير خنجر توجه هو وأخوه إلى بلدة زوق مكايل ليجمع رجالاً من الثائرين على الحكومة المصرية، فلما وصل إلى قرية المعاملتين قال له بعض رفاقه،خذ معك عامية غزير ونحن نذهب ونأتي بالرجال اليك، وساروا إلى الأمير عبد الله شهاب حليف إبراهيم باشا وأخبروه بما كان، فجهز الأمير عبد الله رجاله ونهض للقبض على بن الحرفوش، ولما رآهم الأمير خنجر مقبلين عليه ظنهم من رجالات بلدة غزير، وعندما أقتربوا منه أحاطوا به ومنعوه من الهرب وقبضوا عليه وعلى أخيه وعلى ستة فرسان كانوا معهم، ورجعوا بهم إلى غزير، فأمر الأمير عبد الله بوضعهم في السجن وذاع الخبر في كسروان فذهب إلى بلدة غزير ومعه مائة رجل من قرى كسروان والفتوح واتفقوا مع سكان بلدة غزير على تخليص الأمير خنجر ومن معه، فارسلوا إلى الأمير عبد الله إن يطلق سبيلهم فأبى فجهموا حينئذ على السجن وكسروا بابه واخرجوا الأميرين وأصحابهما وسلموهم لإسلحتهم⁽⁶⁸³⁾،وتوجهوا إلى مقاطعة جونية فأجتمع إليهم اعيانها، وبعد ذلك اتى الأمير خنجر بهم إلى قرية المكلس للقيام بالحملات والتمرد ضد المصريين، في ذلك الوقت نهض عباس باشا وسليمان باشا الفرنسي والأمير مجيد من جانب الجيش المصري قاصدين بلدة حمانا، ولما وصلوا تجاه المكلس أطلق الأمير خنجر الرصاص عليهم، فأرسل اليهم سليمان باشا بفرقة الارناؤط،ففرقت شملهم وفر الأمير خنجر إلى جرد

(٦٨١) المنير، المصدر السابق،ص ٣٧٦.

(٦٨٢) الشدياق ، المصدر السابق ، ج٢، ص ٤٧٣؛ فضل رعد ، المصدر السابق ، ص ٤٩.

(٦٨٣) يوسف الدبس، مختصر تاريخ سوريا ،ج٢، ص ٢٧٦ .

العاقورة، فنهبت الارناؤط المكلس وحرقتها وقسم من قرى المنصورية وبيت مري ودير القلعة، ثم عادوا إلى المعسكر وجرت وقائع كثيرة بين الجيش المصري والجيش العثماني والمنضمين اليه من البلاد (يطول ذكرها، ولا يتعلق به غرض في صدد هذا الموضوع)⁽⁶⁸⁴⁾.

كانت فرقة من الجيش المصري في ذلك الوقت مخيمة في عيناتا من قرى بعلبك، فجمع الشيخ ابو سمرا البكاسيني اربعة الاف رجل وسار بهم إلى قرية اليمونه، ثم إلى عيناتا فالتحم القتال بينهما مدة ثلاثة ايام، ثم دهم الجيش المصري قوات الشيخ المذكور بغتة وقتل من جماعته مئتان وستين رجلاً، فانهزم على اثره إلى قرية جبة بشري، فجمع رجالاً من نواحيها ورجع إلى عيناتا مرة أخرى، واضرم نار الحرب على نحو فانهزم الجيش المصري وقتل منهم مئة وسبعين مقاتل، ثم امده بعدئذ عزة باشا قائد فرقة في الجيش العثماني وقتها بنجدة من المقاتلين والعتاد، فهجم الشيخ بقواته بعد ذلك على الجيش المصري واجلاه من عيناتا، وأرسل عزة باشا فرقة من الجيش إلى بلدة بيت الشباب بقيادة عمر بك النمساوي العثماني ومعه الأمير الخنجر والبعض من أهالي دمشق، ووزع على اهلها اسلحة للدفاع، فالتقى بالأمير مسعود حفيد الأمير الشهابي في بلدة عيون العلق وحاربوه، فانهزم ورجع إلى قرية جونية وما زالت قوات الدولة العثمانية وحلفائها مجدين في محاربة المصريين⁽⁶⁸⁵⁾، وكان الأمير خنجر على اتصال (قنصل بريطانيا في دمشق وقد لاحق فلول الجيش Mestar ooed وتنسيق مع المستر وود) المصري المنسحب فالتقى مع الأمير محمد الحرفوش والأمير عبد الله شهاب شقيق الأمير بشير ملحم في قرية الزيداني وانطلقوا مع فرسانهم إلى الهامه باتجاه دمشق، ولكن إبراهيم ترك المدينة نحو الجنوب فوافوا الأمير بشير ملحم إلى بلدة مرجعيون، وسار الجميع نحو صفد عن طريق بلاد بشارة، ثم إلى يافا حتى دخل إبراهيم غزة وسار مع قواته إلى داخل مصر فعاد الجميع لبلادهم⁽⁶⁸⁶⁾.

ظل الأمير خنجر مخلصا الطاعة للدولة العثمانية ومنجداً الجيش العثماني، إلى إن تم أخراج إبراهيم باشا من البلاد السورية فأنعمت عليه الدولة العثمانية بحكم بعلبك والبقاع، أما الأمير بشير الثاني الشهابي وحلفائه من الأمراء والمشايخ الذين كانوا من انصار إبراهيم باشا، قد قُبِضَ عليهم ونفيهم مع أولادهم إلى مالطة⁽⁶⁸⁷⁾، في أثناء ذلك عاد الثائر القديم وعدو المصريين الأمير أمين وولده قبالان من الأستانة إلى بيروت ومعه فرمان تعيينه على ولاية بعلبك عام ١٨٤١ م ، وأرسل أبنه إلى دمشق ليصادق على الأمر، ولكن والده تُوفي وبقي هو ينتظر في

(٦٨٤) المنير، المصدر السابق، ص ٢٧٩ ؛ نصر الله، تاريخ بعلبك، ج ١، ص ٣١٠.

(٦٨٥) الركني، المصدر السابق، ص ٢٦٢.

(٦٨٦) حمادة، المصدر السابق، ج ١، ص ٣٤٥ ؛ ميخائيل الوفا، المصدر السابق، ص ٨٥.

(٦٨٧) فؤاد خليل، المصدر السابق، ص ٧٣.

الولاية انتهاء الاجراءات التي يقتضيها التصديق، ولما كان يوما في القصر الذي نزل فيه ينتظر انتهاء مهمته، إقبل نحوه بعض الجنود ليبشروه بصدور الفرمان طمعاً بأنعامه، فظن انه صدر أمر بقتله ومن شدة الخوف هرب أصطدم بحائط قوي فجئ من ساعتها، وبقي مجنوناً حتى وفاته عام ١٨٦٤م⁽⁶⁸⁸⁾.

(٦٨٨) بن طولون، حوادث دمشق اليومية، ص١٨٧؛ عون كامل بن نجيم، نبذة من تاريخ لبنان في القرن السابع عشر، مجلة المشرق، العدد ١٩٢٧، ٢٥.

المبحث الثاني / علاقات آل الحرفوش مع الطوائف المسيحية :

انطلقت المسيحية من القدس وتمركزت أولاً في المدن الكبرى⁽⁶⁸⁹⁾ على الساحل الشرقي للبحر المتوسط، ومنها انتشرت إلى كل أنحاء العالم⁽⁶⁹⁰⁾، إذ كانت دمشق تتفاعل مع الأديان السماوية مثل كل البلاد، ولها أهمية كبيرة في تاريخ المسيحية، حيث انتشرت منذ القرن الأول للميلاد، فمدينة دمشق هي مقر عدد من الكنائس والبطريركيات المسيحية أبرزها بطريركية انطاكية وسائر المشرق للروم الارثوذكس وبطريركية السريان الارثوذكس وبطريركية الكاثوليك ، وغيرهم⁽⁶⁹¹⁾.

تذكر الأنجيل أن يسوع قام بزيارة مناطق في الجنوب دمشق، وقد أنتشرت المسيحية سريعاً في بعض مناطق البلاد، وشهدت استقرار عدد من الرسل السبعون الذين عينهم المسيح شخصياً أساقفةً لبعض مدنها، وكانت دمشق قاعده لأنطلاق القديس بولس في رحلاته التبشيرية، هو واحد من الرسل المسيحية وبحسب التقليد المسيحي طاف يسوع قرى الجليل وجنوب لبنان وشماله، إذ انتشرت المسيحية بقوة في الأماكن الساحلية، وبعض المناطق الداخلية بجهود المبشرين الأوائل خلال القرون الأولى وتوسعت بعد مرسوم ميلانو عام ٣١٣م⁽⁶⁹²⁾.

إتسمت العلاقة بين آل الحرفوش والمسيحيين تارة بالصدقة والتعاون وتارة أخرى بالمشاحنات والخلاف، ذلك بحسب الظروف القائمة آنذاك التي عكست طبيعة تلك الأحداث، وأن أغلب الوقائع التي جمعت آل الحرفوش والمسيحيين (تم التطرق إليها سابقاً)، ذلك لأنها كانت متداخلة مع الأحداث الرئيسية التي تعرض لها أمراء آل الحرفوش طيلة أعوام حكمهم، وعلاقاتهما مع الإمارات المجاورة ، يذكر منها :

(٦٨٩) كانطاكية وجبيل وقبرص .

(٦٩٠) بطرس ضو، تاريخ الموارنة الديني والسياسي والحضاري ج٤، ط١، دار النهار للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٧٧، ص٨٧؛ الخوري ناصر الجميل، نبذات تاريخية في كنائس لبنان، دار النهار للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٩٥، ص٢٩-٣٠.

(٦٩١) سركيس ابو زيد، الموارنة (سؤال في الهوية)، دار ابعاد للطباعة والنشر، بيروت، ٢٠٠٠، ص٣٧.

(٦٩٢) بطرس الاباتي فهد، بطارقة الموارنة واساقفتهم، دار لحد خاطر، بيروت، ١٩٨٥، ص١٨٥. مارون حداد، طوائف لبنان (اقلية كبرى واقلية صغرى)، صحيفة الشرق الاوسط، ٢٥-٧-٢٠٠٨.

أبت قبيلة عرب الشقيقة⁽⁶⁹³⁾ عام ١٧٧٦م عدم دفع الجزية المترتبة عليها إلى الأمير محمد بن الحرفوش حاكم بعلبك، إستقدم الأمير محمد موسى وقتئذ شبلي المعلوف⁽⁶⁹⁴⁾ المشهور بسطوته وقوته وطلب المساعدة منه، فأعد له الشيخ المعلوف جيشاً وسلمه قيادته، لهزيمة أولئك العرب وتأديب رجالاتهم، فأبى ابن الحرفوش أخذ معه سوى خمسين فارساً منهم، فقصد بهما العرب وناصبهم القتال، وفي اثناء المناوشة كانوا يرشقونهم بالمقالع، ولكن شجاعة بن الحرفوش ورجاله مكنتهم من النصر عليهم وهكذا أرغموا على التراجع والاستسلام وتقاضى منهم المرتبات، وعاد ظافراً إلى بلاده⁽⁶⁹⁵⁾.

سكن بنو شبلي المعلوف عام ١٧٧٩م، بلاد بعلبك وتركوا موطنهم الاصلي في كفر عقاب، وكانوا يترددون منذ أعوام إلى تلك البلاد، فرأى منهم أمراء المدينة تلك البسالة والحمية ونشاطا حمله بنو شبلي المعلوف، أدى إلى حملهم على ترغيبهم في سكنى بلادهم، فوجدوا في تلك البقاع الخصبة موارد غزيرة للارتزاق، بعد إن أثقلت كاهلهم الضرائب الكثيرة، فأخذ منهم الأمير يوسف الشهابي في ذلك العام مالا للمرة الثانية، بلغ فيه ما ضربة على الطن الواحد من الزرع خمسة قروش⁽⁶⁹⁶⁾، فضلاً عن أن القلق كان سائدا في زمن الوالي أحمد باشا الجزار، الذي لم يثبت على حاله، فان المملوكيين قد رأوا، بان وطأة أمراء آل الحرفوش مع استبدادهم أخف محملاً من وطأة الجزار وعيثة في البلاد ونهبه للخيرات، فأسكنوهم في ذلك السهل الخصب ودافعوا عنهم بسطوتهم ونفوذهم، وكانوا بنو شبلي ثمانية⁽⁶⁹⁷⁾، فسكنوا المملوكيين أولاً لاسا⁽⁶⁹⁸⁾، ثم اقطعهم الأمير مصطفى محل قرية شليفة المروجة وما جاورها، ولاسيما وردين وبحامة فبنوا تلك القرية وصاروا أغوات آل الحرفوش⁽⁶⁹⁹⁾.

(٦٩٣) عرب الشقيقة: من عائلات طرابلس الكبرى، وترجع من قبيلة عقار بن خنثة بن جوارى بن وشاح بن فائد بن كعب دباب بنو سليم من عرب طرابلس. للمزيد ينظر : حسن نعمة ، الموسوعة اللبنانية ، ج ١، ص ٣٥٤.

(٦٩٤) بنو شبلي المعلوف: شيخ المملوكيين، وهم فرع من ابى عسوس من مسيح الكاثوليك، موطنهم الاصلي كفر عقاب. للمزيد ينظر، نصر الله ، تاريخ بعلبك ، ج ١، ص ٢٤٣.

(٦٩٥) المكي بن السيد بن الحاج مكي بن الخانقاه، حوادث حمص اليومية، صفحات للدراسات والنشر، بيروت، ٢٠١٢، ص ٣٢٤.

(٦٩٦) المعلوف، دواني القطوف، ص ١٧١؛ الشدياق ، المصدر السابق ، ج ٢، ص ٤٧٨.

(٦٩٧) هم : (طنوس ، عيسى ، موسى ، جرجس ، كنعان ، صليبي ، يوسف ، وفارسا) .

(٦٩٨) وهي الان قرية خربة قرب رياق حيث محطة السكة الحديدية الكبرى. للمزيد ينظر : حمادة ، المصدر السابق، ج ١، ص ٣١١.

(٦٩٩) المعلوف، دواني القطوف، ص ١٢٤؛ أسد رستم ، آراء ومباحث علمية ، ج ١، ص ١٣٤.

أستمرت تلك العلاقات الحسنة بين الطائفتين، حتى تغير الأمير مصطفى على سكان زحلة⁽⁷⁰⁰⁾ عام ١٧٨١م، واراد مغادرتهم من بلاده وهددهم بالإغارة عليهم، فكتب الأمير يوسف الشهابي للأمير مراد اللامي بجمع الزحليين ومهاجمة بر الياس، إذ كان الأمير مصطفى يفر إليها ويتخذها معقلاً للدفاع، فهاجمها الأمير اللامي مع رجاله ونهبها وخرب قلعتها، ثم نهب جنوده قرية النبي ايل، وقتلوا رجلاً من عشيرة بني حمية، فترك البعض من سكان البقاع بلادهم خوفاً حتى جاءهم مصطفى بن الحرفوش متعهداً لهم بالأمان، فعادوا إلى سكانهم، عندها ذهب الأمير محمد الحرفوش إلى دير القمر عام ١٧٨١م، فاراً من وجه اخيه الأمير مصطفى، فجهز الأمير يوسف الشهابي جيشاً بلغ خمسة الاف مقاتل لمساعدته تحت قيادة الأمير محمد بن الحرفوش وأنحاز إليهم المملوكيون (بسبب تغيير الأمير مصطفى على مسيحيي زحلة الذين كان بينهم المملوكيين)، فهاجموا بعلبك ودحروا الأمير مصطفى وهرب إلى مدينة حمص، ودخل الأمير محمد إلى المدينة، ولكن الأمير بن الحرفوش الهارب أستقدم من نواحي حمص جنداً كبيراً وتوجه بهما إلى بعلبك، وأخيراً تغلب الأمير مصطفى، لكثرة رجاله فدخل بعلبك وهرب اخوه الأمير محمد إلى زحلة عام ١٧٨٢م⁽⁷⁰¹⁾.

بعد إن استقرت الأمور بالأمير مصطفى هدد الزحليين وصادر الكثير من أموالهم، فاستولى على قرية شليفة عام ١٧٨٤م، التي قد اعطاها لهم سابقاً، لذلك سعوا إلى عزله لدى والي دمشق أحمد باشا بن العظم الذي توفي في العام نفسه، وتولى مكانه أحد مماليكه محمد باشا بن عثمان باشا الصادق الكراجي، فلم يطل بقاءه في المنصب أكثر من ثلاثة أشهر، فخلفه أخوه محمد درويش باشا فاتق الوالي مع الجزار على اخراج الأمير مصطفى من بعلبك، وأرسل جيشاً لمهاجمته فاتحد معه بنو المملوك للثأر من أمير بعلبك، فقبضوا عليه وعلى إخوته الخمسة، فقتل الوالي ثلاثة بينهم الأمير مصطفى، وسجن الباقين ونهبوا المدينة ونجا ابنه جهجاه من ايدي جنود أحمد باشا الجزار، بواسطة المملوكيين، بالرغم من أن أولئك أبغضوا الأمير مصطفى، إلا أنهم كانوا يرغبوا كثيراً لأبنه جهجاه⁽⁷⁰²⁾.

وبقيت بعلبك تحت حكم الآغوات حتى عاد الأمير جهجاه من عرب خزاعة العراق عام ١٧٨٦م جنوب البصرة، توجه حينئذ إلى زحلة وجمع منهم مائة مقاتل، في مقدمتهم بنو شبلي الذين مالوا اليه، وتمكن من خلالهم باسترجاع حكم بعلبك، فضلاً عن حدوث وقائع كثيرة قد تطرق إليها سابقاً، ادت إلى رفع شان بني شبلي المملوك لدى الأمير جهجاه، فكانوا يده اليمنى

(٧٠٠) بسبب انضمام البعض منهم في قوات الباشا أحمد الجزار .

(٧٠١) فؤاد خليل، المصدر السابق، ص ٦٣، فضل رعد، المصدر السابق، ص ٤٣

(٧٠٢) المملوك، تاريخ زحلة، ص ٤٢؛ دومينيك شوفالييه، المصدر السابق، ص ٤٨١.

وأعتمد على أرائهم، فانفتح الباب لهم فأخذوا وأستعمروا بلاد البقاع وبعليك مرة أخرى⁽⁷⁰³⁾، وبقيت تلك الأوضاع على حالها في مدينة بعليك، إلى عام ١٨١٩م، إذ ساءت بينهما العلاقة، على اثر حادثة القتل التي قام بها الأمير ذباب الحرفوش بن عم الأمير أمين حاكم بعليك نحو رجلان من أهالي زحلة، والحادثة، كما يلي:

ذهب الأمير ذباب إلى زحلة وكان معه في القطارة (محل استخراج القطران)، شخصين من سكان تلك المدينة، هما (مخايل بن بولس غرة، وبن هلال)، إذ حدثت مشادة بالكلام فيما بينهما وتطورات إلى نزاع عنيف، على أثر ذلك النزاع قام الأمير ذباب بقتل بولس، ولما بلغ الزحليين ما فعله بن الحرفوش استأثروا كثيراً منهم، فتربص به أهل القتل، وانتهزوا فرصة مجيء بن الحرفوش نفسه إلى زحلة، وقام بقتله كلاً من والد القتل (بولس غزة) وابن القتل (شاهين)، مع عمه هلال وهربوا بعد ذلك، وطلب الأمير بشير الشهابي إلى استقدام كلاً من أمراء الزحليين وآل الحرفوش، وسعى في اجراء الصلح بينهما، لكن أمراء بعليك رفضت الصلح، ولم ترضى بغير أجراء القصاص بالقتل، فاوغر هذا صدر الأمير بشير وتغير على آل الحرفوش، فقام الأمير جواد بن الحرفوش بقتل رجلين من أهالي زحلة، هما (الياس ابي خاطر، ومرعي شيب)، حيث كانا في بلدة بريताल، فازداد حنق الأمير الشهابي عليهم، واخبر الزحليين بان يجي عليهم بالعداء لآل الحرفوش والوقوف لهم بالمرصاد من أجل الثأر⁽⁷⁰⁴⁾.

وبلغ الأمير بطرس نجم المعلوف عام ١٨٢٤م، ان الأمير أمين موجود في بلدة بدنايل، التي كانت من املاك الأمير بطرس نجل المعلوف، فأخبر الأخير الأمير بشير الشهابي بذلك، فأشار اليه الأمير بن الشهابي بان يقوم بجمع شيوخ ورجالات مدينة زحلة، والسير نحو مكان الأمير أمين، والقبض عليه واقتياده أسيراً⁽⁷⁰⁵⁾، فجمعوا قومهم وساروا إلى بدنايل، فالتقوا برجال الأمير بن الحرفوش، ونشب قتال عنيف بينهما، وتمكن الأمير أمين من الفرار، ومن ذلك الحين أشتد العداة اكثر بين الزحليين والحرفوشين⁽⁷⁰⁶⁾.

وظل العداة بين آل الحرفوش ومسيحي زحلة، حتى اجتاحت الدروز دير القمر على أثر انسحاب القوات المصرية عام ١٨٤١م، أدى ذلك إلى قتل الكثير منهم، فضلاً عن تخريب قراهم ونهب أموالهم، وعاش سكان زحلة وشيوخها في حالة من القلق خوفاً من التعرض مرةً أخرى

(٧٠٣) فؤاد خليل، المصدر السابق، ص ٦٤، دومينيك شوفالييه، المصدر السابق، ص ٤٨٥.

(٧٠٤) المعلوف، دواني القطوف، ص ٢١٩.

(٧٠٥) سبب ذلك العداة بين آل الحرفوش والزحليين كان حادثة قتل الأمير ذباب بن الحرفوش شخص من أهالي زحلة عام ١٨١٩م، والأمير جواد بن الحرفوش قام بقتل شخصان آخران أيضاً من نفس البلدة عام ١٨٢٠م. للمزيد ينظر: الفصل الرابع، ص ٢٠٤.

(٧٠٦) كرد علي، خطط الشام، ج ٣، ص ٧٧؛ نصر الله، تاريخ بعليك، ج ١، ص ٣٣٠.

لهجوم درزي شبيه بما حصل في جبل لبنان عام ١٧٨١م، ولا سيما إن وضع سكان تلك المدينة كان حرجاً، لقلة عددهم ووقوع بلدتهم بين طوائف متباينة بعيدة عن مناطق الجبل، ما أعاق وصول المساعدات والنجدات بالسرعة المطلوبة، حينئذ قرر أمراءها وبموافقة الشيوخ والسكان، ان Retshad طلبوا المساعدة من آل الحرفوش، ذلك بسعي القنصل الانكليزي السر ريشارد وود ()، إلى ضمان وقوف لأسرة الحاكمة في بعلبك إلى جانب إهالي زحلة، وبموافقة والي ood دمشق نجيب باشا، وتم الاتفاق في بلدة بدنايل في الثالث من تشرين الاول عام ١٨٤١م، بوساطة الأمير سلمان بن عم حاكم بعلبك، وثابت البحمدوني أحد أعيان زحلة المشهور بالشجاعة والاقدام، فاتفقوا على وضع بنود للاتفاق، من أهمها نص على تقديم المساعدة والدفاع عن زحلة في حالة تعرضت لهجوم درزي أو أي هجوم آخر، وبالمقابل تعهدوا الزحليين بان تكون بلدتهم ملجأ لآل الحرفوش عند الضرورة⁽⁷⁰⁷⁾، واطلق عليه أسم اتفاق بدنايل⁽⁷⁰⁸⁾، وكان ذلك الاتفاق ضروري تبعاً لأهمية موقع المدينة الجغرافي، إذ انها أغلقت الاودية الشرقية لدمشق، فإذا دخلها الدروز أنفتح الطريق امامهم إلى قلب السناجق المسيحية، لذلك كان لمعركة زحلة اهمية تتجاوز البلدة إلى سائر المقاطعات المسيحية الأخرى، فكان الدفاع عنها مسألة بالغة الأهمية للدول الأوروبية وقناصلها المعتمدين في دمشق⁽⁷⁰⁹⁾، وعلى أثره دخل الأمير خنجر زحلة في يوم الاربعاء من الثاني والعشرين من تشرين الاول عام ١٨٤١م، مع ستمائة فارس، ودقت الطبول امامهم بقيادة حسن حمية من بلدة طاريا وسلمان الحاج سليمان من بدنايل، وزحفت القوات جميعها في الخامس والعشرين من الشهر نفسه بقيادة الأمير خنجر بن الحرفوش والياس بن إبي الياس من زحلة، فالتحما الطرفان مع الدروز المهاجمين تحت قيادة اسماعيل الاطرش وخطر العماد في منطقة شتورة وجلالا خارج المدينة⁽⁷¹⁰⁾، ففي ساعة المعركة إبلت القوات الزحلية مع حليفها بن الحرفوش بلاءً حسناً، أدى إلى هزيمة الدروز نحو منطقة القمل بعد إن أصيب زعيمهم شبلي العريان برصاصة في رقبته وإخوه علي بأخرى في فخذه، وقتل منهم نحو سبعين قتيلاً عدا الجرحى ولم يقتل من الزحليين إلا ثلاثة عشر واربعة وعشرون جريحاً، وقتل سبعة فرسان من رجال الأمير خنجر، فأمر الشبلي رجاله وهو مصاب بقطع إذان القتلى من

(٧٠٧) حمادة، المصدر السابق، ج ١، ص ٢٥١؛ المعلوف، تاريخ زحلة، ص ١٥٣.

(٧٠٨) ينظر: ملحق رقم (١٥).

(٧٠٩) المعلوف، تاريخ زحلة، ص ١٥٤؛ عادل اسماعيل، لبنان في تاريخه وتراثه، ج ١، مركز الحريري

الثقافي للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٩٣. ص ٢١٥.

(٧١٠) ابو يعلي حمزة ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، مطبعة الآباء اليسوعيين، بيروت، ١٩٠٨، ص ١٩٨.

الزحليين، وارسلاهن مع بن عمه خزاعي طلب العون من الشوف ووادي التيم وهوران، فجأته النجيدات من تلك البلدات بالخييل والرجال بالسرعة الفائقة⁽⁷¹¹⁾.

عاود الشبلي الكرة مرة أخرى بعد أن تعافى من إصابته، في الأول من تشرين الثاني من العام نفسه، بجيش بلغ عدده نحو ثمانية آلاف محارب من الدروز وحلفائه فهاجموا زحلة، فوضع الأمير خنجر بن الحرفوش حينئذ ثلاثمائة من رجاله في خندق قديم عند البيادر فقطع الطريق على قوات الدروز⁽⁷¹²⁾، فأدى ذلك إلى هزيمتهم وتبعثهم القوات المملوكيون ورجال الأمير خنجر وقتل منهم ثلاثمائة وأربعة قتيل عدا الجرحى، وقتل من زحلة أربعة وثلاثين وقتل من بلدة المعلقة أربعة عشر قتيلاً، كما قتل الأمير يوسف الحرفوش عند عين الفللة وأصيب الأمير منصور بن الحرفوش برصاصة، ما لبث أن مات بعدها بأيام في قرية النبي شيت، بعد انسحاب الدروز وصلت فرقة من الجيش بقيادة رشيد باشا وعسكرت في المعلقة، فقلق المسيحيون أن تكون غايتها المساعدة عليهم كما فعلت فرقة من القوات العثمانية الموجودة في دير قمر عندما احتلها الدروز⁽⁷¹³⁾، ولكن الأمير خنجر سارع لمقابلة القائد العثماني وسأله إذا كان اتيا لمساعدة الدروز أم النصاري فأجابه رشيد باشا، لست ضد أحد منهم، فنصحته وقتلها الأمير خنجر بأن منطقة المعلقة هي المكان الأنسب للبقاء فيه في هذه الحالة⁽⁷¹⁴⁾، الأمير خنجر لم يكن ثاقاً بحياد القائد العثماني خصوصاً ما حصل في دير القمر من انحيازهم إلى الدروز كان معروفاً من الجميع، لذلك طلب منه عدم الدخول إلى زحلة والبقاء خارجها في المعلقة بحجة المحافظة، فحمى الأمير زحلة مرتين الأولى من اجتياح الدروز والثانية من الدخول العثماني⁽⁷¹⁵⁾، منهم من قال، عنه: "لو لم يدافع الأمير خنجر الحرفوش عن شعاب زحلة ومداخلها لأجتاح الدروز كل دمشق"⁽⁷¹⁶⁾، وقال مؤرخ مسيحي معاصر لحصار زحلة: "بالحقيقة إن لآل الحرفوش الفضل ليس على

(٧١١) فضل رعد، المصدر السابق، ص ٥١؛ المملوك، تاريخ زحلة، ص ١٥٦.

(٧١٢) عباس أبو صالح ومكارم سامي، تاريخ الموحدين الدروز السياسي في المشرق العربي، المجلس الدرزي للبحوث والانماء، بيروت، د، ت، ص ١٦٥.

(٧١٣) مؤلف مجهول، علاقة الموحدين الدروز بالمسيحيين (دراسة تاريخية ونظرة مستقبلية _ في العلاقات الاسلامية - المسيحية - قراءات مرجعية في التاريخ والحاضر والمستقبل)، مركز الدراسات الاستراتيجية والبحوث والتوثيق، بيروت، ١٩٩٤، ص ١٨٩.

(٧١٤) محمود خليل صعب، قصص ومشاهد من جبل لبنان، مر: سامي نسيب مكارم، ط ٣، المجلس الدرزي للبحوث والانماء، بيروت، ١٩٨٠، ص ٢١٥.

(٧١٥) المملوك، دواني القطوف، ص ٢٣٢.

(٧١٦) حمادة، المصدر السابق، ج ١، ص ٣٥٦؛ بازيلى، تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين، ص ٣٧٤.

زحلة فقط، بل على كافة النصرانية في دمشق، لأنه لولا انكسار الدروز من زحلة لكانوا اذلوا النصرانية لدرجة متناهية بعد نصرهم السابق على اهالي دير القمر" (717).

تلك العلاقة الحسنة التي جمعت أهالي زحلة وآل الحرفوش لم تدم كثيراً، على أثر خلاف جديد حدث بين أمراء آل الحرفوش، هما (قدعاء، افندي وابنه فارس، وولدا الأمير سلمان تامر وداود)، مع رجل من سكان زحلة يدعى الشلق بمعنى الطويل، وهو رجل كردي عام ١٨٥٣م في بلدة تمنين، فقام الرجل الكردي بسبهم والسخرية منهم بالرغم من كثرتهم، أدى ذلك الأمر إلى غضب أولئك الامراء الحرفوشين منه وأسقطوه قتيلاً، فتحامل سكان زحلة عليهم، وتوجه المتهمون من آل الحرفوش بعد ذلك إلى بلدة المسيحيين كفر عقاب لطلب الامان ولأيجاد حل لهم، فاکرم المعلوفيون مثوالم نحو عام ونصف، إلى ان تمكنوا من أحلال الصلح بين حكام بعلبك ومسيحي زحلة (718).

أستمر ذلك الصلح بينهما حتى عام ١٨٥٤م، عندما قام الأمير حسين الحرفوش بأهانة رجلاً من اهالي زحلة في منطقة بدنايل والسخرية منه أمام بعض الاهالي تلك البلدة ، ما أدى ذلك إلى غضب البلدة ، إذ أجمعوا بشأن ذلك سكان في العشرون من تموز عام ١٨٥٤م، للتباحث حول طريقة الأسماك بالأمير بن الحرفوش، ذهبوا إلى منطقة الزبداني لملاحقة بن الحرفوش المذكور ،ومن ثم إلى سرعتين مفتشين بذلك على الأمير بن الحرفوش ولم يجدوه ، تدخل حينئذ بعض أعيان منطقة سرعتين وأقنعوهم بالعودة، فعادوا يوم السادس والعشرين من الشهر نفسه إلى بلدتهم، فجاء زحلة محمد سعد، هو احد أتباع حاكم بعلبك، وفاوض شيوخها وطلب منهم ان يذهبوا إلى بدنايل لملاقاة الأمراء سلمان وشقيقة خنجر أولاد الحرفوش وبالتعاون (وبعض الشيوخ بلدة سرعتين، Retshad oer مع القنصل الانكليزي المستر ريتشارد وود) فتداولوا بالمشكلة التي حصلت، وتم الصلح بينهما وفض الخلاف في التاسع والعشرين من تموز عام ١٨٥٥م (719)، ولكن سرعان ما وقعت حادثة قتل أخرى لشخص من أهلي زحلة من العام نفسه ، هي قتل ناطور زحلي في بلدة بريقال، و القاتل مجهولاً، لم يتعرف عليه احد، وأتجهت أصابع الاتهام حينها من سكان زحلة نحو محمد من بن الحرفوش، لسببين:

١. اهل البلدة كانوا من مناصري الأمير محمد بن الحرفوش.

٢. محمد بن الحرفوش كان مقيم فيها.

(٧١٧) شاهين مكاريوس، حسر اللثام عن نكبات الشام، مج ١، دار العراب للدراسات والنشر والترجمة، بيروت، ٢٠١٥، ص ١١٣.

(٧١٨) نصر الله، تاريخ بعلبك ، ج ٢، ص ٣٠٣.

(٧١٩) كمال الصليبي، منطلق تاريخ لبنان، ص ٢٦٥؛ محمود صعب، المصدر السابق، ص ٣٢٥.

نظراً لتلك الظروف قام أهالي زحلة بهجوم على تلك البلدة وأحرقوها، فأمر الأمير سلمان حاكم بعلبك بالاتفاق مع القناصل الأوروبية وقائمقامية النصارى، حينئذ جميع سكان البقاع وبعليكم، ان لا يقاتلوا الزحليين لمنع ردادات الفعل وأزالة الفتنة⁽⁷²⁰⁾، وبعث الأمير بشير أحمد أبو المم قانمقام النصارى رسالة مؤرخة في السابع والعشرين من حزيران عام ١٨٥٨م إلى مغبة البطريك الماروني حول العلاقات المارونية - الحرفوشية⁽⁷²¹⁾ التي تؤرخ وجوب اقناع أمير زحلة طانيوس شاهين عن التراجع عن مهاجمة قرى بلاد بعلبك، تبعاً للخلافات التي بينهما وتهدة الأوضاع⁽⁷²²⁾.

وعندما ألقى القبض على الأمير سلمان بن الحرفوش عام ١٨٥٩م أدى إلى ظهور بوادر تمرد بين حلفائهم وعلى اختلاف انتماءاتهم ومنهم الزحليين، فعلت الاصوات التي دعت إلى حمل السلاح والانضمام إلى الثورة التي أمتدت من كفر زيد في أواسط البقاع إلى سائر البلاد، وعلى اثرها أرسل أحد أعيان المسيح يدعى سرحان الهاشم الماروني رسالة، كتب فيها وصفا شاملاً للحالة الحاضرة، فقد كان حينها شاهد عيان لها ومشاركاً نشيطاً في تحركاتها، إلى أحد الوجهاء في جبل لبنان، الشيخ حسن همد⁽⁷²³⁾، تناول فيها الحالة العامة في البقاع من جوانب عديدة، مؤرخة في السادس والعشرين من نيسان عام ١٨٥٩م، وقال: "حال وصولنا إلى بلاد بعلبك بادرنّا بجمع الجماعة وصالحنا بينهم ووضعنا بينهم العهود الشرعية بانهم يعملوا بمشربكم ومشرب اوادم بيت حمادة الذي حضروا الجمعية وبادرنّا بجمع صوت حتى وصلنا لقرية كفر زيد بأول بلاد البقاع، تدلوا علينا ان عسكرهم قليل، والمانع لجمع الصوت هو المتسلم في بعلبك، والمراد ان يجفلوه حتى يخرج من بعلبك، وبعد ذلك تصير البلاد في يدهم، ويفعلوا بمشربنا"⁽⁷²⁴⁾، وبسبب الأنباء التي نقلها المهاجرون الجبليون عن الأمور التي حدثت في إمارة بعلبك والظروف التي ألت إليها، ذلك أدى إلى شحن النفوس بالتوتر والقلق⁽⁷²⁵⁾، إذ أرسل وكلاء عموم زحلة كتاباً إلى مغبة البطريك الماروني في الخامس والعشرين من أب عام ١٨٦٠م، نقلت صورة واضحة

(٧٢٠) حمادة، المصدر السابق، ج١، ص ٣٦٣.

(٧٢١) فضل رعد، المصدر السابق، ص ٥٥؛ الشدياق، المصدر السابق، ج٢، ص ٤٩٠.

(٧٢٢) ميخائيل الوف، المصدر السابق، ص ١٢٠؛ المعلوف، دواني القطوف، ص ٢٢٥.

(٧٢٣) حسن همد: عين مستشارا في قائممقامية جبل لبنان عن الشيعة في الحصين وكسروان سنة ١٨٤٥م، وعن السنة في جبيل في السنة ذاتها، واستمر لغاية ١٨٦٠م، للمزيد ينظر: الشيخ حسن همد - شيخ الطائفة الشيعية في جبل لبنان، اطلاله جبيلية (مجلة)، العددان ٣٢-٣٣، بيروت، ٩-٤-٢٠١١.

(٧٢٤) المعلوف، تاريخ زحلة، ص ١٦٧؛ محمود صعب، المصدر السابق، ص ٣٤٢.

(٧٢٥) نصر الله، تاريخ بعلبك، ج١، ص ٣٣٦؛ دومينيك شوفالية، المصدر السابق، ص ٤٨٩؛ بازيلى، سوريا

ولبنان وفلسطين تحت الحكم التركي، ص ٣٧٧.

عن أوضاع زحلة وسائر المسيحيين في البقاع وعلاقتهم بآل الحرفوش وشعورهم بان وجودهم لا يستقيم من دونهم، وهو شعور حقيقي ليس فيه محاباً، ولا مداراً، ولا مجاملة، لأنه موجه إلى المسيحي الاول، ولن يصل إلى مسامع غيره في كل حال، ونص الكتاب كالاتي: "يقضي انه عند حضور اولادكم لهذا الجانب وجدنا حاصلة المغايرة من طائفة الحمادية على تعلقا تنا، لزم اننا جعلنا الوسائط لأجل المسالمة مع جناب افندينا الامراء ال الحرفوش المحترمين، وتوجهنا للثم ايديهم وبوقته اندرج حال اولادكم وكل من النصارى الزراع توجه لمحطة وصار لجمع الباقي من مزروعاته، والان لقد اطلعنا على تحرير وارد إلى بعض جنابهم من احد نصارى بان طانيوس بك شاهين مراده ضرب العاقورة بسبب ان عيال جناب الامراء الموفى اليهم بالمحل المرقوم ... " (726).

(٧٢٦) المعلوف، تاريخ زحلة، ص ١٦٨؛ دومينيك شوفالييه، المصدر السابق، ص ٤٨٩.

المبحث الثالث/ نهاية الإمارة

بادر الأمير خنجر على أثر انسحاب المصريين عام ١٨٤١م، إلى مناصرة أهالي زحلة في حروبهم ضد الدروز الذين هُزموا في أحداث تلك الفتنة، فعاد الأمير خنجر إلى بعلبك منتصراً، وبقي أميراً عليها إلى أن ظهر النزاع الأسري من جديد عام ١٨٤٢م⁽⁷²⁷⁾، إذ أنطلق إلى ولاية دمشق الأمراء بشير، سعدون، شديد، وفدغم من آل الحرفوش، وحصلوا أمر بحكم بعلبك لحسين بن قبلان بن أمين الحرفوش من والي دمشق، بالرغم من أنه كان صغير السن ذلك لشهرة جده بين عامة سكان بعلبك واحترام حكومة دمشق للأمير أمين لرفضه تقديم الطاعة لإبراهيم باشا، فأقاموا له وصياً هو (الأمير سعدون) الذي تولى حكم الإمارة بدلاً عنه في عام ١٨٤٢م، فتوفي الأمير الأخير بعد توليه حكم الإمارة لعام واحد، فعاد الأمير حمد حاكماً على بعلبك عام ١٨٤٣م من جديد بعد أن تمكن من عزل الأمير حسين بحجة صغر عمره، ذلك كان بمساعدة والي دمشق، استقرت الأمور في تلك المدة في بعلبك، حتى ظهور الأمير محمد بن الحرفوش عام ١٨٤٥م، وعاد معه الصراع الداخلي مرة أخرى⁽⁷²⁸⁾، فذهب الأمير محمد في نفس العام إلى دمشق وتمكن من الحصول على أمر بعزل الأمير حمد وأخذ الولاية له، وكانت بمساعدة والي دمشق محمد اغا بوظو، فافرق الوالي معه على رأس جيش من جند الدولة والأكراد يبلغون خمسمائة فارس، لإعانة الأمير محمد بن الحرفوش لطرد ابن عمه في العام نفسه، فتوجهوا معاً إلى قرية بر الياس، ولما علم الأمير حمد بذلك الأمر جهز جيشاً من بلاده بينهم الكثير من فرسان ورجال المعلوفيين، وتوجه بهم لملاقاة الجيش القادم لقتاله، وخيم برجاله في قرية تمنين، لمدة ثلاثة أيام، حتى بلغه إن الأمير محمد وبوظو خرجا من بر الياس بجيشهما إلى بعلبك ليلمكاها، فلاقاهم الأمير حمد برجاله في منطقة الدلهيمة⁽⁷²⁹⁾، وهناك أحتدمت نيران القتال وسالت الدماء، فكادت فرسان الأمير حمد تتقهقر في بادئ الامر، لولا أنجاد المشاة أيهم فتم له النصر، وهرب جيش الاكراد بعد أن ترك نحو ستين قتيلاً في ساحة القتال، وقتل من رجال الأمير حمد بن الحرفوش ثلاثة وعشرين مقاتل، منهم الشيخ شبلي حيدر، وسقط منهم جرحى عدة، فعاد الأمير حمد إلى بعلبك ظافراً ومثبتاً حكمه⁽⁷³⁰⁾.

(٧٢٧) حماده، المصدر السابق، ج١، ص ٣٤٧.

(٧٢٨) الشدياق، المصدر السابق، ج٢، ص ٤٨٢، دومينيك شوفالية، المصدر السابق، ص ٤٧١.

(٧٢٩) محسن الأمين، أعيان الشيعة، ج ١١، ص ٣٤٠؛ فؤاد خليل، المصدر السابق، ص ٧٣.

(٧٣٠) حماده، المصدر السابق، ج١، ص ٣٥٠؛ المعلوف، دواني القطوف، ص ٣٦٦.

روى عامة السكان آنذاك قصيدة أما نظمها الأمير حمد أو مجهول ، لكنها عرفت على لسان الأمير حمد واشتهرت، ذكرَ أسماء بعض المعارك التي شارك وبرز آل الحرفوش فيها ، معدداً قومه ومفتخراً بتاريخهم، منها ما اشار بها إلى بوظو⁽⁷³¹⁾، ولبت الأمير حمد على منصة الحكم ستة أشهر فقط ، حتى تمكن الأمير محمد بن الحرفوش من استعادة حكم الإمارة في عام ١٨٤٦م ، وفي عام ١٨٤٧م توجه الأمراء يوسف بن حمد وشديد وخنجر من آل الحرفوش إلى والي دمشق ساعين إلى فساد ما ناله الأمير محمد من والي دمشق، إزاء تلك المنازعات والصراعات والفتن التي وقعت بين أمراء آل الحرفوش على حكم بعلبك ، قررت حكومة دمشق أنه من الحكمة العمل على تجزئة بلاد بعلبك و البقاع التي كانت من ضمن حكم أسرة آل الحرفوش إلى مقاطعات صغيرة، ويتولى كل أمير من أولئك الأمراء شؤون جهة منها، فأصدرت الدولة العثمانية في عام ١٨٤٨م فرماناً سلطانياً بشأن ذلك⁽⁷³²⁾، فأصبحت البقاع الشرقي من نصيب الأمير شديد، أما البقاع الغربي تحت حكم الأمير خنجر، في حين بعلبك أسندت إلى الأمير محمد ، ونصيب الأمير يوسف بن حمد القرى التابعة لبعلبك، لكن ذلك التقسيم لم ينهي تلك المشاحنات الداخلية بين الأمراء وخلافاتهم، إذ خرج الأمير محمد عن طاعة السلطه وجمع جيشاً من بلاد بعلبك ووادي العجم، وعاث فساداً في القرى والبلدات لزرع الرهبة في قلوب السكان والسلطة معاً ولجمع المال والاتباع حوله⁽⁷³³⁾، فدخل بعلبك وحكم البلاد رغماً عن أرادة الدولة، والتف حوله أقاربه وجموع انصارهم وأعلنوا رفضهم للجباية والتجنيد الإجباري والتدخل المباشر للإدارة العثمانية في بلادهم واتجهوا بعد ذلك إلى ولاية دمشق، فأرسلت الدولة عليه جيش بقيادة مصطفى باشا في الخامس من تشرين الأول من عام ١٨٥٠م، فانهزم الأمير محمد من امامه إلى قرية معلولا في الجبل الشرقي، وتحصن بها مع أخوته الأمراء (عساف، عيسى، و خليل)، وأولاد عمه آل حسن (فخذ من آل الحرفوش)، فحاصرتهم قوات الدولة العثمانية إلى أن

(٧٣١) قصيدة شعبية يعدد فيها مفاخر قومه وما اشتهر من ايامهم موجهة إلى قائد الدولة العثمانية ومطلعها:

ولك بوظو لا تسوق جنان انتم عشائر خصمكم فرسان

أسال العبد يوم اللي اتاه سلطان بارض الكرك، دعاه مبطحا

يا كراد يا سواقة حمارا مين اللي شار بحرب الامارا

اسال عجاج يوم قبلي قارا من يد ابي السعود دعاه ملقحا

بوظو كيف بعقلك تقول نحن خزاعكم فختنا طبول

انشد الهنادي يوم عين الوعول من يد ابي هذلا كم قتيل مطوحا . للمزيد ينظر : المعلوف، دوناني

القطوف، ص ٢٦٧؛ حماده، المصدر السابق، ج١، ص ٣٥١.

(٧٣٢) فؤاد خليل، المصدر السابق، ص ٧٤؛ بازيلى، تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين، ص ٣٧٤.

(٧٣٣) محسن الأمين، أعيان الشيعة، ج ١١، ص ٣٤٥ ؛ المعلوف، تاريخ زحلة، ص ١٨٧.

دخلت تلك القرية، فهرب الأمير خليل وأولاد عمه، وبقي الأمراء محمد، عيسى، وعساف محاصرين في كهف في تلك البلدة، رفضوا الاستسلام، وأستسلموا في القتال حتى هجمت عليهم القوات العثمانية، فقتلت الأمير عيسى وأسرت الأميرين محمد وعساف، ثم عاد القائد مصطفى باشا إلى بعلبك وطوقها بثلاثة آلاف جندي ودخل المدينة، ودخلوا أمراء العائلة الحاكمة مسالمين للتفاوض منهم الأمير حمد⁽⁷³⁴⁾، وأبنة الأمير يوسف، الأمير خنجر، الأمير سلمان، الأمير شديد، والأمير فاعور لكنهم غدروا بهم وأمر بالقبض عليهم، ومن ثم أرسلوا إلى دمشق ومن هناك نفوا مع الأمير محمد وعساف إلى جزيرة كريت⁽⁷³⁵⁾، وصل هؤلاء الأمراء سلفاً مقيدتين إلى بيروت واقتيدوا على متن باخرة عثمانية مبحرة إلى القسطنطينية، وبذلك الغيت إمارة بعلبك وتحولت إلى لواء في الثامن من تشرين الثاني من عام ١٨٥٠م، يقوم بأدارة شؤونها قائمقام تم تعيينه من الدولة العثمانية⁽⁷³⁶⁾.

أشارت تلك المعطيات، إن الفتن المتواصلة بين الأمراء حكام بلاد بعلبك، شجعت ولاية الدولة العثمانية بالتخلص منهم تدريجياً، فاصدرت فرمان سلطاني قضى بتجزئة البلاد إلى مقاطعات صغيرة، على رأس كل منها أمير حرفوشي، فاستغلت الدولة العثمانية ذلك الواقع، وسلمت حكم المدينة إلى متسلمين من آغواتها، فتجاوزت بذلك الأمراء المتنازعين (محمد، يوسف، شديد، وخنجر)، والغي السلطان العثماني عبد المجيد الأول (١٨٣٩-١٨٦١م) حكم الأسرة للبلاد عام ١٨٥٠م.

تولى قائممقامية بعلبك تيمور باشا بعد ما الغيت الإمارة، وقد أخذ على عاتقه مطاردة فلول أفراد آل الحرفوش الذين لم تطلهم أيدي مصطفى باشا، إذ بقي في المدينة مجموعة من أمراء تلك الأسرة، على رأسهم الأمير محمود بن الأمير حمد، فعصى ونهب بعلبك، فأرسلت الدولة العثمانية فرقة (الايا) المرابطة في ثكنة بعلبك التي بناها إبراهيم باشا، وبدأت الحملات تنطلق منها للقضاء على المتمردين، لكن تلك القوة لم تنه العصيان، ولما عجزت القوات العثمانية عن اخضاع الأمير المتمرّد، فاوضته وجنح إلى المسالمة فنال عفواً من والي دمشق، ودخل بعلبك مطيعاً⁽⁷³⁷⁾.

(٧٣٤) الأمير حمد: وهو أمير بعلبك الذي ثار في السابق على القوات المصرية، وبعد نفيه استمر مع ولده محمود ثائراً يجول القرى والبلدات، يهيج السكان على الاحتلال المصري. للمزيد ينظر ، فؤاد خليل ، المصدر السابق ، ص ٢٦.

(٧٣٥) حمادة ،المصدر السابق، ج١، ص ٣٥٢.

(٧٣٦) دومينيك شوفاليه، المصدر السابق، ص ٤٧٥؛ ستيفن ونتر، المصدر السابق، ٣٧٦.

(٧٣٧) يوسف الدبس، مختصر تاريخ سوريا ، ج٣، ص ٣٥٤؛ ستيفن ونتر، المصدر السابق، ص ٣٧٧.

عزل تيمور باشا وعين مكانه فرحات باشا في السابع عشر من أذار من عام ١٨٥٢م، فبدأ التمرد الاول للأمير سلمان، بعد أن اتهم زوراً بقتل ابن عمه الأمير محمود في قرية العين، وأدى هذا الاتهام إلى اثارته فاعلن العصيان وجمع الرجال، وأصدرت الحكومة المركزية أمراً بالقبض عليه وتقديمه للمحاكمة، ففر الأمير سلمان إلى القرى والبلدات المجاورة، من أجل الحصول على الرجال حوله، فسيطر على القرى وفرض الغرامات وقطع الطرق مخللاً بالراحة العامة، وتوجه بعد ذلك إلى طاريا ودخل في صراع عنيف مع أقاربه الامراء وهزمهم في تلك البلدة من اجل فرض السيادة⁽⁷³⁸⁾، وعزل فرحات باشا في العام نفسه، وعين القومندان صالح زاكي بك وكيلاً للقائمقائية في بعلبك، وجاء على المدينة مصحوباً بجيش بلغ عدده سبعمائة مقاتل، فأقدم الأمير منصور بن الحرفوش عم الأمير المقتول والشيخ أحمد حمية من أعيان بعلبك إلى بعلبك لمقابلة القائمقام، ذلك لأخذ أمر بقيادة فرقه مكونة من مائتي خيال بعد ان تعهداً للدولة بالقبض على الأمير سلمان قتيلاً او اسيراً وانهاء تمرد، ولما بلغ الأمير سلمان ذلك، فر من قرية طاريا إلى القرى المجاورة مع رجاله الخاصين، فاخذ يذهب القرى التي في طريقه، وجمع اليه خمسين فارساً أتمروا بأمره، وطارده الأمير منصور والشيخ أحمد حمية إلى ان التقيا به بعد ثمانية وعشرين يوماً في سهل قرية طاريا، فتناوشوا هناك وأسفرت المواجهة بينهما عن انهزام الأمير منصور ومن معه⁽⁷³⁹⁾.

ووصل الخبر إلى القومندان صالح بك، فسير جيش عام ١٨٥٣م متبعاً اثار سلمان، فتوجه هذا الأمير إلى القرى الشمالية من قرية طاريا واستمروا بملاحقة اثره لمدة شهرين، ولكن لم ينالوا منه فرجع الجيش إلى بعلبك، وعندها رأى الأمير سلمان ان العصيان لا يجديه نفعاً وان الدائرة لابد ان تدور عليه، فخضع للدولة العثمانية وأرسل كتاباً إلى حكومة بعلبك بذلك، ما اضطرت الدولة أن تصدر عفواً عنه عام ١٨٥٤م، وأكرمت عليه وعينته قائداً على مائتي خيال، وتشرفه بلقب سر هزار ومنحته راتب أربعين فارساً، وعهد اليه والي دمشق المحافظة على الأمن في بعلبك⁽⁷⁴⁰⁾ وكانت السلطات العثمانية وبحكم الأمر الواقع قدمته في مراسلاتها الرسمية⁽⁷⁴¹⁾ مشفوعة بالألقاب التكريم والتعظيم التي تعلق بأمور الأمن والتجاوزات، والتشريقات

(٧٣٨) المحبي، المصدر السابق، ج٤، ص٥٧١؛ فضل رعد، المصدر السابق، ص ٦١.

(٧٣٩) نصر الله، تاريخ بعلبك، ج٢، ص ٣٣٩.

(٧٤٠) المنير، المصدر السابق، ص ١٢٠؛ نصر الله، تاريخ بعلبك، ج٢، ص ٣٤٢.

(٧٤١) وردت نصوص اكثر من ثلاثين تحريرا منها موجهه الي الأمير سلمان من متصرفية لبنان بين عامي

١٨٥٤م، ١٨٥٧م. للمزيد ينظر: فيليب الخازن وفريد الخازن، مجموعة المحررات السياسية والمفاوضات

الدولية عن سوريا ولبنان، مج١، دار نظير عبود، بيروت ١٩٨٩، ص ٢٠٢-٢٠٤.

البرتوكولية مالم تخص به، فتودد اليه رجال الحكم في الولاية ومتصرفية جبل لبنان وقناصل الدول الأوروبية (فرنسا - انكلترا)، واصبحت له معهم علاقات قوية (742).

يمكن القول، بالرغم من وجود قائمقام على بعلبك، لكن بن الحرفوش يعد هو الحاكم الفعلي للبلاد، حيث أن حكومة دمشق لم تأب لوجود ذلك المتسلم من قبلها، وحتى الهيئات الرسمية كالقناصل ومتصرفية جبل لبنان فبقي تعاملها مع الأمير سلمان وتواصلت معه لمعالجة الأمور الهامة التي خصت المدينة.

وتولى القائمقامية في بعلبك عام ١٨٥٤م مصطفى راشد افندي، في بداية حكمه قتل الأمير منصور الشيخ أحمد حمية غدرًا، والصقت التهمة بالأمير سلمان، وفي نفس العام كشفت الحقيقة لمصطفى باشا، وأستطاع الأمير محمد وأخوه الأمير عساف الهروب من منفاهما في جزيرة كريت إلى قبرص، ثم إلى يافا ومنها إلى بلادهما، حيث دخلا جبل لبنان ومنه قصدا مسيحي زحلة التابعة لولاية بيروت، وتمكنا من أقناع سكان الجبل على الانضمام اليهم لمهاجمة الأمير سلمان الحرفوش (743)، وقد تمكن الأمير محمد بن الحرفوش لأهالي زحلة اقناع مسيحي دير القمر بالانضمام اليه بحجة، إنَّ الأمير سلمان قد هدد بعض مسيحي زحلة القائمين على حراثة الأراضي حول بعلبك بالطرد والقتل، فاجتمعت قوات هؤلاء المسيحيين متحدة وقدر عددها بألف مقاتل بين رجل وفارس، وقتئذ كان الأمير سلمان مقيماً على الطاعة للدولة في المدينة، وعندما سمع بالخبر جمع بعض الرجال من أتباعه، وذهب بهم من مقره في العين إلى بعلبك، مما أدى إلى حدوث تنافس بينهما، فتدخل الوسطاء وأعيان بعلبك من ذوي النفوذ، لإزالة الجفاء والخصام بينهما، وتوصلا إلى أقرار اتفاق بين الأميرين المتخاصمين من آل الحرفوش، هو تجزئة الراتب بينهما فيعطي كل منهما مقدار راتب عشرين فارساً مع أبقاء توطيد الأمن والأمان بينهما، فوافق الأمير سلمان بهذا الاقتراح وهو موطن النية على عدم اجرائه بوجه من الوجوه، معتقداً بأن والي دمشق لا يوافق عليه مطلقاً (744).

وذهب الوسطاء إلى والي دمشق وعرضوا عليه ذلك الاقتراح، بغية تسوية الأمور وحل النزاع بين الأمير محمد والأمير سلمان، فوافق الوالي على الاقتراح، وطلب منهما التزام السكنينة والهدوء، حينئذ بدأت الأمور تستقيم بين الأميرين، والدولة راغبة في العفو عن المنفي الهارب إذ اشتركوا في الأمتيازات التي خصت بها الأمير سلمان للاستمرار على طاعتها (745)، وأعفى القائمقام المذكور من منصبه وعين بدله محمد آغا عام ١٨٥٥م، وكانت الأوضاع شبة مستقرة

(٧٤٢) دومينيك شوفاليه، المصدر السابق، ص ٤٧١.

(٧٤٣) المعلوف، تاريخ زحلة، ص ١٩٢؛ كمال الصليبي، منطلق تاريخ لبنان، ص ١٢١.

(٧٤٤) ميخائيل الوف، المصدر السابق، ص ٤١٨؛ صحيفة الشرق الأوسط، السورية، العدد ١٠، ١٩٨٨.

(٧٤٥) كمال الصليبي، منطلق تاريخ لبنان، ص ٢٣٥.

داخل المدينة بوجود الأميرين الحرفوشين، دون أحداث تذكر، حتى عام ١٨٥٦م، ابدل محمد آغا بعبد الرحمن باشا عام ١٨٥٧م، ثم بعبد الله بك العظم عام ١٨٥٨م⁽⁷⁴⁶⁾. وقد حدثت واقعة الحديدية بين محمد الخرفان احد امراء قبيلة الموالي⁽⁷⁴⁷⁾ وبين العرب الحديدية⁽⁷⁴⁸⁾ بسبب عداوة شديدة نتيجة خلاف قديم بينهما⁽⁷⁴⁹⁾ أدى إلى مشاجرة ومن ثم تطورت إلى حدوث تصادم بالنيران في الأول من تشرين الثاني من عام ١٨٥٨م، أجلت عن انهزام بن الخرفان من وجه خصومه الذين تتبعوا أثاره حتى قرية القاع على حدود بعلبك، فاستجد وقتئذ محمد الخرفان بالأمير سلمان الحرفوش لمساعدته بجيش لمناهضة عرب الحديدية، فلباه وجمع الجموع العديدة من جميع بلاد بعلبك وكان فيه جماعة من المعلوفيين المعروفين، وكان حامي العلم الحاج سليمان وياغي الطفيلي من أعيان بعلبك⁽⁷⁵⁰⁾، وسار بهم لملاقاة العدو الذي سار امامه حتى مقام زين العابدين، فلما بلغ قوات الأمير سلمان بن الحرفوش ذلك المحل، ابتدأت الموقعة هناك في الثامن من تشرين الثاني من عام ١٨٥٨م، وهجم بعضهم على بعض، ونشبت نيران الحرب بينهما، فابلي رجال الأمير بن الحرفوش قتالاً شرساً، واشتهر إبراهيم عيسى المعلوف من المعلوفيين المشاركين بهجومه على الاعداء واصابتهم بالرصاص، فزهقت الارواح وانكسرت على اثره العرب الحديدية، وقتل منهم اكثر من ثلاثمائة مقاتل فانهزموا⁽⁷⁵¹⁾، بعد ثلاثة أيام عادت قوات العرب الحديدية بعد انّ نظموا جيشهم والتحما الطرفان، لكن قوات جيش الأمير سلمان طمعوا وشغلهم النهب والسلب، واستغلت هذا الوضع قوات العرب الحديدية، فتقدم محمد الخرفان وأهدها الأمير سلمان افخر البنادق ووعدته ان يزوجه أبنته أمام الأمير محمد الحرفوش ابن عمه، فأوغر ذلك صدر الاخير حقدا الذي ابلى بلاءً حسناً في المعركة فلم ير مكافأة ولا تكريماً⁽⁷⁵²⁾، فانتشى على محمد الخرفان ورماء بالرصاص فقتله، عندئذ طمع الأعداء بهم فأعادوه الكره عليهم بنبات جاش فدحروهم، فانهزمت رجال الأمير سلمان شر هزيمة، وتبعتهم العربان إلى قرب مدينة حماة وهناك تركوهم، ورجع الأمير محمد وجيوشه إلى بعلبك مغلوبين، وقد قتل منهم نحو تسعين رجلاً⁽⁷⁵³⁾.

(٧٤٦) المنير، المصدر السابق، ص ١٢٥؛ أحمد الحلاق، المصدر السابق، ص ٢٢١.

(٧٤٧) الموالي: ينتشر الموالي بين معرة النعمان والبادية التدمرية.

(٧٤٨) ينتشر الحديدون بين حماة وحلب، ومحمد الخرفان من شيوخهم التاريخيين واهم امرائهم.

(٧٤٩) نزاع القبيلتين قديم على الملكية بينهما واستمر الخلاف ما بعد الأمير سلمان الحرفوش، وتمت التسوية بينهما عام ١٩٢٨، واخر ما وقع من صدامات كبيرة جرت عام ١٩٣٣م.

(٧٥٠) ستيفن ونتر، المصدر السابق، ص ٢٢٤، صحيفة النقد، الدمشقية، العدد ١٥، ١٦-ايار-١٩٣٠.

(٧٥١) المنير، المصدر السابق، ص ١٢٥؛ نصر الله، تاريخ بعلبك، ج ٢، ص ٣٤٧.

(٧٥٢) حمادة، المصدر السابق، ج ١، ص ٣٥٧؛ كمال الصليبي، منطلق تاريخ لبنان، ص ٢٣٧.

(٧٥٣) المعلوف، دواني القطوف، ص ٣٦٨؛ فضل رعد، المصدر السابق، ص ٧٧.

بعد وقائع انهزام الأمير مع عرب الحديدة، التي عكست صورته امام الباب العالي فلم ترضى السلطة العثمانية على موقفه ذلك ، فعزلت عبد الله بك العظم عن قائممقامية بعلبك، وعينت بدلاً عنه فارس آغا قدور عام ١٨٥٩م، وكان بصحبته مائة وخمسون فارساً، وجاءت تلك القوة للقبض على الأمير سلمان، وحرّم القائمقام الجديد الأمير سلمان راتب الفرسان الموظف عليه قبلاً، وعندما علم الأخير بالأمر، حينئذ عصى على الدولة مرة أخرى فأرسلت الدولة العثمانية القائد حسني باشا لألقاء القبض عليه ، فدخل الأمير سلمان إلى زحله متخفياً عام ١٨٥٩م فبقى فيها يومين، شجعه على ذلك اعتقاده من اخلاص الزحليين له بعد تاريخه الطويل في مؤازرتهم والدفاع عنهم، لكن الذي حصل غير متوقع، حيث وشى به بعض الأهالي من المدينة للقائد العثماني عن مكانه فوقع في قبضتهم مرة أخرى في الثاني عشر من كانون الثاني عام ١٨٥٩م، إذ كان إمراء آل الحرفوش يتخذون زحلة ملجأ لهم وسكانها عضداً منذ القديم، وكان اتفاق بدنايل يقضي باتخاذها مكاناً آمناً يحتمون فيه عند الازمات، كما دونت في السابق⁽⁷⁵⁴⁾، وقدم به إلى بعلبك ومنها أرسل إلى دمشق فسجن فيها، ولما بلغ ذلك أخوه الأمير اسعد وابن عمه الأمير محمد، جمعا من اتباعهما وهجما في ليلة السابع والعشرين من شباطي عام ١٨٥٩م عند انبثاق الفجر على بيت القائمقام فارس آغا قدور للقبض عليه، ولكنه اختبأ فلم يجدها فقتلا اربعة من أتباعه ونهبوا جميع ما تملكه يدها من الاسلحة والخيول والنقود وفروا سالمين إلى قرية زحلة، وأخذوا ينهبان ويقلقان سكان في سائر بلاد بعلبك، وصعدوا في حركاتهم المناوئة للدولة، فتوجه فارس آغا قدور إلى دمشق، ثم رجع مصحوباً بخمسمائة جندي وقائدهم حسن آغا اليازجي للعمل على توطيد الأمن والراحة داخل بعلبك ولكنه فشل في القضاء على الثائرين⁽⁷⁵⁵⁾.

فبعد إنّ اقام الأمير سلمان في السجن في عام ١٨٥٩م على نحو سبعة أشهر ، قام بالهرب هرب وتوجه نحو حماه وبقي فيها اربعين يوما وبعدها عاد إلى وطنه عام ١٨٦٠م ، واختباء عن الأنظار نحو شهرا، ثم شاع خبره، بانه يجول في البلاد ويدعو إلى التمرد ويجمع الرجال ويتحدى الدولة، وامام عجز الحاكم العثماني فارس آغا عن معالجة الأمر طلب المساعدة من الدولة العثمانية ، فأمدته بخمسمائة مقاتل نظامي بقيادة حسني باشا للقضاء على ذلك التمرد⁽⁷⁵⁶⁾. عزل فارس آغا قدور عن منصبه في عام ١٨٦٠م، وعوض عنه بمحمد راغب افندي والأميرين (سلمان، وأسعد)، ما زالاً هاريين ومطاردين من حكومة دمشق الجديدة، قام الأمير أسعد بعمل المفاوضات مع حسني بك والقائمقام محمد راغب افندي، أدت إلى عودة الأمير اسعد الحرفوش إلى

(٧٥٤) ميخائيل الوف، المصدر السابق ، ص ٨٨.

(٧٥٥) ستيفن ونتر، المصدر السابق ، ص ٣٨٧ .

(٧٥٦) المنير، المصدر السابق، ص ١٩٧ ؛ يوسف الدبس، مختصر تاريخ سوريا ، ج ٣، ص ٣٨٧.

الطاعة وتعيينه مأموراً على تهدئة الأمور في الفتن الطائفية التي كانت على أشدها وجعلته يوزباشي على منتي خيال، انهى الأمير التمرد ، وعاد إلى طاعة الدولة التي كلفته بالمهام الأمنية للبلاد ، وساهم في ذلك العفو يوسف الكرم الذي تدخل مع فؤاد باشا لإقراره، ثم عاد سلمان إلى القيام واقعياً بمهام حاكم بعلبك⁽⁷⁵⁷⁾.

قام حسن همدرد عضو مجلس قائممقامية المسيحية عام ١٨٦٠م بعمل وساطة ما بين الأمير سلمان والدروز لتقوية مركزه ونفوذه، ذلك لما قام به الزحليون تجاه الأمير سلمان ونجحت Le Comte Bentivolio الواسطة وتحالفا الأميران، لكن هذا التحالف أقلق القنصل الفرنسي الكونت بوننتيغوليو (، الذي أدى إلى قيام جبهة عسكرية في وجه القوات الفرنسية المرابطة في Comte Bentivolio تلك المناطق، وهكذا أصبح القضاء على آل الحرفوش مصلحة مشتركة بين الدولتين، فكان القنصل الانكليزي أقترح على حكومته ضرورة القبض على كل فرد من أسرة آل الحرفوش بسبب قوتهم وظلمهم وثوراتهم ، وضرورة إبعاد أميرهم عن البلاد السورية، وأما القنصل الفرنسي أعرب عن المخاوف إلى حكومته من إن شكل أولئك الأمراء تهديداً للقوات الفرنسية المرابطة في دمشق بتوجيه من المنافسة الاولى لدولته وهي انكلترا، فكتب القنصل الفرنسي العام الكونت بوننتيغوليو (بتاريخ التاسع من ايلول في عام ١٨٦٠م، ما M.Thuvenel إلى وزير خارجيته توفونيل) نصه: "ان هجرة الدروز نحو حوران توقفت، ولا يفكرون الدروز الا بنوع من التحالف الذي اوشك ان يبرم مع امراء آل الحرفوش لمقاومة أي هجوم فرنسي يشن عليهم بالتعاون مع الفرق العثمانية"⁽⁷⁵⁸⁾.

وقتنذ كلف الأمير سلمان بحكم مناصبه الرسمية من حكومة دمشق بأمر غير راضٍ عنها ،ولكنه كان مجبراً عليها كمطاردة المطلوبين من أقاربه كحميد وأخيه عساف عند هروبهما من المنفى وأعلانهما العصيان والتجائهما إلى الشيخ حمادة في شمسطار القرية الواقعة غربي بعلبك من أعمال جبل لبنان والخارجة عن سلطة الولاية، وايضا أمره حليم باشا بالإغارة على الهرمل⁽⁷⁵⁹⁾.

يستدل مما سبق، أن أيقاع الصدام بين الأسرتين كان رغبة الدولة من التخلص منهما معاً أو من الأمير سلمان المتمرد المشاكس، فدفعته على القيام بهذه المغامرة الشائكة التي أثارت مشكلة سياسية.

(٧٥٧) كمال الصليبي، منطلق تاريخ لبنان، ص ٢٣٩ .

(٧٥٨) فؤاد خليل، المصدر السابق، ص ٧٨؛ حمادة، المصدر السابق، ج ١، ص ٣٥٨ .

(٧٥٩) كرامة، المصدر السابق، ص ١٣٤؛ انطوان شعبان، هاجم الحماديون مناطق الحرافشة وردا على انتهاك سيادة الجبل، الديار (مجلة) العدد ١٦، آذار - ٢٠٠٠.

أما على الصعيد الدولي لم تكن في حسابات حليم باشا، فضلاً عن ما نتجت عن تلك المهمة من ذيول محلية مع شيوخ المقاطعات المجاورة، أدت تلك الغارة إلى إن الحماديون يقومون بشن الغارات على بعلبك، ومن أهمها التي كانت على عيون ارعش، ولم تنتهي تلك الغارات إلا بانحسار وجود آل الحرفوش الفعال عن البقاع وبلاد بعلبك نهائياً، فضلاً عن ان الدولة طلبت منه ان يرافق قافلة الحج مع فرسانه، فأقلق الأمير سلمان وقتها من غدر الولاية وأعلن العصيان عام ١٨٦١م مره أخرى (760).

أشار ذلك أن التقيد بأوامر الدولة والأنصياح لأرادتها سهلاً على الأمير سلمان الحرفوش، بحسب طبيعته ونشأته وتراث أسرته تتناقص ذلك، يتوق دائماً إلى إمارته المغتصبة حيث كان يمارس سلطته مستقلاً دون قيود بالرغم من انه الأمير الواقعي وموضع الطاعة والأحترام من الجميع، إلا إن كرهه الموروث للسلطة العثمانية وخبرته معهم وتاريخ قومه ، أخذ موقف الحذر منهم والمرتاب بمصداقيتهم.

عندما حضر حسني بك لجمع القرعة العسكرية في بعلبك التي لم تكن موجودة سابقاً في المدينة أثناء حكم آل الحرفوش، كانت تلك هي المرة الاولى التي اعتمدتها الدولة في الخامس عشر من نيسان عام ١٨٦٤م، ولما بلغ الأمير سلمان ذلك، استأمن بحسني باشا فعفى عنه، لكن اقاربه واتباعه ورجاله لم يرض بذلك فدعوه إلى الثورة والعصيان ، عاد إلى الثورة بأغراء ذويه وأتباعه وللمرة الرابعة، وأخذ من أهالي قرية يونين خمسة الاف قرش دون رضاهم ، ثم قام هو وأتباعه يطوفون البلاد من أجل جمع المال لأجل تجهيز القوات للقيام بالثورة على حكومة دمشق ،فتقدم حسني باشا بالجيش المركزي وتبع أثارهم ، فالتقى بهم في أراضي قرية الشعيبة في الجبل الشرقي، فامر قوات الشاهانية بالهجوم عليهم وردتهم على أعقابهم ،فولوا هاربين طالبين النجاء حتى وصلوا شمالاً إلى بلدة الفاكهة، ثم عبروا إلى الجبل الغربي وخيموا في قرية عيون ارعش (761)، وكان حسني باشا يقتص أثارهم، وعندما خيموا في تلك القرية للاستراحة وتناول الطعام، وإذا بالقوات المركزية قامت بمداهمتهم ونشبت بينهم معركة أسفرت عن انهزام الأميرين وأتباعهم، فاسر الأمير حسين قبلان بن الأمير قبلان وياغي بن موسى الفارس الشهير وخدامهم المخلص، فجاء بهم إلى بعلبك، أما ياغي تابعهم الأمين فقد شق عام ١٨٧٤م في المدينة بعد أربعة أيام من أسره (762) ، داهم الأمراء فارس وتامر وداوود من آل الحرفوش قائمقام بعلبك لقتله، وقتلوا اثنين من أتباعه، وتمكن رجال الدولة من القبض عليهم، وأرسلوا مع الأمير حسين إلى دمشق ونفي الجميع إلى مدينة ادرنه م عام ١٨٦٥م مع حريم سائر آل الحرفوش، ولم يبق من

(٧٦٠) كمال الصليبي، منطلق تاريخ لبنان، ص ٢٣٩ ؛ أحمد الحلاق، المصدر السابق ، ص ٢٢٥.

(٧٦١) المنير، المصدر السابق، ص ١٢٧؛ المحبي، المصدر السابق، ج ٤، ص ٥٧٤ .

(٧٦٢) نصر الله، تاريخ بعلبك، ج ٢، ص ٣٤٨ .

المتمردين، إلا الأمير سلمان وأخوه الأمير أسعد ما زالاً فارين حتى سئم الأمير أسعد من ذلك، فأطاع وحده لحكومة دمشق، وأرسل منفياً إلى أدرنه، وبقي الأمير سلمان وحيداً، مريضاً، ومطارداً من الدولة، وأنحاز الأمير سلمان إلى يوسف بك كرم الذي كان عاصياً وقتئذ في جبل لبنان، فأصبح من أكبر أنصاره، فأمضى الأمير سلمان عامه الأخير قاتل مع صديقة القديم يوسف كرم الذي سعى يوماً لدى فؤاد باشا للحصول على عفو شمل أمراء آل الحرفوش، وقد خاض معه معظم معاركه في أنحاء مختلفة من ولاية دمشق⁽⁷⁶³⁾.

هاجم الأمير سلمان مع صديقة يوسف كرم في التاسع عشر من شباط عام ١٨٦٦م، بلدة غزير من ناحية البحر والجبل، لكنها نجت من التدمير بفضل الفرق العسكرية التي أرسلت لحمايتها، وبذل مدير غزير أفندي شهاب محاولة للإيقاع بين كرم وبين الحرفوش، فأرسل برقية إلى داوود باشا في الواحد والعشرين من آذار عام ١٨٦٦م، أخبره عن عرض قدمه للأمير سلمان بقتل رفيقه لقاء وعد بالعفو ضمنه قنصل فرنسا المقيم في بيروت مباشرة بعد الهجوم على غزير⁽⁷⁶⁴⁾.

يمكن القول، أن الغاية من إرسال الفرق العسكرية في بلدة غزير، كانت على الأرجح نوعاً من المناورات التي لجأ إليها الحاكمون عند عجزهم عن وضع حد لتمرّد الصديقين بغية التفريق بينهما.

وجرت آخر معارك الأمير سلمان مع قوات الدولة العثمانية في عين عطا في جبل لبنان الشرقي على مقربة من بعلبك عام ١٨٦٦م، أذ انسحب على أثرها الأمير سلمان وصديقه تاركين في الميدان عدداً من القتلى والجرحى، بعد ساعات عدة برفقة أربعة فرسان من رجالهما. فافترقا الصديقان عام ١٨٦٦م⁽⁷⁶⁵⁾.

وتعددت الروايات حول مكان القبض على سلمان وظروفه، كما اختلفت في كيفية موته وملابساته، وكان الأغلبية أعتمد على بيت في قصيدة⁽⁷⁶⁶⁾ شهيرة مغناة وردت على لسان سلمان عند القبض عليه وهي تعد على شكل رساله موجهة إلى أخيه الأمير اسعد الذي كان حينها في المنفى⁽⁷⁶⁷⁾، بعد معركة عين عطا تفرق رجال سلمان وهرب هو إلى زيتا، هي قرية صغيرة تقع على الحد الفاصل بين بلاد حمص وبلاد بعلبك شمالي الهرمل على بعد اميال عدة منها، في

(٧٦٣) أحمد عارف زين الدين، تاريخ الشيعة، العرفان (مجلة)، مج ٣، العدد ١٥، بيروت، ١٧-١٠-٢٠١٦.

(٧٦٤) أحمد الحلاق، المصدر السابق، ص ٣٢٤؛ كمال الصليبي، منطلق تاريخ لبنان، ص ٢٣٧.

(٧٦٥) الشدياق، المصدر السابق، ج ٢، ص ٤٨٧.

(٧٦٦) حسن درويش يا أسعد خان في ورماني بالمهالك والردى. للمزيد ينظر : حمادة

، المصدر السابق، ج ١، ص ٣٧١.

(٧٦٧) فؤاد خليل، المصدر السابق، ص ٨٦.

وسط أملاك الحماديين التي ساءت علاقته بهم ، بعدالغارة الاخيرة للأمير سلمان على الهرمل، ذلك تنفيذاً لإمر حليم باشا،أبت نفس الامير الابية إن يقصدهم لاجئاً مع سوء العلاقة وهم أخواله كما كانت عادة اهله في الظروف العصيبة ، حينها كان مصاباً بمرض الجرب، فاخفى في مغارة منعزلة مع خادمه حسن درويش^(٧٦٨)، الذي رباه الأمير سلمان من صغره، وابن أخيه فدعم الفتى الذي لم يتجاوز الثانية عشرة من عمره ،فارسل الأمير خادمه إلى حمص ليجلب له دواء، لكنه وشى به لدلوالي دمشق هولوا طمعا بالمكافأة، فحضر الوالي بجيشه فاسر وقيد على فرسه ونقل إلى دمشق سجيناً ونجا ابن اخيه ليروي ما حدث عام ١٨٦٦م، فسجن وجرى ذلك في عهد قائمقام بعلبك محمد بك يوسف^(٧٦٨).

تدارس أعيان وذوي النفوذ في دمشق منهم حسن همندر وبشير الشهابي وغيرهم موضوع سجن الأمير سلمان ،وقرروا زيارة الوالي للتباحث بشأنه، فلما علم الوالي بعزمهم ذلك سارع إلى قتله ليلاً،خوفاً من مطالبتهم بإطلاقه أو بالحفاظ على حياته^(٧٦٩)، قتل الأمير سلمان بيد العثمانيين كمعظم أبائهم وأجداده،بعد إن تشتت أقاربه بين قتيل ومنفي في جزيرة كريت وادرنه واناضول ومصر وغيرها من الأمصار، التي قلما سمع باسمها من بقي منهم في بلادهم، فقد كل رجل منهم عظيم القدر من الفراغ الذي خلفه مردين مع الأمير سلمان أو مع من قال على لسانه البيت الذائع من الشعر^(٧٧٠)، الذي قال من لا يحفظه وردده من أهالي بلاد بعلبك والهرمل وسكان البوادي والمدن حتى حلب والجزيرة^(٧٧١).

تمكنت الدولة العثمانية من التحكم في مصير أمراء بعلبك أخيراً، وهو أمر عجزت عنه طويلاً فيما مضى، حتى حريم الأمراء وصغارهم لم ينجوا من مشقة الأسى ومعاناته، فقبضت عليهم الدولة وارسلتهم إلى بلاد لم يسمع بها كادرنة، وكريت، فضلاً عن هروب بعضهم إلى دمشق،والقاهرة وسائر مدن ومناطق الأمبراطورية،وقد صادرت الدولة أموالهم وبيوتهم واملاكهم^(٧٧٢)، وخصصت لكل فرد منهم راتباً شهرياً أسمته بدل أملاك مضبوطة^(٧٧٣)، وبقي المورد الوحيد للمشردين منهم في مختلف مناطق البلاد حتى سقوط الدولة العثمانية عام ١٩١٤م، وأوامر دفع عثمانية ،فرنسية، وسورية وبقيت الحكومة تدفع لهم في عهدي الانتداب

(٧٦٨) ينظر : ملحق رقم (١٥).

(٧٦٩) المعلوم، دواني القطوف، ص٣٧٣ ؛ المحبي، المصدر السابق، ج٤، ص ٣٦٥.

(٧٧٠) يا ذلك يا بعلبك بعد سلمان صرتي مراح لخيول العدا،هذا ما روته ابنة ابن شقيقة ورد الحرفوش،وهي اخر أميرات العائلة من القرن الماضي . للمزيد ينظر : حمادة، المصدر السابق، ج١، ص ٣٧٢.

(٧٧١) فؤاد خليل، المصدر السابق، ص٨٩، عمر بهيج اللقيس، الامراء الحرافشة، اطلالة جبلية (مجلة)، العدد ٢٥، بيروت، ايلول-٢٠١٦.

(٧٧٢) ينظر :ملحق رقم (١٦).

(٧٧٣) ينظر: ملحق رقم (١٧) .

والاستقلال، اما القلة التي بقيت في بعلبك فقد استمرت الدولة المنتدبة بدفع مرتباتهم حتى الاستقلال⁽⁷⁷⁴⁾.

أستدل مما سبق، أستمرت مقاومة الامراء ورفع آل الحرفوش كعادتهم لواء الثورة والتمرد من جديد وكان على راسهم الأمير سلمان بالرغم من كل النكبات، وقد كان للأمير سلمان دور ريادياً في تسيير شؤون لواء بعلبك، وقد شهدت على ذلك المحررات السياسية بين عامي (١٨٥٤م - ١٨٦٠م) من القناصل الفرنسية والبريطانية ، لكن انخراط سلمان في الصراع بين عرب الحديدية وعرب الموالي عام ١٨٥٨م، فقدته النفوذ السياسي، ما دفع الدولة إن تتعقبه وتطارده، فألقي القبض عليه وأرسل إلى سجن دمشق وتوفي فيه بعد ثلاثة أيام من اسره، وهكذا كان انقراض حكم آل الحرفوش في بعلبك، وانقرضت معه العائلة الشهيرة التي حكمت المدينة والتي مثلت دوراً مهماً في تاريخ البلاد، بعد ان حكمت فيها على نحو اربعة قرون، ومثلت دوراً مهماً في تاريخها، إذ لم يبق منها منذ ذلك الحين إلا بعض الافراد الذين تفرقوا في نواحي البلاد السورية واللبنانية والذين لم يعد لهم أي نفوذ سياسي في البقاع وبلاد بعلبك، وبانتهاء حكم آل الحرفوش انتهى زمن الاقطاع في لبنان.

دور الرأي العام الدولي في نهاية آل الحرفوش :

ساعدت بريطانيا السلطان العثماني عبد المجيد الأول (١٨٣٩-١٨٦١م)، في حروبه لاستعادة البلاد السورية من سيطرة إبراهيم باشا عام ١٨٤١م، وخرجت الدولة العثمانية من تلك الحرب كصاحبة النفوذ الاوروبي الاول في عاصمة السلطة وسائر انحاءها، فأصبحت السياسية الفرنسية بنكسة خطيرة، أدت إلى تراجع نفوذها أمام منافستها الكبرى بريطانيا ،قام المعتمدون البريطانيون بالتدخل في أخص الشؤون الداخلية العائدة للولاة العثمانيين وللسلطان في استنبول الذي وقع أسير النفوذ البريطاني، بعد إن أمن النصر في تلك الحرب الشاقة، وقد بالغت السياسة البريطانية في ولاية دمشق في عدائها لأسرة آل الحرفوش خاصة ما بين (١٨٥٠م) و(١٨٦٥م)، وكان لتلك الدولة، دور واضح في التأثير على السلطات العثمانية لملاحقة إمرائها De- واستئصال نفوذها، وحتى وجودها من بلاد بعلبك. أرسل القنصل الفرنسي لسباردا (المقيم في بيروت تقريراً إلى وزير الخارجية الفرنسية الفيكونت دولاهيت Lesparde (بتاريخ الثامن من تشرين الثاني عام ١٨٥٠م، جاء فيه: "في نفس ALfekont dolahet) الوقت الذي انفجرت فيه الثورة في حلب ثارت أسرة آل الحرفوش إمراء بعلبك والبقاع وقصدوا دمشق ولكنهم حوصروا في معلولا التي غالب سكانها من المسيحيين فانهزموا وألقي القبض

(٧٧٤) يوسف الدبس ، مختصر تاريخ سوريا ، ج٣، ص ١٦٣؛ وضحة سعيد شعيب، قياسات من تاريخ آل الحرفوش، دنيا الوطن (مجلة)، العدد ١٢، بيروت، ١٢-٨-٢٠١٤.

عليهم ونقلوا إلى دمشق، فيما انصرف العسكر التركي كعادته إلى القتل والنهب، ووصل امراء العائلة الحاكمة لبلاد بعلبك مقيدون إلى بيروت، ومن ثم نقلوا بواسطة باخرة إلى القسطنطينية، وان الأمير خنجر ليس مذنباً، ولم يكن إلا أداة وانه يجب معاقبة من هو اعلى منه رتبة" (775).

استطاع الأمير محمد بن الحرفوش وأخوه الأمير عساف الهروب من منفاهما واعلنا العصيان حال وصولهما إلى بلاد بعلبك، في الوقت نفسه دخل الأمير سليمان في طاعة الدولة العلية، وهذا الامر أدى إلى نشوب صراع بينهما، لولا تدخل الوسيط فاصلحا بين الأميرين وبموافقة والي دمشق سعد باشا (١٨٥٠-١٨٥٢م) (776).

عندما أعلنت حكومة دمشق العفو عن الأمير الهارب وأستراكه في الامتيازات التي خصت (لدى والي دمشق لإلغاء هذا Parant-M بها الأمير سليمان ، تدخل القنصل البريطاني برانت) الاتفاق، حينما أوعز والي دمشق على الأمير محمد بن الحرفوش، وجهد للتأثير عليه بغية اتخاذ موقف معاد للأميرين محمد وسلمان (777)، وقد أعتترف القنصل في تقرير ارسله إلى حكومته في السابع والعشرين من كانون الثاني عام ١٨٥٨م، قال فيه : " اتشرف بأنبائكم ان الأمير محمد الحرفوش قد فر منذ نحو عشرين يوما من منفاه في قبرص وجاء يافا ومنها دخل لبنان وقد حمل مسيحي زحلة التابعة ايالة بيروت على الانضمام اليه لمهاجمة الأمير سلمان من بعلبك احد اعضاء عائلته المعين من قبل والي دمشق، محافظا على توطيد الراحة في القضاء المذكور وله راتب اربعين فارسا، وقد زين الأمير محمد لشعب زحلة اقناع مسيحيي دير القمر بالانضمام اليه بحجة ان الأمير سلمان هدد بعض مسيحيي زحلة القائمين... وان الأمير محمد سيكره اذا لم يقبض عليه ويعاد ثانيه إلى منفاه" (778).

(أشد تحاملاً من زميله في دمشق M-moor وكان القنصل العام البريطاني المستر مور) على الأمير محمد بن الحرفوش، فافصح عن اقتراحه بشأن ابعاده عن كافة أنحاء دمشق بشكل (عام ١٨٥٨م : MParant حاسم وصريح كما جاء في أحد تقاريره تعليقا على رسالة زميلة) "تشرف بإفادتكم ان الأمير محمد الحرفوش قد رجع خشية من المنفى إلى بعلبك منذ ثلاث (في رسالته، فيوافق كثيرا لإقرار السكنية M-Parant سنوات لا منذ عشرين يوما كما قال)

(٧٧٥) فضل رعد، المصدر السابق، ص ٤٩؛ فيليب الخازن وفريد الخازن، المصدر السابق، مج ١، ص ٣٤٨.

(٧٧٦) دومينيك شوفالييه، المصدر السابق ، ص ٤٨٩.

(٧٧٧) نصر الله، تاريخ بعلبك، ج ١، ص ٣٤١؛ حيدر الشهابي ، تاريخ الامير حيدر الشهابي ، ج ٢، ص ٦٣٣.

(٧٧٨) حمادة، المصدر السابق، ج ١، ص ٣٨٩؛ فيليب الخازن وفريد الخازن، المصدر السابق، مج ١، ص ٣٤٩.

العامة وراحة اهالي بعلبك والاقضية المجاورة إبعاد الأمير محمد الحرفوش عن اقضاء بعلبك حتى وعن سوريا بأسرها" (779) .

لم يقتصر عداء القناصل البريطانيين على الأمير محمد، بل إن تقاريرهم الأخرى أكدت على شموله سائر أمراء آل الحرفوش، وخصوصاً الأمير سلمان، على الرغم من أن أكثر مواقفه كانت متوافقة مع توجه الدبلوماسية البريطانية وخصوصاً عندما انقذ مع أخيه الأمير خنجر وسائر أبناء عمومته وأنصار زحله من الهجوم الدرزي الشهير وفي مناسبات أخرى كثيرة ومنها حريق بريّال واجتماع بدنايل مع القنصل البريطاني، كما اشار اليه سابقاً (780).

وقعت معركة الحديدية عام ١٨٥٨م، عندما أثار محمد الخرفان الأمير سلمان الحرفوش ليمده بجيش لمناهضة عرب الحديدية (كما دونت تلك المعركة في السابق)، حينها أرسل القنصل (في ١٩ / تشرين الثاني / ١٨٥٨م) تقريراً إلى حكومته ضمنه تفاصيل M-Parant البريطاني (هذه الحادثة: "سبق لي ان تشرفت فأخبرت سعادتك في رسالتي المنفذة في ١٥ الجاري بان فارس المزيّد زعيم قبيلة عربية، نزع إلى الثورة وهاجم محمد الخرفان زعيم قبيلة عربية أخرى، قد كانت الحكومة العثمانية اناطت به السهر على الراحة حوالي حمص، وان الأمير سلمان الحرفوش من بعلبك جمع قوة من البقاع والمسيحيين لنصرة هذا الأخير، وانظم اليه وطارد فارس المزيّد إلى ما وراء حماة حيث اشتبك القتال فظهر الأمير سلمان على خصمه ظهوراً باهراً بيد ان... " (781).

بعدما عصى الأمير سلمان الدولة مرة ثانية ظهر يجول في المقاطعات دعى السكان إلى التمرد ولجمع الرجال، فعندها حاولت قوات الدولة الامساك به لم تتمكن، ثم قامت بتجهيز جيش نظامي للقضاء عليه، وقتئذ توجه الأمير سلمان إلى زحلة بحسب اتفاق بدنايل، وتم القبض عليه في الثاني عشر من كانون الثاني عام ١٨٥٩م، (تم التطرق إليها سابقاً)، وأرسل القنصل (إلى حكومته تقريراً مسهباً عن تفاصيل اعتقال الأمير سلمان في زحلة (M-Parant) البريطاني يظهر فيه حماسه لهذا العمل وتظهر تقاريره طيلة مدة سجن الأمير سلمان خوفه من أن خروج الأمير من سجنه بتسوية مع الدولة سعى إليها بعض الاعيان، وتقضي بدفع عشرين إلى اربع وعشرين الف باون انكليزية، ويرى ان مثل هذه التسوية عبر عن قصر نظر لأنه خشى اذا أطلق

(٧٧٩) ميخائيل مشاققة ، منتخبات من الجواب على اقتراح الاحباب ، تر: أسد رستم ، تح: صبحي أبو شقرا،

مج ١، المكتبة البوليسية ، لبنان ، ١٩٨٥ ، ص ٢٣٤ ؛ دومينيك شوفاليه، المصدر السابق، ص ٥٢٩ .

(٧٨٠) فيليب الخازن وفريد الخازن ، المصدر السابق ، ص ٢٩٦ .

(٧٨١) يوسف خطار أبو شقرا ، الحركات في لبنان إلى عهد المتصرفية ، تح: عارف الزين ، ١٩٨٠ ، دار

الفارابي ، بيروت ، ١٩٨٠ ، ص ١٨٧ .

سبيل الأمير أن يقوم باعلان إلى الثورة مع أبناء عمومته وابناء طائفته وهو يخشى على هيبة الحكومة وأمن المناطق التي تقع تحت سيطرة الثوار⁽⁷⁸²⁾.

وقد أورد في هذا التقرير المرفوع إلى حكومته نصاً، جاء فيه: " اتعجل بإيقاف سعادتك على كيفية القبض على الأمير سلمان وفقاً للبيان الذي تلقيته الان لقد كان يرود الناحية فيراقبه يوزباشي متنكر من فرقة الفرسان المنظمة المقيمة في بعلبك بإمرة حسني بك فلما اهتدى اليوزباشي المذكور إلى مخابئه في احد بيوت رحلة ذهب حالا إلى بعلبك واخبر حسني بك فركبا وتابع اخر إلى المعلقة وهي قرية مجاورة لرحلة لكن الاولى تابعة ايالة دمشق والآخرى تابعة ايالة بيروت وكان ان اخذ الجنود المقيمة في رحلة وطوق البيت النازل فيه الأمير سلمان ..."⁽⁷⁸³⁾

بقي القنصل البريطاني يتابع أرسال تقارير حول سجن الأمير سلمان مبدئياً إزاءه بذلك، فقال في احد تقاريره عام ١٨٥٩م: "ضرورة القبض على كل فرد من اسرة آل الحرفوش بسبب قوتهم وظلمهم وثوراتهم العديدة على سلطة الدولة"⁽⁷⁸⁴⁾. وأورد تقرير آخر ايضا في العام نفسه، شرح فيه ضرورة بقاء الأمير سلمان في السجن فقال عنه: "جيء بالأمير سلمان بعد ظهر امس وسجن في سجن سراي السر عسكرية والقوا اتباعه في السجن العمومي في دار الولاية وفي نية السر عسكر اذا امكنه ان يقبض على كل فرد من اسرة ال الحرفوش محققا بسبب سيطرة سلالة هؤلاء الامراء القوية وقد ظلموا الفلاحين وقاموا بعدة ثورات على سلطة السلطان وان كانوا ساعدوا قوات جلالته في محاربتهم محمد علي باشا مصر..."⁽⁷⁸⁵⁾.

وعندما أُلقي القبض على الأمير سلمان من قبل القائد العثماني حسني باشا عام ١٨٥٩م، مدح القنصل كثيراً الضابط العثماني الذي القى القبض على سلمان وطلب من حكومته مكافأته مادياً على ما قام به، وأن حسني بك لا ينبغي من وراء عمله ذلك تنفيذ الاوامر فحسب، بل ينبغي لقاء تلك الخدمة المكافأه والتقدير⁽⁷⁸⁶⁾.

بعث القنصل البريطاني بتقرير أرسله إلى حكومته في ١٨٦٤م، جاء فيه: " ان سلوك حسني بك جدير بكل اطراء فقد ابدى بسالة ونشاطا ونزاهة ولا شك بانه سيكافأ على سلوكه

(٧٨٢) بازيل، سوريا ولبنان وفلسطين تحت الحكم التركي ، ص ٣٨٧؛ نصر الله، تاريخ بعلبك، ج ٢، ص ٣٤٤.

(٧٨٣) أسد رستم ، المحفوظات الملكية المصرية ، مج ٤، ط ٢، المكتبة البوليسية ، لبنان، ١٩٨٧، ص ٤١٧.

(٧٨٤) مكاريوس، المصدر السابق، ص ٤١٨ ؛ مشاققة، المصدر السابق، ص ١٧١ .

(٧٨٥) فيليب الخازن وفريد الخازن، المصدر السابق، مج ١، ص ٣٤٢ .

(٧٨٦) فؤاد خليل، المصدر السابق، ص ١٥٧؛ يوسف الدبس ، مختصر تاريخ سوريا، ج ٣، ص ٤٢٣.

بما يستحق،اني لا اعرفه ولكني سمعت اطراء حياله ووصف جدارته من كل فم ولا ارتاب في ان سعادتكم ستهتمون بأمره ليحصل على مكافاة مناسبة" (787).

أشارت تلك المعطيات، إلى إن مضمون التقارير الدبلوماسية المرسلة إلى الحكومة البريطانية تفيد أهتمام المعتمدين والقناصل بسجن الأمير سلمان، وسعيهم الكبير إلى عدم الافراج عنه وكان القنصل البريطاني أرسل إلى حكومته باستمرار ما يفيد بانه لايزال مسجوناً حتى يبان ان استمرار سجنه هو من القضايا السياسية المهمة عند الخارجية البريطانية ولما بدأت المساعي M-لأطلاق سراح الأمير سلمان بن الحرفوش تقترب من النجاح بدأ موقف القنصل البريطاني (معارضا يعد ان تلك التسوية عن وجهة نظر للحكومة العثمانية، وانه اذا أطلق الأمير Parant سلمان من السجن قام بضم اليه أعضاء عائلته الكثيرين وابناء طائفته وانه سوف يعود حتما إلى اشارة الفتنة التي اعتادتها تلك الاسرة فتسقط هيبة الحكومة وتخرب المحال التي تقع تحت سيطرتهم.

حين الغيت إمارة آل الحرفوش ونفي جميع الأمراء إلى ادرنه عام ١٨٦٥م، لم يتبق منها سوى الأمير سلمان هارباً في الجبال عن طاعة الدولة العثمانية ، وظل يقاتل مع صديقه يوسف كرم عام ١٨٦٥م، تم التطرق لهذه الحوادث سابقا بالتفصيل (788)، وقتئذ ارسل الضابط الفرنسي (تقرير في الخامس من شباط عام ١٨٦٥م، رفع إلى رئيسه في وزارة الحرب AL Tabe التاب) الفرنسية، جاء فيه: "ان العناصر التي تؤلف قوات كرم هي الأمير سلمان الحرفوش سيد بعلبك الذي انتزع الاتراك منه مقاطعته منذ عدة سنوات ووضعوا ثمنا لراسه وكنتم وحيدا في زغرنا مع قوات الدرك عندما هاجم كرم والأمير سلمان على راس رجالهما زغرنا لاحتلالها" (789).

Mr. Des. وجاء في تقرير آخر رفعه قنصل فرنسا العام في بيروت المستر ديز ازردس (إلى وزير خارجية في الثامن من اذار عام ١٨٦٥م، جاء فيه: "ان ظهور الأمير Essards الحرفوش في الجبال وما حصل في الكورة من شأنه تأخير النتائج التي نسعى اليها وهي اخضاع الجبلين دون ان يهربوا إلى التطرف ويلتحقوا بالمقاومة المسلحة، ان يوسف كرم لو لم يشد ازره سلمان الحرفوش لما حدثته نفسه باقل مقاومة" (790) .

(٧٨٧) فيليب الخازن وفريد الخازن، المصدر السابق، مج ١، ص ٣٤٩ ؛ مكاريوس، المصدر السابق،

ص ٤٢٢ ؛ ابو شقرا، المصدر السابق، ص ٢١٧.

(٧٨٨) أسد رستم ، المحفوظات الملكية ، مج ٤، ص ٤١٩.

(٧٨٩) مشاققة، المصدر السابق، ص ١٧٣ ؛ فيليب الخازن وفريد الخازن، المصدر السابق، مج ١، ص ٣٥٣.

(٧٩٠) فيليب الخازن وفريد الخازن، المصدر نفسه ، مج ١، ص ٣٥٧ ؛ دومينيك شوفاليه، المصدر السابق ؛

ص ٣٠٢ ؛ مشاققة، المصدر السابق، ص ١٧٧ .

وعندما قبض على الأمير سلمان ابن الحرفوش مع الأمير فدم ابن أخته عام ١٨٦٥م بوشاية من قبل خادمه ذلك طمعاً بالمكافأة، وعلى أثر ذلك بعث القنصل العام الفرنسي في إلى حكومته تقريراً آخر في الثالث والعشرين من نيسان عام ١٨٦٥م Essards M.Des بيروت المستر ١٨٦٥م، جاء فيه: "قبضت العساكر الامبراطورية على سلمان الحرفوش وابن اخيه في نواحي حمص ولا اعلم المصير الذي ينتظرهما"^(٧٩١).

أستدل مما سبق، بان التقارير البريطانية التي أرسلت بشأن أبعاد آل الحرفوش من حكم البلاد، تدل على لما تمتلكه الحكومة البريطانية من بعد سياسي، تعدهم خطراً يهدد مصالحها وممتلكاتها داخل البلاد.

العوامل التي أدت إلى نهاية إمارة آل الحرفوش :

يمكن أجمال الأسباب، التي تضافرت وساهمت للتعجيل في طي صفحة إمارة آل الحرفوش التي أدت إلى نهاية حكم الإمارة ونفي إمرائها إلى بعض الدول، ونظراً للأحداث التي سبق ذكرها، بثلاثة عوامل رئيسة، هي:

أولاً: العوامل الداخلية ومنها:

١. التفتك الأسري: بفعل الخلافات الحادة بين أمراء الأسرة الحاكمة، والصراع على السلطة، والحمات العسكرية التي يقودها البعض منهم ضد البعض الآخر، أدت إلى تخلخل القوة فيما بينهم وعدم تكوين جبهة قوية ضد الأعداء، إذ أسرع الأسرة في طريقها إلى الانهيار، وجعلها لقمة سائغة للتدخلات المحلية والخارجية، وكانت ظهور أولى بوادر هذا النزاع، بعد نهاية حكم الأمير يونس، ونتج عن ذلك أنتزاع الإمارة من أيدي أمراء آل الحرفوش، إلى أسر أخرى كمحاولة الأمير الشهابي في عام (١٦٨٠م)، وعام (١٧٤٨م)^(٧٩٢).

٢. الصراعات المحلية: هو صراع على المصالح، السلطة، الاموال، النفوذ، والقوة، أدت تلك الصراعات إلى اضطرابات سياسية جعلت الإمارة تتخبط فيها، نتيجة أطماع البعض من المقاطعات المتجاورة بأراضي والثروات الاقتصادية للمدينة، أو نتيجة تحالفات تقليدية بدلت من مقاييس كثيرة في شؤون الإمارة، منها تحالف آل الحرفوش مع آل معن، إذ جعل الأسرة في صراع مستمر مع آل سيفاء، التي جنت من وراءه الخراب والتدمير والنهب، وغيرها تم التطرق لها بشكل مفصل في الصفحات السابقة^(٧٩٣).

ثانياً - التدخل الخارجي :

(٧٩١) اسد رستم، المحفوظات الملكية ، مج ٤، ص ٤٢٢؛ مكاريوس، المصدر السابق، ص ١٢٧.

(٧٩٢) مكاريوس، المصدر السابق، ص ١٣١؛ أبو شقرا ، المصدر السابق ، ص ٢١٢.

(٧٩٣) مشاققة والمصدر السابق، ص ١٨٢ ؛ فؤاد خليل ، المصدر السابق ، ص ١٢٧.

مثل ضغط الحكومة العثمانية، بعمل ولاية دمشق على زيادة الأختناق السياسي على الأمراء
رغبة في التخلص منهم، أو الحد من نفوذهم، كان ذلك من خلال عاملين، الأول (أثارة المشاكل
الداخلية)، والثاني (ازدياد الصراعات المحلية مع المناطق المجاورة لهم) (794).

ثالثاً - الرأي الدولي:

يعد من أهم الأسباب التي عجلت في نهاية الإمارة، هو اتفاق الرأي الدولي، الممثل ببريطانيا
وفرنسا، التي تعد من أكثر الدول نفوذاً في تلك الحقبة، التي عملت جاهدة من القناصل التابعة
لهم والعمل في دفع الولاة العثمانيين في إنهاء الحكم في بعلبك ذلك بالقبض على أمراء الأسرة
ونفيهم خارج البلاد (795).

(٧٩٤) نصر الله، تاريخ بعلبك، ج ١، ص ٣٩٨؛ فضل رعد، المصدر السابق، ص ٩٨.

(٧٩٥) فؤاد خليل، المصدر السابق، ص ١٩٨؛ قاسم الرفاعي، المصدر السابق، ص ٣٣٨.

المبحث الرابع

النتاج الحضاري والتكوين الفكري والعلمي لآل الحرفوش :

آل الحرفوش التي حكمت قسماً كبيراً من ولاية دمشق في مراحل زمنية مختلفة، نبغ من أهلها فضلاً عن ميادين القتال والحكم والسياسية، أعلام في العلم والفقه والشعر، ما لا يمكن طمسه من كتب التراجم ودواوين الشعر والذاكرة الشعبية الباقية طيلة السنين، وأن ما خلفوه من آثار لا تزال باقية من القلاع والحصون والمرابط والمساجد والأوقاف، وقد كانت بعلبك وبلادها من أغنى مناطق دمشق أوقافاً وحبوسات على المدارس والمشاهد داخل البلاد وخارجها، وكان الأمراء آل الحرفوش أضافوا لمهامهم في الحكم بالولاية الشرعية عليها، وشيدوا الدور والقصور والقلاع والحصون، ومنهم من كان أيضاً رجال أعلام في الشعر والدين والفكر والأدب والفروسية، فضلاً عن احتضانهم الكثير من الشعراء والعلماء^(١).

توارث الأمراء موهبة الشعر عن آبائهم وأجدادهم، فقد كان دعبل الخزاعي⁽⁷⁹⁶⁾، جد آل الحرفوش شاعر آل البيت وله قصيدة أشتهر بها على مر الزمان تعرف بـ(التائبة) تتكون من مائة وثمانية عشر بيت ومن البحر الطويل، ومطلع القصيدة تلك :

تجاوبن بالأرنان والزفرات	نوائح عجم اللفظ والنطقات
يخبرن بالأنفاس عن سر أنفس	أسارى هو ماضٍ وآخرات
فاسعدن أو اسعفن حتى تقوضت	صفوف الدجى بالفجر منهزمت
على العرصات الخاليات من المها	سلام شبح صب على العرصات
فعهدي بها خضر المعاهد مألفا	من العطرات البيض والخفرا
ليالي يعدين الوصال على القلى	وبعدى تدانينا على الغريات ⁽⁷⁹⁷⁾ .

الأمير علي بن موسى بن أحمد الحرفوش (١٥٣٧م-١٥٩٠م):

شهد عهده أعمال عمرانية عديدة من أهمها، ترميم مقام النبي نوح عليه السلام، ومقام النبي شيت عليه السلام وذلك في عام ١٥٨٧م، وبنى قبة على مقام النبي إيلاً عليه السلام في

(٧٩٦) دعبل الخزاعي: هو محمد بن علي رزين الكوفي الخزاعي ولد في الكوفة عام (١٤٨هـ/٧٦٥م)، وأقام في بغداد وهو شاعر أمداح لآل البيت، وتوفي عام (٢٢٠هـ/٨٦٠م)، ببلدة تدعى الطيب بين واسط وكيلان، تميز شعره برثاء أهل البيت ومدحهم. للمزيد ينظر، علي بن الحسن بن هبة الله بن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، مج ٥، دار الفكر، دمشق، ٢٠١٠، ص ٢٣٤.

(٧٩٧) وتعد تلك القصيدة من أواخر المدائح الموقولة في أهل البيت. للمزيد ينظر: عبد الكريم الاشر، شعر دعبل بن علي الخزاعي، ط ٢، مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق، ١٩٨٣، ص ١٣٢ .

البقاع الأوسط عام ١٥٨٩م⁽⁷⁹⁸⁾، نظم عبد الكريم أحد شعراء كرك نوح البعض من الأبيات الشعرية ونقشت تلك الأبيات على حجر جدران الواجهة الامامية لمقام النبي نوح عليه السلام، والأبيات الثلاثة، هي :

هذه قبة لها تقديس كعروس الجمال النفيس

بين نوح وبين شيت تراها ذات نور يضيئ الحبيس

وهي محفوظة بجنات ورد وثمار قطوفها لا تخيس

شاد اركانها الأمير علي وله في خلائها تأسيس

ولها رونق بحضرة أيلان من نزهة الواردين وهو الانيس

ان تاريخها الأمير ابن موسى قد بناها فحب نعم الجليس⁽⁷⁹⁹⁾

الأمير موسى بن علي بن موسى بن أحمد الحرفوش (١٥٩٠-١٦٠٧م):

تمتع بمزايا عديدة إذ كان، بطلاً شجاعاً، جواداً مقدماً، مندفعاً لعمل الخير، فاضلاً، اديباً، بليغاً، وشاعراً⁽⁸⁰⁰⁾، وتبدو الفروسية جليلة من خلال شعره، فقال مفتخراً بنفسه ونسب أسرته وتاريخهم العريق، وقال:

الست نجل علي وهو من عرفوا منه المخافة في الاحشاء والكبد

وانني انا موسى منه قد ورثت كفى سيوفا تذيب الامن في الخلد⁽⁸⁰¹⁾.

ونضم أبيات شعرية في مديح شجاعته في سوح المعارك ايضاً، إذ قال:

كان راس جيوش الضد ليس له علم بان بلادي موطن الاسد

ومن مهابة سيفي في القلوب غدت ام العدو لغير الموت لم تلد

فليرقبوا صدمة مني معودة ان لا تقر لها الاعداء في البلد

الست نجل علي وهو من عرفوا منه المخافة في الاحشاء والكبد

وانني انا موسى منه قد ورثت كفى سيوفا تذيب الامن في البد⁽⁸⁰²⁾

الأمير يونس بن حسين الحرفوش (١٦٠٨-١٦٢٥ م):

أشتهر في عصره أنه رجل سياسة، ، بناء، وعمران، ويمتلك الف فدان فأعاد إلى سهل البقاع ثوبه الاخضر وزرع في هذا السهل، كما أعاد رونقه وازدهاره وحوله إلى حقل أخضر يجود بغلال وفيرة فانتشرت البساتين في قراه، وأنشأ فيها عيون للمياه وفواكه واعناب وتين وأشجار

(٧٩٨) الحسن البوريني، المصدر السابق، ج٣، ص ١١٢.

(٧٩٩) محسن الأمين، أعيان الشيعة، ج١٥، ص ٨١؛ الغزي، المصدر السابق، ج٣، ص ١٩٤.

(٨٠٠) نصر الله، تاريخ بعلبك، ج١، ص ٤٢٣؛ محسن الأمين، أعيان الشيعة، ج١٠، ص ٩٣.

(٨٠١) حمادة، المصدر السابق، ج١، ص ٣٦٧.

(٨٠٢) ميحائيل الوف، المصدر السابق، ص ١٨٩.

مثمرة زادت من ثروة الأمير⁽⁸⁰³⁾، وبنى أيضاً مسجد عام ١٦١٨م، فوق انقاض مسجد قديم كان يعرف سابقاً بمسجد الجوكنداري، وهو بطول ثلاثين متراً، وعرض عشرين متراً، في وسطه ثلاثة اعمدة، لها تيجان صغيرة وبسيطة ومئذنته سداسية الاضلاع، تقوم فوق قاعدة مربعة الشكل ترتفع بمستوى جدار المسجد، وزينت الزوايا العليا لباب الامامية ببلاطتين نقش عليهما اسم علي (عليه السلام) بشكل مثلث، ويعد اول مسجد للمسلمين الشيعة في بعلبك، وبه بلاطة تؤرخ عام البناء مع ثلاث ابيات شعرية⁽⁸⁰⁴⁾، منقوشة تلك الابيات على جدران المسجد الامامية ما زالت موجودة حتى الآن، وأطلق عليه الأمير أسم مسجد النهر، وبذل أسم إلى مسجد الامام المهدي عام ١٦٢١م، وتعد تلك الدار تحفة عمرانية ملفته للانتباه، وظلت قائمة حتى مطلع القرن العشرين، وقام أيضاً ببناء بعض الحصون والقلاع العسكرية منها قلعة قب عام ١٦٢١م في قب الياس، وقلعة كرك ١٦٢٢م في منطقة كرك نوح، وقلعة اللبوة في اللبوة ١٦٢٣م، وتعد تلك القلاع حصناً منيعاً للإمراء طيلة حكم الامراء، وشيد حماماً بالمقربة من مسجد النهر وإسماه حمام النهر، فضلاً عن طاحونة كبيره في عام ١٦٢٣م (مازالت قائمة إلى يومنا هذا) ⁽⁸⁰⁵⁾.

الأمير عمر (١٦٦٦-١٦٨٣م) - الامير اسماعيل (١٧١٢-١٧٣٣م):

قام في عهده بأعمال عمرانية بالرغم من تخلل حكمه الكثير من النزاعات مع أقاربه حول مسألة احقية تسليم حكم الإمارة (تم التطرق إليها سابقاً)، من اهمها تشييد قصر للإمارة، تميز بسعته وروعة تصميمه عام ١٦٧٢م، كما دون في قصيدة للشاعر عبد الرحمن التاجي البعلبكي بعد أنتهاء من بناء ذلك القصر⁽⁸⁰⁶⁾ وقام ببناء مسجد السراي ليكون مصلى لموظفي السراي في عام ١٦٧٤م ⁽⁸⁰⁷⁾.

(٨٠٣) فؤاد خليل، المصدر السابق ، ص ١٣٣.

(٨٠٤) جدد المولى أمير الامراء يونس الحرفوش كنز الفقراء :

مسجد يزهو على امثاله بالبناء والماء هل ترا =مذ تمت اعماله تاريخه اثابه الله على ما عمرا (١٦١٨م).

للمزيد ينظر: نصر الله ، تاريخ بعلبك ، ج٢، ص ٤٤٤.

(٨٠٥) فضل رعد ، المصدر السابق ، ص ١٠٢.

(٨٠٦) عمر الأمير النذب من عمر الوري إحصانه الصافي فكل يحمد

من أسرة سادوا الوري بمكارم عز وآلاء لهم لا تجدد

وإذا تأملت البقاع وجدتها تشفي كما تشقى الرجال وتسعد

ولذلك ثغر السعد قال مؤرخا قصر زهي للأمير مشيد. للمزيد ينظر: المرادي ، سلك الدرر،

ج٢، ص ٢٨٨؛ حمادة، المصدر السابق، ص ٣٠٩.

(٨٠٧) الدويهي، المصدر السابق ، ص ٥٧٣؛ الشدياق، المصدر السابق، ج٢، ص ١١٧.

وعندما خلف الأمير إسماعيل بن شديد حسينا في الحكم عام ١٧١٢م ، وأول الأعمال التي قام بها تشييده داراً للإمارة عام ١٧٢٢م، لكن علاقته الحسنة مع السلطات العثمانية لم تعمر طويلاً، فسرعان ما صدر أمر باعتقاله فهرب على اثر ذلك⁽⁸⁰⁸⁾.

الأمير جهجاه (١٧٨٤-١٨١٧م):

فكثيرين من أمراء آل الحرفوش، تغلب عليهم موهبة الشعر فضلاً عن صفات الفارس المقاتل العربي الشجاع، ومنهم الأمير جهجاه وله قصيدة شعبية تروي عنه بوصف الواقعة التي مرت به واستعادته لحكم بعلبك، وكانت القصيدة من شعر الفروسية وباللغة العامية، كان مستهل القصيدة:

إلا يا غاديا مني وسلم وسلم لي سلام بلا انقطاع
وسلم لي على الديرة واهلها وباقية الامارة والتباع
تعتب لي عليهم بالملامة وذكرهم بأيام الشناع
انا لو كنت قاصد لأجفاكم بخلي جسامكم تجوي المشاع
وبشوفكم انا بعض المراحل وبخلي خيولكم تغدي شلاعي
ولولا الخوف من اخت الامارة وحق البيت مع ابن الرفاعي،
فأجابه أخوه الأمير سلطان يقول من قصيدة طويلة، مطلعها :
قال الخزاعي الذي بات ساهرا ولي قلب أقوى من صفا الجلود
ولي همة تعلو على كل ماجد وشاعت لي مزايا بالكرم والجود
ولي حرية البدو ما صار منها والدرع سابغ من عمل داوود
ولي سيف ماض الشفرتين مجرب سم الافاعي يرى في الحد مرصود
ولي حصان يحير الناس وصفة ابو عرقوب ما مثله بعصرنا موجود
يخسى المهلهل ان كان حاز مجدي ولا عنتر بالمراحل عندنا معدود⁽⁸⁰⁹⁾.

عندما تمكن الأمير جهجاه من دخول بعلبك بعد ان قتل كل من صادفه في الطريق وانتصر على اعدائه انتصارا كاملا وهرب العبد إلى سيده في دمشق، كما اكدها بتنظيم شعر شعبي على تلك الواقعة. وقال :

ما تدري يوم اللي كان العبد حاكم لا يعدل بحكمه ولا يراعي
تركته مضرجا غربي بعلبك بحد السيف قطعوا رباعي⁽⁸¹⁰⁾.

(٨٠٨) نقولا الصائغ، المصدر السابق، ص ١٤١.

(٨٠٩) فضل رعد ، المصدر السابق ، ص ١٠٤.

(٨١٠) محسن الأمين، أعيان الشيعة ، ج٦، ص٣٩٩؛ فؤاد خليل ، المصدر السابق ، ص١٣٣.

أمر الأمير جهجاه أمين سنة ١٨٣٠م ببناء كنسية للروم الكاثوليك تحت اشراف المطران جرمانوس، اكملها المطران اغاببوس المعلوف عام ١٨٩٩م، وهي كنيسة واسعة الارحاء وتضاهي اوسع الكنائس في دمشق⁽⁸¹¹⁾ .

الأمير خنجر (١٨٤٠-١٨٤١م) - الأمير سلمان (١٨٥٠-١٨٦٥م):

قام ببناء جامع عام ١٨٤٠م داخل بستانه الخاص، هو جامع خنجر، وبنى على مقربة منه طاحونة في نفس العام (باقية إلى يومنا هذا)⁽⁸¹²⁾، وشيد الأمير سلمان عام ١٨٥٤م مدرسة دينية، أطلق عليها مدرسة يونين، والذي أشرف عليها الشيخ حسين زغيب، وكانت تلك المدرسة الاولى في بلاد بعلبك التي تدرس الفقه على المذهب الجعفري، وقد ظل مشرفها يدرس فيها ويخرج الطلاب حتى عام ١٨٧٧م تاريخ وفاته⁽⁸¹³⁾.

أشهر علماء آل الحرفوش :

أولاً- محمد بن علي الحريري الحرفوش:

الشيخ محمد بن علي أحمد الحرفوش الحريري العاملي الكركي الشامي، أشهر علماء الحرفوش كان عالماً، فاضلاً، ماهراً، اديباً، شاعراً منشئاً حافظاً، وكاتباً محققاً مدققاً، وأشتهر بالحريري نسبة إلى عملة، هو بيع الحرير، وكذلك سمي بالكركي نسبة إلى مكان ولادته كرك نوح من قلاع آل الحرفوش، قضى معظم حياته راحلاً بين مكة ودمشق لطلب العلم⁽⁸¹⁴⁾، قرأ على يد الشيخ نور الدين علي بن علي بن ابي الحسن الموسوي العاملي في مكة، ودرس في دمشق يد على بعض العلماء مثل الشيخ العمادي المفتي والشيخ المولى يوسف بن ابي الفتح، حين دب خلافاً بينه وبين الشيخ الدمشقي المولى⁽⁸¹⁵⁾، دفعه ذلك للهرب إلى حلب ومنها إلى أصفهان أيام حكم الشاه عباس الصفوي فاستقبله شاه ايران احسن استقبال، وعندما أطلع على مكانته العلمية عينه رئيساً للعلماء، وقد الف اكثر من اثني عشر كتاباً في العلوم المختلفة، وأشهر هذه الكتب

(٨١١) قاسم الرفاعي، المصدر السابق، ص ٣٥٥؛ فؤاد خليل، المصدر السابق، ص ١٢٣.

(٨١٢) نصر الله، تاريخ بعلبك، ج ٢، ص ٤٤٧.

(٨١٣) المعلوف، دواني القطوف، ص ٢٧٢؛ فؤاد خليل، المصدر السابق، ص ١٢٤.

(٨١٤) الحر العاملي، التشيع ما بين جبل عامل وايران، ص ١٣٤؛ نصر الله، تاريخ كرك نوح، ص ١٥٢.

(٨١٥) الشيخ محمد الحرفوش قد حضر دروس الشيخ العمادي، وكان الاخير يجله ويحترمه كثيراً، وعندما طلبه المولى يوسف حضوره لإعادة درسه، ذهب اليه اياماً ثم انقطع عنه، فسأل المفتي حينها عن سبب انقطاعه، فقل له انه لا يريد ان ينزل دروسك، فكان ذلك الباعث على خروجه من دمشق وسعى وقتئذ المفتي لدى حكام دمشق على قتله وعندما سمع بذلك هرب إلى ايران .

القلائد السننية في شرح أهم ركائز ذلك الكتاب ، وبقي في بلاد فارس إلى ان وافاه الأجل عام ١٦٤٨م⁽⁸¹⁶⁾.

ثانياً - الشيخ إبراهيم بن محمد الحرفوش:

الشيخ إبراهيم بن محمد بن علي بن محمد الحرفوش الكركي، ولد في كرك نوح، أبصر النور في بيت علم، فقرأ على ابيه وعلماء عصره وهو من أسرة آل الحرفوش، وكان محدثاً ومدرساً وواعظاً ماهراً، ونال جده علي لقب بالإمارة (رئيس التدريس)، أعتنى بالحديث والتدريس أشهر كتبه مجموعة الأجازات، ثم سافر إلى بلاد فارس وأقام في طوس وتوفي فيها عام ١٦٦٩م⁽⁸¹⁷⁾، وكانت مدينة بعلبك مهذاً وحضناً للكثير من العلماء والادباء الذين ترعرعوا فيها وتلقوا عناية وأهتمام وتبني امرائها، إذ أن داعي الخير كفاعله⁽⁸¹⁸⁾.

علماء مدينة بعلبك في عهد آل الحرفوش :

١. محمد الفص (١٤٥٤-١٥٣٤م): محمد بن محمد بن علي الفص البعلي الشافعي (بهاء الدين) مفتي بعلبك وبرع في فقه الشافعية .
٢. السيد علوان مرتضى (١٤٦٧-١٥٣٨م): يعود نسبه إلى سلالة الامام علي بن ابي طالب عليه السلام، تولى الاشراف في بعلبك واشتغل بالانساب .
٣. علي بن محمد المرحل (١٥١١-١٥٥٤م): هو علي بن محمد بن إبراهيم الملقب علاء الدين ابن القاضي برهان الدين البعلبكي المالكي المعروف بابن المرحل، تعلم الفقه والنحو ومارس التدريس والافتاء وانتهت اليه رئاسة المذهب المالكي^(٨١٩).
٤. عمر حسني الحيسوب (١٥١٣-١٥٦٣م): يوسف ابن الشيخ العراف صلاح الدين البعلي الحسني، مفتي بعلبك عام ١٥٥٥م إلى ١٥٦١م.
٥. عبد الباقي الفص (١٥٩٦-١٦٦١م): عبد الباقي تقي الدين بن عبد الباقي بن عبد القادر بن عبد الباقي بن إبراهيم بن عمر بن محمد الحنبلي البعلي، درس الفقه وتعلم الصوفية لازم محراب الحنابلة أولاً، ثم محراب الشافعية، تولى التدريس والخطابة^(٨٢٠).
٦. محمد الفص (١٦١٥-١٦٨٢م): محمد بن علي بن علاء الدين بن بهاء الدين، الشهير بابن الفص الشافعي مفتي ديار بعلبك، درس في المدرسة النورية وتفرّد بمسؤوليتها وكان فقيهاً واديباً وشاعراً .

(٨١٦) محسن الأمين، أعيان الشيعة ، ج٥، ص ٣٧٢.

(٨١٧) نصر الله، تاريخ كرك نوح، ص ١٦٧.

(٨١٨) فؤاد خليل، المصدر السابق، ص ١٢٣ ؛ نصر الله، الحياة الاجتماعية، ص ٣٥٨

(٨١٩) نصر الله، تاريخ بعلبك، ج١، ص ٤٩٧؛ قاسم الرفاعي، تاريخ بعلبك، ص ٣٣٨.

(٨٢٠) حمادة، المصدر السابق، ج١، ص ٣٩٨؛ فؤاد خليل، المصدر السابق، ص ١٢٤.

٧. علي بن علوان المرتضى (١٦٥٩-١٧٠٢م): السيد علي بن السيد علوان الحسيني الموسوي نقيب بعلبك تولى النقابة بعد ابيه .
٨. محمد التاجي (١٦٦٢-١٧٠٢م): درويش بن ناصر الدين المعروف بالحلواني البعلبي الحنفي الخلواتي فقيه محدث متكلم ومتصوف .
٩. يواكيم مطران الراهب الحناوي (١٦٩٦-١٧٧٣م): يوسف بن موسى المطران دخل الرهبنة الحناوية وتسمى يواكيم له مصنفات كثيرة وغزيرة المادة اشتهر بالخطابة والوعظ^(٨٢١).
١٠. عبد الرحمن البعلبي (١٦٩٨-١٧٨٨م): عبد الرحمن بن عبد الله بن إبراهيم البعلبي الحنبلي درس النحو والفقه والحديث وانصرف إلى التصوف، له ديوان شعر ضم الوعظ والرثاء والوصف.
١١. أحمد السجان (١٧٠٢-١٧٨٤م): أحمد بن علي الشهير بابن السجان الحنبلي مفتي الحنابلة في بعلبك كان فقيها نحويا.
١٢. عبد الرحمن البرادعي (١٧٠٥-١٧٨٠م): عبد الرحيم بن علي بالبرادعي الحنبلي البعلبي، حصل ثقافة فقهية واسعة مكنته من تولي قضاء الحنابلة في دمشق.
١٣. حسن العلواني من آل مرتضى (١٧٢٤-١٧٩١م): السيد حسن بن أحمد العلواني من آل مرتضى نقيب اشراف بعلبك وقد تولى النقابة بعد عمه بتقرير قاضي الولاية في دمشق وجلب التقرير بذلك من نقيب نقباء الممالك العثمانية ١٧٢٤م^(٨٢٢).
١٤. هبة الله بن عبده التاجي (١٧٣٨-١٨٠٩م): هو هبة الله بن محمد بن يحيى بن عبد الرحمن بن تاج الدين بن عبده البعلبي، مفتي بعلبك الشهير بالتاجي وصدر العلماء الاعلام الفيه الشهير والمحدث الكبير .
١٥. الشيخ حسين زغيب (١٨١٥-١٨٧٧م): جد الاسرة العلمية التي نشأت في يونين خلال القرن التاسع عشر، وامتدت إلى القرن العشرين، انشأ في قريته مدرسة دينية سنة ١٨٥٤م، وهي الاولى في بلاد بعلبك التي درست الفقه على المذهب الجعفري .
١٦. الشيخ محمد بن علي الرفاعي (١٨٥٠-١٩٢٤م): سلك طريق التصوف وعمل على تربية المريدين واقامة الانكار والاوراد والمبايعة على الطريقتين الرفاعية القادرية وكان ممن حضروا بيعته مفتي بعلبك السيد علي الرفاعي^(٨٢٣).

(٨٢١) نصر الله، الحياة الاجتماعية في بعلبك، ص ٤٧١٢٦٠؛ ميخائيل الوف، تاريخ بعلبك، ص ٣٧٦.

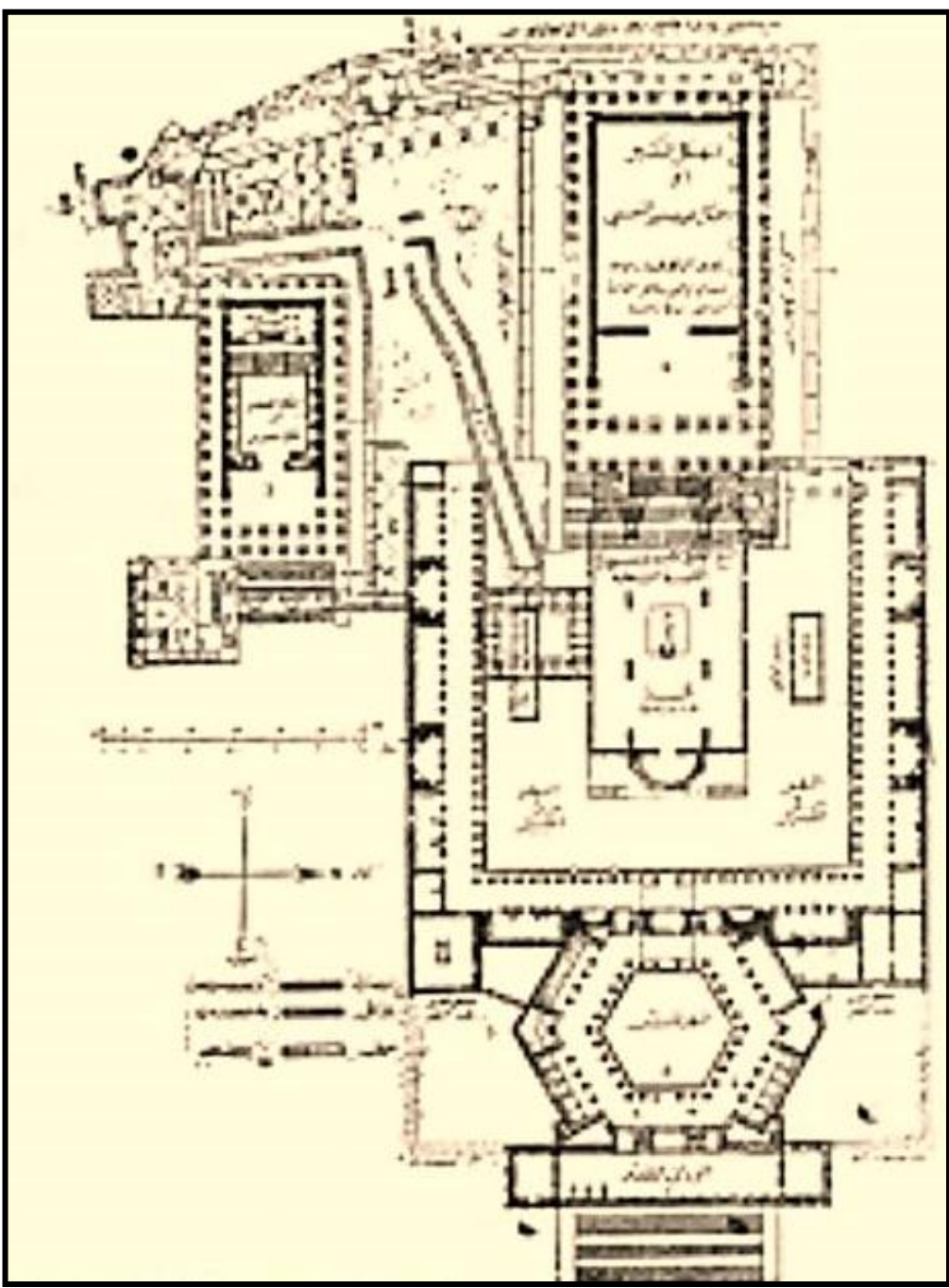
(٨٢٢) فضل رعد، المصدر السابق، ص ١١٥؛ فؤاد خليل، المصدر السابق، ص ١٢٥.

(٨٢٣) نصر الله، الحياة الاجتماعية في بعلبك، ص ٢٦٢؛ قاسم الرفاعي، المصدر السابق، ص ٥٦٥.

يمكن القول ، أن آل الحرفوش قد بزغ منهم شعراء واحتضنوا كثير من العلماء خلال مدة حكمهم للبلاد بتقديمهم المساعدة المالية والمعنوية لأولئك العلماء .

الملاحق

ମହାବଳି (୨) ମଃ ମଃ ମଃ



ملحق رقم (٢)

خريطة لتخطيط تضم المعابد الثلاثة داخل بعلبك

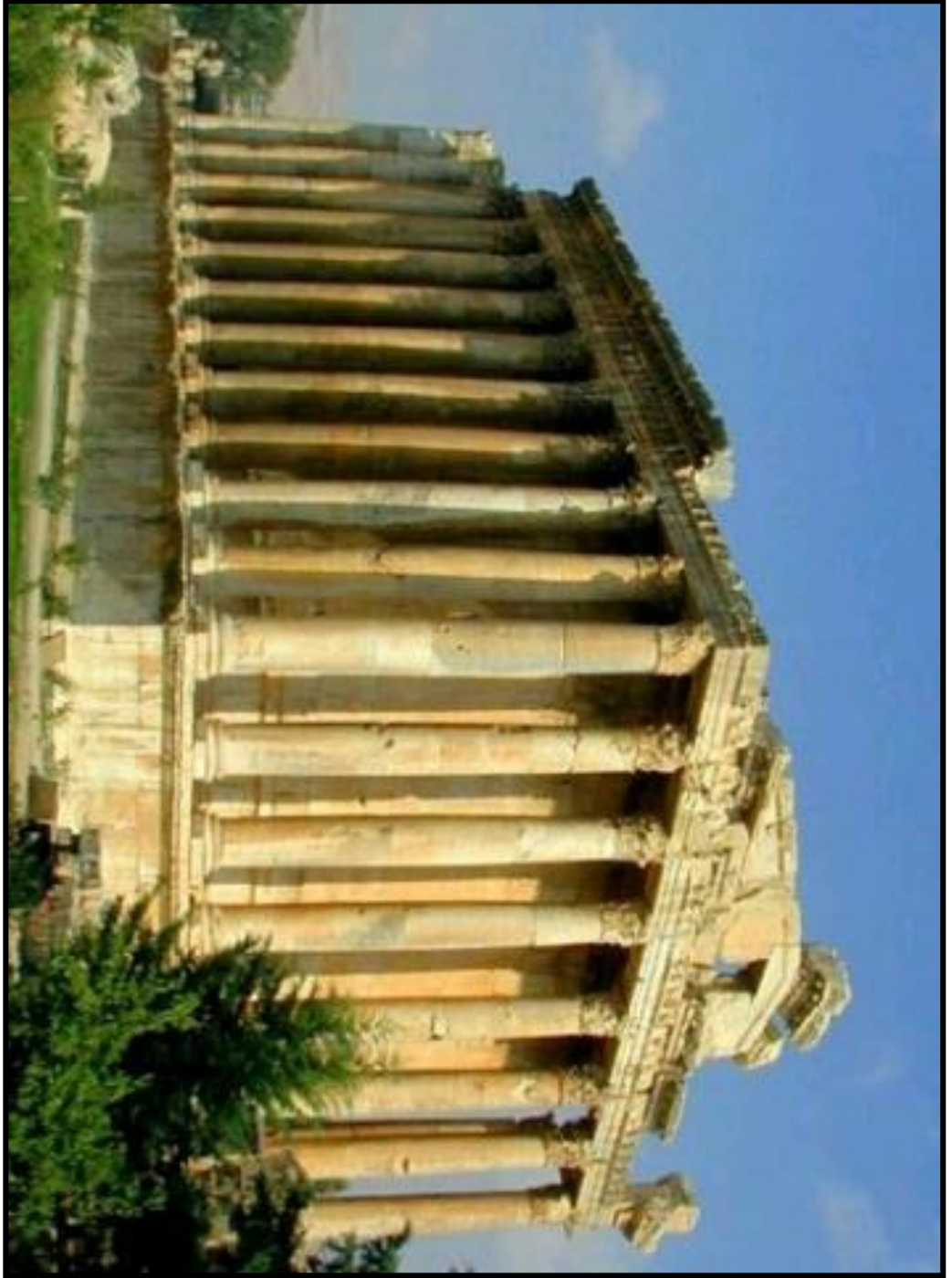
-ايريك فردي ، المصدر السابق ، ص ٦٦ .



ملحق رقم (٣)

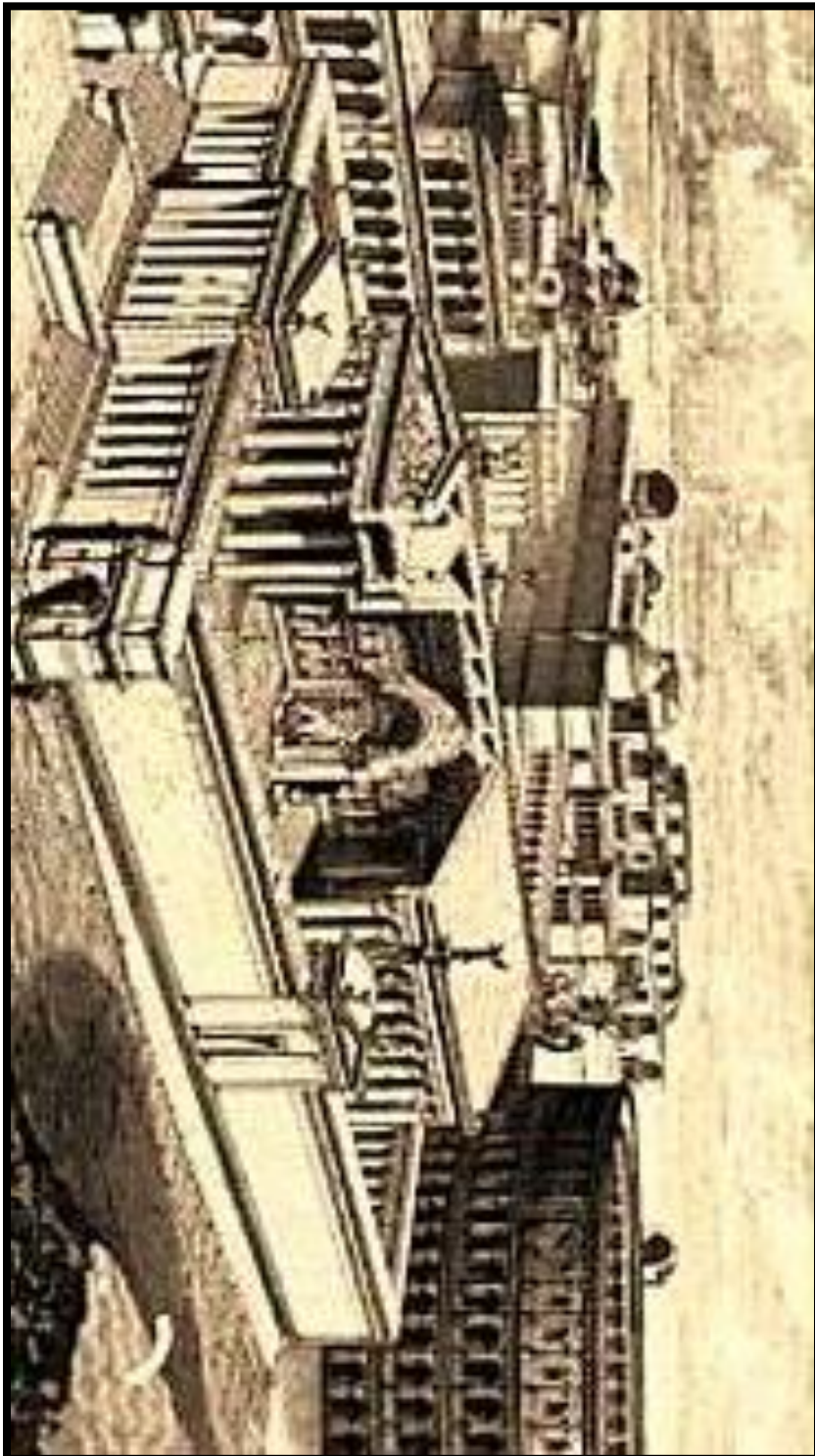
مدخل معبد جوبيتر

ايريك فردي ، المصدر السابق ، ص ٦٩ .



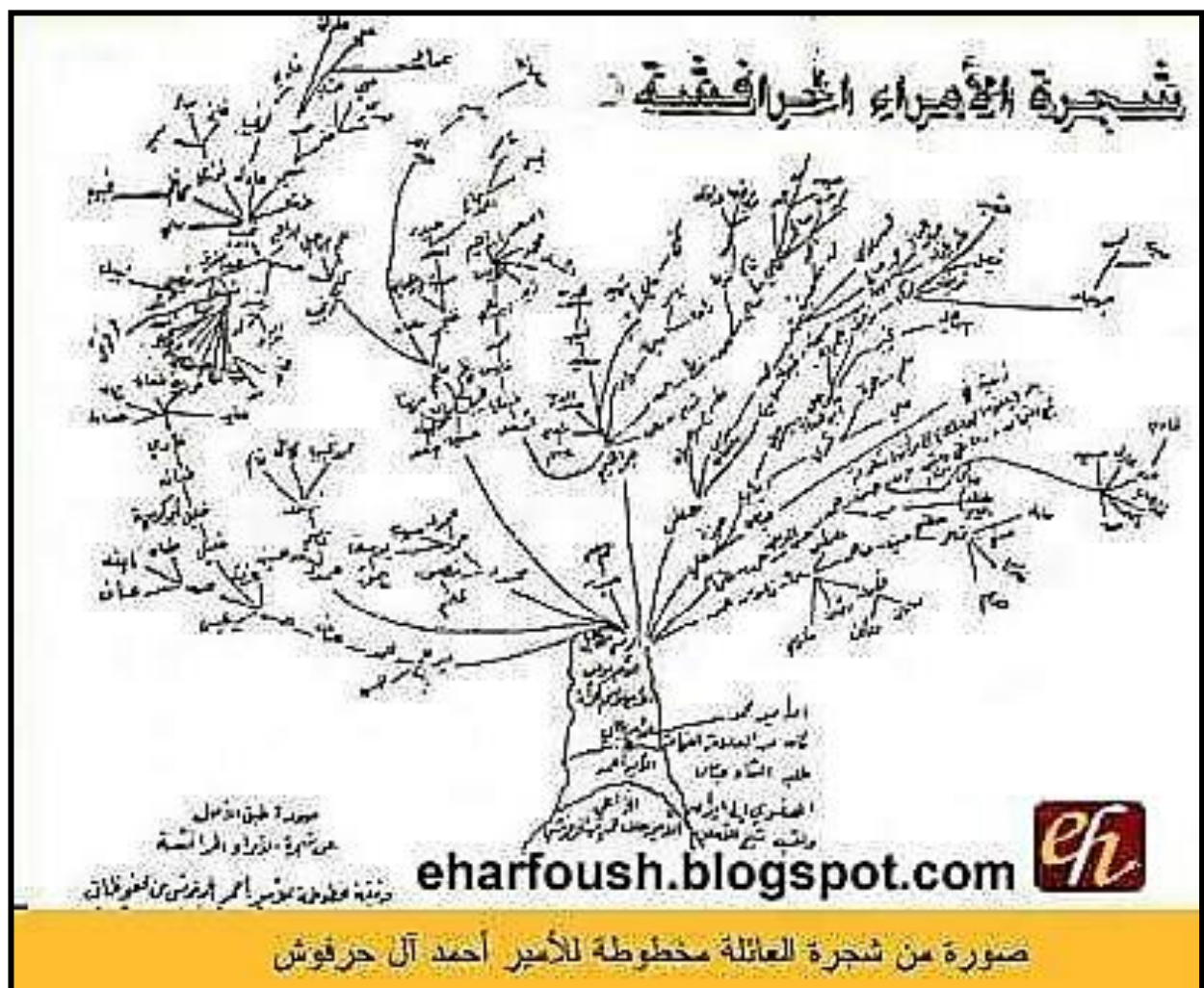
ملحق
رقم
(٤)
معبد
باخو
س
الذي
يقع
بجانب

النهر الكبير



(٥)
فینوس

ملحق رقم
معبد



ملحق رقم (٦)

ابرز أمراء عائلة آل الحرفوش الذين حكموا، وتم التطرق

لهم من قبل المؤرخين،،

١_ احمد الحرفوش :ت/١٥١٨م٠

٢_موسى الحرفوش :ت/١٥٣٧م٠

٣-علي بن موسى : ت/١٥٩٠م٠

٤-موسى بن علي :ت/١٦٠٨م

٥_يونس بن حسين :ت/١٦٢٣م

٦_شلهوب بن علي :ت/١٦٢٣م

٧_حسين ابن يونس :ت/١٦٥٦م

٨_محمد ابن يونس :ت/١٦٦٦م

٩_عمر ابن حسين ابن موسى :ت/١٦٨٣م

١٠_شديد ابن شلهوب :ت/١٦٩٢م

١١_حسين ابن اسماعيل بن موسى :ت/١٧١٢م

١٢_اسماعيل ابن شديد ابن اسماعيل:ت/١٧٣٣م

١٣_حسين ابن اسماعيل ابن شديد :ت/١٧٥١م

١٤-حيدر ابن اسماعيل ابن شديد :ت/١٧٧٤م

١٥-مصطفى ابن اسماعيل ابن شديد:ت/١٧٨٤م

محمد ابن اسماعيل ابن شديد :ت/١٧٨٦م

١٦-جهجاه ابن مصطفى :ت/١٨١٧م

١٧- نصوح ابن جهجاه تم نفيه الى ادرنه سنه . ١٨٦٥

١٨-امين ابن مصطفى :ت/١٨٤٠م

١٩-جواد بن سلمان بن اسماعيل :ت/١٨٣٢م

٢٠-حمد ابن محمود بن اسماعيل :تم نفيه الى ادرنه

٢١- خنجر بن ملحم بن جواد :ت/١٨٤٢م

٢٢-قبلان بن امين بن مصطفى :١٨٤٣م

٢٣-سلمان بن ملحم بن جواد :ت/١٨٦٥م

٢٤-اسعد بن ملحم

٢٥-حسين بن ملحم

٢٦-سلطان بن ملحم

٢٧-سعدون بن حسين بن قبلان

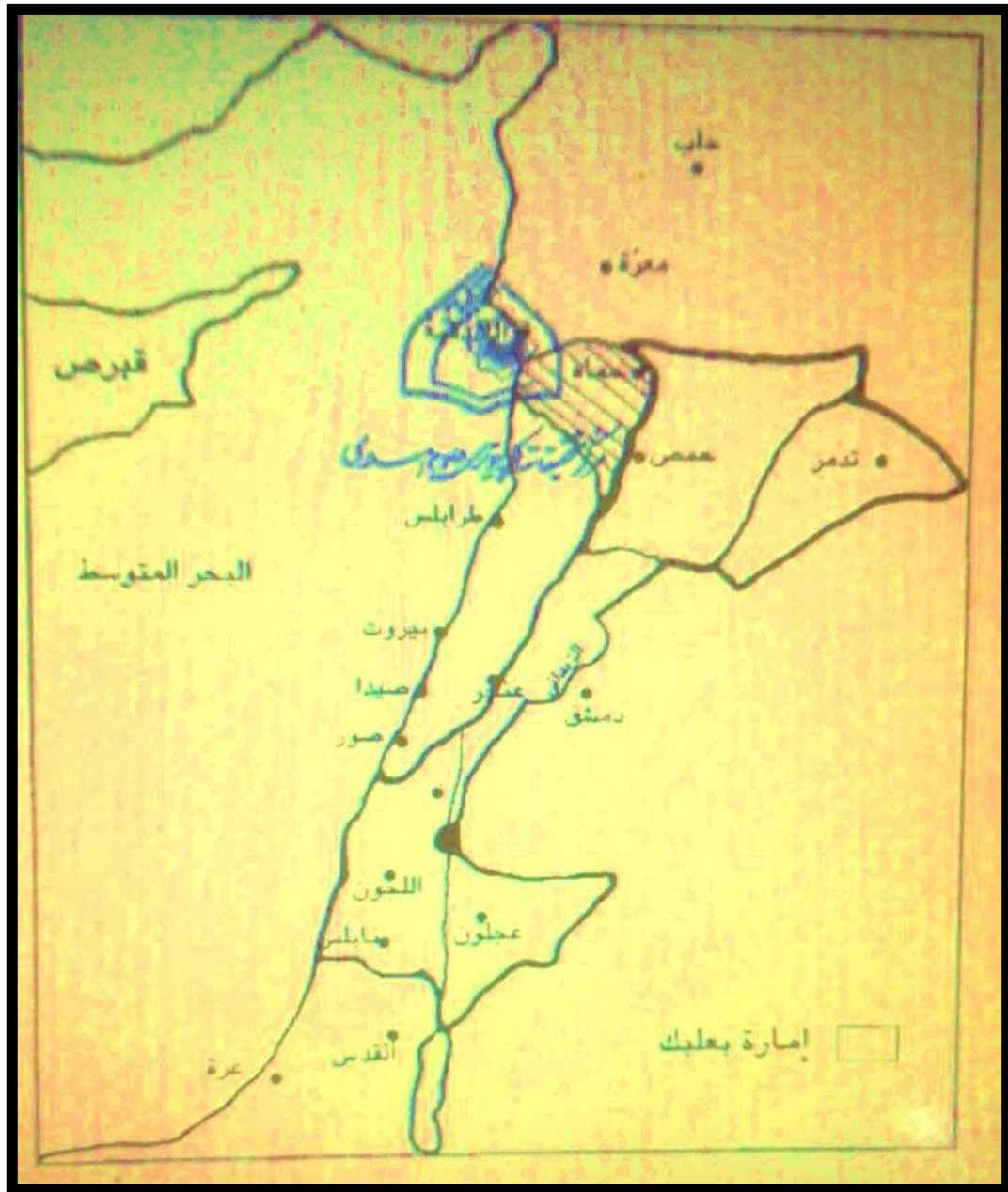
٢٨-فدغم بن محمود بن حمد



ملحق رقم (٨)
الامير علي بن موسى الحرفوش الخزاعي



الامير موسى بن علي الحرفوش
ملحق رقم (٩)



ملحق رقم (١٠)
 إمارة بعلبك في أقصى اتساعها خلال عهد الأمير يونس الحرفوش الخزاعي



الأمير شديد الحرفوش، قائد الثورة في البقاع.
(قتل سنة 1692م).

ملحق رقم (١١)



ملحق رقم (١٢)

ملحق رقم (١٣)

علم إمارة آل حرفوش يتكون من اللون الأخضر السادة، كما هو
إارد أدناه والذي اشتهر تحت مسمى العلم الحرفوشي.



علم الإمارة الحرفوشية
(1866-1480).

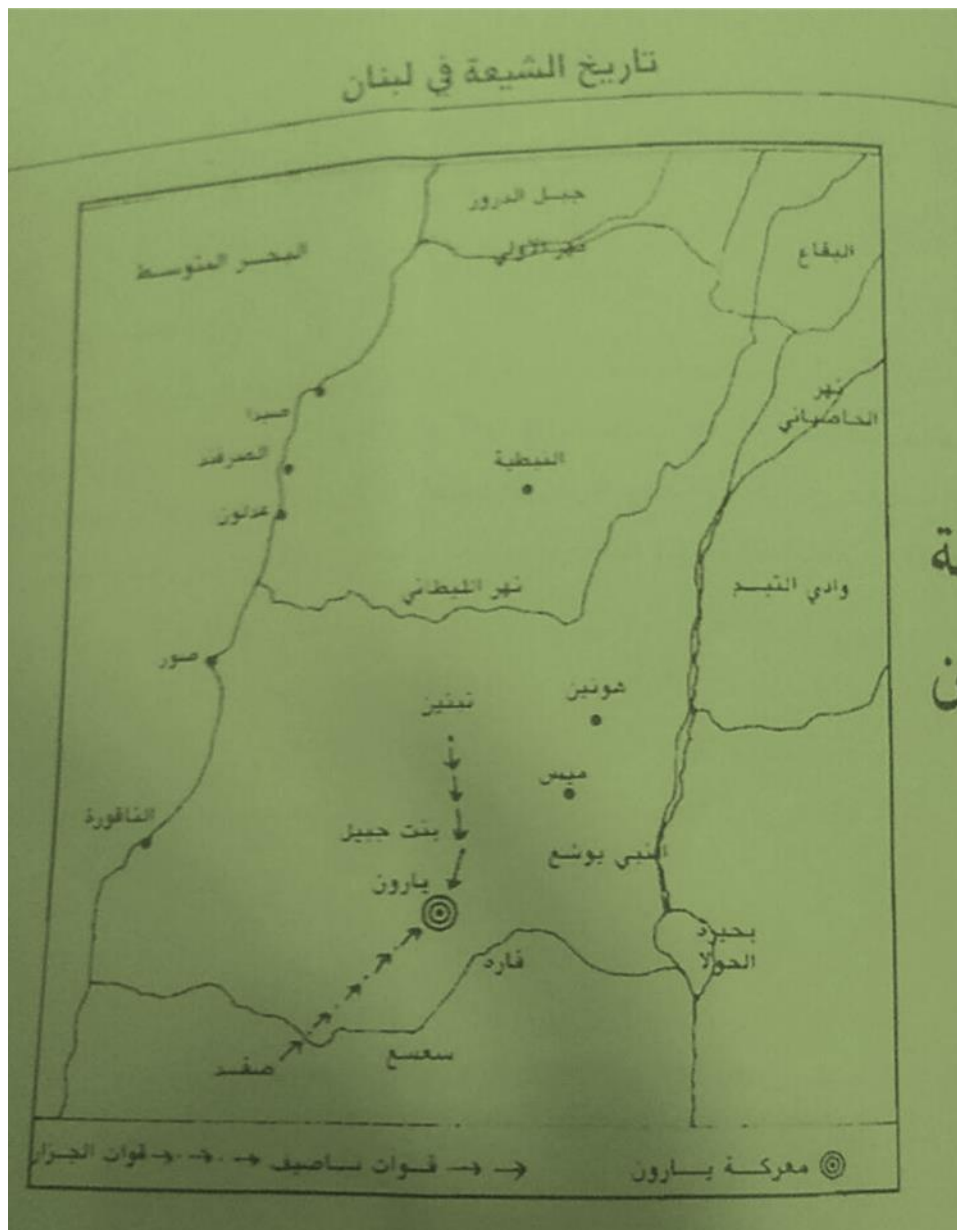
علم آل الحرفوش

الامبراطورية العثمانية في القرن السادس عشر



انية في القرن السادس عشر

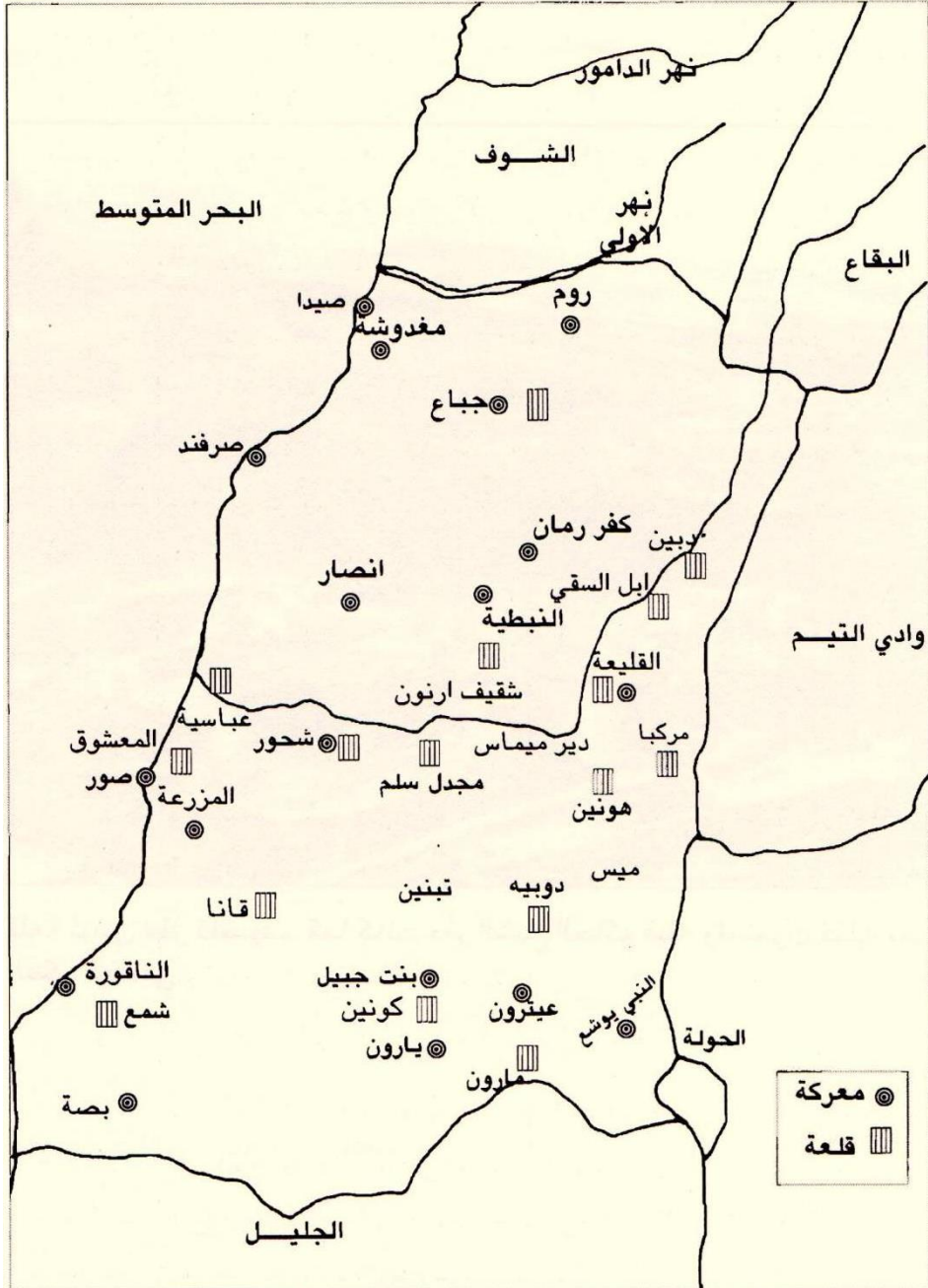
م
ق
رقم
(١٤)
(
لإمبرا
طور
ية
العثم



ملح
ق
رقم
(١٥)
(
معركة
ة
يارون
ن

بعض المعارك والقلاع في جبل عامل

ملح
ق
رقم
)
١٦
(
بع
ض
المع
ارك
في
إمار



ة بعلبك

ملحق رقم (١٧)



الامير خنجر الحرفوش الخزاعي



ملحق رقم (١٨)

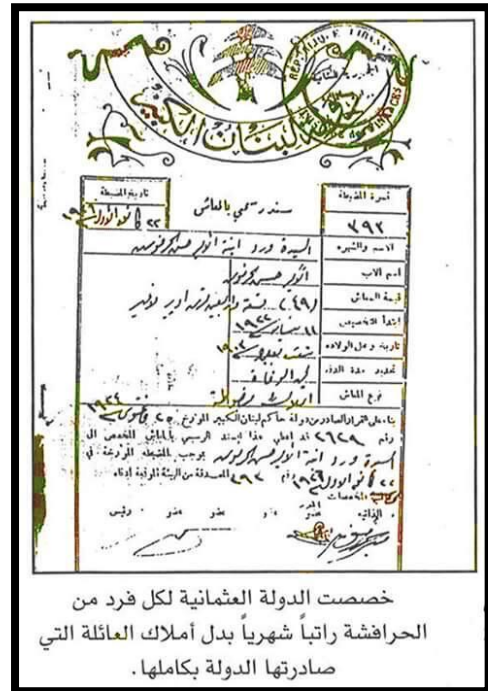
لكهف الذي اختبئ فيه الامير سلمان الحرفوش من وجه القوات العثمانية

لقد أُنشئ ببلد القري (المفطحات) نوراً آل حرس
 إنه صادر من السلطنة العثمانية الواقعة بقاطعة بعلبك

قرية العبيد	قرية الحيا	قرية الحارثية
الفاكوة	مدرسة الناصفة	مدرسة الحارثية
الراس	قنا	شرط
علاء النوري	سرحية	كفر عرابي
النخبة الصفا	نجي شبة	مدرسة خالد
نجما	سمعية	بردي
شقة	نصيرية	اللبوة
مقنة	ماما	بنايه شبدل
مشمسة	نجي شمام	بنايه خنجب
ضربة	مدرسة الرفقا	طاحونية خنجب
النخبة الصفا	جبرلة	بيت الأمانة
مدرسة النيد	مدرسة الكعب	بنايه تزيير
برنية	ورديه	بنايه رأس العبيد
محمد	مدرس	بنايه عجم
كفر داه		خينة اللطامنة

ملحق رقم (١٩)

كشف بالقرى واملاك ال الحرفوش المصادرة من قبل الحكومة العثمانية



فرمان تخصيص الراتب بدل املاك مضبوطة وأوامر دفع تركية ولبنانية

خصصت الدولة العثمانية لكل فرد من الحرافشة راتباً شهرياً بدل املاك العائلة التي صادرتها الدولة بكاملها

ولقد بقيت الحكومات المتعاقبة تدفع لهم هذه الرواتب في عهدي الانتداب والاستقلال



الخاتمة

التاريخ يعدّ الهوية الحقيقية للأمم والشعوب، هنالك علامات فارقة سواء كان ذلك من تاريخ الشعوب، أم الدول، أم حتى الأسر، لا تشابه به ما قبلها مع ما بعدها - كما في تاريخ (١٤٩٧م) الذي يمثل في حقيقته نقطة انطلاق إمارة آل الحرفوش، وجوهر تاريخ اللبنة الأساسية التي بنيت عليها أسس قيام تلك الإمارة وتطورها عبر أزمنة التاريخ، وعدّ تاريخ (١٨٦٥م) نقطة انتهاء حكم الإمارة التي امتدت نحو أربعة قرون ، وبعد متابعة فصول الرسالة تحت عنوان (آل الحرفوش في بعلبك ١٤٩٧ - ١٨٦٥م - دراسة تاريخية)، توصلت الباحثة إلى النتائج التي شملت مجموعة من العناصر الأساسية، من أهمها:.

١-أتضح من سير البحث إنّ بعلبك مقر إمارة آل الحرفوش مدينة عريقة في القدم، تمتد جذورها التاريخية إلى الثلاثين ما قبل الميلاد .

٢-بعد أنْ أسْتولى العثمانيون على ولاية دمشق عام ١٥١٦م، أصبحت البلاد تابعة لسلطة السلطان العثماني تبعية أسمية، وبما أنّ العثمانيين ذوي البال الطويل في المسائل العسكرية، وبحكم خبراتهم السابقة في نظم الإدارة ، ولاسيما منها في الميدان الحربي ، وبحكم انشغالهم في الحروب المتتالية في أوروبا ،وعلى كافة الأصعدة، كانوا أكثر ميلاً لترك أمور الحكم للأسر الإقطاعية الموجودة بكثرة في كل أرجاء ولاية دمشق، وهم أصحاب السطوة والنفوذ ،ويمتلكون الكثير من مقومات القوة والزعامة، وتكون هذه الأسر الحاكمة خاضعة بشكل رسمي للدولة العليا التي كانت تجبى لها الضرائب، مكتفين بالاعتراف لتلك الأسر بسيادتهم على المناطق التي يحكمونها، ومنّ هنا فأن مصلحة السلطان العثماني سليم الأول اقتضت بعد استيلائه على دمشق الاعتراف بزعامة الأمراء المحليين، وأكتفوا بتعيين وإل لإقرار الأمن والنظام في الولايات التابعة لحكمهم، إذ أنهم في نهاية المطاف يحصلون على مشروعية حكمهم من الولاة العثمانيين في دمشق وطرابلس، فيما عدا شمال سوريا التي بقيت تحت حكمهم المباشر، فكان بذلك النظام الإداري العثماني بمثابة المشجع الرئيس لقيام الإمارات المحلية، ومنها إمارة آل الحرفوش، في ضوء أنفاق ادريس البندليسي مستشار السلطان العثماني سليم الأول للشؤون الكردية، بالاتفاق مع وجهاء وأعيان البلاد، حيث أقرهم على اقطاعاتهم ومنحها لهم وراثياً، هذا عزز الاستقلال الذاتي لديهم والنزعة نحو تيار الحرية ورفض الخضوع للقوى الأجنبية.

٣-أتضح من استقراء الأسرة، أن أصلها يعود من فرعها من جنوب العراق ،إذ خرج جدهم الأكبر تحت مسمى الحرفوش، من قبيلة خزاعة مع حملة الصحابي الجليل ابي عبيدة بن الجراح

أثناء الفتح الإسلامي، وبرز آل الحرفوش مقدمين وحكاماً قبل العهد العثماني، واستمروا في مواقعهم في السلطة بدرجات متفاوتة حتى نهاية حكمهم.

٤- آل الحرفوش أسرة إقطاعية، تجمع الضرائب وتقدمها إلى مجلس الولاية في دمشق، والأمير بن الحرفوش لم يمنح الأرض على قاعدة تيمارية تستدعي منه تقديم الخدمات العسكرية للدولة العثمانية، بل مُنح حق التزامها الدوري وتشكيل جيش محلي تناط به مهام محدده، الأمر الذي جعل إقطاع الأسرة، يتصف بالأقطاع العسكري بغير طبيعة تيمارية.

٥- السياسة العثمانية تجاه ولاية دمشق، تقوم على مبدأ فرق تسد في ضوء زرع الفتن والنزاعات بين الإمارات، سواء كان بين أمراء آل الحرفوش بعضها مع البعض الآخر، أو مع الإمارات الأخرى، للحوول دون توحيد الجهود ضد السلطة العثمانية، وأضعاف تلك الإمارات.

٦- التنافس على الزعامة بين أبناء الأسرة الواحدة، ساهم في أضعاف الإمارات العربية المحلية وآل الحرفوش من ضمنها، إذ لم تكتف الدولة العثمانية بزرع الخلاف بين أفراد آل الحرفوش فحسب، بل ساهمت في تحريض الأسر الأخرى ضدها ومهما يكن من أمر، فقد أستطاع أمراء آل الحرفوش بالرغم من الانقسام الاجتماعي أثبات نفوذهم في مدينة بعلبك.

٧- آل الحرفوش طوال مدة حكمهم، كانوا يتمتعون بحس سياسي يتسم بالذكاء المطلق، وبالرغم من وجودهم في منطقة تتقاطع فيها الانتماءات المذهبية والسياسية، وهذا الحس السياس جعلهم يسيطرون على حكم البلاد لسنين طويلة.

٨- لم يعرف عنهم غلو في الدين ولا الطائفية، ولعل هذا ما كان يميزهم في ذلك الزمان، حيث أسكنوا المسيحيين في بلادهم.

٩- أشتهر أمراء آل الحرفوش بوجه عام، بمقاومتهم الصلبة للمستعمر العثماني، التي من جرائها، أعدم البعض من الأمراء ومنهم الأمير مصطفى عام ١٧٨٤.

١٠- أمراء آل الحرفوش امتازت سلطاتهم بأنها غير ثابتة ومعرضة للتغيير من حين لآخر، بسبب سياسة الباب العالي، التي تعمل أحياناً على إخراج بعلبك عن أيديهم، عندما تغضب عليهم السلطات العثمانية، على أثرها توزع إلى والي دمشق بمنح حكم البلاد إلى أمراء محليين يدفعون مبالغ طائلة من المال، ففي عام ١٦٨٠م، تولى أمير حاصبيا فارس الشهابي الملقب بالكبير بلاد بعلبك والبقاع لقاء رشوة قدمها لوالي دمشق.

١١- عاصرت الإمارة وقتذاك زعامات محلية، لم تسر العلاقة بينها وبين تلك الزعامات على وتيرة واحدة، فغالباً ما يتخللها صراعات صدامية بين الطرفين تتجاوزها حالتي المد والجزر، فتنافرت مع البعض بسبب المصالح والأطماع التوسعية على حساب ممتلكاتهم، ومنها إمارة المعنيين، في عام ١٦٢٣م أستولى الأمير فخر الدين المعني الثاني على بعلبك.

١٢- قيام الإمارة هيئ الأرضية لبناء (تاريخ - ثقافي - فكري) من احتضان الشعراء والأدباء والكتاب، وتميز عهد الأسرة بالاهتمام بالبعد الديني، إذ نبغ منها العديد من علماء الدين ومراجع التقليد البارزين، منهم (محمد بن علي الحريري) .

١٣- إمارة آل الحرفوش مثل أي دولة، لابد لها أن تمر بمراحل، فتشهد تارة مرحلة نمو وتارة أخرى مرحلة قوى، بعد ذلك تكون هنالك حالة من الاستقرار أو الانهيار، وبعد أن توسعت الإمارة، أسهمت متغيرات عدة بتراجعها، منها كثرت مشاكلهم مع ولاية دمشق، والإمارات المتجاورة، ودب الخلافات بين أمراء آل الحرفوش، التي تفاقمّت مع ولاية أولاد الأمير يونس (حسين - محمد) عام ١٦٥٦م، ومن ثم عادت من جديد في عهد الأمير جهجاه ١٧٨٦م، الذي اضطر للتنازل عن الكرك ونواحيها إلى الأمير بشير الشهابي ١٨١٠م، فتضافرت تلك العوامل، فضلاً عن العوامل الأخرى التي تعاني منها الإمارة داخلياً، أدت إلى أضعافها، ومن ثم انهيارها .

١٤- عند انتهاء حكم آل الحرفوش عام ١٨٥٠م، أنتهى عهد حكم الإقطاع في بعلبك، وتحولت إلى لواء بعلبك وشرقي البقاع، يشرف عليها متصرف أو قائمقام، وتيمور باشا أول قائمقام لبعلبك، اقتصرت مهمته على مطاردة أمراء تلك الأسرة.

١٥- بالرغم من أن الباب العالي أصدرت فرمان بانتهاء حكم آل الحرفوش في المدينة، وإخراجها من تحت أيديهم، إلا أنهم ظلوا يقومون بتسيير أمور البلاد بصورة غير رسمية، منهم الأمير سلمان، وأستمر إلى أن القي القبض عليه عام ١٨٦٥م، وبهذا تنطوي صفحة إمارة امتده حكمها أربعمئة وثمانية وخمسون عام .



قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم

أولاً : الكتب :

أ-الكتب الوثائقية

- ١-مكرزل، الوثائق التاريخية في دمشق، دار الكتاب، (دمشق، د.ت).
- ٢-أسد رستم ، المحفوظات الملكية المصرية ، مج ٤، ط ٢، المكتبة البوليسية ، لبنان، ١٩٨٧.

٣-فيليب الخازن وفريد الخازن، مجموعة المحررات السياسية والمفاوضات الدولية عن سوريا ولبنان ، دارنظير عبود، بيروت، ١٩٨٩.

ب-الكتب العربية

- أبو الحسن علي بن محمد الجزري(٦٣٠هـ/٢٣٢م)،الكامل في التاريخ، تح: محمد يوسف
- بن بطوطة ،شمس الدين ابو عبدالله محمد بن ابراهيم (ت ٧٧٩هـ/٩٧٧م)
تحفة النظار في غرائب الأمصار ،شرح وكتب هوامشه طلال حرب ،دار الكتب العلمية ،(بيروت ٢٠٠٢م).
- ابي محمد علي بن احمد بن سعيد (ت ٤٥٦هـ/١٠٦٣م) ،جمهرة أنساب العرب، تح : لجنة من العلماء، ج ١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٣.
- شمس الدين محمد بن علي بن أحمد بن طولون (ت:٩٥٣هـ/١٥٦٤م)، مفاكهة الخلان في حوادث الزمان، تح: محمد مصطفى، ج ٢، دار أحياء الكتب العربية، القاهرة، ١٩٦٢،
- نجم الدين محمد بن بدر الغزي العامري (ت:١٠٦١هـ/١٦٥١م)، الكواكب السائرة بأعيان المائة العاشرة، تح: خليل منصور، ج ١٧، دار الكتب المصورة، بيروت، ١٩٩٧.
- زين العابدين محمد بن أحمد أبو بركات بن إياس (ت:٩٣٠هـ/١٥٢٣م)،بدائع الزهور في وقائع الدهور، تح: محمد مصطفى، ج ٤،الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٣.

- بن عساكر الدمشقي، ابو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله بن عساكر (ت: ٥٧١هـ/ ١١٧٦م)، مختصر تاريخ دمشق، المجمع العلمي، دمشق، ١٩٨١.
- ٩ - ----- تهذيب تاريخ دمشق الكبير، تح وتر : عبد القادر بدران، ج٤، ط٢، دار المسيرة للطباعة والنشر، دمشق، ١٩٧٩.
- ابو عباس أحمد بن محمد بن إبراهيم شمس الدين ب بن خلكان (ت: ٦٨١هـ/ ١٢٨٢م)، وفيات الاعيان وانباء الزمان، تح : احسان عباس، دار صادر، بيروت، ١٩٧٨.
- أبو الفرج علي بن الحسين بن محمد القرشي الاصفهاني (ت: ٣٥٦هـ/ ٩٦٧م). حلب الاولياء وطبقات الاصفياء، دار الكتب العربي، بيروت، ١٩٦٧.
- حمزة بن أحمد بن أسد بن علي الدمشقي القلانسي (ت: ٥٥٥هـ/ ١١٦٠م)، ذيل تاريخ دمشق، مطبعة الالباء اليسوعيين، بيروت، ١٩٠٨.
- احمد ابن سحاق بن جعفر بن وهب بن واضح اليعقوبي (ت ٢٩٢هـ / ٨٩٧م)، البلدان، تح: محمد امين ضاوي، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت.
- حمد بن ابراهيم بن عبد الله بن سليمان بن محمد الحقييل (ت: ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م)، كنز الانساب ومجمع الآداب، ط١٢، مطبعة الجاسر، الرياض، ١٩٩٣.
- شهاب الدين احمد بن علي بن أحمد القلقشندي (ت: ٨٢١هـ/ ١٤١٨م)، صبح الاعشى في صناعة الانشاء، ج١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٧.
- ، تقى الدين المقرئ أحمد بن علي المقرئ (ت: ٨٤٥هـ/ ١٤٤١م)، السلوك في معرفة دول الملوك، ج٢، دار الكتاب، القاهرة، ١٩٣٤.
- المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، ج٢، دار صادر، بيروت، د.ت.
- بن الحمصي، بن عمر الأنصاري أحمد بن محمد ابن الحمصي (ت : ٨١٩هـ/ ١٥٢٧م)، حوادث الزمان ووفيات الشيوخ والاقربان، تح : عمر تدمري، ج٢، المكتبة العصرية، صيدا، ١٩٩٩.

- أحمد بن يحيى بن فضل الله القرشي (ت: ٧٤٩هـ / ١٣٤٩ م)، مسالك الابصار في ممالك الامصار، تح: دو روتيا كرا فولسكي، المركز الاسلامي للبحوث، بيروت، ١٩٨٥.
- أسماعيل بن علي بن محمود ابو الفداء (ت: ٧٣٢هـ / ١٣٣١م). المختصر في أخبار البشر، ج٤، دار المعرفة، بيروت، د.ت.
- أسماعيل بن حماد الجواهري (ت: ٣٩٣هـ / ١٠٠٣م). الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تح: أحمد عبد الغفور عطار، مج٧، ط٤، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٩٠.
- جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور (ت: ٧١١هـ / ١٣١١ م)، لسان العرب، ج ٧، ط ٣، دار صادر للنشر و التوزيع، بيروت، ١١٩٥.
- ابو جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن كثير الطبري (ت: ٣١٠هـ / ٩٢٣م)، جامع البيان في تأويل القرآن، ج١٠، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٢.
- تاريخ الرسل والملوك، ط٣، د.ت، مصر، ١٩٦١.
- الحافظ عبد الرحمن النصري ابو زرعة الدمشقي (ت: ، تاريخ ابي زرعة الدمشقي، مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق، ١٩٧٣.
- عبد الرحمن السخاوي، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع عشر، ج٢، دار الكتاب العربي، القاهرة، ١٩٦٦.
- محمد بن عبد الله الازدي (٢٣١هـ / ٨٤٥م). تاريخ فتوح الشام، د.ت، القاهرة، ١٩٥٥.
- محمد بن عبد المنعم الحميري (ت ٧٢٧هـ / ١٣٢٦ م) ،الروض المعطار في خبر الاقطار، ط٢، دار المعارف، بيروت، ١٩٨٠.
- شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (ت: ٧٤٨هـ / ١٣٤٨م)، سير أعلام النبلاء، تح: شعيب الأرنؤوط وآخرون، ج١٦، ط٣، مؤسسة الرسالة، القاهرة، ١٩٨٥، تاريخ الاسلام، تح: عمر عبد السلام تدمري، مج٣، د. مط، دمشق، د.ت.

- قطب الدين موسى بن محمد اليوريني (ت: ٧٢٦)، ذيل مرآة الزمان، ج ٢، مطبعة مجلس المعارف العثمانية بحيدر اباد الكن، الهند، ١٩٥٤، ١٩٥٥.
- محمد بن سعد بن منيع البصري، (٢٣٠هـ/٨٤٤م). الطبقات الكبرى، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٥٧.
- محب الدين ابو الفيض محمد مرتضى الحسيني الزبيدي (١٢٠٥هـ/١٧٩٠م).
- تاج العروس من جواهر القاموس، تح: عبد الكريم القرباوي، ج ٢، الكويت، ١٩٨٣.

ميخائيل مشاققة، منتخبات من الجواب على اقتراح الأحباب، تر: أسد رستم، تح: صحي أبو شقرا، مج ١، المكتبة البوليسية، لبنان، ١٩٨٥.

يوسف خطار أبو شقرا، الحركات في لبنان إلى عهد المتصرفية، تح: عارف الزين، ١٩٨٠، دار الفارابي، بيروت، ١٩٨٠.

إيمان عمر شكري، السلطان برقوق مؤسس دولة المماليك الجراكسة ٧٨٤-٨٠١هـ/١٢٨٢-١٣٩٨م، مكتبة مدبولي، القاهرة، ٢٠٠٢.

جمال الدين أبي المحاسن يوسف بن تغري بردي الاتاكي (ت: ٨٧٤هـ/١٤٧٠م)،
النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ج ٦، دار الكتب المصرية، مصر، ١٩٦٣،
- أحمد بن أبي يعقوب أسحاق بن جعفر بن وهب بن واضح اليعقوبي (ت: ٢٩٢هـ/٨٩٧م)، البلدان، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٢.

حمد بن عبد الله الأزدي البصري (٧٣٠هـ/١٣٢٩م)، تاريخ فتوح الشام، تح: عصام مصطفى عقلة، دار اليازوري العلمية، القاهرة، ٢٠١١.

شمس الدين أبو المظفر يوسف بن قزاوغلي بن عبدالله سبط ابن
الجوزي (ت: ٦٥٤هـ/١٢٠٢م)، مرآة الزمان في تاريخ الأعيان، تح: محمد بركات، ج ١،
دار الرسالة العالمية، دمشق، ٢٠١٣، ص ٤٦٦.

- محمد صادق محمد الكرياسي، تاريخ المراقد (الحسين وأهل بيته)، ج ٥، المركز الحسيني للدراسات، لندن، ١٩٨٧.

حسين علوان، الجغرافية التاريخية لبلاد الشام في العصر الأموي، بيروت، ١٩٨٧، ص ٤٠.

- يوسف الدبس مطران الماروني، تاريخ سوريا الدنيوي والديني، في أيام الخلفاء إلى نهاية القرن الحادي عشر، ج ٥، بيروت، ١٩٩٤.

محمد بن أحمد بن إياس الحنفي (ت: ٩٢٨هـ/ ١٥٢٢م)، بدائع الزهور في وقائع الدهور، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، ١٩٨٢،
عبد الرحمن بن علي بن محمد بن علي بن الجوزي أبو الفرج (ت: ٥٩٧هـ/ ١٢٠١م)،
المنتظم في تاريخ الملوك والمنتظم، ج ٤، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٧٩.
إسماعيل بن عمر بن الكثير (ت: ٧٧٤هـ/ ١٣٧٣م)، البداية والنهاية، ج ١٧، مكتبة المعارف، بيروت، ١٩٩٠.

- محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب أبو جعفر الطبري (ت: ٣١٠هـ/ ٩٢٣م)،
تاريخ الأمم والرسل والملوك، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، ج ٢، دار المعارف، بيروت، ١٩٦٧.

عز الدين أبي الحسن الجزري الموصلي بن الأثير (ت: ٦٣٠هـ/ ١٢٣٣م)، الكامل في التاريخ، ج ٢، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٦٦
محمد السيد الوكيل، جولة تاريخية في عصر الخلفاء الراشدين، مج ١، ط ٥، دار المجتمع للطباعة والنشر، مصر، ٢٠٠٢.

- أحمد بن يحيى بن جابر بن داود البلاذري (ت: ٢٧٩هـ/ ٨٩٢م)، فتوح البلدان، ج ١، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ١٩٨٨، ص ١٥٢؛ حنان قرقوتي شعبان، بيروت ودورها الجهادي، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٣، ص ٦٣-٦٥.

- أحمد بن أبي يعقوب أسحاق بن جعفر بن وهب بن واضح اليعقوبي (ت: ٢٩٢ هـ / ٨٩٧ م)، البلدان، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٢، حمد بن عبد الله الأزدي البصري (٧٣٠ ت: ١٣٢٩ م)، تاريخ فتوح الشام، تح: عصام مصطفى عقلة، دار اليازوري العلمية، القاهرة، ٢٠١١،
أبي القاسم محمد بن حوقل النصيبي (ت: ٣٦٧ هـ / ٩٧٧ م)، صورة الأرض، دار مكتبة الحياة للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٩٢.

١. دور أسرة آل الحنش والمهام التي أوكلت إليها في ريف دمشق (دراسة وثائقية)، منشورات الجامعة الاردنية، (عمان، ١٩٨٣).
٢. فاروق حلبص، أبحاث في تاريخ ولاية طرابلس إبان الحكم العثماني من خلال الوثائق الرسمية العثمانية، (بيروت، ٢٠٠٧).
- مهدي صبحي الحمصي، تاريخ طرابلس من خلال وثائق المحكمة الشرعية في النصف الثاني من القرن السابع عشر الميلادي، مؤسسة الرسالة ودار اليمان، (بيروت، ١٩٨٦).
- ١- إبراهيم الأسود، تنوير أذهان في تاريخ لبنان، دار الكتاب، (بيروت، ١٩٧٨ م).
- ٢- ابن كنان، يوميات شامية، دار النهار، (بيروت، ١٩٩٧ م).
- ٣- أحمد الرمال ابن زنبل، واقعة السلطان الغوري مع سليم العثماني، تح: عبد المنعم عامر، إشراف: عبد الرحمن عبد الله الشيخ، لهيئة المصرية العامة للكتاب، (القاهرة، ١٩٩٨ م).
- ٤- أحمد بن إبراهيم الحقييل / ١٤٢٩، كنز الانساب ومجمع الآداب، ط ١٢، مطبعة الجاسر، (الرياض، ١٩٩٣ م).
- ٥- أحمد بن محمد الخالدي الصفدي، لبنان في عهد الأمير فخر الدين الثاني، الجامعة اللبنانية، (بيروت، ١٩٦٩ م).
- ٦- أحمد حسين، موسوعة تاريخ مصر، دار الشعب، (القاهرة، د. ت).
- ٧- أحمد حيدر الشهابي، قصة أحمد باشا الجزائر بين مصر والشام وحوادثه مع نابليون بونابرت، مكتبة مدبولي، (القاهرة، ٢٠٠٨ م).
- ٨- أحمد عزة عبد الكريم، التقسيم الإداري السوري في العهد العثماني، مج ١، دار الفكر الحديث، (القاهرة، ١٩٥١ م).
- ٩- أحمد عطا الله الزعبي، صور مشرفة من نضال حوران، دار الشادي، (بيروت، ١٩٩٣ م).

- ١٠- اسد رستم، الاصول العربية لتاريخ سوريا في عهد محمد علي، د. مط، (بيروت، د.ت).
- ١١- أسد رستم، لبنان في عهد الامراء الشهابيين، ج ١، ط ٢، منشورات المكتبة البوليسية، (بيروت، ١٩٨٤ م).
- ١٢- أسطفان الدويهي، تاريخ الازمنة (١٠٩٥-١٦٩٩)، المطبعة الكاثوليكية، (بيروت، ١٩٥١ م).
- ١٣- اسمعيل سرهنك، حقائق الاخبار عن دول البحار، ج ١، د.ت، (القاهرة، ١٩٨٥ م).
- ١٤- امين المصطفى، لبنان، ط ٢، دار الهادي، (بيروت، ٢٠٠٣ م).
- ١٥- بديع جمعة أحمد الخولي، تاريخ الصفويين وحضارتهم، دار الرائد العربي، (القاهرة، ١٩٧٦ م).
- ١٦- بطرس الاباتي فهد، بطارقة الموارنة واساقتهم، دار لحد خاطر، (بيروت، ١٩٨٥ م).
- ١٧- بطرس البستاني، دائرة المعارف الإسلامية، (القاهرة د.ت).
- ١٨- بطرس الطياح، رسالة تُحدث ثورة في تاريخ لبنان (أوراق لبنانية)، د. م، (بيروت، ١٩٥٧ م).
- ١٩- بطرس بشارة كرم، قلائد المرجان في تاريخ شمالي لبنان، دار الفكر العربي (بيروت، ١٩٣٩ م).
- ٢٠- بطرس ضوء، تاريخ الموارنة الديني والسياسي والحضاري ج ٤، ط ١، دار النهار للطباعة والنشر، (بيروت، ١٩٧٧ م).
- ٢١- بولس نعمان واخرون، المارونية في أمسها وغدها، منشورات دير سيدة القصر، (بيروت، ١٩٩٧ م).
- ٢٢- عبد الرحمن بن حسن برهان الدين الجبرتي، تاريخ عجائب الاثار في التراجم والاخبار، دار الجيل، (بيروت، د.ت).
- ٢٣- ، مظهر التقديس بذهاب دولة الفرنسييس، مكتبة العربي للنشر، (القاهرة، ١٩٩٨ م).
- ٢٤- جعفر المهاجر، التأسيس لتاريخ الشيعة، دار الملاك، (بيروت، ١٩٩٢ م).
- ٢٥- ، شيعة لبنان والمنطلق الحقيقي لتاريخه، دار بهاء الدين العاملي للنشر والتوزيع، (بعلبك، ٢٠٠٣ م).
- ٢٦- جلال زادة مصطفى جلبي، فترة بارزة من تاريخ القانوني، دار طباعة كارير، (استانبول، ٢٠١١ م).
- ٢٧- جمال بدوي، محمد علي واولاده، مكتبة الاسرة، (القاهرة، ١٩٩٩ م).
- ٢٨- جواد بولس، تاريخ لبنان، دار النهار، بيروت، ١٩٧٢ م.
- ٢٩- ، لبنان والبلدان المجاورة، ط ٢، مؤسسة بدران للطباعة والنشر، (بيروت، ١٩٧٣ م).
- ٣٠- جواد بولس، لبنان والبلدان المجاورة، ط ٢، مؤسسة بدران للطباعة والنشر، (بيروت، ١٩٧٣ م).

- ٣١- جواد علي، تاريخ العرب قبل الاسلام، ج٢، مطبوعات المجمع العلمي العراقي، (بغداد، ١٩٩٣م).
- ٣٢- جوده حسنين جوده، جغرافية لبنان الاقليمية، ج١، مكتبة المدينة، (بيروت، ٢٠١٤م).
- ٣٣- جوزيف عليان، بنو سيفا ولاية طرابلس (١٥٧٩-١٦٤٠)، لحد خاطر، (بيروت، ١٩٨٧م).
- ٣٤- حسان علي حلاق، دراسات في المجتمع اللبناني، دار النهضة العربية، (بيروت، ٢٠٠١م).
- ٣٥- حسن الأمين، جبل عامل السيف و القلم، مكتبة الطليعة، (بيروت، ١٩٩١م).
- ٣٦- حسن البديري الحلاق، التاريخ الروماني (الاجتماعي والاقتصادي والاداري والديني والسياسي والعسكري)، دار النهضة العربية، (بيروت، ٢٠١١م).
- ٣٧- حسن سيد، ديوان دعبل بن علي الخزاعي، ط١، دار الكتاب العربي، (بيروت، ١٩٩٤م).
- ٣٨- حسن عباس نصر الله، الحياة الاجتماعية في بعلبك (تراث مدينة، وثقافة شعب)، دار الفارئ للطباعة والنشر والتوزيع، (بيروت، ٢٠٠٩م).
- ٣٩- ، تاريخ بعلبك، ج٢، مؤسسة الوفاء، (بيروت، ١٩٨٤م).
- ٤٠- ، تاريخ كرك نوح، مؤسسة الوفاء، (بيروت، ١٩٨٩م).
- ٤١- حسن نعمة، الموسوعة اللبنانية (المدن، البلدات، القرى والاماكن)، ج٢، دار الرافدين للطباعة والنشر، (بيروت، ٢٠١٦م).
- ٤٢- حسن نعمة، ميتولوجيا واساطير الشعوب القديمة، دار الشروق، (بيروت، ٢٠٠١م).
- ٤٣- حسنين محمد مخلوف، تفسير وبيان كلمات القرآن الكريم، دار المنار للطبع والنشر والتوزيع، (القاهرة، د.ت).
- ٤٤- حسين علوان، الجغرافية التاريخية لبلاد الشام في العصر الاموي، (بيروت، ١٩٨٧م).
- ٤٥- الحسيني الحسيني، يوليوس قيصر (حياة اسطورية ونهاية مأساوية)، مج١، دار الكتاب العربي للنشر والتوزيع، (مصر، ٢٠١٠م).
- ٤٦- حنا ابي رشد، جبل الدروز - حوران الدامية، الفكر العربي، (بيروت، ١٩٦١م).
- ٤٧- حنانيا المنير، الدرر الموصوف في تاريخ الشوف، تح : إغناطيوس سركيوس وجروس برس، دار رائد، (بيروت، د.ت).
- ٤٨- حيدر أحمد الشهابي، تاريخ الأمير حيدر أحمد الشهابي، ج٢، مطبعة السلام، (القاهرة، ١٩٠٠م).
- ، لبنان في عهد الامراء الشهابيين، منشورات الجامعة اللبنانية، (بيروت، ١٩٦٩م).

- ٥١- حيدر رضا الركني، جبل عامل في قرن (١١٦٣-١٢٤٧م)، د. مط، (بيروت، ١٩٩٨م).
- ٥٢- خالد محمد صافي، الحكم المصري في فلسطين (١٨٣١-١٨٤٠م)، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، (بيروت، ٢٠١٠م).
- ٥٣- خليل إينالجيك، الدولة العثمانية من النشوء إلى الانحدار، تر: محمد الأرناؤوط، دار المدار الإسلامي، (القاهرة، ٢٠٠٢م).
- ٥٤- الخوري بولس قرالي، فخر الدين امير لبنان (ادارته وسياسته ١٥٩٠-١٦٣٥)، مطبعة القديس بولس، (لبنان، ١٩٣٥م).
- ٥٥- الخوري ناصر الجميل، نبذات تاريخية في كنائس لبنان، دار النهار للطباعة والنشر، (بيروت، ١٩٩٥م).
- ٥٦- خير الدين الزركلي، الاعلام، ط٥، دار العلم للملايين، (بيروت، ٢٠٠٢م).
- ٥٧- أسطفان الدويهي، تاريخ الطائفة المارونية، تح: رشيد الخوري، المطبعة الكاثوليكية، (بيروت، ١٨٩٠م).
- ٥٨- رمضان العطيفي، رحلتان الى لبنان، المعهد الالمانى، (بيروت، ١٩٧٩م).
- ٥٩- روفائيل بن يوسف كرامة، حوادث لبنان وسوريا من سنة ١٧٤٥ الى سنة ١٨٠٠، جرس برس، (بيروت، د.ت).
- ٦٠- زكي النقاش، دور العروبة في تراثنا اللباني، دار لبنان للطباعة والنشر، (بيروت، ١٩٧٤م).
- ٦١- زكي النقاش، لبنان بين الحقيقة والظلام، ج ١، المكتب التجاري للطباعة والنشر، (بيروت، ١٩٦٥م).
- ٦٢- سامي نسيب مكارم، لبنان في عهد الامراء التتوخيين، ط٢، دار صادر، (بيروت، ٢٠١٠م).
- ٦٣- سركبس ابو زيد، الموارنة (سؤال في الهوية)، دار ابعاد للطباعة والنشر، (بيروت، ٢٠٠٠م).
- ٦٤- سعدون حمادة، تاريخ الشيعة في لبنان، ج ١، ط٢، دار الخيال، (بيروت، ٢٠٠٢م).
- ٦٥- سعيد عبد الفتاح عاشور، مصر والشام في عصر الايوبيين، دار النهضة العربية، (بيروت، ١٩٩٨م).
- ٦٦- سليمان ابو عز الدين، ابراهيم باشا في سوريا، د. مط، (بيروت، ١٩٢٩م).
- ٦٧- سهيل طقوس، تاريخ المماليك في مصر والشام، دار النفائس، (مصر، ١٩٩٧م).
- ٦٨- شارل عيساوي، تأملات في التاريخ العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، (بيروت، ١٩٩١م).
- ٦٩- شفيق مهدي، ممالك مصر و الشام، الدار العربية للمطبوعات، (٢٠٠٨م).

- ٧٠- شمس الدين محمد بن علي الصالحي ابن طولون، أعلام الوري بمن ولى من الأتراك بدمشق الشام الكبرى، تح، محمد أحمد دهمان، دار الفكر، (دمشق، ١٩٨٤م).
- ٧١- شيبان الخازن، الاصول التاريخية، تح: الأب بولس مسعد ونسيب وهيبه الخازن، (بيروت، مكتبة صغير، ١٩٥٨م).
- ٧٢- صالح بن يحيى، تاريخ بيروت وهو اخبار السلف من ذرية بحت بن علي امير الغرب ببيروت، تح: مجموعة مؤلفين، دار المشرق، (بيروت، ١٩٦٩م).
- ٧٣- صالح بن يحيى، تاريخ بيروت، دار المعارف، (بيروت، ١٩٦٩م).
- ٧٤- صفوح خير، غوطة دمشق، دراسة في الجغرافية الزراعية، دار النورين، (دمشق، ١٩٦٦م).
- ٧٥- طنوس الشدياق، أخبار الاعيان في جبل لبنان، ج٢، المطبعة الكاثوليكية، (بيروت، ١٩٧٠م).
- ٧٦- عادل اسماعيل، لبنان في تاريخه وتراثه، ج١، مركز الحريري الثقافي للطباعة والنشر، (بيروت، ١٩٩٣م).
- ٧٧- عامر بن محمود الرعامي، تاريخ اليمن تحت حكم حسن باشا، مكتبة الكونغرس، (اليمن، ١٩١٣م).
- ٧٨- عباس ابو صالح ومكارم سامي، تاريخ الموحدين الدروز السياسي في المشرق العربي، المجلس الدرزي للبحوث والانماء، (بيروت، د، ت).
- ٧٩- عباس ابو صالح ومكارم نسيب سامي، تاريخ الموحدين الدروز السياسي في المشرق العربي، المجلس الدرزي للبحوث والانماء، (بيروت، د.ت).
- ٨٠- عباس أسماعيل صباغ، تاريخ العلاقات العثمانية الإيرانية (الحرب والسلام بين العثمانيين والصفويين)، دار النفائس، (بيروت، ١٩٩٩م).
- ٨١- عباس العزاوي، عشائر العراق، مطبعة بغداد، (بغداد، ١٩٣٧م).
- ٨٢- عبد الحكيم بن مشوح السلوم، دور البيان في تاريخ الجولان، دار النميز للطباعة والنشر والتوزيع، (بيروت، ٢٠٠٢م).
- ٨٣- عبد الرحمن الرافعي، عصر محمد علي، ج٣، دار النهضة العربية، (مصر، ١٩٥١م).
- ٨٤- عبد الرحيم ابو حسين، لبنان والامارة الدرزية في العهد العثماني، دار النهار، (بيروت، ٢٠٠٦م).
- ٨٥- عبد الرؤوف فضل الله، لبنان دراسة جغرافية، مج١، ط٣، دار النهضة للطباعة والنشر، (بيروت، ٢٠٠١م).
- ٨٦- عبد العزيز المسعودي، تاريخ قبائل العرب، دار العلم للملايين، (بيروت، ٢٠٠١م).

- ٨٧- عبد العزيز سليمان، الشعوب الإسلامية، دار النهضة العربية، (بيروت، ١٩٧٣م).
- ٨٨- عبد العزيز محمد الشناوي، الدولة العثمانية دولة إسلامية مفترى عليها، مكتبة الانجلو المصرية، (القاهرة، ١٩٨٤م).
- ٨٩- عبد العزيز محمد عوض، الإدارة العثمانية في ولاية سوريا، تقديم :احمد عزت عبد الكريم، دار المعارف، (القاهرة، ١٩٦٩م).
- ٩٠- عبد الغني النابلسي، حلة الذهب الابريز في رحلة بعلبك والبقاع، العزيز، مطبعة مصر، (مصر، ١٩١٧م).
- ٩١- عبد الكريم الاشر، شعر دعل بن علي الخزاعي، ط٢، مطبوعات مجمع اللغة العربية، (دمشق، ١٩٨٣م).
- ٩٢- عبد الكريم رافق، بلاد الشام ومصر من الفتح العثماني إلى حملة نابليون (١٥١٦-١٧٩٨)، دار الفكر العربي، (دمشق، ١٩٦٧م).
- ٩٣- عبد الله الاصفهاني، رياض العلماء وحياض الفضلاء، مطبعة الخيام، (قم، ١٩٨٠م).
- ٩٤- عبد الملك بن قريبن عبد الملك الاصمعي، الأصمعيات، تح : احمد محمد شاكر، مج ١، ط ٥، دار المعارف، (مصر، ٢٠١٢م).
- ٩٥- عبود الصباغ، الروض الزاهر في تاريخ آل ظاهر، مؤسسة حمادة، (بيروت، ١٩٩٩م).
- ٩٦- عباس العزاوي، نظام المسؤولية عند العشائر العراقية، مطبعة بغداد، (بغداد، ١٩٣٧م).
- ٩٧- عصام خليفة، أبحاث في تاريخ شمال لبنان في العهد العثماني، د . م، (بيروت، ١٩٩٥م).
- ٩٨- علي ابو عساف، فتوح الممالك القديمة في سوريا، دار المنال للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٩٣ .
- ٩٩- علي الزين، للبحث عن تاريخنا في لبنان، (بيروت، ١٩٧٣م).
- للبحث عن تاريخنا في لبنان، ط٢، دار الطليعة، (بيروت، ٢٠٠٦م).
- ١٠٠- ، فصول من تاريخ الشيعة في لبنان، دار الكلمة، (بيروت، ١٩٧٩م).
- ١٠١- علي حسون، تاريخ الدولة العثمانية، المكتب الاسلامي، (بيروت، ١٩٩٤م).
- ١٠٢- ، حرب اليونان (العثمانيون والروس)، المكتب الاسلامي، د. مط، بيروت، ١٩٨٢.
- ١٠٣- علي محمد الصلابي، الدولة الزنكية ونجاح المشروع الاسلامي لمقاومة التغلغل الباطني والصليبي، المكتبة المصرية، مصر، ١٩٩٧.

- ١٠٤- عمر رضا كحالة، معجم القبائل العربية القديمة و الحديثة، ج ١، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٦٨.
- ١٠٥- عمر عبد العزيز عمر، تاريخ المشرق العربي (١٥١٦-١٩٢٢)، دار النهضة، بيروت، ١٩٨٧.
- ١٠٦- عيسى اسكندر المعلوف، دواني القطوف في تاريخ المعلوف دار حوران، دمشق، ٢٠٠٣.
- ١٠٧- ، تاريخ الأسر الشرقية و قبائلها، ج ٧، دار صادر، بيروت، د. ت.
- ١٠٨- ، تاريخ الامير فخر الدين الثاني، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، ١٩٦٦.
- ١١٠- غسان فوزي طه، شيعة لبنان :العشيرة، الحزب، الدولة (بعلبك-الهرمل نموذجاً)، معهد المعارف الحكيمة، بيروت، ٢٠٠٦.
- ١١١- فاضل بيات، دراسات في تاريخ العرب في العهد العثماني، دار المدار الاسلامي، بيروت، ٢٠٠٣.
- ١١٢- فريد بك، تاريخ الدولة العلية العثمانية ،تح: احسان حقي، ط١٠، دار النفائس، بيروت، ٢٠٠٦.
- ١١٣- فضل رعد، تاريخ بعلبك، مر: فؤاد افرام البستاني، الجامعة اللبنانية، بيروت، ١٩٦٨.
- ١١٤- فؤاد خليل، الحرافشه إمارة المساومة (١٥٣٠-١٨٥٠)، دار الفارابي، بيروت، ١٩٩٧.
- ١١٥- فيصل الأتات، الشعاع في علماء بعلبك والبقاع، مؤسسة النعمان، بيروت، ١٩٩٣٧.
- ١١٦- قاسم الشماعي الرفاعي، بعلبك في التاريخ (دراسة شاملة لتاريخها ومساجدها ومدارسها وعلمائها)، المكتب الاسلامي للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٨٤.
- ١١٧- كاظم ياسين، تاريخ الشيعة والطوائف في لبنان من العصر النبوي الى الانتداب الفرنسي، ج١، د.ت، بيروت، ٢٠١٥.
- ١١٨- كامل مصطفى، المسألة الشرقية، مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب،
- ١١٩- كامل الغزي، نهر الذهب في تاريخ حلب، مج٣، د. مط، حلب، ١٩٩١.
- ١٢٠- كمال الصليبي، تاريخ لبنان الحديث، دار النهار، بيروت، ١٩٨٤.
- ١٢١- ، منطلق تاريخ لبنان، دار الحكمة ،بيروت، ١٩٧٩.
- ١٢٢- لطيفة محمد سالم، الحكم المصري في الشام، ط٢، مكتبة مدبولي، القاهرة، ١٩٩٠.
- ١٢٣- متعب خلف جابر الريشاوي، إمارة الخزاعل في العراق (نشأتها وتطورها وعلاقاتها المحلية والاقليمية)، دار الضياء للطباعة والتصميم، النجف الاشرف، ٢٠٠٩.

- ١٢٤-متي موسى، الموارنة في التاريخ، دار قدس للنشر والتوزيع، دمشق، ٢٠٠٤.
- ١٢٥-مجموعة مؤلفين، دمشق الشام، دار الكرنك للطباعة والنشر، دمشق، ١٩٩٩.
- ١٢٦-محسن الامين، اعيان الشيعة، تح : حسن الامين، مج ٥، دار التعارف للمطبوعات، بيروت، ١٩٨٣.
- ١٢٧- ، خطط جبل عامل، تحقيق: حسن الامين، الدار العالمية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ١٩٨٢.
- ١٢٨-محمد التونجي، بلاد الشام إبان العهد العثماني، دار المعرفة، بيروت، ٢٠٠٤.
- ١٢٩-محمد الحسن الحر العاملي، أمل الأمل في علماء جبل عامل، مؤسسة الوفاء، بيروت، ١٩٨٣.
- ١٣٠-محمد الدنيا، الفينيقيون وأساطيرهم، الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق، ٢٠١١.
- ١٣١-محمد المكي بن السيد بن الحاج مكي بن الخانقاه، حوادث حمص اليومية، صفحات للدراسات والنشر، بيروت، ٢٠١٢.
- ١٣٢-محمد أمين فضل الله المحبي، خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر، ج ٢، دار صادر، بيروت، د.ت.
- ١٣٣-محمد بن كنان الصالحي، يوميات شامية، تح : أكرم حسن العلي، دار الطباع، دمشق، د.ت.
- ١٣٤-محمد بن طولون / ١٥٤٦، مفاكهة الخلان في حوادث الزمان، تح : محمد مصطفى، ج ١، دار احياء الكتب العربية، القاهرة، ١٩٦٢.
- ١٣٥- حوادث دمشق اليومية غداة الغزو العثماني، تح : أحمد إيديش، دار الاوائل، دمشق، ٢٠٠٢.
- ١٣٦-محمد جابر آل صفا، تاريخ جبل عامل، ط ٢، دار النهار ببيروت، ١٩٨١.
- ١٣٧- ، تاريخ جبل عامل، ط ٢، دار النهار للنشر، بيروت، ١٩٥٤.
- ١٣٨- ، تاريخ جبل عامل، ط ٢، دار النهار، ١٩٨١.
- ١٣٩-محمد حرب، العثمانيون في التاريخ والحضارة، المركز المصري للدراسات العثمانية، القاهرة، ١٩٩٤.
- ١٤٠-محمد حسين الزين العاملي، مواقف الشيعة في العهدين الاموي والعباسي، العرفان (مجلة)، مج ٢٦، ج ١، ١٩٣٥، بيروت.
- ١٤١-محمد عزة دروزه، العرب و العرب، دار الیقظة العربية، دمشق، ١٩٥٩.
- ١٤٢-محمد علي الزين، العادات و التقاليد في العهود الإقطاعية، ط ٣، دار الفكر الحديث للطباعة و النشر، بيروت، ٢٠٠٧.

- ١٤٣- محمد علي الصلابي، الدولة العثمانية عوامل النهوض والسقوط، ط٢، دار المعرفة، بيروت، ٢٠٠٥.
- ١٤٤- محمد علي كرد، غوطة الشام، مج ١، ط ٣، دار الفكر المعاصر، دمشق، ١٩٨٤
- ١٤٥- ، خطط الشام، ج ٤، دار الترقى للطباعة والنشر، دمشق، ١٩٢٦.
- ١٤٧- محمد علي مكي، لبنان من الفتح العربي الى الفتح العثماني، دار النهار، بيروت، ١٩٦٦.
- ١٤٨- محمد فريد بك، تاريخ الدولة العلية العثمانية، تحقيق : احسان حقي، ط١، دار النفائس، مصر، ٢٠٠٦.
- ١٤٩- محمد فريد، تاريخ الدولة العلية، تحقيق: احسان حقي، دار النفائس، بيروت، ١٩٨٣.
- ١٥٠- محمد محمود الحلبي، العراق بين المماليك والعثمانيين، دار الفكر، دمشق، ١٠٨٦.
- ١٥١- محمود خليل صعب، قصص ومشاهد من جبل لبنان، مر: سامي نسيب مكارم، ط٣، المجلس الدرزي للبحوث والانماء، بيروت، ١٩٨٠.
- ١٥٢- محمود سعيد عمران، معالم تاريخ اوربا في العصور الوسطى، ط٢، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٨٩.
- ١٥٣- مسعود ظاهر، النهضة العربية والنهضة اليابانية، ط١، المجلس الوطني للثقافة والفنون، الكويت، ١٩٩٠.
- ١٥٤- مسعودي الخولد، معجم التاريخي للبلدان والدول، ج ٣، مطبعة عيد، بيروت، ١٩٨٥.
- ١٥٥- المصور في التاريخ، منير البعلبكي واخرون، ج ٧، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٩٩.
- ١٥٦- المطران يوسف الدبس الماروني، تاريخ سوريا، مج ٦، ج ٤، المطبعة العمومية الكاثوليكية، بيروت، ١٩٠٢.
- ١٥٧- معتصم المؤيد العظم، سلاله ال العظم، دار الحكمة، بيروت، ١٩٩١.
- ١٥٨- منار الهدى، تاريخ الشيعة في لبنان، مركز نون للتأليف والترجمة، بيروت، ٢٠١٢.
- ١٥٩- مهدي القزويني الحسيني، أنساب القبائل العربية، مؤسسة الاعلام للطباعة والنشر، ١٩٥٧.
- ١٦٠- مؤلف مجهول، المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام، ج ١، ط ٣، دار العلم للملايين، بيروت، د.ت.
- ١٦١- مؤلف مجهول، تاريخ بيروت واخبار الامراء البحتيرين من بني الغرب، تح : لوريس شيخو اليسوعي، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، ١٩٢٧.
- ١٦٢- مؤلف مجهول، حروب ابراهيم باشا المصري في سوريا والاناضول، تح: اسد رستم، منشورات المكتبة البوليسية، لبنان، ١٩٨٦.

- ١٦٣- مؤلف مجهول، علاقة الموحدين الدروز بالمسيحيين (دراسة تاريخية ونظرة مستقبلية _ في العلاقات الاسلامية -المسيحية -قراءات مرجعية في التاريخ والحاضر والمستقبل)، مركز الدراسات الاستراتيجية والبحوث والتوثيق، بيروت، ١٩٩٤.
- ١٦٤- مؤلف مجهول، نزهة الزمان في حوادث لبنان، دار المكتبة الوطنية، بيروت، ١٩٦٨.
- ١٦٥- ميخائيل مشاقه، مشهد العيان بحوادث سوريا ولبنان، د. مط، القاهرة، ١٩٠٤.
- ١٦٦- ميخائيل موسى الوف، تاريخ بعلبك، ط٢، المطبعة الادبية، بيروت، ١٩٠٤.
- ١٦٧- ميخائيل نيقولا الصباغ، تاريخ أليخ ظاهر العمر الزيداني حاكم عكا وبلاد صفد، مطبعة القدس بولس لبنان، ١٩٣٥.
- ١٦٨- ميشال شلبي، فخر الدين المعني الثاني (امير لبنان ١٥٧٢-١٦٣٥)، منشورات الجامعة اللبنانية، بيروت، ١٩٨٤. ٤
- ١٦٩- نجم الدين الغزي، لطف السمر وقطف الثمر، وزارة الثقافة دمشق، ١٩٨٢، .
- ١٧٠- نجيب توفيق، أم الممالك، دار العرب، القاهرة، ١٩٨٩.
- ١٧١- نجيب محمد سليم شهابي، نسب الامراء الشهابيين واخبارهم في بلاد حوران ووادي التيم ولبنان، الدار التقدمية، بيروت، ٢٠١٠.
- ١٧٢- نديم حمزة، التوخيون (اجداد الموحدين الدروز ودورهم في جبل لبنان، دار النهار للنشر، بيروت، ١٩٨٤.
- ١٧٣- نعمان افندي قساطلي، الروضة الغناء في دمشق الفيحاء، بيروت، ١٨٧٩.
- ١٧٤- هاشم عثمان، تاريخ الشيعة في ساحل بلاد الشام الشمالي، دار الأعلمي، بيروت، ١٩٩٤.
- ١٧٥- وجيه كوثراني، الاتجاهات الاجتماعية والسياسية في جبل لبنان والمشرق العربي، ط٢، معهد الاتحاد العربي، بيروت، ١٩٧٨.
- ١٧٦- وديع بشور، سوريا صنع دولة، دار اليازجي، دمشق، ١٩٨٤.
- ١٩٨٠.
- ١٧٨- ياسين السويد، التاريخ العسكري للمقاطعات اللبنانية في عهد الامارتين (المعنية والشهابية)، ج١، المؤسسة العربية للدراسات بيروت، ١٩٨٥.
- ١٧٩- يوسف الحكيم، بيروت ولبنان في عهد آل عثمان، ط٤، دار النهار للنشر، بيروت، ١٩٩١.

١٨٠- يوسف الدبس مطران، تاريخ سوريا الديني والديني، في ايام الخلفاء الى نهاية القرن الحادي عشر، ج٥، بيروت، ١٩٩٤.

١٨١- يوسف الملواني ابن الوكيل، تحفة الاحباب بمن ملك مصر من الملوك والنواب، دار الافاق العربية، القاهرة، ١٩٩٩.

١٨٢- يوسف مزهر، تاريخ لبنان العام، ج١، دار الامن، بيروت، ١٩٥٨.

زكريا بن محمد بن محمود القزويني (ت: ٦٨٢هـ/ ١٢٨٣م)، آثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر، بيروت، ١٩٩٨، ص ١٥٦؛ شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت الحموي الرومي البغدادي (ت: ٦٢٦هـ/ ١٢٢٥م)، معجم البلدان، مج١، دار صادر، بيروت، ١٩٧٧، ص ٤٥٥.

قطب الدين أبو الفتح موسى بن محمد اليونيني (ت: ٧٢٦هـ/ ١٣٢٦م)، ذيل مرآة الزمان، ج٢، ط٢، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، ١٩٩٢.

أحمد اسماعيل علي، تاريخ بلاد الشام منذ ما قبل لميلاد حتى نهاية العصر الاموي، ط٣. دار دمشق، دمشق، ١٩٩٤.

سهير القلماوي وآخرون، الموسوعة العربية الميسرة، مر: شفيق غربال، دار الشعب، مصر، ١٩٨٧.

احمد بن يحيى ابن فضل الله العمري (ت: ٧٤٩هـ/ ١٣٤٩م)، مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، تح: دو روتيا كرا فولسكي، ج٣، المركز الإسلامي للبحوث، بيروت، ١٩٨٥.

إسماعيل أبو الفداء بن علي بن محمود ابن عمر بن أيوب (ت: ٧٣٢هـ/ ١٣٣١م)، المختصر في أخبار البشر، ج٤، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٧.

محمود سعيد عمران، معالم تاريخ أوروبا في العصور الوسطى، ط٢، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٨٩.

- يوسف مزهر، تاريخ لبنان العام، ج١، دار الامن للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٥٨، ص ١٤٩.

- شاكِر مصطفى، المدن في الاسلام حتى العصر العثماني، ج٢، بيروت، ١٩٨٨.

طه باقر، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة في حضارة وادي النيل وبعض الحضارات القديمة (فارس، الإغريق، الرومان)، ج ٢، بيت الوراق للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ٢٠١١.

- أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله ابن خرداذبة (ت: ٣٠٠هـ / ٩١٢م)، المسالك والممالك، تح: دي غوبة، دار صادر أفست ليدن، بيروت، ١٨٨٩.

عماد الدين أسماعيل بن محمد بن عمر المعروف بابي الفداء (ت: ٧٣٢هـ / ١٣٣١م)، تقويم البلدان، تح: المستشرق رينود وماك كوكين ديسلان، دار صادر، بيروت، ١٨٥٠، ص ٢٥٥.

- أبو الحسن علي بن الحسين المسعودي (ت: ٣٤٦هـ / ٩٥٧م)، مروج الذهب ومعادن الجوهر، ج ٢، المكتبة العصرية، بيروت، ٢٠٠٥.

ت- الكتب العربية:

١-أيرال ابيدوس، مدن اسلامية في عهد المماليك، تر: علي ماضي، دار الاهلية للتوزيع والنشر، بيروت، ١٩٨٧.

٢-أيريك فردي وأخرون، أطلس لبنان، (الارض والمجتمع)، تر: محمد الدبيات، تح: محمد كروز، مر: حسن الشريف، مكتبة النهضة للتوزيع والنشر، دمشق، ١٩١٢.

٣-برنارد لويس، العرب في التاريخ، تعريب: نبيه امين فارس ومحمود زايد، د.ت، بيروت، ١٩٥٤.

٤-خليل إينالجبك، الدولة العثمانية من النشوء إلى الانحدار، تر: محمد الأرناؤوط، دار المدار الإسلامي، القاهرة، ٢٠٠٢.

٥-رسول جعفريان، اطلس الشيعة، دراسة في الجغرافية الدينية للتشيع، تعريب: نصير الكعبي وسيف علي، طهران.

٦-رونالد ولبر، إيران ماضيها وحاضرها، تر: عبد النعيم محمد حسنين، دار الكتاب المصري، القاهرة، ١٩٨٥.

٨-ستيفن ونتر، الشيعة في لبنان تحت الحكم العثماني (١٥١٦-١٧٨٨)، تر: محمد حسين المهاجر، فريق مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي، بيروت، ٢٠١٦.

٩-فريد بك، تاريخ الدولة العلية العثمانية، تح: احسان حقي، ط ١٠، دار النفائس، بيروت، ٢٠٠٦.

١٠-فيليب حتي، تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين، تر: جورج حداد وعبد الكريم رافق، مر: جبرائيل جبور، ج ١، دار الثقافة للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٥١.

- ١١- تاريخ لبنان منذ أقدم العصور التاريخية إلى عصرنا الحاضر، تر: أنيس فريحة، ج١، دار الثقافة للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٥٨.
- ١٢- خمسة آلاف سنة من تاريخ الشرق الأدنى، ج١، الدار المتحدة للنشر، بيروت، ١٩٨٢.
- ١٣- لبنان في التاريخ، تر: أنيس فريحة، مؤسسة فرانكلين، بيروت، ١٩٥٩.
- ١٤- قسطنطين بازيللي، سورية وفلسطين تحت الحكم العثماني، ترجمه: طارق معصراني، دار التقدم، موسكو، ١٩٨٩.
- ١٥- كارلهانيز برنهوت، لبنان القديم، تر: ميشيل كيلو، مر: زياد مني، قدمس للنشر والطباعة، دمشق، ١٩٩٩.
- ١٧- اللفت الكولونيل فردريك بيل، تاريخ شرق الأردن و معرفة قبائلها، تعريب بهاء الدين طوقان، ج ١، دار الأهلية للنشر و التوزيع، ١٩٩٨.
- ١٩- نيقولا ايفانوف، الفتح العثماني للأقطار العربية (١٥٦١-١٥٧١)، تعريب: يوسف عطا الله د.ت، بيروت، ١٩٨٨.

ث- الكتب الاجنبية :

1. An ottoman statesman in war and peace: Ahmed Resmi Efendi, 1700-1783 by Virginia H. Aksan
2. Bournw, Ella. Augustus as a Letter -Writer Transactions and Proceedings Of The-
American Philological Association, Volume, 1918.
3. Fisher sirgo d frey Barbary Legend: War, Teadard Piracy in north Africa 1415-1830, Oxford, O clarendon Press, 1957 .
4. Found Ephram AL-Bustani, C. Nultural Resources in Lebanon, Notws on Lebanon Under the Emirs (1516 - 1842), Beirut, the Salwa C .Nassar, foundation for Lebanon Studies, 1964.
5. Found Ephram AL-Bustani, C. Nultural Resources in Lebanon, Notws on Lebanon Under the Emirs (1516-1842), Beirut, the Salwa C .Nassar, foundation for Lebanon Studies, 1964
6. History Of the Balkans :Eighteenth and nineteenth centuries by Barbara Jelavich
7. John D .Durand, Historcal Estimats Of World Population: An Evaluation, 1977.
8. Norman itzkowitz, ottomom empire and Islamic thadition
9. Paolo Carali, fakhr ad-Din Iela Carte di Toscana, Romw, 1939.
10. Rogers, Clifford J. Readings On The Military Transfomation Of Early Modern Europe, San Francisco: Westview Press, 1995.

11. The rise of the turks and the ottoman empire retrieved on 2007

12. willaim Griswold, The Great Anatoliaon 1000-1020|1591, 1611, Berlin:Klaus Schwarz, 1983; Cf, Dror.

: الاطاريح والرسائل العربية: .ثالثا

١. أسراء شريف الكعود، فخر الدين المعني الثاني ودوره في تاريخ لبنان، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة بغداد، كلية التربية، ٢٠١٣.
٢. حسين عبد الحسين عباس الزهيري، الشيعة ودورهم السياسي في لبنان (١٩٢٠-١٩٥٨)، اطروحة دكتوراه غير منشورة، كلية التربية، جامعة واسط، واسط، ٢٠١٦.
٣. كريم عباس حسون، التغلغل الاوروبي في جبل لبنان في عهد الامارة الشهابية (١٩٦٩-١٨٤١)، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية، جامعة القادسية، ٢٠٠٨.
٤. لمياء احمد محسن، لبنان دراسة في الجغرافية السياسية والجيوبوليتكس، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة بغداد، كلية التربية للبنات، ٢٠٠٤.
٥. نايف عبد نايف نجم الجبوري، موقف السلطات العثمانية من الادارة المعنية في لبنان في القرن السابع عشر، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة الموصل، ٢٠٠٢.

رابعا: الموسوعات

- ١- احمد حسين، موسوعة تاريخ مصر، دار الشعب، القاهرة، د.ت.
- ٢- أنيس فريحة، معجم أسماء وقرى ومدن لبنان وتفسير معانيها (دراسة لغوية) مج ١، ط ٤، مكتبة لبنان للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٩٦.
- ٣- حسن نعمة، الموسوعة اللبنانية (المدن، البلدات، القرى والاماكن)، ج ٢، دار الرافدين للطباعة والنشر، بيروت، ٢٠١٦، ص ١٣٤.
- ٤- عارف تامر، الموسوعة التاريخية للخلفاء الفاطميين (المستعلي بالله)، ج ١، دار الخيل للطباعة والنشر، مصر، ١٩٨٠.
- ٥- عبد الرحمن زكي، موسوعة مدينة القاهرة في الف عام، مكتب الانجلو المصرية، القاهرة، ١٩٨٤.
- ٦- هنري عبودي، معجم الحضارات السامية، ج ١، ط ٢، مكتبة جروس-برس، طرابلس، ١٩٩٩.
- ٧- يحيى الشامي، موسوعة المدن العربية والاسلامية، دار الفكر العربي للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٩٣.

خامسا: الدوريات والمجلات

- ١- ابن نجم، نبذه من تاريخ لبنان في القرن السابع عشر، مجلة المشرق، العدد ٢٥.
- ٢- أحمد بن صالح العظمي الطرابلسي، رحلة الى حلب والشام، تح: عبد القادر المغربي، مج ٧، مجلة المجمع العلمي العربي، بيروت، ١٩٢٧.
- ٣- احمد بن عبد الله العنقري، ابو ظبي في الوثائق العثمانية، مجلة الدارة، عدد ٣، ابو ظبي، ٢٠١٢.
- ٤- احمد عارف زين الدين، تاريخ الشيعة، العرفان (مجلة)، مج ٣، العدد ١٥، بيروت، ١٧-١٠-٢٠١٦.
- ٥- اديب الصفدي، صحيفة الناقد، الدمشقية، العدد ١٥، ١٦-ايار- ١٩٣٠.
- ٦- إلياس بولاد، حوادث ١٨٩٠ في لبنان ودمشق فتنة دينية ام مؤامرة سياسية غربية، صحيفة الرأي، دمشق، ٣-٢-٢٠٠٦.
- ٧- انطوان شعبان، هاجم الحماديون مناطق الحرافشة وردا على انتهاك سيادة الجبل، الديار (مجلة) العدد ١٦، اذار- ٢٠٠٠.
- ٨- أنيس الابيض، سفارات الدولة الايوبية ودولة المماليك مع أوروبا، جريدة الحياة، ١٦-نيسان- ٢٠١٦.
- ٩- البر داغر، عروبة الموارد، الاخبار (مجلة)، العدد ٢١، بيروت، ٢١-نيسان- ٢٠١٠.
- ١٠- حسين أحمد سليم، قراءات تاريخية في العائلات اللبنانية (الامراء ال الحرفوش حكام بلاد بعلبك)، كواليس (مجلة)، العدد ١٠، تشرين الثاني - ١٩٧٧.
- ١١- حسين حمية، عائلات لبنانية (ال الحرفوش من ابطال عين دارة وان غيبهم التاريخ)، الافكار (مجلة لبنان)، ٢٩-نيسان - ٢٠١٤.
- ١٢- حسين درويش، المطران عطا الله، أبرشية بعلبك -دير الاحمر المارونية، بقاع هليوبوليس (مجلة)، لبنان، ١٣-اذار- ٢٠١٥.
- ١٣- داني الامين، الجزائر في جبل عامل (ولادة مقاومة)، الاخبار (مجلة)، بيروت، ٢-نيسان- ٢٠١٣.
- ١٤- ريتا شروادة، عشائر بعلبك - الهرمل، النهار (مجلة)، العدد ١٠، بيروت، ١٦-كانون الاول- ١٩٩٦.
- ١٥- سليمان ظاهر، جبل عامل وقلعة الشقيف، ج ٤، العرفان (مجلة)، ١٩٢٠.
- ١٦- سليمان ظاهر، صفحة من التاريخ الشامي لم يدون اكثره، المجمع العلمي العربي (مجلة)، العدد ١٧، دمشق، ١٩٤٢.
- ١٧- شادية علاء الدين، لبنان في اواخر العهد العثماني (التقسيمات الادارية وشؤون الجند والدرك)، من التاريخ (مجلة)، العدد ٣٤١، بيروت، تشرين الثاني - ٢٠١٣.
- ١٨- الشيخ حسن همد -شيخ الطائفة الشيعية في جبل لبنان، اطلاله جبلية (مجلة)، العددان ٣٢-٣٣، بيروت، ٩-٤-٢٠١١.
- ١٩- صحيفة الشرق الاوسط، السورية، العدد ١٠، ١٩٨٨.

- ٢٠- صحيفة النقد، الدمشقية، العدد ١٥، ١٦-ايار-١٩٣٠.
- ٢١- عامر محمود، المصطلحات المتداولة في الدولة العثمانية، دراسات تاريخية (مجلة)، دمشق، ١١- كانون الثاني - ٢٠١٢.
- ٢٢- عبد الرحمن حميدة، مدينة حلب -حلب المدينة التي لم تقهر، مجلة الفيصل، العدد ٢.
- ٢٣- عثمان اللقيس، عن الامراء الحرافشة، اطلالة جبلية (مجلة)، العدد ٢٤، بيروت، ايلول- ٢٠١٦.
- ٢٤- علي الزين، العادات والانظمة في العهود الاقطاعية، العرفان (مجلة)، مج ٤٠، ج ٥، ١٩٥٢.
- ٢٥- علي سليم، أهمية الدور الذي قام به ال الحرفوش، اللقاء (مجلة)، العدد ١٦، بيروت، ١٨-١٢- ٢٠١٥.
- ٢٦- عماد الملاح، بعلبك مدينة الشمس والجمال ومركز العبادات القديمة، دنيا الاتحاد (مجله)، بيروت، ١٥- مارس- ٢٠١١.
- ٢٧- عون كامل بن نجيم، نبذة من تاريخ لبنان في القرن السابع عشر، مجلة المشرق، العدد ٢٥، ١٩٢٧.
- ٢٩- عيسى اسكندر المعلوف، الامراء الحرافشة، العرفان (مجلة) العدد ٩، بيروت، ١٩٣٥.
- ٣٠- الامراء الحرفشيون، العرفان(مجلة)، مج ٩، ٢٠١٢.
- ٣١- تاريخ زحلة، جريدة زحلة الفتاة، بيروت، ١٩٨٤.
- ٣٢- غادة المقدم عدرة، العلاقات بين فخر الدين الثاني وتوسكانيا، تاريخ العرب والعالم (مجلة)، العدد ٥٣، بيروت، اذار-١٩٨٣.
- ٣٣- مارشال هودجسون، تصور تاريخ العالم، الاجتهاد اللبناني (مجلة)، العددان (٢٦/٢٧)، ١٩٩٥.
- ٣٤- مارون حداد، طوائف لبنان (اقليات كبرى واقليات صغرى)، صحيفة الشرق الاوسط، ٢٥-٧-٢٠٠٨.
- ٣٥- مارون حداد، طوائف لبنان (اقليات كبرى واقليات صغرى)، صحيفة الشرق الاوسط، ٢٥-٧-٢٠٠٨.
- ٣٦- محمد بكري، سفراء العرب الى الغرب قبل الحملة الفرنسية على مصر، جريدة الحياة، ٦-كانون الثاني- ٢٠١٣.
- ٣٧- محمد جابر، الحكومة الاقطاعية الثالثة، العرفان(مجلة)، مج ٢٧، ج ١، ١٩٣٧.
- ٣٨- منى حسن، قبعة بعلبك -أثر يجسد تاريخ لبنان، جريدة الراية السياسية، بيروت، ٥-٤-٢٠١٦.
- ٣٩- ناديا الياس، مدينة بعلبك تنام على امجاد تاريخها، القدس العربي (مجلة)، بيروت، ١٦-١-٢٠١٦.
- ٤٠- هعثمان اللقيس، الامراء الحرافشة، اطلالة جبلية (مجلة)، العدد ٢٥، بيروت، ايلول-٢٠١٦.
- ٤١- وضحة سعيد شعيب، قبسات من تاريخ ال الحرفوش، دنيا الوطن (مجلة)، بيروت، ١٢-٨- ٢٠١٤.
- ٤٢- وضحة سعيد شعيب، قبسات من تاريخ ال الحرفوش، دنيا الوطن (مجلة)، العدد ١٢، بيروت، ١٢-٨- ٢٠١٤.

٤٣- يوسف طباجة، نموذج الزعامة السياسية بنو بشارة في جبل عامل، العرفان (مجلة)، مج ٨٠، العددان ٩-١٠، ١٩٩٦.

٤٤- يوسف محمد عمرو، نظرة على ماضي وحاضر الشيعة في بلاد كسروان وجبيل، العرفان (مجلة)، مج ٧٢، العدد ٢، ١٩٨٢.

سادساً: شبكة الانترنت

1. [ar.m.wikipedia.org//https](https://ar.m.wikipedia.org/)
2. [arabic . SPutnews . com//https](https://arabic.SPputnews.com/)
3. [lite.islamstory.com//https](https://lite.islamstory.com/)
4. [WWW. Alrakoba.net //https](https://www.alrakoba.net/). [www . marefa . org // https](https://www.marefa.org/)
5. [www. Marefa.org// https:](https://www.Marefa.org/)